THE BOOK WAS DRENCHED

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_191002

UNIVERSAL
LIBRARY

كتاب

تأليف

(الامام الفقيه ابى محمد عبد الله بن مسلم)
(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله)

طبعت على نفقة

منصور عبد المتعال

(صاحب المكتبه المصريه بشارع محمد على)
(وسوق عكاظ بشارع الحلوجى بجهة الازهر)

﴿ طبع بمطبعة الأمه بدرب شغلان جهة الدرب الاحمر بمصر سنة ١٣٢٨ هـ ﴾

ترجمة المؤلف

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب. كان فاضلا ثقة سكن بغداد وحدث عن اسحاق بن راهويه وأبي اسحاق ابراهيم بن سفيان اليزيدي وأبي حاتم السجستاني وتلك الطبقة. وروى عنه ابنه أحمد وابن درستويه وتصانيفه كثيرة مفيدة منها ما تقدم ذكره ومنها تفسير القرآن الكريم وغريب الحديث وغريب الاخبار ومشكل الحديث وطبقات الشعراء وكتاب التنبيه وكتاب الجيم وكتاب أعراب القرآن وكتاب الانواء وكتاب المسائل والجوابات وكتاب الميسر والقداح وغير ذلك. وقيل ان اباه مروزي واما هو فمولده ببغداد وهو بالكوفة واقام بالدينور مدة قاضيا فنسب اليها وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين وتوفي في ذي القعدة سنة سبعين وقيل في رجب سنة ست وسبعين ومائتين وكانت وفاته فجأة صباح صبيحة سمعت من بعد ثم أغمي عليه ومات رحمه الله.

وقتيبة هي تصغير قتبة وهي واحدة الاقتاب والاقتاب الامعاء ربما سمي الرجل. والدينوري نسبة الى دينور وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرمبسين خرج منها خلق كثير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى

نستفتح كلامنا بحمد الله تعالى ونقدس ربنا بذكره والثناء عليه لا اله الا هو لا شريك له الذى اتخذ الحمد لنفسه ذكراً. ورضى به من عباده شكراً وصلى الله على سيدنا محمد الذى أرسله بالهدى . وختم به رسل الله السعداء صلاة زاكية وسلم تسليما كثيراً أبدا

باب فضل أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما

حدثنا ابن أبى مريم قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا وكيع عن يونس بن أبى اسحاق عن الشعبى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال عليه السلام : هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين عليهم السلام ولا تخبرهما يا على . حدثنا يحيى ابن عبد الحميد الحمانى رضى الله عنه حدثنا أحمد بن حواش الحنفى قال حدثنا ابن المبارك عن عمر بن سعيد عن أبى مليكة قال سمعت ابن عباس رضى الله عنه يقول : وضع عمر رضى الله عنه على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع فلم يرعنى إلا رجل قد أخذ بمنكبى من ورائى فالتفت فاذا على بن أبى طالب كرم الله وجهه يترحم على عمر رضى الله عنه وقال : والله ماخلفت أحداً أحب الى أن ألقى الله تعالى بمثل عمله منك يا عمر وأيم الله ان كنت لارجو أن يجعلك الله مع صاحبيك وذاك إنى كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وكنت أنا وأبو بكر وعمر و إنى كنت لأظن أن يجعلك الله تعالى معهما . وأخبرنا ابن أبى شيبة قال حدثنا يزيد بن الحباب عن موسى بن عبيد قال أخبرنى أبو معاذ وأبو

الخطاب عن علي رضي الله عنه قال بينما أنا جالس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ياعلي هذان سيدا كهول أهل الجنة إلا ما كان من الانبياء عليهم السلام ولا تخبرهما . حدثنا الوليد ابن مسلم عن عبد الله بن عبد الله العجلي عن القاسم بن أبي عبدالرحمن رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد هممت أن أبعث الى الامم رجالا يدعونهم الى الاسلام ويرغبونهم في الدين فابعث ابن أبي كعب وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل كما فعل عيسى بن مريم عليهما السلام فقالوا يارسول الله أفلا تبعث أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم : هما لابدلي منهما هما مني بمنزلة السمع والبصر . وحدثنا قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا محمد بن الزبير قال أرسلني عمر بن عبدالعزيز الى الحسن البصري رحمهما الله تعالى أسأله إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر رضي الله عنه . فأتيته فاستويت جالساً وقال : أي والذي لا إله إلا هو أستخلفه وهو كان أعلم بالله تعالى وأتقى لله تعالى من أن يتوثب عليهم لوم يأمره

﴿ استخلاف رسول الله أبا بكر رضي الله عنه ﴾

عن ابن أبي مريم قال حدثنا الغريابي عن ابي عون بن عمرو بن تيم الانصاري رضي الله عنه وحدثنا سعيد بن كثير عن عفير بن عبدالله بن عبد الرحمن قال حدثنا بقصة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وشأن السقيفة وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والانصار وبعضهم يزيد على بعض في الكلام فجمعت ذلك وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في مرضه الذي قبض فيه متوكئاً على الفضل بن العباس رضي الله عنهما وغلام يقال له ثوبان رضي الله عنه ثم رجع صلى الله عليه وسلم فدخل منزله وقال لغلامه اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الانصار رضي الله عنهم فاحدقوا بالباب وقالوا للغلام ائذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عنده نساؤه رضي الله تعالى عنهن فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهم فقال من هؤلاء فقيل له الانصار رضي الله عنهم يبكون فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئاً على

على والعباس رضى الله عنهما فدخل المسجد واجتمع الناس اليه فقال صلى الله عليه وسلم انه لم يمت نبي قط إلا خلف وراءه تركة وأن تركتي فيكم الانصار رضى الله عنهم وهم كرشي التي آوى اليها. أوصيكم بتقوى الله تعالى والاحسان اليهم فقد علمتم أنهم شاطروكم وواسوكم في العسر واليسر ونصروكم في النشط والكسل فاعرفوا لهم حقهم واقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله وهو معصوب الرأس شديد الوجع فلما كانت الصلاة أتى بلال المؤذن رضى الله عنه يدعو الى الصلاة ففتح صلى الله عليه وسلم عينه وقال للنساء : أدعن لى حبيبي فعرفت عائشة رضى الله عنها أنه يريد أبا بكر فقالت ارسل الى عمر فان أبا بكر رجل رقيق وإن قام مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم افتضح من البكاء وعمر أقوى منه فأرسلت الى عمر رضى الله عنه فأتى فسلم ففتح رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فرد السلام ثم أطرق عنه فعرف عمر أنه لم يرده فلما خرج أقبل صلى الله عليه وسلم عليهن وقال : أدعن لى حبيبي فقالت عائشة رضى الله عنها : يارسول الله ان أبا بكر رجل رقيق فلو أمرت عمر يصلى بالناس فقال صلى الله عليه وسلم : إنكن صواحبات يوسف عليه السلام أدعن لى حبيبي إنما افعل ماامر فدعى ابو بكر رضى الله تعالى عنه فلما جاء قال له : إذهب مع المؤذن فصل بالناس فلم يزل ابو بكر رضى الله عنه يصلى بالناس حتي كان اليوم الذى مات فيه رسول الله وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فأتوا فقال قائل يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يصلى في مقامه فقال ابو بكر رضى الله عنه : معاذ الله ان نجعله وثناً نعبده . وقال قائل ندفنه صلى الله عليه وسلم في البقيع حيث دفن اخوانه من المهاجرين والانصار فقال ابو بكر انا نكره ان نخرج قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين اظهرنا الى البقيع قالوا فما ترى ياابا بكر قال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول : ماقبض نبي قط إلا دفن جسده حيث قبض روحه . قالوا فانت والله رضى ومقنع وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قد لقى علياً كرم الله وجهه فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم يقبض فاسأله إن كان الامر لنا بينه وإن

كان لغيرنا اوصى بنا خيراً فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه ابسط يدك ابايعك فيقال عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم و يبايعك اهل بيتك فان هذا الامر اذا كان لم يقل (*) فقال له على كرم الله وجهه ومن يطلب هذا الامر غيرنا وقد كان العباس رضى الله عنه اتى ابا بكر فقال هل اوصاك رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ قال لا واتى العباس ايضاً عمر فقال له مثل ذلك فقال عمر : لا فقال العباس لعلى رضى الله عنه : ابسط يدك ابايعك و يبايعك اهل بيتك

ذكر السقيفة وما جرى فيها من القول

وحدثنا قال حدثنا ابن عفير عن ابى عون عن عبدالله بن عبد الرحمن الانصارى رضى الله عنه ان النبي عليه السلام لما قبض اجتمعت الانصار رضى الله عنهم الى سعد بن عبادة فقالوا له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض فقال سعد لابنه قيس رضى الله عنهما إنى لااستطيع ان اسمع الناس كلاما لمرضى ولكن نلق منى قولى فأسمعهم . فكان سعد يتكلم و يحفظ ابنه رضى الله عنهما قوله فيرفع صوته لكى يسمع قومه . فكان مما قال رضى الله عنه بعد ان حمد الله تعالى واثنى عليه : يامعشر الانصار ان لكم سابقة فى الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث فى قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الاوثان فما آمن به من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفوا دينه ولا يدفعوا عن انفسهم حتي اراد الله تعالى لكم الفضيلة وساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ورزقكم الايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم والمنع له ولاصحابه والاعزاز لدينه والجهاد لاعدائه فكنتم اشد الناس على من تخلف عنه منكم واثقله على عدوكم من غيركم حتي

(*) من الاقالة لا من القول اه مصححه

استقاموا لامر الله تعالى طوعا وكرهاً واعطى البعيد المقادة صاغراً داخراحتي اثخن الله تعالى لنبيه بكم الارض ودانت بأسيافكم له العرب توفاه الله تعالى وهو راض عنكم قرير العين فشدوا أيديكم بهذا الامر فانكم أحق الناس وأولاهم به فأجابوه جميعاً ان قد وفقت فى الرأى وأصبت فى القول وكفى بعد ذلك مارأيت بتوليتك هـذا الامر فأنت مقنع ولصالح المؤمنين رضى . قال فاتى الخبر الى ابى بكر رضى الله عنه ففزع أشد الفزع وقام ومعه عمر رضى الله عنهما فخرجا مسرعين الى سـقيفة بنى ساعدة فلقيا أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فانطلقوا رضى الله عنهم جميعاً حتي دخلوا سقيفة بنى سـاعدة وفيها رجال من الاشراف معهم سعد بن عبادة رضى الله عنه فاراد عمر رضى الله عنه أن يبدأ بالـكلام وقال : خشيت أن يتصر أبو بكر رضى الله عنه عن بعض الـكلام فلما تيسر عمر للـكلام تجهز أبو بكر رضى الله عنـه وقال له على رسلك فستكفى الـكلام فتشهد ابو بكر رضى الله عنه وانتصب له الناس فقال : ان الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق فدعا الى الاسلام فأخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا الى مادعا اليه فكنا معشر المهاجرين أول الناس اسلاما والناس لنا فيه تبع ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع ذلك أوسط العرب انسابا بست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة وأنتم أيضاً والله الذين آووا ونصروا وأنتم وزراؤنا فى الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم اخواننا فى كتاب الله تعالى وشركاؤنا فى دين الله عز وجل وفيما كنا فيه من سراء وضراء والله ما كنا فى خير قط إلا كنتم معنا فيه فانتم أحب الناس الينا وأكرمهم علينا . وأحق الناس بالرضى بقضاء الله تعالى والتسليم لامر الله عز وجل لما ساق لكم ولاخوانكم المهاجرين رضى الله عنهم وأحق الناس فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة والله مازلتم تؤثرون اخوانكم من المهاجرين وانتم أحق الناس أن لا يكون هذا الامر واختلافه على أيديكم وابعد أن لاتحسدوا اخوانكم على خير ساقه الله تعالى اليهم وانما أدعوكم الى ابى عبيدة أو عمر وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الامر وكلاهما له أهل . فقال عمر وأبو عبيدة رضى الله

عنهما ماينبغي لاحد من الناس أن يكون فوقك ياأبا بكر أنت صاحب الغار ثاني اثنين وأمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فأنت أحق الناس بهذا الامر فقال الانصار والله ما نحسدكم على خير ساقه الله اليكم وانا لكنا وصفت ياأبا بكر والحمد لله ولا أحد من خلق الله أحب الينا منكم ولا أرضى عندنا ولا أمن ولكننا نشفق مما بعد اليوم ونحذر أن يغلب على هذا الامر من ليس منا ولا منكم فلو جعلتم اليوم رجلا منا ورجلا منكم بايعنا ورضينا على انه اذا هلك اخترنا آخر من الانصار واذا هلك اخترنا آخر من المهاجرين أبداً ما بقيت هذه الامة كان ذلك أجدر أن يعدل في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأن يكون بعضنا يتبع بعضاً فيشفق القرشي أن يرفع فينقض عليه الانصاري ويشفق الانصاري ان يرفع فينقض عليه القرشي فقام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا الى خلقه وشهيداً على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم اذ ذاك يعبدون آلهة شتى يزعمون أنها لهم شافعة وعليهم بالغة نافعة . وانما كانت حجارة منحوتة وخشباً منجورة فاقرؤا إن شئتم « انكم وما تعبدون من دون الله . ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . وقالوا وما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى » فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله تعالى المهاجرين الاولين رضي الله عنهم بتصديقه والايمان به والمواساة والصبر معه على الشدة من قومهم واذلالهم وتكذيبهم اياهم وكل الناس مخالف عليهم زارلهم فلم يستوحشوا قلة عددهم وازراء الناس لهم واجتماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله في الارض . واول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وهم اولياؤه وعشيرته واحق الناس بالامر من بعده لاينازعهم فيه إلا ظالم وانتم يامعشر الانصار من لاينكر فضلهم ولا النعمة العظيمة لهم في الاسلام . رضيكم الله تعالى أنصاراً لدينه ولرسوله وجعل اليكم مهاجرته فليس بعد المهاجرين الاولين أحد عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وانتم الوزراء لا تفتات دونكم بمشورة ولا تنقضي دونكم الامور فقام الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام رضي الله عنه فقال : يامعشر الانصار املكوا على أيديكم فانما الناس في فيئكم وظلال كم

ولن يحير مجير على خلافكم ولن يصدر الناس الا عن رأيكم . أنتم أهل العز والثروة وأولوا العدد والنجدة وانما ينظر الناس ماتصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم و تقطعوا أموركم أنتم أهل الايواء واليكم كانت الهجرة ولكم فى السابقين الاولين مثل مالهم وأنتم أصحاب الدار والايمان من قبلهم والله ماعبدوا الله علانية إلا فى بلادكم ولا جمعت الصلاة إلا فى مساجدكم ولادانت العرب للاسلام الا بأسيافكم فانتم اعظم الناس نصيباً فى هذا الامر وان أبى القوم فنا أمير ومنهم أمير . فقام عمر رضى الله عنه فقال : هيهات لايجمع سيفان فى غمد واحد انه والله لاترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لاينبغى أن تولى هذا الامر إلا من كانت النبوة فيهم وأولى الامر منهم . لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته الامدل بباطل أومتجانف لاثم أو متورط فى هلكة . فقام الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقال : يامعشر الانصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان أبوا عليكم ماسألتم فأجلوهم عن بلادكم وولوا عليكم وعليهم من أردتم فأنتم والله أولى بهذا الامر منهم فانه دان لهذا الامر من لم يكن يدين له بأسيافنا (*) أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة والله لايرد على أحد ماأقول إلا حطمت أنفه بالسيف قال عمر بن الخطاب : فلما كان الحباب هو الذى يحيبنى لم يكن لى معه كلام لانه كان بينى و بينه منازعة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهانى عنه فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوءه أبداً . ثم قام أبو عبيدة فقال : يامعشر الانصار أنتم أول من نصر وآوى فلا تكونوا أول من يبدل و يغير .

(مخالفة قيس بن سعد)

قال وان قيساً لما رأى مااتفق عليه قومه من تامير سعد بن عبادة قام

(*) فى رواية اناجذيلها المحكك وعذيقها المرجب اما والله الخ .
والجذيل مصغر جذل عود ينصب للجربى لتحتك به وعذيق مصغر عذق قنو النخلة والمرجب المعظم

حسداً لسعد وكان قيس من سادات الخزرج فقال : يامعشر الانصار أما والله لئن كنا أولى الفضيلة فى جهاد المشركين والسابقة فى الدين ما أردنا ان شاء الله غير رضا ربنا وطاعة نبينا والكرم لانفسنا وما ينبغى ان نستطيل بذلك على الناس ولا نبتغى به عرضاً من الدنيا فان الله تعالى ولى النعمة والمنة علينا بذلك ثم ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولى سلطانه . وأيم الله لايرانى أنازعهم هذا الامر أبداً فاتقوا الله ولاتخالفوهم ولاتخادعوهم .

بيعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

قال ثم ان أبا بكر قام على الانصار فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعاهم الى الجماعة ونهاهم عن الفرقة وقال انى ناصح لكم فى أحد هذين الرجلين أبى عبيدة بن الجراح أو عمر فبايعوا من شئتم منهما . فقال عمر : معاذ الله ان يكون ذلك وأنت بين أظهرنا أنت أحقنا بهذا الامر وأقدمنا صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل منا فى المال وأنت أفضل المهاجرين وثانى اثنين وخليفته على الصلاة والصلاة أفضل دين الاسلام فمن ذا ينبغى أن يتقدمك ويتولى هذا الامر عليك ابسط يدك أبايعك فلما ذهبا يبايعانه سبقهما اليه قيس الانصارى فبايعه فناداه الحباب بن المنذر : ياقيس بن سعد عاقك عائق مااضطرك الى ما صنعت ؟ حسدت ابن عمك على الامارة : قال لا والله ولكنى كرهت ان أنازع قوماً حقاً لهم فلما رأت الاوس ما صنع قيس بن سعد وهو من سادات الخزرج وما دعوا اليه المهاجرين من قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم اسيد ابن حضير رضى الله عنه لئن وليتموها سعداً عليكم مرة واحدة لازالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيبا فيها أبداً فقوموا فبايعوا أبا بكر رضى الله عنه فقاموا اليه فبايعوه فقام الحباب بن المنذر الى سيفه فأخذه فبادروا اليه فأخذوا سيفه منه فجعل يضرب بثوبه وجوههم حتي فرغوا من البيعة فقال : فعلتموها يامعشر الانصار أما والله لكانى بابنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء . قال أبو بكر : أمنا تخاف

يا حباب قال ليس منك أخاف ولكن ممن يجيء بعدك ، قال أبو بكر : فاذا كان ذلك كذلك فالامر اليك والى أصحابك ليس لنا عليكم طاعة . قال الحباب : هيهات يا أبا بكر اذا ذهبت أنا وأنت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم.

تخلف سعد بن عبادة رضى الله عنه عن البيعة

فقال سعد بن عبادة أما والله لو أن لى ما أقدر به على النهوض لسمعتم منى فى أقطارها زئيراً يخرجك أنت وأصحابك ولا لحقتك تقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع خاملا غير عزيز فبايعه الناس جميعا حتى كادوا يطأون سعداً فقال سعد : قتلتمونى ففيل اقتلوه قتله الله فقال سعد : احملونى من هذا المكان فحملوه فأدخلوه داره وتركه أياما. ثم بعث اليه أبو بكر رضى الله عنه أن اقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال : أما والله حتي أرميكم بكل سهم فى كنانتي من نبل وأخضب منكم سنانى ورمحى وأضربكم بسيفى مامالكته يدى وأقاتلكم بمن معى من أهلى وعشيرتى ولا والله لو ان الجن اجتمعت لكم مع الانس مابايعتكم حتي أعرض على ربى وأعلم حسابى . فلما أتى بذلك ابو بكر من قوله قال عمر : لاتدعه حتي يبايعك . فقال لهم قيس بن سعد انه قد أبى وحلف وليس يبايعك حتي يقتل وليس يقتل حتي يقتل معه ولده وأهل بيته وعشيرته ولن تقتلوهم حتي تقتل الخزرج ولن تقتل الخزرج حتي تقتل الاوس فلا تقسدوا على أنفسكم أمراً قد استقام لكم فاتركوه فليس تركه بضاركم وانما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه . فكان سعد لا يصلى بصلاتهم ولا يجمع بجمعتهم ولا يفيض بافاضتهم ولو يجد عليهم أعواناً لصال بهم ولو يبايعه أحد على قتالهم لقاتلهم فلم يزل كذلك حتي توفى أبو بكر رحمه الله تعالى وولى عمر ابن الخطاب فخرج الى الشام فمات بها ولم يبايع لاحد رحمه الله : وان بنى هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى على بن أبى طالب ومعهم الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب وانما كان يعد نفسه من بنى هاشم وكان على كرم الله وجهه يقول ما زال الزبير منا حتي نشأ بنوه فصرفوه عنا واجتمعت بنو أمية الى عثمان واجتمعت بنو زهرة الى سعد

وعبد الرحمن بن عوف فكانوا فى المسجد الشريف مجتمعين . فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الناس أبا بكر قال لهم عمر : مالى أرا كم مجتمعين حلقا شتي قوموا فبايعوا ابا بكر فقد بايعته وبايعه الانصار فقام عثمان ابن عفان ومن معه من بنى أمية فبايعوه وقام سعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بنى زهرة فبايعوا . وأما على والعباس بن عبد المطلب ومن معهما من بنى هاشم فانصرفوا الى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام فذهب اليهم عمر فى عصابه فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أشيم فنالوا اطلقوا فبايعوا أبا بكر فأبوا فخرج الزبير بن العوام رضى الله عنه بالسيف فقال عمر رضى الله عنه : عليكم بالرجل فخذوه فوثب عليه سلمة بن أشيم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار وانطلقوا به فبا يع وذهب بنو هاشم أيضاً فبايعوا

ابابة على كرم الله وجهه بيعة أبى بكر رضى الله عنهما

ثم ان علياً كرم الله وجهه أتى به الى أبى بكر وهو يقول أنا عبدالله أخو رسول الله فقيل له بايع أبا بكر فقال أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لى أخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي صلى الله عليه وسلم وتأخذوه منا أهل البيت غصباً الستم زعمتم للانصار أنكم أولى بهذا الامر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة فاذاً أحتج عليكم بمثل مااحتججتم على الانصار نحن أولى برسول الله حياً وميتاً فانصفونا ان كنتم تؤمنون والا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون فقال له عمر : انك لست متروكا حتى تبايع فقال له على أ حلب حلباً لك شطره وشد له اليوم رده عليك غداً ثم قال : والله ياعمر لاأقبل قولك ولا أبايعه فقال له أبو بكر فان لم تبايع فلا أكرهك فقال أبو عبيدة بن الجراح كرم الله وجهه يابن عم انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ولا ارى ابا بكر الا اقوى على هذا الامر منك واشد احتمالا واستطلاعاً فسلم لابى بكر هذا الامر فانك ان تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الامر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك . فقال على كرم الله وجهه : الله الله يامعشر المهاجرين لاتخرجوا

سلطان محمد فى العرب من داره وقعر بيته الى دوركم وقعور بيوتكم وتدفعون اهله عن مقامه فى الناس وحقه فوالله يامعشر المهاجرين لنحن احق الناس به لانا اهل البيت ونحن احق بهذا الامر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله الفقيه فى دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لامر الرعية الدافع عنهم الامور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله انه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً . وقال بشير بن سعد الانصارى . لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك ياعلى قبل بيعتها لابى بكر ما اختلفت عليك قال : وخرج على كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابة ليلا فى مجالس الانصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون يابنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو ان زوجك وابن عمك سبق الينا قبل ابى بكر ما عدلنا به فيقول على كرم الله وجهه . افكنت ادع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم ادفنه واخرج انازع الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمة : ماصنع ابو الحسن الا ما كان ينبغى له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم

﴿ كيف كانت بيعة على بن ابى طالب كرم الله وجهه ﴾

قال وان ابا بكر رضى لله عنه تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند على كرم الله وجهه فبعث اليهم عمر فجاء فناداهم وهم فى دار على فأبوا ان يخرجوا فدعا بالحطب وقال : والذى نفس عمر بيده لتخرجن او لأحرقنها على من فيها فقيل له ياابا حفص ان فيها فاطمة فقال وان . فخرجوا فبايعوا الا عليا فانه زعم انه قال حلفت ان لااخرج ولا اضع ثوبى على عاتقى حتى اجمع القرآن فوقفت فاطمة رضى الله عنها على بابها فقالت : لا عهد لى بقوم حضروا اسوء محضر منكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين ايدينا وقطعتم امركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقا فأتى عمر ابا بكر فقال له: الا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال ابو بكر لقنفذ وهو مولى له : اذهب فادع لى عليا قال فذهب الى على فقال له ماحاجتك فقال يدعوك خليفة رسول الله فقال على : لسريع ما كذبتم على رسول الله فرجع فأبلغ الرسالة قال .

فبكى ابو بكر طويلا فقال عمر الثانية ان لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال ابو بكر رضى الله عنه لقنفذ . عد اليه فقل له امير المؤمنين (*) يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدى ما امر به فرفع على صوته فقال سبحان الله لقد ادعى ما ليس له فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة فبكى ابو بكر طويلا . ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى اتوا باب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت اصواتهم نادت بأعلى صوتها : يا ابت يارسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابى قحافة فلما سمع القوم صوتها و بكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع واكبادهم تنفطر و بقى عمر ومعه قوم فأخرجوا عليا فمضوا به الى ابى بكر فقالوا له بايع فقال ان انا لم افعل فما قالوا اذاً والله الذى لا اله الا هو نضرب عنقك قال اذاً تقتلون عبد الله واخا رسوله قال عمر : اما عبد الله فنعم واما اخو رسوله فلا وابو بكر ساكت لا يتكلم فقال له عمر . الا تأمر فيه بأمرك فقال لا اكرهه على شئ ما كانت فاطمة الى جنبه . فالحق على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح و يبكى و ينادى . يابن ام ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلونى فقال عمر لابى بكر رضى الله عنهما . انطلق بنا الى فاطمة فانها قد اغضبت ابا ها فانطلقنا جميعا فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا عليا فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها الى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم ابو بكر فقال . ياحبيبة رسول الله والله ان قرابة رسول الله احب الى من قرابتي . وانك لأحب الى من عائشة ابنتي ولوددت يوم مات ابوك انى مت ولا ابقى بعده . افتراني اعرفك واعرف فضلك وشرفك وامنعك حقك وميراثك من رسول الله الا انى سمعت اباك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ما تركنا فهو صدقة . فقالت ارايتكما ان حدثتكما حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفانه وتفعلان به قالا نعم فقالت نشدتكما الله الم تسمعا رسول الله يقول . رضا

(*) فى متن هذه الرواية اضطرابات كثيرة منها هذا فقد ثبت من غير وجه ان اول من لقب بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فاطمة من رضاى وسخط فاطمة من سخطى فمن احب فاطمة ابنتي فقد احبني ومن ارضى فاطمة فقد ارضانى ومن اسخط فاطمة فقد اسخطنى . قالا . نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت . فانى اشهد الله وملائكته انكما اسخطتمانى وما ارضيتمانى ولئن لقيت النبي لاشكونكما اليه . فقال ابو بكر . انا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ثم انتحب ابو بكر يبكى حتي كادت نفسه ان تزهق وهى تقول . والله لادعون الله عليك فى كل صلاة اصليها ثم خرج باكياً فاجتمع اليه الناس فقال لهم . بينت كل رجل منكم معانقا حليلته مسروراً باهله وتركتمونى وما انا فيه لا حاجة لى فى بيعتكم اقيلونى بيعتي قالوا ياخليفة رسول الله ان هذا الامر لايستتم وانت اعلمنا بذلك انه ان كان هذا لم تقم لله دين فقال . والله لولا ذلك وما اخافه من رخاوة هذه العروة مابت ليلة ولى فى عنق مسلم بيعة بعد ما سمعت ورايت من فاطمة قال فلم يبايع على كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها ولم تمكث بعد ابيها الا خمساً وسبعين ليلة . قال فلما توفيت ارسل على الى ابى بكر ان ائتنا وفقبل ابو بكر حتي دخل على على وعنده بنو هاشم فحمد الله واثنى عليه ثم قال . اما بعد يا ابا بكر فانه لم يمنعنا ان نبايعك انكاراً لفضيلتك ولا نفاسة عليك ولكنا كنا نرى ان لنا فى هذا الامر حقا فاستبددت علينا ثم ذكر على قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يذكر ذلك حتي بكى ابو بكر . فقال ابو بكر رضى الله عنه لقرابة رسول الله احب الى ان اصل من قرابتي وانى والله لا ادع امراً رايت رسول الله يصنعه الا صنعته ان شاء الله تعالى فقال على . موعدك غداً فى المسجد الجامع للبيعة ان شاء الله . ثم خرج فاتى المغيرة بن شعبة فقال . ترى يا ابا بكر ان تلقوا العباس فتجعلوا له فى هذا الامر نصيباً يكون له ولعقبه وتكون لكما الحجة على على وبنى هاشم اذا كان العباس معكم قال فانطلق ابو بكر وعمر وابو عبيدة حتي دخلوا على العباس رضى الله عنه فحمد الله ابو بكر واثنى عليه ثم قال . ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً وللمؤمنين ولياً فمن الله تعالى بمقامه بين اظهرنا حتي اختار له الله ما عنده فخلى

على الناس أمرهم ليختاروا لانفسهم فى مصلحتهم متفقين لا مختلفين فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعيا وما اخاف بحمد الله وهناً ولا حيرة ولا جبناً وما توفيقى الا بالله العلى العظيم عليه توكلت واليه انيب وما زال يبلغنى عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه عامة المسلمين و يتخذونكم لحافاً فاحذروا ان تكونوا جهد المنيع فاما دخلتم فيما دخل فيه العامة او دفعتموهم عما مالوا اليه وقد جئتك ونحن نريد ان نجعل لك فى هذا الامر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك اذ كنت عم رسول الله وان كان الناس قد راوا مكانك ومكان اصحابك فعدلوا الامر عنكم على رسلكم بنى عبد المطلب فان رسول الله منا ومنكم . ثم قال عمر اى والله واحرى انا لم نأتكم حاجة منا اليكم لكنا كرهنا ان يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامة فذكرنا الخطب بكم فانظروا لانفسكم ولعامتكم . فتكلم العباس فحمد الله واثنى عليه ثم قال . ان الله بعث محمداً كما زعمت نبيا وللمؤمنين ولياً فمن الله تمامه بين اظهرنا حتى اختار له ما عنده فخلى على الناس امرهم ليختاروا لانفسهم مصيبين للحق لا مائلين عنه بزيغ الهوى فان كنت برسول الله طلبت فحقنا اخذت وان كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدمون فيهم وان كان هذا الامر انما يجب لك بالمؤمنين فما وجب اذ كنا كارهين فاما مابذلت لنا فان يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه وان يكن حقاً للمؤمنين فليس لك ان تحكم عليهم وان كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض واما قولك ان رسول الله منا ومنكم فانه قد كان من شجرة نحن اغصانها وانتم جيرانها . قال ثم خرج ابو بكر الى المسجد الشريف فاقبل على الناس فعذر علياً بمثل مااعتذر عنده ثم قام على فعظم حق ابى بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم مضى فبايعه فاقبل الناس على على فقالوا اصبت ياابا الحسن واحسنت . قال فلما تمت البيعة لابى بكر اقام ثلاثة ايام يقيل الناس و يستقيلهم يقول قد اقلتكم فى بيعتى هل من كاره هل من مبغض فيقوم على فى اول الناس فيقول والله لا نقيلك ولا نستقيلك ابداً قد قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتوحيد ديننا من ذا الذى يؤخرك لتوجيه دنيانا

خطبة ابى بكر الصديق رضى الله عنه

قال ثم ان ابا بكر قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ان الله الجليل الكريم العالم الحكيم الرحيم الحليم بعث محمداً بالحق وانتم معشر العرب كما قد علمتم من الضلالة والشرك الف بين قلوبكم ونصركم به وأيدكم ومكن لكم دينكم واورثكم سيرته الراشدة المهدية فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به الفتكم ويقيم به كلمتكم فأعينونى على ذلك بخير ما اكن لا اسط يداً ولا لساناً على من لم يستحل ذلك ان شاء الله وأيم الله ما حرصت عليها ليلا ولا نهاراً ولا سألت الله قط فى سر ولا علانية ولقد قلدت أمراً عظيماً مالى به طاقة ولا يد ولوددت انى وجدت القوى الناس عليه وكانى بكم غداً تأتونى ما أطعت الله . فاذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ثم بكى وقال اعلموا أيها الناس إنى لم أجعل لهذا المكان أن اكون خيركم ولوددت ان بعضكم كفانيه ولئن اخذتمونى بما كان الله يقيم به رسوله من الوحى ما كان ذلك عندى ومانا إلا كأحدكم فاذا رأيتمونى فاستقمت فاتبعونى وان زغت فقومونى واعلموا ان لى شيطانا يعترينى احيانا فاذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى لا أؤثر باشعاركم وابشاركم ثم نزل . ثم دعا عمر والاوجاه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ماترون لى من هذا المال فقال عمر انا والله اخبرك مالك منه اما ما كان لك من ولد قد بان عنك ومالك امر دفسهمه كرجل من المسلمين واما ما كان من عيالك وضيعة اهلك فتقوت منه بالمعروف وقوت اهلك فقال يا عمر : انى لا خشى ان لا يحل لى ان اطعم عيالى من فئ المسلمين فقال عمر يا خليفة رسول الله انك قد شغلت بهذا الامر عن ان تكسب لعيالك قال ولما تمت البيعة لابى بكر واستقام له الامر اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب فنصب لهم ابو بكر الحرب واراد قتالهم فقالوا نصلى ولا نؤدى الزكاة فقال الناس اقبل منهم يا خليفة رسول الله فان العهد حديث والعرب كثير ونحن شرذمة قليلون لا طاقة لنا بالعرب مع انا قد سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله فقال ابو بكر هذا من

حتما لابد من القتال فقال الناس لعمر اخل به فكلمه لعله يرجع عن رايه هذا فيقبل منهم الصلاة و يعفيهم من الزكاة فخلا به عمر بارد اجمع فقال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه ولو لم اجد احدا اقاتلهم به لقاتلتهم وحدى حتى يحكم الله بيني و بينهم وهو خير الحاكمين وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : امرت ان اقاتل الناس على ثلاث شهادة ان لا اله إلا الله واقام الصلاة و إيتاء الزكاة فوالله الذى لا اله الا هو لا قصرد و نهن فضرب منهم من ادبر بمن اقبل حتى دخل الناس فى الاسلام طوعا وكرها وحمدوا رايه وعرفوا فضله . قال ابو رجاء العطاردى رايت الناس مجتمعين وعمر يقبل راس ابى بكر و يقول انا فداؤك لولا انت لهلكنا فحمد الله رايه فى قتال اهل الردة

مرض ابى بكر واستخلافه عمر رضى الله عنهما

ثم ان ابا بكر عمل سنتين وشهورا ثم مرض مرضه الذى مات فيه فدخل عليه اناس من اصحاب النبى عليه السلام فيهم عبد الرحمن بن عوف فقال له : كيف اصبحت ياخليفة رسول الله فانى ارجو ان تكون بارئا قال اترى ذلك قال نعم قال ابو بكر : والله انى لشديد الوجع ولما الذى منكم يامعشر المهاجرين اشد على من وجعى إنى وليت امركم ولست خيركم فى نفسى فكلكم ورم انفه (١) ارادة ان يكون هذا الامر له وذلك لما رايتم الدنيا قد اقبلت اما والله لتتخذن نضائد (٢) الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الاذربى كما يألم احدكم النوم على حسك السعدان والله لئن يقدم احدكم فتضرب عنقه فى غير حدث خير له من ان يخوض غمرات الدنيا فقال له عبد الرحمن بن عوف خفض عليك من هذا يرحمك الله فان هذا يهيضك على ما بك وانما الناس رجلان رجل رضى ما صنعت فرايه كرايك و رجل كره ما صنعت فأشار عليك برايه ما رايناه من صاحبك الذى وليت الا خيرا ومازلت صالحا مصلحا ولا اراك تأسى على شئ من الدنيا فانك قال اجل والله ما آسى الا على ثلاث فعلتهن ليتنى كنت تركتهن وثلاث تركتهن ليتنى فعلتهن وثلاث ليتنى سألت رسول الله عنهن فاما اللاتى فعلتهن

---

(١) ورم انفه أى امتلأ غضبا قال الشاعر * ولا يهاج اذاما أنفه ورما * اى لا يكلم عند الغضب (٢) نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهى الوسادة

وليتنى لم افعلهن فليتنى تركت بيت على وان كان اعلن على الحرب وليتنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت ضربت على يد احد الرجلين ابى عبيدة او عمر فكان هو الامير وانا الوزير وليتنى حين اتيت بالفجاءة السلمى اسيراً انى قتلته ذبيحاً او اطلقته نجيحاً ولم اكن احرقته بالنار واما اللاتى تركتهن وليتنى كنت فعلتهن حين اتيت بالاشعث بن قيس اسيراً انى قتلته ولم استحيه فانى سمعت منه واراه لا يرى غياً ولا شراً إلا اعان عليه وليتنى حين بعثت خالد بن الوليد الى الشام انى كنت بعثت عمر بن الخطاب الى العراق فأكون قد بسطت يدى جميعاً فى سبيل الله. واما اللاتى كنت اود انى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فليتنى سألته لمن هذا الامر من بعده فلا ينازعه فيه احد وليتنى كنت سألته هل للانصار فيها من حق وليتنى كنت سألته عن ميراث بنت الاخ والعمة فان فى نفسى من ذلك شيئاً ثم دخل عليه اناس من اصحاب رسول الله فقالوا يا خليفة رسول الله الا ندعو لك طبيباً ينظر اليك فقال قد نظر الى فقالوا فماذا قال ؟ قال انى فعال لما اريد ثم قال لهم انظروا ماذا انفقت من بيت المال فنظروا فاذا هو ثمانية آلاف درهم فاوصى اهله ان يؤدوها الى الخليفة بعده ثم دعا عثمان بن عفان فقال اكتب عهدى فكتب عثمان واملى عليه . بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به ابو بكر بن ابى قحافة آخر عهده فى الدنيا نازحا عنها واول عهده بالآخرة داخلا فيها انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان تروه عدل فيكم فذلك ظنى به ورجائى فيه وان بدل وغير فلا خير اردت ولا اعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون . ثم ختم الكتاب ودفعه ودخل عليه المهاجرون والانصار حين بلغهم انه استخلف عمر فقالوا نراك استخلفت علينا عمر وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وانت بين اظهرنا فكيف اذا وليت عنا وانت لاق الله عز وجل فسائلك فما انت قائل ؟ فقال ابو بكر : لئن سألنى الله لاقولن استخلفت عليهم خيرهم فى نفسى قال ثم امر ان يجتمع له الناس فاجتمعوا فقال ايها الناس قد حضرنى من قضاء الله ما ترون وانه لابد لكم من رجل يلى امركم ويصلى بكم ويقاتل عدوكم ويقسم فيأكم فان شئتم اجتمعتم فأتمرتم ثم وليتم عليكم من اردتم وان شئتم اجتهدت لكم رأيى ووالله الذى لا اله الا هو لا آلوكم فى نفسى خيراً قال فبكى وبكى الناس وقالوا يا خليفة رسول الله انت خيرنا واعلمنا فاختر لنا قال سأجتهد لكم رأيى وأختار لكم خيركم ان شاء الله . قال فخرجوا من عنده ثم ارسل الى عمر فقال :

ياعمر احبك محب وانغضك مبغض وقد تما تحب الشر و يبغض الخير فقال عمر لا حاجة لى بها فقال ابو بكر : لكن بها اليك حاجة والله ماحبوتك بها ولكن حبوتها بك ثم قال خذ هذا الكتاب واخرج به الى الناس واخبرهم انه عهدى وسلهم عن سمعهم وطاعتهم . فنشر عمر الكتاب راعاهم فقالوا سمعاً وطاعة . فقال للرجل مافى الكتاب يا المغفل قال لا ادرى ولكنى اول من سمع واطاع قال لكنى والله ادرى مافيه امر نعام اول وامرك العام

ولاية عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال رمانوس ابو بكر رجل عمر فوقف فى المسجد بعد الخلافة اياما رجل فقال يا امير المؤمنين ادن منك فان لى حاجة فقال عمر لا قال الرجل إذاً اذهب فيمنينى الله عنك فمال ذاهباً فأتبعه عمر بصره ثم قام فأخذه بثوبه فقال له : ماحاجتك فقال الرجل ضمك الناس وكرهك الناس قال عمر : ولم و يحك فقال الرجل للسالك ويحك قال فرفع عمر يديه فقال : اللهم حببهم الى وحببنى اليهم. قال الرجل فما رضع يديه حتى ماعلى الارض احب الى منه وكان اهل الشام قد بلغهم مرض ابى بكر واستبطؤا الخبر فعالوا انا نخاف ان يكون خليفة رسول الله قد مات وولى بعده عمر فان كان عمر هو الوالى فليس لنا بصاحب وانا نرى خلله قال بعضهم فابعثوا رجلا ترضون عقله قال فانتخبوا لذلك رجلا فتقدم على عمر وقد كان عمر استبطأ خبر اهل الشام فلما اتاه قال له كيف الناس قال سالمون صالحون وهم كارهون لولايتك ومن شرك مشفقون فأرسلونى انظر احق انت ام مر قال فرفع عمر يديه الى السماء وقال اللهم حببنى الى الناس وحببهم الى قال فعمل عمر عشر سنين بعد ابى بكر فوالله مافارق الدنيا حتى احب ولايته من كرهها لقد كانت امارته فتحاً واسلامه عزاً ونصراً اتبع فى عمله سنة صاحبيه وآثارهما كما يتبع الفصيل اثر امه ثم اختار الله له ماعنده

قتل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه

قال عمرو بن ميمون : شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن فما منعنى ان اكون فى الصف الاول الا هيبته فكنت فى الصف الذى يليه وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه فان راى رجلا متقدماً من الصف او متاخرا ضربه

بالدرة فذلك الذى منعنى من التقدم قال فاقبل لصلاة الصبح وكان يغلس بها فعرض له ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فطعنه ثلاث طعنات فسمعت عمر وهو يقول دونكم الكلب فانه قد قتلنى وماج الناس فخرج ثلاث عشر رجلا وصاح بعضهم ببعض دونكم الكلب فشد عليه رجل من خلفه فاحتضنه وماج الناس فقال قائل الصلاة عباد الله طلعت الشمس فدفعت عبد الرحمن بن عوف فصلى بالقوم بسورتين فى القرآن واحتمل عمر ومات من الذين جرحوا ستة او سبعة وجرى الناس الى عمر فقال يا ابن عباس اخرج فانظر فى الناس اعن ملأ ورضه منهم كان هذا فخرج فنادى فقال ابن عباس ما علمنا ولا اطلعنا قال فاتاه الطبيب فقال اى الشراب احب اليك قال النبيذ فسقاه نبيذ فخرج من بعض طعناته فقال الناس حمديد أسقوه لبناً فخرج اللبن فقال الطبيب لا ارى ان تمسى فاكست فاعلاه فعل فقال لا بنه عبد الله يا ولى الكلب فلو اراد الله ان يقضى ما فيه لقضاه فجاها بيده وكان فيها فريضة الجد. ثم دخل على كعب الاحبار فقال يا امير المؤمنين احلى من ربك فلا تكونن من الممترين قد كنت انا ان شهيد قال ومن اين لى بالشهادة وانا بجزيرة العرب ثم جعل الناس يثنون عليه ويذكرون فضله فقال ان من غرر تك ودلمغرور والله وددت ان اخرج منها كفافا لا على ولا لى فما راعه الا والله لو كان لى الدهم ما طلعت عليه الشمس لافديت به من هول المطلع فقال له أمير المؤمنين لا باس عليك فقال لا يكن اهل اسأ تقدقتلنى ابو لؤلؤة الرافضى بسكين ذات شبرين الله عناخبأ فقال لا ارا كم تغبطونى بها فوا الذى نفس عمر بيده ما ادرى على ما اهجم ولوددت انى نجوت منها كفافا لا لى ولا على فيكون خيرها يشرها ويسلم لى ما كان قبلها من الخير ودخل على ابن ابى طالب فقال يا على اعن ملأ منكم ورضى كان هذا فقال على ما كان من ملأ منا ولا رضى ولوددنا ان الله زاد من اعمارنا فى عمرك. قال وكان راسه فى حجر ابنه عبد الله فقال له ضع خدى بالارض فلم يفعل فالحفاه فقال ضع خدى بالارض لا ام لك فوضع خده بالارض فقال الويل لعمر ولام عمر ان لم يغفر الله لعمر ثم دعا عبد الله ابن عباس وكان يحبه ويدنيه ويسمع منه فقال له : يا ابن عباس إنى لا اظن ان لى ذنباً ولكن احب ان نعلم لى اعن ملأ منهم ورضى كان هذا فخرج ابن عباس فجعل لا يرى ملأ من الناس إلا وهم يبكون كانما فقدوا اليوم انصارهم فرجع اليه فاخبره بما راى قال فمن قتلنى قال ابو لؤلؤة المجوسى

غلام المغيرة بن شعبة قال عبدالله فرايت البشر فى وجهه فقال الحمد لله الذى لم يقتلنى رجل يحاجنى بلااله الا الله يوم القيامة ثم قال ياعبد الله ألالو أن لى ماطلعت عليه الشمس وما غربت لافتديت به من هول المطلع وماذاك والحمد لله ان اكون رايت الا خيراً فقال له ابن عباس فان يك ذاك ياامير المؤمنين فجزاك الله عنا خيراً اليس قد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعز الله بك الدين والمسلمون محتسبون بمكة فلما اسلمت كان اسلامك عزاً اعز الله به الاسلام وظهر النبى واصحابه ثم هاجرت الى المدينة فكانت هجرتك فتحاً ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله من قتال المشركين وقال فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ثم قبض رسول الله وهو عنك راض ثم ارتد الناس بعد رسول الله عن الاسلام فوازرت الخليفة على منهاج رسول الله وضربتم من ادبر بمن اقبل حتى دخل الناس فى الاسلام طوعا وكرهاً ثم قبض الخليفة وهو عنك راض ثم وليت بخير مايلى احد من الناس . مصر الله بك الامصار وجبى بك الاموال ونفى بك العدو وادخل الله على اهل كل بيت من المسلمين توسعة فى دينهم وتوسعة فى ارزاقهم ثم ختم الله لك بالشهادة فهنيئاً لك فصب الله الثناء عليك صباً فقال اتشهد لى بهذا ياعبد الله عند الله يوم القيامة قال نعم فقال عمر اللهم لك الحمد .

﴿ تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى وعهده اليهم ﴾

قال ثم ان المهاجرين دخلوا على عمر رضى الله عنه وهو فى البيت من جراحته تلك فقالوا ياامير المؤمنين استخلف علينا قال والله لاحملكم حيا وميتاً ثم قال إن استخلفت فقد استخلف من هو خير منى يعنى ابو بكر وان ادع فقد ودع من هو خير منى يعنى النبى عليه السلام فقالوا جزاك الله خيراً ياامير المؤمنين فقال ماشاء الله راغباً وددت ان انجو منها لا لى ولا على فلما احس بالموت قال لابنه اذهب الى عائشة واقرئها منى السلام واستأذنها ان اقبر فى بيتها مع رسول الله ومع ابى بكر فأتاها عبدالله بن عمر فأعلمها فقالت نعم وكرامة ثم قالت يابنى ابلغ عمر سلامى وقل له لاتدع امة محمد بلاراع استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فانى اخشى عليهم الفتنة فأتى عبدالله فاعلمه فقال

ومن تأمرني ان استخلف لو ادركت اباعبيدة بن الجراح باقياً استخلفته ووليته فاذا قدمت على ربي فسألني وقال لي من وليت على امة محمد قلت اي ربي سمعت عبدك ونبيك يقول : لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح ولو ادركت معاذ بن جبل استخلفته فاذا قدمت على ربي فسألني من وليت على امة محمد قلت اي رب سمعت عبدك ونبيك يقول : ان معاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة ولو ادركت خالد بن الوليد لوليته فاذا قدمت على ربي فسألني من وليت على امة محمد فلت اي رب سمعت عبدك ونبيك يقول : خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله على المشركين ولكني سأستخلف النفر الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض فأرسل اليهم فجمعهم وهم علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبدالله والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضوان الله عليهم وكان طلحة غائباً فقال يامعشر المهاجرين الاولين اني نظرت في امر الناس فلم اجد فيهم شقاقا ولا نفاقا فان يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم تشاورون ثلاثة ايام فان جاءكم طلحة الى ذلك والا فاعزم عليكم بالله ان لا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا احدكم فان اشرتم بها الى طلحة فهو لها اهل وليصل كم صهيب هذه الثلاثة ايام التي تتشاورون فيها فانه رجل من الموالي لا ينازعكم امركم واحضروا معكم من شيوخ الانصار وليس لهم من امركم شيء واحضروا معكم الحسن بن علي وعبدالله بن عباس فان لهما قرابة وارجو لكم البركة في حضورهما وليس لهما من امركم شيء ويحضر ابني عبدالله مستشاراً وليس له من الامر شيء قالوا ياامير المؤمنين ان فيه للخلافة موضعاً فاستخلفه فانا راضون به فقال : حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة ليس له من الامر شيء ثم قال ياعبدالله اياك ثم اياك لا تتلبس بها ثم قال ان استقام امر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه وان استقام اربعة واختلف اثنان فاضربوا اعناقهما وان استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابني عبدالله فلاي الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم فان ابى الثلاثة الاخر من ذلك فاضربوا اعناقهم . فقالوا قل فينا ياامير المؤمنين مقالة نستدل فيها برايك ونقتدي به فقال والله مايمنعني

ان استخلفك ياسعد إلا شدتك وغلظتك مع انك رجل حرب وما يمنعني منك ياعبد الرحمن الا انك فرعون هذه الامة وما يمنعني منك يازبير الا انك مؤمن الرضا كافر الغضب وما يمنعني من طلحة الا نخوته وكبره ولو وليها وضع خاتمه في اصبع امراته وما يمنعني منك ياعثمان الا عصبيتك وحبك قومك وما يمنعني منك ياعلي الا حرصك عليها وانك احرى القوم ان وليتها ان تقيم على الحق المبين . والصراط المستقيم . اوصي الخليفة منكم بتقوى الله العظيم واحذره مثل مضجعي هذا واخوفه يوما تبيض فيه وجوه وتسود وجوه يوم تعرضون على الله لاتخفى منكم خافية ثم غشي عليه حتى ظنوا انه قد قضى فجعلوا ينادونه ولا يبقى من اعمائه فقال قائل ان كان شيء ينبه فالصلاة فقالوا: ياامير المؤمنين الصلاة فتح عينيه فقال : الصلاة هالاذا ولاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة يصلي وجرحه يثعب دما ثم التفت اليهم وقال قد قومت لكم الطريق فلا تعوجوه ثم التفت الى علي بن ابي طالب فقال : لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وقرابتك وشرفك من رسول الله وما آتاك الله من العلم والدين والدين فيستخلفونك فان وليت هذا الامر فاتق الله ياعلي فيه ولا تحمل احداً من بني هاشم على رقاب الناس ثم التفت الى عثمان فقال : ياعثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك فيستخلفونك ان وليت هذا الامر فلا تحمل احداً من بني امية على رقاب الناس ثم دعا صهيباً فقال : ياصهيب صل بالناس ثلاثة ايام ويجتمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم اخرجوا عني اللهم انعم واجمعهم على الحق ولا تردهم على اعقابهم وول امر امة محمد خيرهم فخرجوا من عنده . وتوفي رحمه الله تعالى من يومه ذلك ودفن وصلى عليه صهيب .

ذكر الشورى وبيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه

ثم انه بعد موت عمر اجتمع القوم فخلوا في بيت احدهم واحضروا عبدالله ابن عباس والحسن بن علي وعبدالله بن عمر فتشاوروا ثلاثة ايام فلم يبرموا فيلا فلما كان في اليوم الثالث قال لهم عبدالرحمن بن عوف اتدرون اتى يوم هذا ؟ هذا يوم عزم عليكم صاحبكم ان لاتتفرقوا فيه حتى تستخلفوا احدكم قالوا

اجل مال فانى عارض عليكم امراً قالوا وما تعرض قال ان تولونى امركم واهب لكم نصيبى فيها واختار لكم من انفسكم قالوا قد اعطيناك الذى سألت . فلما سلم الغرم قال لهم عبدالرحمن اجعلوا امركم الى ثلاث منكم فجعل الزبير امره الى على وجعل طلحة امره الى عثمان وجعل سعد امره الى عبدالرحمن ابن عوف . قال المسور بن مخرمة فقال لهم عبدالرحمن كونوا مكانكم حتى آتيكم وخرج يتلقى الناس فى انقاب المدينة متلثما لا يعرفه احد فما ترك احداً من المهاجرين والانصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم الا سألهم واستشارهم اما اهل الرأى فأنهم مستشيراً وتلقى غيرهم سائلا يقول : من ترى الخليفة بعد عمر ؟ فلم يلق احد يستشيره ولا يسأله إلا ويقول عثمان فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان قال المسور جاءنى رضى الله عنه عشاء فوجدنى نائماً فخرجت اليه فقال : الا اراك نائما فوالله ما اكتحلت عينى بنوم منذ هذه الثلاث ادع لى فلانا وفلانا (نفراً من المهاجرين) فدعوتهم فناجاهم فى المسجد طويلا ثم قاموا من عنده فخرجوا ثم دعا علياً فناجاه طويلا ثم قام من عنده على طمع ثم قال ادع لى عثمان فدعوته فناجاه طويلا حتى فرق بينهما ان آنت صلاة الصبح فلما صلوا جميعهم فأخذ على كل واحد منهم العهد والميثاق لئن بايعت لتنيمن كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك من قبلك فأعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك وايضاً لئن بايعت غيرك لترضين ولتسلمن وليكونن سيفك معى على من ابى فأعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم . فلما تم ذلك اخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتنيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك وشرط عمر ان لا تجعل احداً من بنى أمية على رقاب الناس فقال عثمان نعم ثم اخذ بيد على فقال له : ابايعك على شرط عمر ان لا تحمل احداً من بنى هاشم على رقاب الناس . فقال على عند ذلك مالك ولهذا اذا جعلتها فى عنق فان على الاجتهاد لامة محمد حيث علمت القوة والامانة استعنت بها كان فى بنى هاشم او غيرهم . قال عبدالرحمن : لا والله حتى تعطينى هذا الشرط قال على والله لا اعطيكه ابداً فتركه فقاموا من عنده فخرج عبدالرحمن الى المسجد فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال:

انى نظرت فى امر الناس فلم اراهم يعدلون بعثمان فلا تجعل ياعلى سبيلا الى نفسك فانه السيف لاغير ثم اخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعاً . قال فكان عثمان رضى الله عنه ست سنين فى ولايته وهو احب الى الناس من عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وكان عمر رجلا شديداً قد ضيق على قريش انفاسها لم ينل احد معه من الدنيا شيئاً اعظاما له واجلالا وتاسياً به واقتداء فلما ولبهم عثمان ولى رجل لين قال حسن البصرى : شهدت عثمان وهو يخطب وانا يومئذ قد راهقت الحلم فما رايت قط ذكراً ولا انثى اصبح وجهاً ولااحسن نضرة منه فسمعته يقول ايها الناس اغدوا على اعطياتكم فيأخذونها وافية ايها الناس اغدوا على كسوتكم فيغدون فيجاء بالحلل فتقسم بينهم حتى والله سمعت اذناى يامعشر المسلمين اغدوا على السمن والعسل فيغدون فيقسم بينهم السمن والعسل ثم يقول يامعشر المسلمين اغدوا على الطيب فيغدون فيقسم بينهم الطيب من المسك والعنبر وغيره والعدوان والله منفى والاغطيات دارة والخير كثير وما على الارض مؤمن يخاف مؤمناً من لقى فى اى البلدان فهو اخوه واليفه وناصره ومؤدبه فلم يزل المال متوفراً حتى لقد بيعت الجارية بوزنها ورقاً وبيع الفرس بعشرة آلاف دينار وبيع البعير بألف والنخلة الواحدة بالف ثم انكر الناس على عثمان اشياء اشراً وبطراً . قال ابن عمر لقد عيبت عليه اشياء لو فعلها عمر ماعيبت عليه

﴿ ذكر الانكار على عثمان رضى الله عنه ﴾

قال عبدالله بن مسلم حدثنا ابن ابى مريم وابن عفير قالا حدثنا ابن عون قال اخبرنا المخول بن ابراهيم وابو حمزة الثمالى وبعضهم يزيد على بعض والمعنى واحد فجمعته والفقه على قولهم ومعنى ماارادوا عن على بن الحسين قال : لما انكر الناس على عثمان بن عفان صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد فان لكل شئ آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هذا الدين وعاهة هذه الملة قوم عيابون طعانون يرونكم ماتحبون ويسرون ماتكرهون اما والله يامعشر المهاجرون والانصار لقد عبتم على اشياء ونقمتم اموراً قد اقررتم لابن الخطاب مثلها ولكنه وقمكم وقمعكم ولم يجترىء احد يملأ بصره منه ولا يشير بطرفه اليه . اما والله لانا اكثر من ابن الخطاب عدداً واقرب ناصراً واجدر . الى

ان قال لهم اتفقدون من حقوقكم شيئا فما لي لا افعل في الفضل ما اريد فلم كنت اماماً اذاً . اما والله ماعاب علي من عاب منكم امراً اجهله ولا اتيت الذي اتيت الا وانا اعرفه . قال وقدم معاوية بن ابي سفيان على اثر ذلك من الشام فاتى محلساً فيه علي بن ابي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر فقال لهم يامعشر الصحابة اوصيكم بشيخي هذا خيرا فوالله لئن قتل بين اظهركم لاملأنها عليكم خيلا ورجالا ثم اقبل على عمار بن ياسر : فقال : ياعماران بالشام مائة الف فارس كل يأخذ العطا مع مثلهم من ابنائهم وعبدانهم لا يعرفون عليا ولا قرابته ولاعمارا ولا سابقته ولا الزبير ولا صحابته ولا طلحة ولا هجرته ولا مهابون ابن عوف ولا ماله ولا يتقون سعداً ولا دعوته فاياك ياعمار ان تقع غداً في فتنة تنجلي فيقال هذا قاتل عثمان وهذا قاتل علي . ثم قبل على ابن عباس فقال : يابن عباس انا كنا وايا كم في زمان لانرجو فيه ثوابا ولا نخاف عقابا وكنا اكثر منكم فوالله ماظلمناكم ولاقهرناكم ولااخرناكم عن مقام تقدمناه حتى بعث الله رسوله منكم فسبق اليه صاحبكم فوالله مازال يكرد شركنا ويتغافل به عنا حتى ولي الامر علينا وعليكم ثم صار الامر الينا واليكم فأخذ صاحبنا على صاحبكم لسنه ثم غير فنطق ونطق على لسانه فقد اوقدتم ناراً لانطفأ بالماء فقال ابن عباس كنا كما ذكرت حتى بعث الله رسوله منا ومنكم ثم ولي الامر علينا وعليكم ثم صار الامر الينا واليكم فأخذ صاحبكم على صاحبنا لسنه ولما هو افضل من سنه فوالله ماقلنا الا ماقال غيرنا ولا نطقنا الا بما نطق به سوانا فتركتم الناس جانبا وصيرتمونا بين ان اقمنا متهمين او نزعنا معتبين وصاحبنا من قد علمتم والله لايهجهج مهجهج الا ركبه ولا يرد حوضاً الا افرطه وقد اصبحت احب منك ماحببت واكره ما كرهت ولعلى لاالقاك الا في خير .

﴿ ذكر القول والمجادلة لعثمان ومعاوية رضي الله عنهما ﴾

قال وذكروا ان ابن عباس قال خرجت الى المسجد فاني لجالس فيه مع علي حين صليت العصر اذ جاء رسول عثمان يدعو علياً فقال علي نعم فلما

ان ولى الرسول اقبل على فقال : لم تراه دعانى قلت له دعاك ليكلمك فقال انطق معى فأقبلت فاذا طلحة والزبير وسعد واناس من المهاجرين فجلسنا فاذا عثمان عليه ثوبان ابيضان فسكت القوم ونظر بعضهم الى بعض فحمد الله عثمان ثم قال : اما بعد فان ابن عمى معاوية هذا قد كان غائبا عنكم وعن ماتلتم منى وما عابتكم عليه وعاتبتمونى وقد سألنى ان يكلمكم وان يكلمه من اراد فقال سعد بن ابى وقاص : وما عسى ان يقال لمعاوية او يقول الا ماقلت وقيل لك فقال على ذلكم تكلم يامعاوية فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد يامعشر المهاجرين وبقية الشورى فاياكم اعنى واياكم اريد فمن اجابنى بنيء فمنكم واحد فانى لم ارد غيركم . توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام الناس احد المهاجرين التسعة ثم دفنوا بهم فاصبحوا مالكا امرهم كأن بهم من اظهرهم فلما ايس الرجل من نفسه بايع رجلا من بعده احد المهاجرين فاذا احضر ذلك الرجل شك فى واحد ان يختاره فجعلها فى ستة نفر بقية المهاجرين فأخذوا رجلا منهم لايألون عن الخير فيه فبايعوه وهم ينظرون الى الذى هو كائن من بعده لايشكون ولايمترون . مهلا مهلا معشر المهاجرين فان وراءكم من ان دفعتموه اليوم اندفع عنكم ومن ان فعلتم الذى انتم فاعلوه دفعكم أشد من ركضكم واعد من جمعكم ثم استن عليكم سنتكم ورأى ان دم الباقى ليس بمتنع عند دم الماضى فسددوا وارفقوا لايغلبكم على امركم من حذرتكم . فقال على بن ابى طالب كأنك تريد نفسك يابن اللخناء لست هناك فقال معاوية مهلا عن بنت عمك فانها ليست بشر نسائك . يامعشر المهاجرين وولاة هذا الامر ولاكم الله اياه فانتم اهله وهذان البلدان مكة والمدينة مأوى الحق ومنتهاه وانما ينظر التابعون الى السابقين والبلدان الى البلدين فان استقاموا استقاموا وايم الله الذى لااله الا هو لئن صفقت احدى اليدين على الاخرى لايقوم السابقون للتابعين ولاالبلدان للبلدين وليسلبن امركم ولينقلن الملك من بين اظهركم . وماانتم فى الناس الا كالشامة السوداء فى الثور الابيض فانى رأيتكم نشبتم فى الطعن على خليفتكم وبطرتم معيشتكم وسفهتم احلامكم وماكل نصيحة متقبولة والصبر

على بعض المكروه خير من تحمله كله . قال ثم خرج القوم وامسك عثمان ابن عباس فقال له عثمان يابن عمى ويابن خالتى فانه لم يبلغنى عنك فى امرى شيء احبه ولا اكرهه على ولا لى وقد علمت انك رأيت بعض ما رأى الناس فمنعك عقلك وحلمك من ان تظهر ما اظهروا وقد احببت ان تتابعنى رأيك فيما بينى وبينك فاعتذر . قال ابن عباس فقلت ياأمير المؤمنين انك قد ابتليتنى بعد العافية وادخلتنى فى الضيق بعد السعة وبالله ان رأيى لك أن يقبل منك ويعرف قدرك وسابقتك ووالله لوددت انك لم تتمل فقلت مما تركك الخليفتان قبلك فان كان شيئاً تركاه لما رأى انه ليس لهما علمت انه ليس لك كما لم يكن لهما وان كان ذلك لهما فتركاه خيفة ان ينال منهما مثل الذى نيل منك تركته لما تركاه له ولم يكونا أحق بالكرام أنفسهما منك بالكرام نفسك . قال فما منعك أن تشير على بهذا قبل ان افعل ما فعلت قال وما علمى أنك تفعل ذلك قبل ان تفعل قال فهب لى صمتاً حتى نرى رأيى . قال فخرج ابن عباس فقال عثمان لمعاوية : ما ترى فان هؤلاء المهاجرين قد استوطوا القدر ولا بد لهم مما فى انفسهم فقال معاوية الرأى أن تأذن لى فاضرب أعناق هؤلاء النفر قال من . قال على وطلحة والزبير قال عثمان سبحان الله أقتل أصحاب رسول الله بلا حدث أحدثوه ولا ذنب ركبوه قال معاوية فان لم تقتلهم فانهم سيقتلونك قال عثمان لا اكون أول من خلف رسول الله فى أمته باهراق الدماء قال معاوية فاختر منى احدى ثلاث خصال قال عثمان وما هى قال معاوية ارتب لك هينا اربعة آلاف فارس من خيل اهل الشام يكونون لك رداء وبين يديك يداً قال عثمان أرزقهم من اين قال من بيت المال قال عثمان ارزق اربعة آلاف من الجند من بيت مال المسلمين لارزء دينى . لافعلت هذا . قال فثانية قال وما هى قال فرقهم عنك فلا يجتمع منهم اثنان فى مصر واحد واضرب عليهم البعوث والندب حتى يكون دبر بعير أحدهم أحب عليه من صلاته . قال عثمان سبحان الله شيوخ المهاجرين وكبار أصحاب رسول الله وبقية الشورى اخرجهم من ديارهم وافرق بينهم وبين أهليهم وابنائهم لاأفعل هذا قال معاوية فثالثة قال وما هى قال اجعل لى الطلب بدمك ان

قتلت قال عمان نعم هذه لك ان قتلت فلا يطل دمى . قال ثم خرج عثمان فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس ان نصيحتي كذبتني ونفسي منتني وقد سمعت رسول الله يقول : لا تتهادوا فى الباطل فان الباطل يزداد من الله بعداً من أساء فليتب ومن أخطأ فليتب وانا اول من اتعظ والله لئن ردنى الحق عبداً لا تسبن نسب العبيد ولا اكونن كالمرفوق الذى ان ملك صبر وان أعتق شكر . ثم نزل فدخل على زوجته نائلة بنت الفرافصة ودخل معه مروان بن الحكم فقال : ياامير المؤمنين أتكلم او أسكت فقالت له نائلة : بل اسكت فوالله لئن تكلمت لتغرنه ولتوبقنه فالتفت اليها عثمان مغضباً فقال اسكتي تكلم يامروان فقال مروان : ياامير المؤمنين انك والله لو قلت الذى قلت وانت فى عز ومنعة لتابعتك ولكنك قلت الذى قلت وقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين فانقض التوبة ولا تقر بالخطيئة .

﴿ ماانكر الناس على عثمان رحمه الله ﴾

قال وذكروا أنه اجتمع ناس من اصحاب رسول الله عليه السلام كتبوا كتابا ذكروا فيه ما حالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وما كان من هبته خمس افريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وما كان من تطاوله فى البنيان حتي عدوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من اهله وبنائه وبنيان مروان القصور بذى خشب وعمارة الاموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله وما كان من افشائه العمل والولايات فى اهله وبنى عمه من بنى أمية احداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالامور . وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة اذ صلى بهم الصبح وهو امير عليها سكران اربعة ركعات ثم قال لهم : ان شئتم ان ازيدكم ركعة زدتكم . وتعطيله اقامة الحد عليه وتأخيره ذلك عنه وتركه المهاجرين والانصار لا يستعملهم على شئ ولا يستشيرهم واستغنى برأيه عن رأيهم وما كان من الحمى الذى حمى حول المدينة وما كان من ادراره القطائع والارزاق والاعطيات على اقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه السلام ثم لا يغزون ولا يذبون وما كان من مجاوزته الخيزران الى السوط

وانه اول من ضرب بالسياط ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب فى يد عثمان وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وكانوا عشرة فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه الى عثمان والكتاب فى يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتي بقى وحده فمضى حتي جاء دار عثمان فاستأذن عليه فأذن له فى يوم شات فدخل عليه وعنده مروان بن الحكم واهله من بنى امية فدفع اليه الكتاب فقرأه فقال له انت كتبت هذا الكتاب قال نعم قال ومن كان معك قال معى نفر تفرقوا فرقاً منك قال ومن هم قال لااخبرك بهم قال فلم اجترأت على من بينهم فقال مروان ياامير المؤمنين ان هذا العبد الاسود (يعنى عماراً) قد جرأ عليك الناس وانك ان قتلته سكلت به من وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه وضرب به عثمان معهم حتي فتموا بطنه فغشى عليه فجروه حتي طرحوه على باب الدار فأمرت به أم سلمة زوج النبي عليه السلام فأدخل منزلها وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بن المغيرة فقال أما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لاقتلن به رجلا عظيما من بنى امية فقال عثمان لست هناك. قال ثم خرج عثمان الى المسجد فاذا هو بعلى وهو شاك معصوب الرأس فقال عثمان والله يا ابا الحسن ماادرى اشتهى موتك ام اشتهى حياتك فوالله لئن مت ما احب ان ابقى بعدك لغيرك لانى لااجد منك خلفاً ولئن بقيت لأعدم طاغياً يتخذك سلماً وعضداً ويعدك كهفاً وملجأ لا يتمنى منه إلا مكانه منك ومكانك منه فأنا منك كالابن العاق من أبيه ان مات فجعه وان عاش عقه . فاما سلم فنسالم واما حرب فنحارب فلا تجعلنى بين السماء والارض فانك والله ان قتلتنى لاتجد منى خلفا ولئن قتلتك لا أجد منك خلفاً ولن يلى امر هذه الامة بادئ فتنة . فقال على : ان فيما تكلمت به لجوابا ولكنى عن جوابك مشغول بوجعى فانا أقول كما قال العبد الصالح فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون . قال مروان انا والله اذاً لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون فى هذا الامر خير لمن بعدنا فقال له عثمان : اسكت ماأنت وهذا فقام اليه رجل

من المهاجرين فقال له ياعثمان أرأيت ماحميت من الحمى آلله أذن لكم ام على الله تفترون فقال عثمان انه قد حمى الحمى قبلى عمر لا بل الصدقة وانما زادت فزدت فقام عمرو بن العاص فقال : ياعثمان انك ركبت بالناس نهابير من الامر فتب الى الله يتوبوا فرفع عثمان يديه وقال توبوا الى الله من كل ذنب الاثم انى أول من تاب اليك ثم قام رجل من الانصار فقال ياعثمان مابال هؤلاء النفر من اهل المدينة يأخذون العطايا ولا يغزون فى سبيل الله وانما هذا المال لمن غزا فيه وقاتل عليه الا من كان من هذه الشرذمة من اصحاب محمد عليه السلام فقال عثمان فاستغفر الله وأتوب اليه ثم قال ياأهل المدينة من كان له منكم ضرع فليلحق بضرعه ومن كان له زرع فليلحق بزرعه فانا والله لانعطى مال الله الا لمن غزا فى سبيله الا من كان من هذه الشيوخ من الصحابة . قال فما بال هذا القاعد الشارب لاتقيم عليه الحد (يعنى الوليد بن عقبة) فقال عثمان لعلى دونك ابن عمك فأقم عليه الحد فقال على للحسن قم فاجلده فقال الحسن ماأنت وذاك هذا لغيرك فقال على لا ولكنك عجزت وفشلت ياعبد الله بن جعفر قم فاجلده فتام فضربه وعلى يعد فلما بلغ اربعين أمسك وقال جلد رسول الله اربعين وابو بكر اربعين وكملها عمر ثمانين وكل سنة .

حصار عثمان رضى الله عنه

قال وذكروا انه لما اشتد الطعن على عثمان استأذنه على فى بعض بواديه ينتحى اليها فأذن له واشتد الطعن على عثمان بعد خروج على وطلحة والزبير وطلحة ان يميلا اليهما قلوب الناس ويغلبا عليهم واغتنما غيبة على فكتب عثمان الى على اذا اشتد الطعن عليه : اما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وارتفع امر الناس فى شأنى فوق قدره وزعموا انهم لايرضون دون دمى وطمع فى زمن لايدفع عن نفسه .

وانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد كان يقال : أكل السبع خير من افتراس الثعلب . فأقبل على أولى

فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فأدركنى ولما امزق

قال حويطب بن عبد العزى : ارسل الى عثمان حين اشتد حصاره فقال : قد بدالى ان انهم نفسى لهؤلاء فأت عليا وطلحة والزبير فقل لهم هذا أمركم تولوه واصنعوا فيه ماشئتم فخرجت حتي جئت عليا فوجدت على بابه مثل الجبال من الناس والباب مغلق لايدخل عليه احد ثم انصرفت فاتيت الزبير فوجدته فى منزله ليس ببابه احد فأخبرته بما ارسلنى به عثمان فقال قد والله قضى ماعليه أمير المؤمنين هل جئت عليا قلت نعم فلم اخلص اليه . فقمنا جميعا فأتينا طلحة بن عبيد الله فوجدناه فى داره وعنده ابنه محمد فقصصنا عليه ما قال عثمان فقال قد والله قضى ماعليه امير المؤمنين هل جئتم عليا قلنا نعم فلم نخلص اليه فأرسل طلحة الى الاشتر فأتاه فقال لى اخبره فأخبرته بما قال عثمان فقال طلحة وقد دمعت عيناه قد والله قضى ماعليه امير المؤمنين فقام الاشتر فقال تعشون الينا وجاءنا رسولكم بكتابكم وهاهو ذا فأخرج كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من المهاجرين الاولين وبقية النصرى الى من بمصر من الصحابة والتابعين اما بعد ان تعالوا الينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل ان يسلبها اهلها فان كتاب الله قد بدلا وسنة رسوله قد غيرت واحكام الخليفتين قد بدلت فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية اصحاب رسول الله والتابعين باحسان الا اقبل الينا واخذ الحق لنا واعطانا ناه فاقبلوا الينا ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر واقيموا الحق على المنهاج الواضح الذى فارقتم عليه نبيكم وفارقكم عليه الخلفاء غلبا على حقنا واستولى على فيئنا وحبل بيننا وبين امرنا وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة وهى اليوم ملكا عضوداً من غلب على شئ اكله . أليس هذا كتابكم الينا ؟ فبكى طلحة فقال الاشتر لما حضرنا اقبلتم تعصرون اعينكم والله لانفارقه حتي نقتله وانصرف . قال ثم كتب عثمان كتابا بعثه مع نافع بن طريف الى اهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكة وابن عباس يخطب وهو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان امير المؤمنين الى من حضر الحج من المسلمين اما بعد فانى كتبت اليكم

كتابي هذا وانا محصور اشرب من بئر القصر ولا آكل من الطعام مايكفيني خيفة ان تنفد ذخيرتي فأموت جوعا ومن معي لاادعى الى توبة اقبلها ولا تسمع مني حجة اقولها فانشد الله رجلا من المسلمين بلغه كتابي الاقدم على فأخذ الحق في ومنعني من الظلم والباطل . قال ثم قام ابن عباس فأتم خطبته ولم يعرض لشيء من شأنه . وكتب الى اهل الشام عامة والى معاوية واهل دمشق خاصة : اما بعد فاني في قوم طال فيهم مقامي واستعجلوا النذر في وقد خيروني بين ان يحملوني على شارف من الابل الذحيل وبين ان ادرع لهم رداء الله الذي كساني وبين ان اقيدهم ممن قتلت . ومن كان على سلطان خطئ وبصاب فيما غوغاه ياغوثاه ولا أمير عليكم دوني فالعجل العجل يامعاوية وأدرك ثم أدرك وما أدراك تدرك .

ذكر ولاية محمد بن أبي بكر على مصر

قال وذكروا ان اهل مصر جاؤا يشكون بن ابي سرح عاملهم فكتب اليه عثمان كتابا يتهدده فيه فأبى ابن ابي سرح ان يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من اتاه به من قبل عثمان من اهل مصر حتى قتله فخرج من اهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا في المسجد وشكوا الى اصحاب رسول الله في مواقيت الصلاة ماصنع بهم ابن ابي سرح فقام طلحة فتكلم بكلام شديد وارسلت عائشة الى عثمان فقالت له قد تقدم اليك اصحاب رسول الله وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت إلا واحدة فهذا قد قتل منهم رجلا فانصفهم من عاملك . ودخل عليه علي وكان متكلم القوم فقال له انما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم فان وجب لهم عليه حق فانصفهم منه فقال اختاروا رجلا أوله عليهم فقالوا استعمل محمد بن ابي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معه عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين ابن ابي سرح واهل مصر فخرج محمد ومن معه حتى اذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة فاذا هم بغلام اسود على بعير يخبط البعير كأنه رجل يطلب او يطلب فقال له اصحاب محمد ماقصتك وما شأنك كأنك طالب او هارب فقال انا غلام أمير المؤمنين وجهني الى عامل مصر فقال له رجل هذا عامل مصر معنا

قال ليس هذا أريد فأخبر محمد بأمره فبعث فى طلبه رجلا فجاء به اليه فقال له غلام من انت فأقبل مرة يقول انا غلام مروان ومرة يقول انا غلام أمير المؤمنين حتي عرفه رجل انه لعثمان فقال له محمد الى من ارسلك قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال اما معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا قال وكانت معه اداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا اداوته فاذا فيها كتاب من عثمان الى عبد الله بن ابى سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار ثم فك الكتاب بمحضر منهم فقرأه فاذا فيه : اذا اتاك محمد بن ابى بكر وفلان وفلان فاقتلهم وابطل كتابهم واقر على عملك حتي يأتيك رأيى فلما رأوا الكتاب فزعوا منه ورجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا معه ودفعه الى رجل منهم ثم قدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من اصحاب رسول الله ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم واخبرهم بقصة الغلام واقرأهم الكتاب فلم يبق احد من اهل المدينة الا حنق على عثمان وقام اصحاب النبي فلحقوا بمنازلهم وحصر الناس عثمان واحاطوا به ومنعوه الماء والخروج ومن كان معه واجلب عليه محمد بن ابى بكر

﴿ حصار اهل مصر والكوفة عثمان رحمه الله ﴾

قال وذكروا ان اهل مصر اقبلوا الى على فقالوا الم تر عدو الله ماذا كتب فينا قم معنا اليه فقد احل الله دمه فقال على لا والله لاأقوم معكم قالوا فلم كتبت الينا قال على لا والله ما كتبت اليكم كتابا قط فنظر بعضهم الى بعض ثم أقبل الاشتر النخعى من الكوفة فى الف رجل واقبل ابن ابى حذيفة من مصر فى اربعمائة رجل فأقام اهل الكوفة واهل مصر بباب عثمان ليلا ونهاراً وطلحة يحرض الفريقين جميعاً على عثمان ثم ان طلحة قال لهم ان عثمان لايبالى ماحصرتموه وهو يدخل اليه الطعام والشراب فامنعوه الماء ان يدخل عليه .

﴿ مخاطبة عثمان من اعلى القصر طلحة واهل الكوفة وغيرهم ﴾

قال وذكروا ان عثمان لما منع الماء صعد على القصر واستوى فى اعلاه

ثم نادى ابن طلحة فأتاه فقال ياطلحة اما تعلم ان بئر رومة كانت لفلان اليهودى لايسقى احداً من الناس منها قطرة الا بثمن فاشتريتها باربعين الفاً فجعلتها رشائى فيها كرشاء رجل من المسلمين لم استأثر عليهم ؟ قال نعم . قال فهل تعلم ان احداً يمنع ان يشرب منها اليوم غيرى لم ذلك قال لانك بدلت وغيرت . قال فهل تعلم ان رسول الله قال من اشترى هذا البيت وزاده فى المسجد فله به الجنة فاشتريته بعشرين الفاً وأدخلته فى المسجد قال طلحة نعم قال فهل تعلم اليوم احداً يمنع فيه من الصلاة غيرى قال لا قال لم قال لانك غيرت وبدلت ثم انصرف عثمان وبعث الى على يخبره انه منع من الماء ويستغيث به فبعث اليه على ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه فتلقاها طلحة ما نت وهذا وكان بينهما فى ذلك كلام شديد فبينما هم كذلك اذ اتاهم آت فقال لهم ان معاوية قد بعث من الشام يزيد بن اسيد مدداً لعثمان فى اربعة آلاف من خيل الشام فاصنعوا ما أنتم صانعون والا فانصرفوا . وكان معه فى الدار مائة رجل ينصرونه منهم عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم والحسن بن على وعبدالله بن سلام وأبو هريرة فلما سمع القوم اقبال اهل الشام قاموا فألهبوا النار بباب عثمان فلما نظرا اهل الدار الى النار نصبوا للقتال وتهيئوا فكره ذلك عثمان قال لاأريد ان تهرق فى محجمة دم وقال لجميع من فى الدار أنتم فى حل من بيعتي لاأحب ان يقتل فى أحد وكان فيهم عبد الله بن عمر فقال ياأمير المؤمنين معمن تأمرنى أكون ان غلب هؤلاء القوم عليك قال عليك بلزوم الجماعة قلت فان كانت الجماعة هى التي تغلب عليك قال عليك بلزوم الجماعة حيث كانت قال ثم دخل عليه الحسن بن على فقال مرنى بما شئت فانى طوع يديك فقال له عثمان ارجع يابن اخى اجلس فى بيتك حتي يأتى الله بأمره ثم دخل عليه أبو هريرة متقلداً سيفه فقال طاب الضراب ياأمير المؤمنين قد قتلوا منا رجلا وقد الهبوا النار فقال عثمان عزمت عليك ياأباهريرة الا ألقيت سيفك قال أبو هريرة فألقيته فلا أدرى من أخذه قال ودخل المغيرة بن شعبة فقال له ياأمير المؤمنين ان هؤلاء قد اجتمعوا عليك فان أحببت فألحق بمكة وان أحببت أن نخرق لك باباً من الدار فتلحق بالشام ففيها معاوية

وأنصازك من اهل الشام وان أبيت فاخرج ونخرج ونحاكم القوم الى الله تعالى فقال عثمان أما ماذكرت من الخروج الى مكة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب هذه الامة من الانس والجن فلن اكون ذلك الرجل ان شاء الله وأما ماذكرت من الخروج الى الشام فان المدينة دار هجرتى وجوار قبر النبي عليه السلام فلا حاجة لى فى الخروج من دار هجرتى وأما ماذكرت من محاكمة هؤلاء القوم الى الله فلن اكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته باهراق الدم ثم قال انى رأيت أبا بكر وعمر أتياني الليلة فقالا لى صم فانك مفطر عندنا الليلة وانى أصبحت صائما وانى اعزم على من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الا خرج من الدار سالما فقالوا انا ان خرجنا لم نأمن على انفسنا منهم فأذن لنا فنكون فى موضع من الدار فلما رأى ذلك على بعث الى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من اصحاب محمد كلهم بدرى ثم دخلوا على عثمان ومعهم الكتاب والغلام والبعير فقال على الغلام غلامك والبعير بعيرك فقال نعم قال فأنت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال له فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وكتاب عليه خاتمك لاتعلم به فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا وجهت ولا أمرت فشك القوم فى أمر عثمان وعلموا انه لايحلف بباطل فقال قوم منهم لا يبرأ عثمان عن قتلنا الا ان يدفع الينا مروان حتي نعرف كيف يأمر بقتل رجال من اصحاب رسول الله وقطع ايديهم بغير حق فان كان عثمان كتبه عزلناه وان كان مروان كتبه نظرنا فى امره وما يكون فى امر مروان فانصرف القوم عنه ولزموا بيوتهم وابى عثمان ان يخرج لهم مروان وخشى عليه القتل فبلغ علياً ان عثمان يراد قتله فقال انا اردنا مروان فأما قتل عثمان فلا ثم قال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتي تقوما على باب عثمان ولا تدعا احداً يصل اليه وبعث الزبير ابنه على كره وبعث طلحة ابنه كذلك وبعث عدة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابناءهم يمنعون الناس ان يدخلوا على عثمان ويسألوه ان يخرج مروان فاشرف عليهم عثمان من اعلى القصر فقال : يامعشر المسلمين

اذكركم الله الستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب دار بنى فلان ليوسع بها للمسلمين فى مسجدهم فاشتريتها من خالص مالى وانتم اليوم تمنعونى ان اصلى فيه اذكركم الله يامعشر المسلمين الستم تعلمون ان بئر رومة كانت تباع القربة منها بدرهم فاشتريتها من خالص مالى فجعلت رشائى كرشاء واحد من المسلمين وأنتم تمنعونى ان اشرب من مائها وانا اشتريتها حتى انى ماأفطر الا على ماء البحر الستم تعلمون انكم تقممتم على اشياء فاستغفرت الله وتبت اليه منها وتزعمون انى غيرت وبدلت فابعثوا على شاهدين مسلمين والا فاحلف بالله الذى لااله الا هو ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا اطلعت عليه . ياقوم لايجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل ماأصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح ياقوم لاتقتلونى فانكم ان قتلتمونى كنتم هكذا وشبك بين أصابعه ياقوم ان الله رضى لكم السمع والطاعة وحذركم المعصية والفرقة فاقبلوا نصيحة الله واحذروا عقابه فانكم ان فعلتم الذى أنتم فاعلون لاتقوم الصلاة جميعاً ويسلط عليكم عدوكم وانى اخبركم ان قوما اظهروا للناس انهم انما يدعونى الى كتاب الله تعالى والحق فلما عرض عليهم الحق رغبوا عنه وتركوه وطال عليهم عمرى واستعجلوا التدبر بى وقد كانوا كتبوا الينا انهم قد رضوا بالذى اعطيتهم ولا أعلم أنى تركت من الذى عاهدتهم عليه شيئاً وكانوا زعموا انهم يطلبون الحدود وترك المظالم وردها الى اهلها فرضيت بذلك وقالوا يؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس ومثلهما من ذوى القوة والامانة وكل ذلك فعلت فلم يرضوا وحالوا بينى وبين المسجد فابتزوا ماقدروا عليه بالمدينة وهم يخيرونى بين احدى ثلاث اما أن يقيدونى بكل رجل أصبت خطأ او عمداً واما ان اعتزل عن الامر فيؤمروا احداً واما ان يرسلوا الى من اطاعهم من الجنود واهل الامصار فارسلوا اليكم فأتيتم لتبتزونى من الذى جعل الله لى عليكم من السمع والطاعة فسمعتم منهم واطعتموهم والطاعة لى عليكم دونهم فقلت لهم أما اقادة من نفسى فقد كان قبلى خلفاً ومن يتولى السلطان يخطئ ويصيب فلم يستفد من احد منهم وقد علمت انهم يريدون بذلك نفسى . وأما ان اتبرأ من الامر فان يصلبونى احب الى من اتبرأ من جنة الله تعالى وخلافته بعد قول رسول

الله صلى الله عليه وسلم لى : ياعثمان ان الله تعالى سيقمصك قميصاً فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتي تلقانى وإن كن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ولكن انوها طائعين يبتغون بذلك مرضاة الله وصلاح الامة ومن يكن منهم يبتغى الدنيا فلن ينال منها الا ما كتب له فاتقوا الله فانى لاأرضى لكم ان تنكثوا عهد الله وانى انشدكم الله والاسلام ان لا تأخذوا الحق ولا تعطوه منى وما أبرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى وانى عاقبت اقواما وما ابتغى بذلك الا الخير وانى اتوب الى الله من كل عمل عملته واستغفره . اما والله لتد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لايحل دم امرئ مسلم الا فى احدى ثلاث الردة عن الاسلام والزنا بعد الاحصان ولا والله ما كان ذلك منى فى جاهلية ولا اسلام او رجل قتل رجلا فيقاد به . فقال بعضهم انه ليقول مثالا وقال آخر لئن سمعهم منه ليصرفنكم فابوا ورموه بالسهام واستقبلوه بما لا يستقبل مثله ثم اشرف عليهم عبد الله بن سلام وكان من اهل الدار فقال يامعشر من حاصر دار عثمان من المهاجرين والانصار ممن انعم الله عليهم بالاسلام لاتقتلوا عثمان فوالله ان حقه على كل مؤمن كحق الوالد على ولده ووالله ان على حوائط المدينة اثنى عشر نفسا ملك منذ امد الله بهم نبيكم صلى الله عليه وسلم ووالله لئن قتلتموه ليسخطن عليكم ربكم ولتتفرقن ملائكته عنكم وليقتلن بقتله اقواما هم فى الاصلاب والارحام وما خلقوا . وانى لأجده فى التوراة التي انزل الله على موسى عليه السلام وكتب بيده عز وجل اليكم بالعبرانى وبالعربى خليفتكم المظلوم الشهيد والذى نفسى بيده لئن قتلتموه لاتؤدى بعده طاعة الا عن مخافة ولا توصل رحم عن مكافأة وليقتتلن به الرجال ومن فى الاصلاب فقالوا له ايا يهودى اشبع بطنك وكسى ظهرك والله لاينتطح فيه شاتان ولا يتناقر فيه ديكان فقال اما الشاتان والديكان فصدقتم ولكن التيسان الاكبران يتناطحان فيه فخصبوه ورموه حتى شجوه فالتفت الى عثمان فقال له زعموا انك اشبعت بطنى وكسوت ظهرى فاصبر ياأمير المؤمنين فو الذى نفسى بيده انى أجدك فى كتاب الله تعالى المنزل الخليفة المظلوم الشهيد فرميت بالسهام من كل جانب وكان الحسن بن

على حاضراً فأصابه سهم فخضبه الدم واصاب مروان سهم وهو فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى على فخشى محمد بن ابى بكر ان يغضب بنو هاشم للحسن فيسيرونها فتنه .

ذكر قتل عثمان رضى الله عنه وكيف كان

قال وذكروا ان محمد بن أبى بكر لما خرج الحسن بن على أخذ بيد رجلين فقال لهما ان جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان و نحن نريدون ولكن قوموا حتي نتسور عليه فنقتله من غير ان يعلم أحد فتسور هو وصاحباه من دار رجل من الانصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه لان كل من معه كان فوق البيت ولم يكن معه الا امرأته فدخل عليه محمد بن أبى بكر فصرعه وقعد على صدره وأخذ بلحيته وقال يا نعثل ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن عامر وابن أبى سرح فقال له عثمان : لو رآنى أبوك رضى الله عنه لبكانى ولساءه مكانك منى فتراخت يده عنه وقام عنه وخرج فدعا عثمان بوضوء فتوضأ وأخذ مصحفا فوضعه فى حجره ليتحرم به ودخل عليه رجل من أهل الكوفة بمشقص فى يده فوجأ بها منكبه مما يلى الترقوة فادماه ونضح الدم على ذلك المصحف وجاء آخر فضربه برجله وجاء آخر فوجأه بقائم سيفه فغشى عليه ومحمد بن أبى بكر لم يدخل مع هؤلاء فتصايح نساؤه ورش الماء على وجهه فأفاق فدخل محمد بن أبى بكر وقد أفاق فقال له أى نعثل غيرت وبدلت وفعلت ثم دخل رجل من أهل مصر فأخذ بلحيته فنتف منها خصلة وسل سيفه وقال افرجوا لى فعلاه بالسيف فتلقاه عثمان بيده فقطعها فقال عثمان اما والله انها اول يد خطت المفصل وكتبت القرآن . ثم دخل رجل أزرق قصير مجدر ومعه جزر من حديد فمشى اليه فقال على أى ملة أنت يا نعثل فقال لست بنعثل ولكنى عثمان بن عفان وأنا على ملة ابراهيم حنيفاً وما أنا من المشركين قال كذبت وضربه بالجزر على صدغه الايسر فغسله الدم وخر على وجهه وحالت نائلة بنت الفرافصة زوجته بينه وبينه وكانت جسيمة والقت بنت شيبة نفسها عليه ودخل عليه رجل من أهل مصر ومعه سيف مصلت فقال والله لأقطعن

أنفه فعالج امرأته عنه فكشف عنها درعها فلما لم يصل اليه ادخل السيف بين قرطها ومنكبها فضربت على السيف فقطع أناملها فقالت يارباح غلام لعثمان أسود ومعه سيف أعن عنى هذا فضربه الاسود فقتله ثم دخل آخر معه سيف فقال افرجوا لى فوضع ذباب السيف فى بطن عثمان فامسكت نائلة زوجته السيف فحز أصابعها ومضى السيف فى بطن عثمان فقتله فخرجت امرأته وهى تصيح وخرج القوم هاربين من حيث دخلوا فلم يسمع صوت نائلة لما كان فى الدار من الجلبة فصعدت امرأته الى الناس فقالت ان أمير المؤمنين قدقتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مقتولا قد مثل به فأكبوا عليه يبكون وخرجوا فدخل الناس فوجدوه مقتولا فبلغ علياً الخبر وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم فدخلوا عليه واسترجعوا واكبوا عليه يبكون ويعولون حتى غشى على على ثم أفاق فقال لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأتيا على الباب فرفع يده فضرب الحسن والحسين وشتم محمد بن طلحة ولعن عبدالله بن الزبير وخرج على وقد سلب عقله لايدرى مايستقبل من أمره فقال طلحة مالك ياأبا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال ياطلحة يقتل أمير المؤمنين ولم تقم عليه بينة ولا حجة فقال طلحة لو دفع مروان لم يقتل فقال على لو دفع مروان قتل قبل ان تقوم عليه حكومة فخرج على فأتى منزله وأغلق الباب . وكتبت نائلة بنت الفرافصة الى معاوية تصف دخول القوم على عثمان وأخذه المصحف ليتحرم به وما صنع محمد بن أبى بكر وأرسلت بقميص عثمان مضرجاً بالدم ممزقا وبالخصلة التي نتفها محمد بن أبى بكر من لحيته فعقدت الشعر فى زر القميص ثم دعت النعمان بن بشير الانصارى فبعثته الى معاوية ومضى بالقميص حتى أتى على يزيد بن أسيد مداً لعثمان بعثه معاوية فى أربعة آلاف فاخبرهم بقتل عثمان فانصرفوا الى الشام قال ثم دخل أهل مصر الدار فلما رأوا عثمان مقتولا ندموا واستحيوا وكره أكثرهم ذلك وثار أهل الدار فى وجوههم فأخرجوهم منها منها ثم اقتتلوا عند الباب فضرب مروان بالسيف فصرع

دفن عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن ازهر قال لم أكن دخلت فى شئ من أمر عثمان لا عليه ولا له فانى لجالس بفناء دارى ليلا بعد ماقتل عثمان بليلة اذ جاءنى المنذر بن الزبير فقال ان أخى يدعوك فقمت اليه فقال لى انا اردنا ان ندفن عثمان فهل لك قلت والله مادخلت فى شئ من شأنه وما أريد ذلك فانصرفت عنه ثم اتبعته فاذا هو فى نفر فيهم جبير بن مطعم وأبو الجهم بن حذيفة والمسور ابن مخرمة وعبد الرحمن بن أبى بكر وعبد الله بن الزبير فاحتملوه على باب وان رأسه ليقول طق طق فوضعوه فى موضع الجنائز فقام اليهم رجال من الانصار فقالوا لهم لا والله لا تصلون عليه فقال أبو الجهم الا تدعون نصلى عليه فقد صلى الله تعالى عليه وملائكته فقال له رجل منهم ان كنت فادخلك الله مدخله فقال له حشرنى الله معه فقال له ان الله حاشرك مع الشياطين والله ان تركناكم به لعجز منا فقال القوم لابى الجهم اسكت عنهم وكفى فسكت فاحتملوه ثم انطلقوا مسرعين كانى أسمع وقع رأسه على اللوح حتي وضعوه فى ادنى البقيع فاتاهم جبلة بن عمرو الساعدى من الانصار فقال لا والله لا تدفنوه فى بقيع رسول الله ولا نتركم تصلون عليه: فقال أبو الجهم انطلقوا بنا ان لم نصل عليه فقد صلى الله عليه فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح فى حق حتي اذا اتوا به جسر كوكب حفروا له حفرة ثم قاموا يصلون عليه وأمهم جبير بن مطعم ثم دلوه فى حفرته فلما رآته ابنته صاحت فقال ابن الزبير والله لئن لم تسكتى لاضربن الذى فيه عينيك فدفنوه ولم يلحدوه بلبن وحثوا عليه التراب حثواً

بيعة على بن ابى طالب كرم الله وجهه وكيف كانت

قال وذكروا انه لما كان فى الصباح اجتمع الناس فى المسجد وكثر الندم والتأسف على عثمان رحمه الله وسقط فى ايديهم واكثر الناس على طلحة والزبير واتهموهما بقتل عثمان فقال الناس لهما ايها الرجلان قد وقعتما فى امر عثمان فخليا عن انفسكما فقام طلحة فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انا والله ما نقول اليوم الا ماقلناه أمس ان عثمان خلط الذنب بالتوبة حتى كرهنا ولايته

وكرهنا أن نقتلة وسرنا ان نكفاه وقد كثر فيه اللجاج وأمره الى الله ثم قام الزبير فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان الله قد رضى لكم الشورى فاذهب بها الهوى وقد تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه واما قتل عثمان فانا نقول فيه ان امره الى الله وقد احدث احداثا والله وليه فيما كان : فقام الناس فأتوا علياً فى داره فقالوا نبايعك فمد يدك لابد من أمير فأنت احق بها فقال ليس ذلك اليكم انما هو لاهل الشورى واهل بدر فمن رضى به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة فنجتمع وننظر فى هذا الامر فابى ان يبايعهم فانصرفوا عنه وكلم بعضهم بعضا فقالوا يمضى قتل عثمان فى الافاق والبلاد فيسمعون بقتله ولا يسمعون انه بويع لأحد بعده فيثور كل رجل منهم فى ناحية فلا نأمن ان يكون فى ذلك الفساد . فارجعوا الى على فلا تتركوه حتى يبايع فيسير مع قتل عثمان بيعة على فيطمئن الناس ويسكنون فرجعوا الى على وترددوا الى الاشتر النخعى فقال اعلى ابسط يدك نبايعك فقال له مثل ما قال لهم فمال الاشتر والله لتمدن يدك نبايعك او لتعصرن عينيك عليها ثالثة ولم يزل به يكلمه ويخوفه الفتنة ويذكر مثله انه ليس احد يشبهه فمد يده فبايعه الاشتر ومن معه ثم أتو طلحة فقالوا له اخرج فبايع قال من ؟ قالوا علياً قال تجتمع الشورى وتنظر فقالوا اخرج فبايع فامتنع عليهم فجاؤا به يلببونه فبايعه بلسانه ومنعه يده فقال ابو ثور كنت فيمن حاصر عثمان فكنت آخذ سلاحى وأضعه وعلى ينظر الى لا يأمرنى ولا ينهانى فلما كانت البيعة له خرجت فى أثره والناس حوله يبايعونه فدخل حائطاً من حيطان بنى مازن فأجؤه الى نخلة وحالوا بينى وبينه فنظرت اليهم وقد أخذت أيدى الناس ذراعه تختلف ايديهم على يده ثم أقبل الى المسجد الشريف وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده وكانت اصابعه شلاء فتطير منها على فقال ما أخلقها ان تنكث ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم جميعاً ثم نزل فدعا الناس وأمر بطلب مروان فهرب منه وطلب نفراً من بنى أمية وابن أبى معيط فهربوا وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان رحمه الله فقال لها عمار بالامس تحرضين علينا الناس واليوم تبكينه ثم جاء على الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت

لاادرى دخل عليه رجال لااعرفهم الا ان أرى وجوههم وكان معهم محمد بن أبى بكر فدعا على محمداً فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد صدقت قد والله دخلت عليه فذكر لى أبى فقمت عنه وأنا تائب الى الله تعالى والله ماقتلته ولا أمسكته فقالت صدق ولكن هو ادخلهم قال ثم خرج طلحة فلقى عائشة فقالت له ماصنع الناس قال قتلوا عثمان قالت ثم ماصنعوا قال بايعوا علياً ثم أتونى فأكرهونى وابيونى حتى بايعت قالت وما لعلى يستولى على رقابنا لاأدخل المدينة ولعلى فيها سلطان فرجعت وكان الزبير خارجا لم يشهد قتل عثمان وكان عمرو بن العاص بفلسطين يوم قتل عثمان فطلع عليه راكب من الحجاز فقال ماوراءك قال تركت عثمان محصوراً فقال عمرو قد يضرط البعير والمكواة فى النار ثم لبث اياماً فطلع عليه راكب آخر فقال له عمرو ماالخبر قال قتل عثمان قال فما فعل الناس فقال بايعوا علياً قال فما فعل على فى قتلة عثمان قال دخل عليه الوليد بن عقبة فسأله عن قتله فقال ماأمرت ولا نهيت ولا سرنى ولا ساءنى قال فما فعل بقتلة عثمان فقال آوى ولم يرض وقد قال له مروان ان لاتكن أمرت فقد توليت الامر وان لاتكن قتلت فقد آويت القاتلين فقال عمرو بن العاص خلط والله أبو الحسن : قال ثم كتب عمرو بن العاص الى سعد بن أبى وقاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولى كبره فكتب اليه سعد : انك سالتنى من قتل عثمان وانى أخبرك انه قتل بسيف سلته عائشة وصقله طلحة وسمه ابن أبى طالب وسكت الزبير وأشار بيده وامسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ولكن عثمان غير وتغير واحسن واساء فان كنا احسنا فقد أحسنا وان كنا أسأنا فنستغفر الله واخبرك ان الزبير مغلوب بغلبة أهله وبطلبه بذنبه وطلحة لو يجد ان يشق بطنه من حب الامارة لشقه قال وكان ابن عباس غائباً بمكة المشرفة فاقبل الى المدينة وقد بايع الناس علياً قال ابن عباس فوجدت عنده المغيرة بن شعبة فجلست حتى خرج ثم دخلت عليه فسألنى وسألته ثم قلت له ماقال لك الخارج من عندك آنفاً قال قال لى قبل هذه الدخلة أرسل الى عبد الله بن عامر بعهده على البصرة والى معاوية بعهده على الشام فانك تهدىء عليك البلاد وتسكن عليك الناس ثم أتانى الآن

فقال لى انى كنت أشرت عليك برأى لم اتعقبه فلم أرى ذلك رأيا وانى ارى أن تنبذ اليهما العداوة فقد كفاك الله عثمان وهما اهون موتة منه فقال له ابن عباس أما المرة الاولى فقد نصحك فيها وأما الثانية فقد غشك فيها قال فانى قد وليتك الشام فسر اليها قال قلت ليس هذا برأى أترى معاوية وهو ابن عم عثمان مخلياً بينى وبين عمله ولست آمن ان اظفر بى ان يقتلنى بعثمان وادنى ماهو صانع ان يحبسنى ويحكم على ولكن اكتب الى معاوية فمنه وعده فان استقام لك الامر فابعثنى قال ثم أرسل بالبيعة الى الافاق والى جميع الامصار فجاءته البيعة من كل مكان الا الشام فانه لم يأته منها بيعة. فأرسل الى المغيرة بن شعبة فقال له سر الى الشام فقد وليتكها قال تبعثنى الى معاوية وقد قتل ابن عمه ثم آتيه والياً فيظن انى من قتلة ابن عمه ولكن ان شئت ابعث اليه بعهده فانه بالحرى اذا بعثت له بعهده يسمع ويطيع فكتب على الى معاوية : أما بعد فقد وليتك ماقبلك من الاعمال والمال فبايع من قبلك ثم اقدم الى فى الف رجل من أهل الشام فلما اتى معاوية كتاب على دعا بطومار فكتب فيه من معاوية الى على : أما بعد فانه

ليس بينى وبين قيس عتاب * غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فاما أتى علياً الكتاب ورأى مافيه وما هو مشتمل عليه كره ذلك وقام فأتى منزله فدخل عليه الحسن ابنه فقال له : أما والله قد كنت أمرتك فعصيتنى فقال له على وما أمرتنى به فعصيتك فيه قال أمرتك ان تركب رواحلك فتلحق بمكة المشرفة فلا تتهم به ولا تحل شيئا من أمره فعصيتنى وأمرتك حين دعيت الى البيعة ان لاتبسط يدك الا على بيعة جماعة فعصيتنى وأمرتك حين خالف عليك طلحة والزبير ان لاتكرههما على البيعة وتخلى بينهما وبين وجههما وتدع الناس يتشاورون عاما كاملا فوالله لو تشاوروا عاما مازويت عنك ولا وجدوا منك بداً وأنا آمرك اليوم ان تقيلهما بيعتهما وترد الى الناس أمرهم فان رفضوك رفضتهم وان قبلوك قبلتهم فانى والله قد رأيت الغدر فى رؤسهم وفى وجوههم النكث والكراهية . فقال له على أنا اذاً مثلك لا والله يابنى ولكن أقاتل بمن أطاعنى من عصانى وأيم الله يابنى مازلت مبغيا

على منذ هلك جدك فقال له الحسن وأيم الله يا ابتى ليظهرن عليك معاوية لانه من قتل مظلوما فقد جعل الله لوليه سلطانا فقال على يابنى وما علينا من ظلمه والله ماظلمناه ولا أمرنا ولا نصرنا عليه ولا كتبت فيه الى أحد سواداً فى بياض وانك لتعلم أن أباك أبرأ الناس من دمه ومن أمره فقال له الحسن . دع عنك هذا والله انى لا أظن بل لا أشك أن مابى المدينة عابى ولا عذراء ولا صبى الا وعليه كفل من دمه فقال يابنى أنك لتعلم ان أباك قد رد الناس عنه مرارا أهل الكوفة وغيرهم وقد ارسلناكما جميعا بسيفيكما لتنصرانه وتمونان دونه فنهاكما عن القتال ونهى أهل الدار أجمعين وأيم الله لو أمرنى بالقتال لقاتلت دونه أو أموت بين يديه قال الحسن دع عنك هذا حتى يحكم الله بين عباده يوم القيامة فما كانوا فيه يختلفون . قال ثم دخل المغيرة بن شعبة فقال له على هل لك يامغيرة فى الله قال فأين هو ياأمير المؤمنين قال تأخذ سيفك فتدخل معنا فى هذا الامر فتدرك من سبقك وتسبق من معك فانى أرى اموراً لابد للسيوف ان تشحذ لها وتنطف الرؤس بها فقال المغيرة انى والله ياأمير المؤمنين مارأيت عثمان مصيباً ولا قتله صوابا وانها لمظلمة نتلوها ظلمات فأريد ياأمير المؤمنين ان أذنت لى ان اضع سيفى وانا فى بيتى حتى تنجلى الظلمة ويطلع قمرها فأسرى مبصرين بقفوا آثار المهتدين ونتقى سبيل الجائرين قال على قد أذنت لك فكن من أمرك على مابدالك . فقام عمار فقال معاذ الله يامغيرة تقعد أعمى بعد ان كنت بصيرا يغلبك من غلبته ويسبقك من سبقته أنظر ماترى وماتفعل فاما انا فلا أكون الا فى الرعيل الاول . فقال له المغيرة ياأبا القيظان اياك ان تكون كقاطع السلسلة فر من الضحل فوقع فى الرمضا فقال على لعمار دعه فانه لن يأخذ من الآخرة الا ماخالطته الدنيا اما والله يامغيرة انها لمثوبة المؤيدة تؤدى من قام فيها الى الجنة ولما اختار بعدها فاذا غشيناك فنم فى بيتك فقال المغيرة أنت والله ياأمير المؤمنين اعلم منى ولئن لم أقاتل معك لا أعين عليك فان يكن مافعلت صوابا فاياه أردت وان خطأ فمنه نجوت ولى ذنوب كثيرة لاقبل لى بها الا الاستغفار منها .

خطبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

قال وذكروا ان البيعة لما تمت بالمدينة خرج على الى المسجد الشريف فصعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ووعد الناس من نفسه خيراً وتألفهم بجهده: ثم قال: لا يستغني الرجل وان كان ذا مال وولد عن عشيرته ودفاعهم عنه بايديهم وألسنتهم. هم أعظم الناس حيطة من ورائه والهم سعيه وأعطفهم عليه ان أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الامور ومن يقبض يده عن عشيرته فانه يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيد كثيرة ومن بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله له ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته. واعلموا ان لسان صدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال فلا يزدادن أحدكم كبرياء ولا عظمة في نفسه ولا يغفل أحدكم عن القرابة ان يصلها بالذي لا يزيده ان أمسكه ولا ينقصه ان اهلكه واعلموا ان الدنيا قد أدبرت والآخرة قد أقبلت الا وان المضمار اليوم والسبق غداً الا وان السبقة الجنة والغاية النار الا ان الامل يشهي القلب ويكذب الوعد ويأتي بغفلة ويورث حسرة فهو غرور وصاحبه في عناء فافزعوا الى قوام دينكم واتمام صلاتكم وأداء زكاتكم والنصيحة لامامكم وتعلموا كتاب الله وأصدقوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوفوا بالعهد اذا عاهدتم وأدوا الامانات اذا ائتمنتم وارغبوا ثواب الله وارهبوا عذابه واعلموا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدم الخير

اختلاف الزبير وطلحة على علي كرم الله وجهه

قال وذكروا ان الزبير وطلحة أتيا عليا بعد فراغ البيعة فقالا هل تدري على ما بايعناك يا أمير المؤمنين قال على نعم على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان فقالا لا: ولكنا بايعناك على انا شريكاك في الامر قال على لا ولكنكما شريكان في القول والاستقامة والعون على العجز والاولاد قال وكان الزبير لا يشك في ولاية العراق وطلحة في اليمن فلما استبان لهما ان عليا غير موليهما شيئا أظهرا الشكاة فتكلم الزبير في ملأ من قريش فقال هذا جزاؤنا من علي قمنا له في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس

فى بيته وكفى الامر فلما نال بنا ماأراد جعل دوننا غيرنا فقال طلحة ماالموم الا انا كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه مافى أيدينا ومنعنا مافى يده فاصبحنا قد أخطأنا مارجونا . قال فانتهى قولهما الى على فدعا عبد الله بن عباس وكان استوزره فقال له بلغك قول هذين الرجلين قال نعم بلغنى قولهما قال فما ترى قال أرى انهما أحبا الولاية فول البصرة ابن بير وول طلحة الكوفة فانهما ليسا بأقرب اليك من الوليد وابن عامر من عثمان فضحك على ثم قال ويحك ان العراقين بهما الرجال والاموال ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ويضربا الضعيف بالبلاء ويقويا على النوى بالسلطان ولو كنت مستعملا احداً لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ولولا ماظهر لى من حرصهما على الولاية لكان لى فيهما رأى ثم أتى طلحة والزبير الى على فقالا ياأمير المؤمنين ائذن لنا الى العمرة فان تتم الى انقضائها رجعنا اليك وان تسر نتبعك فنظر اليهما وقال نعم والله ماالعمرة تريدان ان تمضيا الى شأنكما فمضيا

خلاف عائشة رضى الله عنها على على

قال وذكروا أن عائشة لما أتاها انه بويع لعلى وكانت خارجة عن المدينة فقيل لها قتل عثمان وبايع الناس عليا فقالت ماكنت أبالى ان تقع السماء على الارض قتل والله مظلوما وانا طالبة بدمه فقال لها عبيد أن أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لانت ولقد قلت اقتلوا نعثلا فقد فجر فقالت عائشة قد والله قلت، وقال الناس وآخر قولى خير من أوله فقال عبيد عذر والله ضعيف ياأم المؤمنين . ثم قال

منك البداء ومنك الغير * ومنك الرياح ومنك المطر
وانت أمرت بقتل الا ما * م وقلت لنا انه قد فجر
فهبنا أطعناك فى قتله * وقاتله عندنا من أمر

قال فلما أتى عائشة خبر أهل الشام انهم ردوا بيعة على وأبوا ان يبايعوه أمرت فعمل لها هودج من حديد وجعل فيه موضع عينيها ثم خرجت رسمها الزبير وطلحة وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة .

﴿ اعتزال عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة ﴾
﴿ عن مشاهدة على وحروبه ﴾

قال وذكروا ان عمار بن ياسر قام الى على فقال ياأمير المؤمنين ائذن لى آتى عبد الله بن عمر فاكلمه لعله يخف معنا فى هذا الامر فقال على نعم فاتاه فقال له ياأبا عبد الرحمن انه قد بايع عليا المهاجرون والانصار ومن ان فضلناه عليك لم يسخطك وان فضلناك عليه لم يرضك وقد أنكرت السيف فى أهل الصلاة وقد علمت أن على القاتل القتل وعلى المحصن الرجم وهذا يقتل بالسيف وهذا يقتل بالحجارة وان عليا لم يقتل أحداً من أهل الصلاة فيلزمه حكم القاتل فقال ابن عمر ياأبا اليقظان ان أبى جمع أهل الشورى الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فكان احقهم بها على غيرانه جاء أمر فيه السيف ولا اعرفه ولكن والله ماأحب ان لى الدنيا وما عليها وانى أظررت وأضمرت عداوة على قال فانصرف عنه فاخبر علياً بقوله فقال على لو أتيت محمد بن مسلمة الانصارى فأتاه عمار فقال له محمد مرحباً بك ياابا اليقظان على فرقة مابيني و بينك والله لولا مافى يدى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبايعت علياً ولو ان الناس كلهم عليه لكنت معه ولكنه ياعمار كان من النبي أمر ذهب فيه الرأى فتمال عمار كيف . قال قال رسول الله اذا رأيت المسلمين يقتتلون أو اذا رأيت أهل الصلاة فقال عمار فان كان قال لك اذا رأيت المسلمين فوالله لاترى مسلمين يقتتلان بسيفهما ابداً وان كان قال لك أهل الصلاة فمن سمع هذا معك انما انت احد الشاهدين فتريد من رسول الله قولا بعد قوله يوم حجة الوداع : دماؤكم واموالكم عليكم حرام الا بحدث . فتقول يامحمد لا تقاتل المحدثين قال حسبك ياابا اليقظان . قال ثم أتى سعد بن ابى وقاص فكلمه فأظهر الكلام القبيح فانصرف عمار الى على فقال له على: دع هؤلاء الرهط اما ابن عمر فضعيف واما سعد فحسود وذنبى الى محمد بن مسلمة انى قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهود

﴿ هروب مروان بن الحكم من المدينة المنورة ﴾

قال وذكروا ان مروان بن الحكم لما بويع على هرب من المدينة فلحق

بعائشة بمكة فقالت له عائشة ماوراءك فقال مروان غلبنا على أنفسنا فقال له رجل من أهل مكة اياك وعلياً فقد طلبك ففر من بين يديه فقال مروان لم فوالله مايجد الى سبيلا أما هو فقد علمت انه لا يأخذني بظن ولا ينصب على الاليقين وأيم الله ماأبالي اذا قصر على سيفه ماطال على من لسانه فقال الرجل اذا اطال الله عليك لسانه طال سيفه . قال مروان : كلا ان اللسان أدب والسيف حكم

﴿ خروج على من المدينة ﴾

قال وذكروا ان علياً تردد بالمدينة اربعة اشهر ينتظر جواب معاوية وقد كان كتب اليه كتابا بعد كتاب يمنيه ويعده اولا ثم كتاباً يخوفه ويتوعده فحبس معاوية جواب كتابه ثلاثة أشهر ثم أتاه جوابه على غير مايحب فلما أتاه ذلك شخص من المدينة فى تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين والانصار من أهل السوابق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم بشر كثير من اخلاط الناس واستخلف على المدينة قثم بن عباس وكان له فضل وعقل وأمره ان يشخص اليه من احب الشخوص ولا يحمل احداً على ما يكره فخف الناس الى على بعده ومضى معه من ولده الحسن والحسين ومحمد فلما كان فى بعض الطريق أتاه كتاب أخيه عقيل بن أبى طالب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد ياأخى كلا لك الله والله جائرك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه على كل حال وانى خرجت معتمراً فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما وهم متوجهون الى البصرة قداظهروا الخلاف ونكثوا البيعة وركبوا عليك قتل عثمان وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغامهم وأوباشهم ثم مر عبد الله بن أبى سرح فى نحو من اربعين راكباً من أبناء الطلقاء من بنى أمية فقلت لهم وعرفت المنكر فى وجوههم أبمعاوية تلحقون عداوة . والله انها منكم ظاهرة غير مستنكرة تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير أمر الله فاسمعنى القوم وأسمعتهم ثم قدمت مكة فسمعت أهلها يتحدثون ان الضحاك بن قيس اغار على الحيرة واليمامة فأصاب ماشاء من أموالهما ثم انكفأ راجعاً الى الشام فأف لحياة فى زهو جرأ عليك الضحاك وما الضحاك الا فقع بقرقرة فظننت حين بلغنى ذلك ان

انصارك خذلوك فاكتب الى يابن أمى برأيك وامرك فان كنت الموت تريد تحملت اليك بنى أخيك وولد أبيك فعشنا ماعشت ومتنا معك اذا مت فوالله ماأحب ان ابقى بعدك فوالله الاعز الاجل ان عيشاً أعيشه بعدك فى الدنيا لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع والسلام . فكتب اليه على كرم الله وجهه : أما بعد ياأخى فكلأك الله كلاءته من يخشاه انه حميد مجيد قدم على عبد الرحمن الازدى بكتابك تذكر فيه انك لقيت بن أبى سرح فى أربعين من ابناء الطلقاء من بنى أمية متوجهين الى المغرب وابن أبى سرح يا أخى طال ما كاد رسول الله صلى عليه وسلم وصد عن كتابه وسنته و بغاها عوجا فدع ابن أبى سرح وقريشاً وتركاضهم فى الضلال فان قريشاً قد اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم وجهلوا حقى وجحدوا فضلى ونصبوا لى الحرب وجدوا فى اطفاء نور الله اللهم فاجز قريشاً عنى بفعالها فقد قطعت رحمى وظاهرت على وسلبتنى سلطان ابن عمى وسلمت ذلك لمن ليس فى قرابتى وحقى فى الاسلام وسابقتى التي لا يدعى مثلها مدع الا ان يدعى مالا أعرف ولا اظن الله يعرفه والحمد لله على ذلك كثيرا . وأما ماذكرت من غارة الضحاك على الحيرة واليمامة فهو أذل وألأم من ان يكون مر بها فضلا عن الغارة ولكن جاء فى خيل جريدة فسرحت اليه جنداً من المسلمين فلما بلغه ذلك ولى هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق حين همت الشمس للاياب فقتلوا وقتل من اصحابه بضعة عشر رجلا ونجا هارباً بعد ان أخذ منه بالمخنق فلولا الليل مانجا واما ماسألت ان اكتب اليك منه برأيى فان رأيى جهاد المحلين حتي ألقى الله لا يزيدنى كثرة الناس حولى عزة ولا تفرقهم عنى وحشة لانى محق والله مع المحق وما اكره الموت على الحق لان الخير كله بعد الموت لمن عقل ودعا الى الحق . وأما ماتعرضت به من مسيرك الى ببنيك و بنى أبيك فلا حاجة لى فى ذلك فذرهم راشدا مهديا فوالله ماأحب ان تهلكوا معى ان هلكت . وأنا كما قال اخو بنى سليم

فان تسأليني كيف صبرى فانني صبور على ريب الزمان صليب
عزيز على ان أرى بكآبة . فيشمت واش او يساء حبيب

﴿ كتاب أم مسلمة الى عائشة ﴾

قال وذكروا انه لما تحدث الناس بالمدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير ونصبهم الحرب لعلي وتألفهم الناس كتبت أم مسلمة الى عائشة : أما بعد فانك سدة بين رسول الله و بين أمته وحجابك مضروب على حرمته قد جمع القرآن الكريم ذيلك فلا تبذليه وسكن عقيرتك فلا تضيعيه الله من وراء هذه الامة قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد اليك وقد علمت ان عمود الدين لا يثيب بالنساء ان مال ولا يرأب بهن ان انصدع خمرات النساء غض الابصار وضم الذيول ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك باطراف الجبال والفلوات على قعود من الابل من منهل الى منهل ان يعين الله مهواك وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين وقد هتكت حجابه الذى ضرب الله عليك عهيداه ولو أتيت الذى تريدين ثم قيل لى ادخلى الجنة لاستحييت ان ألقى الله هاتكة حجابا قد ضربه على فاجعلى حجابك الذى ضرب عليك حصنك فالغيه منزلا لك حتى تلقيه فان أطوع ما تكونين اذا مالزمته وأصح ما تكونين اذا ماقعدت فيه ولو ذكرتك كلاما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشتنى نهش الحية والسلام . فكتبت اليها عائشة: ما أقبلنى لوعظك واعلمنى بنصحك وليس مسيرى على ماتظنين ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متناجزتين فان أقدر ففى غير حرج وان أحرج فلا غنى بى عن الازدياد منه والسلام

﴿ استنفار عدى بن حاتم قومه لنصرة على رضى الله عنه ﴾

قال وذكروا ان ابن حاتم قام الى على فقال يا أمير المؤمنين لو تقدمت الى قومى أخبرهم بمسيرك واستنفرهم فان لك من طىء مثل الذى معك فقال على نعم فافعل فتقدم عدى الى قومه فاجتمعت اليه رؤساء طىء : فقال لهم : يامعشر طىء انكم امسكتم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشرك ونصرتم الله ورسوله فى الاسلام على الردة وعلى قادم عليكم وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم فخفوا معه وقد كنتم تقاتلون فى الجاهلية على الدنيا فقاتلوا فى الاسلام على الآخرة فان أردتم الدنيا فعند الله مغانم

كثيرة وأنا أدعوكم الى الدنيا والآخرة وقد ضمنت عنكم الوفاء وباهيت بكم الناس فاجيبوا قولى فانكم أعز العرب داراً لكم فضل معاشكم وخيلكم فاجعلوا فضل المعاش للعيال وفضول الخيل للجهاد وقد اظلكم على والناس معه من المهاجرين والبدريين والانصار فكونوا أكثرهم عدداً فان هذا سبيل للحى فيه الغنى والسرور وللقتيل فيه الحياة والرزق فصاحت طىء نعم نعم حتى كاد ان يصم من صياحهم . فلما قدم على طىء أقبل شيخ من طىء قد هرم من الكبر فرفع له من حاجبيه فنظر الى على فقال له أنت ابن أبى طالب ؟ قال نعم . قال مرحباً بك واهلا قد جعلناك بيننا وبين الله وعديا بيننا وبينك ونحن بينه وبين الناس والله لو اتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وايامك الصالحة ولئن كان مايقال فيك من الخير حقاً ان فى أمرك وامر قريش لعجبا اذ اخروك وقدموا غيرك . سر فوالله لا يتخلف عنك من طىء الا عبد اودعى الا باذنك فشخص معه من طىء ثلاثة عشر الف راكب

﴿ استنفار زفر بن زيد قومه لنصرة على ﴾

قال وذكروا ان زفر بن زيد بن حذيفة الاسدى وكان من سادة بنى اسد قام الى على فقال ياأمير المؤمنين ان طياً اخواننا وجيراننا قد اجابوا عديا ولى فى قومى طاعة فاذن لى فآتيهم قال نعم . فأتاهم فجمعهم وقال : يابنى اسد ان عدى بن حاتم ضمن لعلى قومه فاجابوه وقضوا عنه ذمامه فلم يعتل الغنى بالغنى ولا الفقير بالفقر وواسى بعضهم بعضاً حتى كأنهم المهاجرون فى الهجرة والانصار فى الاثرة وهم جيرانكم فى الديار وخلطاؤكم فى الاموال فانشدكم الله لا يقول الناس غداً نصرت طىء وخذلت بنواسد وان الجار يقاس بالجار كالنعل بالنعل فان خفتم فتوسعوا فى بلادهم وانضموا الى جبلهم وهذه دعوة لها ثواب من الله فى الدنيا والآخرة فقام اليه رجل منهم فقال يازفر انك لست كعدى ولا اسد كطىء ارتدت العرب فثبتت طىء على الاسلام وجاد عدى بالصدقة وقاتل بقومه قومك فوالله لو نفرت طىء باجمعها لمنعت رعاؤها دارها ولو ان منعنا اضعافنا خلفنا على دارنا فان كان لا يرضيك منا الا ما ارضى عديا من طىء فليس ذلك عندنا وان

كان يرضيك قدر مايرد عنا عذر الخذلان واثم المعصية فلك ذلك متا فسار معه من اسد جماعة ليست كجماعة طئ حتى قدم بها على على

﴿ توجه عائشة وطلحة والزبير الى البصرة ﴾

قال وذكروا انه لما اجتمع طلحة والزبير وذووهما مع عائشة واجمعوا على المسير من مكة أتاهم عبدالله بن عامر فدعاهم الى النصرة ووعدهم الرجال والاموال فقال سعيد ابن العاصي لطلحة والزبير ان عبدالله بن عامر يدعوكما الى النصرة وقد فر من اهلها فرار العبد الآبق وهم في طاعة عثمان ويريدان يقاتل بهم علياً وهم في طاعة على وخرج من عندهم اميراً ويعود اليهم طريداً وقد وعدكم الرجال والاموال فاما الاموال فعنده واما الرجال فلا رجل فقال مروان بن الحكم ايها الشيخان ما يمنعكما ان تدعوا الناس الى بيعة مثل بيعة على فان اجابوكما عارضتماه ببيعة كبيعته وان لم يجيبوكما عرفتما مالكما في انفس الناس فقال طلحة يمنعنا ان الناس بايعوا علياً بيعة عامة فبم ننقضها ؟ وقال الزبير ويمنعنا ايضاً من ذلك ثاقلنا عن نصرة عثمان وخفتنا الى بيعة على . فقال الوليد بن عتبة ان كنتما اسأتما فقد احسنتما وان كنتما أخطأتما فقد اصبتما واتما اليوم خير منكما امس فقال مروان أما أنا فهواى الشام وهواكما البصرة وانا معكم وان كانت الهلكة فقال سعيد ابن العاصي اما انا فراجع الى منزلي فلما استتام امرهم واجتمعت كلمتهم على المسير قال طلحة للزبير انه ليس شئ انفع ولا ابلغ في استمالة اهواء الناس من ان تشخص لعبد الله بن عمر فاتياه فقولا يا ابا عبد الرحمن ان أمنا عائشة خفت لهذا الامر رجاء الاصلاح بين الناس فاشخص معنا فان لك بها اسوة فان بايعنا الناس فانت احق بها فقال ابن عمر ايها الشيخان أتريدان ان تخرجاني من بيتي ثم تلقياني بين مخالب ابن ابي طالب ؟ ان الناس انما يخدعون بالدينار والدرهم واني قد تركت هذا الامر عياناً في عافية انالها فانصرفا عنه . وقدم يعلى ابن منبه عليهم من اليمن وكان عاملا لعثمان فاخرج اربعمائة بعير ودعا الى الحملان فقال الزبير دعنا من ابلك هذه وأقرضنا من هذا المال فاقرض الزبير ستين الفاً وأقرض طلحة أربعين الفاً ثم سار القوم فقال الزبير الشام بها الرجال والاموال وعليها معاوية وهو ابن عم الرجل ومتى نجتمع يولنا عليه وقال عبدالله بن عامر البصرة

فان غلبتم عليا فلكم الشام وان غلبكم على كان معاوية لكم جنة وهذه كتب اهل البصرة
الى فقال يعلى بن منبه وكان ذاهبا ايها الشيخان قد راقبل ان ترحلا ان معاوية قد
سبقكم الى الشام وفيها الجماعة وانتم تقدمون عليه غداً في فرقة وهو ابن عم عثمان
دونكم أرايتم ان دفعكم عن الشام او قال اجعلها شورى ما أنتم صانعون أتقاتلونه
أم تجعلونها شورى فتخرجا منها وأقبح من ذلك ان تأتيا رجلا في يديه أمر قد
سبقكما اليه وتريدان ان تخرجاه منه فقال القوم فالى أين قال الى البصرة فقال الزبير
لعبدالله بن عامر من رجال البصرة ؟ قال ثلاثة كلهم سيد مطاع كعب بن سور في
اليمن والمنذر بن ربيعة في ربيعة والاحنف بن قيس في البصرة . فكتب طلحة والزبير
الى كعب بن سور : أما بعد فانك قاضي عمر بن الخطاب وشيخ اهل البصرة وسيد
أهل اليمن وقد كنت غضبت لعثمان من الاذى فاغضب له من القتل والسلام .
وكتبنا الى الاحنف بن قيس : أما بعد فانك وافد عمر وسيد مضر وحليم أهل
العراق وقد بلغك مصاب عثمان ونحن قادمون عليك والعيان أشفى لك من الخبر
والسلام . وكتبنا الى المنذر . اما بعد فان أباك كان رئيساً في الجاهلية وسيداً
في الاسلام وانك من أبيك بمنزلة المصلى من السابق يتمال كاد او لحق وقد قتل
عثمان من أنت خير منه وغضب له من هو خير منك والسلام . فلما وصلت
كتبهما الى القوم قام زياد بن مضر والنعمان بن شوال وعزوان فقالوا مالنا
ولهذا الحي من قريش أيريدون ان يخرجونا من الاسلام بعد ان دخلنا فيه
ويدخلونا في الشرك بعد ان خرجنا منه قتلوا عثمان وبايعوا عليا لهم مالهم وعليهم
ماعليهم وكتب كعب بن سور الى طلحة والزبير . أما بعد فانا غضبنا لعثمان
من الاذى والغير باللسان فجاء أمر الغير فيه بالسيف فان يك عثمان قتل ظالماً
فما لكما وله وان كان قتل مظلوما فغيركما اولى به وان كان أمره أشكل على
من شهده فهو على من غاب عنه اشكل . وكتب الاحنف اليهما . اما بعد فانه
لم يأتنا من قبلكم أمر لانشك فيه الا قتل عثمان وأنتم قادمون علينا فان يكن
في العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم والا يكن فيه فضل فليس في ايدينا ولا في
أيديكم ثقة والسلام . وكتب المنذر . أما بعد فانه لم يلحقني بأهل الخير الا ان
أكون خيراً من اهل الشر وانما اوجب حق عثمان اليوم حقه أمس وقد كان بين

اظهركم فخذلتموه فمتى استنبطتم هذا العلم وبدالكم هذا الرأى فلما قرأ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا . ثم غدا مروان الى طلحة والزبير فقال لهما عاودا ابن عمر فلعله ينيب . فعاوداه فتكلم طلحة . فقال . ياأبا عبد الرحمن انه والله لرب حق ضيعناه وتركناه فلما حضر العذر قضينا بالحق وأخذنا بالحظ ان علياً يرى انفاذ بيعة ومعاوية لا يرى ان يبايع له وانا نرى ان نردها شورى فان سرت معنا ومع أم المؤمنين صلحت الامور والا فهى الهلكة . فقال ابن عمر . ان يكن قولكما حقا فقد ضيعت وان يكن باطلا فشر منه نجوت واعلما ان بيت عائشة خير لها من هودجها وانتما المدينة خير لكما من البصرة والذل خير لكما من السيف ولن يقاتل عليا الا من كان خيراً منه وأما الشورى فقد والله كانت فقدم واخرتما ولن يردها الا أولئك الذين حكموا فيها فانا كفيانى انفسكما فانصرفا . فقال مروان استعينا عليه بحفصة فأتيا حفصة فقالت لو اطاعنى اطاع عائشة دعاه فاتركاه وتوجها الى البصرة . وأتاهما عبد الله بن خلف فقال لهما . انه ليس احد من اهل الحجاز كان منه فى عثمان شيء الا وقد بلغ اهل العراق وقد كان منكما فى عثمان من التخليب والتأليب مالا يدفعه جحود ولا ينفعكما فيه عذر واحسن الناس فيكما قولا من ازال عنكما القتل وألزمكما الخذل وقد بايع الناس عليا بيعة عامة والناس لاقوكما غداً فما تقولان . فقال طلحة ننكر القتل ونقر بالخذل ولا ينفع الاقرار بالذنب الا مع الندم عليه ولقد ندمنا على ما كان منا . وقال الزبير بايعنا علياً والسيف على اعناقنا حيث تواثب الناس بالبيعة اليه دون مشورتنا ولم نصب لعثمان خطأ فتجب علينا الدية ولا عمداً فيجب علينا القصاص . فقال عبد الله بن خلف عذركما أشد من ذنبكما قال فتهيأ القوم للمسير فقال طلحة والزبير اسرعوا السير لعلنا نسبق علياً من خلاف طريقه الى البصرة قال وكتب قثم بن عباس الى على يخبره ان طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة وقد استنفروا الناس فلم يخف معهم الا من لا يعتد بمسيره ومن خلفت بعدك فعلى ما تحب . فلما قدم على على كتابه غمه ذلك واعظمه الناس وسقط فى أيديهم فقام قيس بن سعد بن عبادة فقال : ياأمير المؤمنين انه والله ما غمنا بهذين الرجلين كغمنا بعائشة لان هذين الرجلين حلال الدم عندنا لبيعتهما ونكثهما ولان عائشة من علمت مقامها فى الاسلام ومكانها من رسول الله مع فضلها

ودينها وأمومتها منا ومنك ولكنهما يقدمان البصرة وليس كل اهلها لهما وتقدم الكوفة وكل اهلها لك ونسير بحقك الى باطلهم ولقد كنا نخاف ان يسيرا الى الشام فيقال صاحبا رسول الله وأم المؤمنين فيشتد البلاء و تعظم الفتنة فاما اذا أتيا البصرة وقد سبقت اليه طاعتك وسبقوا الى بيعتك وحكم عليهم عاملك ولا والله مامعهما مثل من معك ولا يقدمان على مثل ماتقدم عليه فسر فان الله معك وتتابعت الانصار فقالوا واحسنوا . قال ولما نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس من ارض خيبر اقبل عليهم سعيد بن العاصي على نجيب له فاشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكأ على قوس له سوداء فأتى عائشة فقال لها أين تريدين يا أم المؤمنين قالت اريد البصرة قال وما تصنعين بالبصرة قالت اطلب بدم عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ثم اقبل على مروان فقال له واين تريد أيضاً قال البصرة قال وما تصنع بها قال اطلب قتلة عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ان هذين الرجلين قتلا عثمان « طلحة والزبير » وهما يريدان الامر لا نفسهما فلما غلبا عليه قالا نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة . ثم قال المغيرة بن شعبة . أيها الناس ان كنتم انما خرجتم مع امكم فارجعوا بها خيرا لكم وان كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان وان كنتم تقسم على على شيئاً فبينوا ما تقسمتم عليه أنشدكم الله فتنتين فى عام واحد . فابوا الا ان يمضوا بالناس فلحق سعيد بن العاصي باليمن ولحق المغيرة بالطائف فلم يشهدا شيئاً من حروب الجمل ولا صفين فلما انتهوا الى ماء الحوأب فى بعض الطريق ومعهم عائشة نبحها كلاب الحوأب فقالت لمحمد بن طلحة اى ماء هذا قال هذا ماء الحوأب فقالت ماأراني الا راجعة قال ولم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه : كأني باحداكن قد نبحها كلاب الحوأب واياك ان تكوني انت ياحميراء . فقال لها محمد بن طلحة تقدمي رحمك الله ودعي هذا القول . واتى عبدالله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلفتيه اول الليل واتاها بينة زور من الاعراب فشهدوا بذلك فزعموا أنها اول شهادة زور شهد بها فى الاسلام فلما انتهى اقبالهم على اهل البصرة ودنوا منها قام عثمان بن حنيف عامل البصرة لعلى بن أبى طالب فقال : يأيها الناس انما بايعتم الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد

عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما والله لو علم على ان احداً احق بهذا الامر منه ماقبله ولو بايع الناس غيره لبايع من بايعوا واطاع من ولوا وما به الى احد من صحابة رسول الله حاجة وما باحدعنه غنى ولقد شاركهم فى محاسنهم وما شاركوه فى محاسنه ولقد بايعه هذان الرجلان وما يريد الله فاستعجلا القطام قبل الرضاع والرضاع قبل الولادة والولادة قبل الحمل وطلبا ثواب الله من العباد وقد زعما انهما بايعامستكرهين فان كان استكرهاقبل بيعتهما وكانا رجلين من عرض قريش لهما ان يقولا ولا يأمرا الاوان الهدى ما كانت عليه العامة والعامة على بيعة على فما ترون ايها الناس ؟ فقام حكم بن جبل العبدى : فقال: ترى ان دخلا علينا قاتلناهما وان وقفا تلقيناهما والله ما أبالى ان اقاتلهما وحدى وان كنت احب الحياة وما أخشى فى طريق الحق وحشة ولا غيرة ولا غشاً ولا سوء منقلب الى بعث وانها لدعوة قتيلها شهيد وحيها فائز والتعجيل الى الله قبل الاجر خير من التأخير فى الدنيا وهذه ربيعة معك

﴿ نزول طلحة والزبير وعائشة البصرة ﴾

قال وذكروا ان طلحة والزبير نزلا البصرة قال عثمان بن حنيف تعذر اليهما برجلين فدعا عمران بن الحصين صاحب رسول الله وأبا الاسود الدؤلى فارسلهما الى طلحة والزبير فذهبا اليهما فناديا ياطلحة فأجابهما فتكلم أبو الاسود الدؤلى فقال ياأبا محمد انكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا فى قتله وبايعتم عليا غير مؤامرين لنا فى بيعته فلم نغضب لعثمان اذ قتل ولم نغضب لعلى اذ بويع ثم بدا لكم فأردتم خلع على ونحن على الامر الاول فعليكم المخرج مما دخلتم فيه . ثم تكلم عمران فقال ياطلحة انكم قتلتم عثمان ولم نغضب له اذ لم تغضبوا ثم بايعتم عليا وبايعنا من بايعتم فان كان قتل عثمان صواباً فسيركم لماذا وان كان خطأ فحظكم منه الاوفر ونصيبكم منه الاوفى : فقال طلحة ياهذان ان صاحبكما لايرى ان معه فى هذا الامر غيره وليس على هذا بايعناه وأيم الله ليسفكن دمه : فقال أبو الاسود ياعمران أما هذا فقد صرح انه انما غضب للملك . ثم أتيا الزبير فقالا ياأبا عبد الله انا أتينا طلحة قال الزبير ان طلحة ورايى كروح فى جسدين وانه والله ياهذان قد كانت منا فى عثمان فلتات

احتجنافها الى المعاذير ولو استقبلنا من أمرنا ماستدبرنا نصرناه ثم أتيا فدخلا على عائشة فقالا يا أم المؤمنين ماهذا المسير أمعك من رسول الله به عهد قالت: قتل عثمان مظلوما غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل فقال أبو الاسود وما أنت من عصانا وسيفنا وسوطنا فقالت يا أبا الاسود بلغني ان عثمان بن حنيف يريد قتالي فقال أبو الاسود نعم والله قتالا اهونه نندرمنه الرؤس . واقبل غلام من جهينة الى محمد بن طلحة فقال حدثني عن قتلة عثمان قال نعم دم عثمان على ثلاث اثلاث ثلث على صاحبة الهودج وثلث على صاحب الجمل الاحمر وثلث على على بن أبي طالب فضحك الجهيني ولحق بعلي بن أبي طالب و بلغ طلحة قول ابنه محمد وكان محمد من عباد الناس فقال له يا محمد ازعمت عنا قولك انى قاتل عثمان كذلك تشهد على ابيك كن كعبد الله ابن الزبير فوالله ما أنت بخير منه ولا أبوك بدون أبيه كف عن قولك والا فارجع فان نصرتك نصرة رجل واحد وفسادك فساد عامة فقال محمد ماقلت الا حقاً ولن أعود .

﴿ نزول علي بن أبي طالب الكوفة ﴾

قال وذكروا ان علياً لما نزل قريبا من الكوفة بعث عمار بن ياسر ومحمد ابن أبي بكر الى أبي موسى الاشعري وكان أبو موسى عاملا لعثمان على الكوفة فبعثهما على اليه والى أهل الكوفة يستفزهم فلما قدما عليه قام عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر فدعوا الناس الى النصرة لعلي فلما امسوا دخل رجال من أهل الكوفة على أبي موسى فقالوا ماترى اتخرج مع هذين الرجلين الى صاحبيهما ام لا ؟ فقال ابو موسى : اما سبيل الآخرة ففي ان تلزموا بيوتكم واما سبيل الدنيا فالخروج مع من أتاكم فأطاعوه فتباطأ الناس على علي و بلغ عماراً ومحمداً ما أشار أبو موسى على أولئك الرهط فأتياه فاغلظا له في القول قال أبو موسى ان بيعة عثمان في عنقي وعنق صاحبكم ولئن اردنا القتال مالنا الى قتال أحد من سبيل حتى نفرغ من قتلة عثمان . ثم خرج أبو موسى فصعد المنبر ثم قال: أيها الناس ان أصحاب رسول الله الذين صحبوه في المواطن اعلم بالله و رسوله ممن لم يصحبه وان لكم حقاً على أؤديه اليكم . ان هذه الفتنة النائم فيها خير من

اليقظان والقاعد خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي والساعي خير من الراكب فاغمدوا سيوفكم حتي تنجلي هذه الفتنة . فقام عمار بن ياسر فحمد الله واثنى عليه ثم قال أيها الناس ان أبا موسى ينهاكم عن الشخوص الى هاتين الجماعتين ولعمري ماصدق فيما قال وما رضي الله من عباده بما ذكر . قال الله عزوجل: «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتي تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا» وقال : «وقاتلوهم حتي لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله» فلم يرض من عباده بما ذكر أبو موسى من ان يجلسوا في بيوتهم ويخلوا بين الناس فيسفك بعضهم دماء بعض فسيروا معنا الى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم وانظروا من أولى بالنصرة فاتبعوه فان أصلح الله أمرهم رجعتم ماجورين وقد قضيتم حق الله وان بغى بعضهم على بعض نظرتم الى الفئة الباغية فقاتلتموها حتى تفيء الى أمر الله كما أمركم الله وافترض عليكم ثم قعد. فلما انصرفا الى علي من عند ابي موسى واخبراه بما قال أبو موسى بعث اليه الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد وكتب معهم الى أهل الكوفة : أما بعد فاني اخبركم عن أمر عثمان حتي يكون سامعه كمن عاينه ان الناس طعنوا على عثمان فكنت رجلا من المهاجرين أقل عيبه واكثر استعتابه وكان هذان الرجلان طلحة والزبير اهون سيرهما فيه اللهجة والوجيف وكان من عائشة فيه قول على غضب فانتحى له قوم فقتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين وهما أول من بايعني على مابويع عليه من كان قبلي ثم استأذنا الى العمرة فأذنت لهما فنقضا العهد ونصبا الحرب واخرجا أم المؤمنين من بيتها ليتخذها فتنة وقد سارا الى البصرة اختياراً لاهلها ولعمري ماايای يجيبون ماتحيبون الا الله . وقد بعثت ابني الحسن وابن عمي عبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد فكونوا عند ظننا بكم والله المستعان . فسار الحسن ومن معه حتى قدموا الكوفة على أبي موسى فدعوه الى نصرة علي فبايعهم ثم صعد أبو موسى المنبر وقام الحسن أسفل منه فدعاهم الى نصرة علي واخبرهم بقرابته من رسول الله وسابقته وبيعة طلحة والزبير اياه ونكثهما

عهده وأقرأهم كتاب على فقام شريح بن هانئ فقال لقد أردنا ان نركب الى المدينة حتى نعلم قتل عثمان فقد اتانا الله به فى بيوتنا فلا تخالفوا عن دعوته والله لو لم يستنصر بنا لنصرناه سمعاً وطاعة ثم قام الحسن بن على : فقال : أيها الناس انه قد كان من مسير أمير المؤمنين على بن أبى طالب ماقد بلغكم وقد أتيناكم مستنفرين لانكم جبهة الانصار ورؤس العرب وقد كان من نقض طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة مابلغكم وتعلمون ان وهن النساء وضعف رأيهن الى التلاشى ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء وأيم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوت أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والانصار كفاية فانصروا الله ينصركم ثم قام عمار بن ياسر فقال ياأهل الكوفة ان كان غاب عنكم انباؤنا فقد انتهت اليكم أمورنا ان قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله الى الناس ولا ينكرون ذلك وقد جعلوا كتاب الله بينهم وبين محاجبهم . فيه أحيا الله من أحيا وأمات من أمات . وان طلحة والزبير كانا أول من طعن وآخر من أمر وكانا أول من بايع علياً فلما أخطأهما ما أملاه نكثا بيعتهما من غير حدث وهذا ابن بنت رسول الله الحسن قد عرفتموه وقد جاء يستنفركم وقد أظلكم على فى المهاجرين والبدريين والانصار الذين تبوؤا الدار والايمان فانصروا الله ينصركم . ثم قام قيس بن سعد : فقال : أيها الناس ان الامر لو استقبل به أهل الشورى كان على أحق بها وكان قتال من أبى ذلك حلالا فكيف والحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه رغبة وخلعاه حسداً وقد جاءكم المهاجرين والانصار .

﴿ دخول طلحة والزبير وعائشة البصرة ﴾

قال وذكروا انه لما نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة اصطف لها الناس فى الطريق يقولون ياأم المؤمنين ماالذى أخرجك من بيتك فلما أكثروا عليها تكلمت بلسان طلق وكانت من أبلغ الناس فحمدت الله واثنت عليه . ثم قالت : أيها الناس والله مابلغ من ذنب عثمان ان يستحل دمه ولقد قتل مظلوما . غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل وان من الرأى ان تنظروا الى قتلة عثمان فيقتلوا به ثم يرد هذا الامر شورى على ماجعله عمر

ابن الخطاب . فمن قائل يقول صدقت وآخر يقول كذبت فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتى ضرب بعضهم وجوه بعض فبينما هم كذلك أتاهم رجل من اشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة فى التأليب على قتل عثمان فقال لطلحة هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما ردك على ما كنت عليه وكنت أمس تكتب الينا تؤلبنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا الى الطلب بدمه وقد زعمتما ان علياً دعا كما الى ان تكون البيعة لكما قبله اذ كنتما أسن منه فأبيتما الا ان تقدماه لقرابته وسابقته فبايعتماه فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذى عرض عليكما قال طلحة دعانا الى البيعة بعد ان اغتصبها وبايعه الناس فعلمنا حين عرض علينا انه غير فاعل ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والانصار وخفنا ان نرد بيعته فنقتل فبايعناه كارهين قال فما بدا لكما فى عثمان قال ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا اياه لم نجد من ذلك مخرجاً الا الطلب بدمه . قال ما تأمرانى به قال بايعنا على قتال على ونقض بيعته قال أرأيتما ان أتانا بعدكما من يدعونا الى ما تدعون اليه ما نصنع ؟ قالا لا تبايعه قال ما أنصفتما أتأمرانى ان اقاتل علياً وانقض بيعته وهى فى اعناقكما وتنهيانى عن بيعة من لا بيعة له عليكما اما اننا فقد بايعنا عليا فان شئتما بايعنا كما بيسار أيدينا . قال ثم تفرق الناس فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير ثم جاء جارية ابن قدامة فقال : يا أم المؤمنين لقتل عثمان كان أهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون انه كانت لك من الله تعالى حرمة وسترفهتكت سترك وأبحت حرمتك انه من رأى قتالك فقد رأى قتلك فان كنت يا أم المؤمنين اتيتينا طائعة فارجعى الى منزلك وان كنت أتيتينا مستكرهة فاستعتبى

﴿ قتل أصحاب عثمان بن حنيف عامل على على البصرة ﴾

قال وذكروا انه لما اختلف القوم اصطلحوا على ان لعثمان بن حنيف دار الامارة ومسجدها وبيت المال وان ينزل أصحابه حيث شاؤا من البصرة وان ينزل طلحة والزبير وأصحابهما حيث شاؤا حتى يقدم على فان اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس وان يتفرقوا يلحق كل قوم باهوائهم عليهم بذلك عهد الله وميثاقه وذمة نبيه وأشهدوا شهوداً من الفريقين جميعاً فانصرف

عثمان فدخل دار الامارة وأمر أصحابه أن يلحقوا بمنازلهم و يضعوا سلاحهم وافترق الناس وكتموا مافى أنفسهم غير بنى عبد القيس فانهم أظهروا نصرة على وكان حكيم بن جبل رئيسهم فاجتمعوا اليه فقال لهم : يامعشر عبد القيس ان عثمان بن حنيف دمه مضمون وامانته مؤداة وأيم الله لو لم يكن على أميراً لمنعناه لمكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف له الولاية والجوار فاشخصوا بانصاركم وجاهدوا العدو فاما ان تموتوا كراماً واما ان تعيشوا أحراراً فمكث عثمان بن حنيف فى الدار اياماً ثم ان طلحة والزبير ومروان بن الحكم أتوه نصف الليل فى جماعة معهم فى ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم فقتلوا أربعين رجلاً من الحرس فخرج عثمان بن حنيف فشد عليه مروان فأسره وقتل أصحابه فأخذه مروان فنتف لحيته ورأسه وحاجبيه فنظر عثمان بن حنيف الى مروان فقال اما انك ان فتنى بها فى الدنيا لم تفتنى بها فى الآخرة

﴿ تعبئة الفئتين للقتال ﴾

وذكروا انه لما تعبا القوم للقتال فكانت الحرب للزبير وعلى الخيل طلحة وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير وعلى القلب محمد بن طلحة وعلى المقدمة مروان وعلى رجال الميمنة عبد الرحمن بن عبادة وعلى الميسرة هلال بن وكيع فلما فرغ الزبير من التعبئة قال : أيها الناس وطنوا انفسكم على الصبر فانه يلقا كم غدا رجل لامثل له فى الحرب ولا شبيه ومعه شجعان الناس فلما بلغ عليا تعبئة القوم عبأ الناس للقتال فاستعمل على المقدمة عبدالله بن عباس وعلى الساقة هند المرادى وعلى جميع الخيل عباس بن ياسر وعلى جميع الرجالة محمد بن أبى بكر ثم كتب الى طلحة والزبير . اما بعد فقد علمتما انى لم أرد الناس حتى أرادونى ولم أبايعهم حتى بايعونى وانكما لممن أراد و بايع وان العامة لم تبايعنى لسلطان خاص فان كنتما بايعتمانى كارهين فقد جعلتما لى عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية وان كنتما بايعتمانى طائعين فارجعا الى الله من قريب انت يا زبير لقارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوارية وانك ياطلحة لشيخ المهاجرين وان دفاعكما هذا الامر قبل ان تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما انى قتلت عثمان فبينى و بينكما فيه

بض من تخلف عني وعنكما من اهل المدينة وزعمتما انى آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا في طاعتي ثم يخاصموا الى قتلة أبيهم وما انا وعثمان ان كان قتل ظالماً او مظلوماً ولقد بايعتماني وانتما بين خصلتين قبيحتين نكث بيعتكما واخراجكما أمكما . وكتب الى عائشة : اما بعد فانك خرجت غاضبة لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعا مابال النساء والحرب والاصلاح بين الناس تطلبين بدم عثمان ولعمري لمن عرضك للبلاء وحملك على المعصية أعظم اليك ذنبا من قتلة عثمان وما غضبت حتي اغضبت وما هجت حتي هيجت فاتق الله وارجعي الى بيتك . فاجابه طلحة والزبير انك سرت مسيرا لك مابعده ولست راجعاً وفي نفسك منه حاجة فامض لامرك اما انت فلست راضيا دون دخولنا في طاعتك ولسنا بداخلين فيها أبدا فاقض ماانت قاض . وكتبت عائشة . جل الامر عن العتاب والسلام . قال ورجعت رسل علي من البصرة فمنهم من اجابه واتاه ومنهم من لحق بعائشة وطلحة والزبير وبعث الاحنف بن قيس الى علي . ان شئت أتيتك في مائتي رجل من أهل بيتي وان شئت كففت عنك أربعة آلاف سيف فأرسل اليه على بل كف عني أربعة آلاف سيف وكفى بذلك ناصرا . فجمع الاحنف بني تميم فقال . يامعشر بني تميم ان ظهر اهل البصرة فهم اخوانكم وان ظهر علي فلم يهيجكم وكنتم قد سلمتم . فكف بنو تميم ولم يخرجوا الى احد الفريقين . قال ولما كتب علي الى طلحة والزبير أتى زمعة بن الاسود الى طلحة والزبير فقال لهما ان علياقد أكثر اليكما الرسل كأنه طمع فيكما وأطمعتماه في انفسكما فاتقيا الله ان كنتما بايعتماه طائعين واتقيا الله علينا وعلى انفسكما فان اللبن في الضرع ومتى يحلب لايرجع وان كنتما بايعتماه مكرهين فاخرقا هذا الوطب وادفعاهذا اللبن فما أغنانا عن هذه الكتب والرسل . قال فخرج طلحة والزبير وعائشة وهي على جمل عليه هودج قد ضرب عليه صفائح الحديد فبرزوا حتي خرجوا من الدور ومن قفنية البصرة فلما تواقفوا للقتال امر علي مناديا ينادي في أصحابه لايرمين أحد سهما ولا حجرا ولا يطعن برمح حتي أعذر الى القوم فاتخذ عليهم الحجة البالغة قال فكلم علي طلحة والزبير قبل القتال فقال لهما استحلفا عائشة بحق المشورة

رسوله عليها اربع خصال ان تصدق فيها . هل تعلم رجلا من قريش اولى مني بالله ورسوله واسلامي قبل كافة الناس اجمعين وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي وعلى براءتي من دم عثمان وعلى انى لم استكره احداً على بيعة وعلى انى لم اكن احسن قولا فى عثمان منكما . فأجابه طلحة جواباً غليظا وردّ له الزبير ثم رجع على الى اصحابه فقالوا ياأمير المؤمنين بم كلمت الرجلين فقال على ان شأنهما لمختلف اما الزبير فقاده اللجاج ولن يقاتلكم واما طلحة فسألته عن الحق فأجابني بالباطل ولقيته باليقين ولقيني بالشك فوالله ما نفعه حق ولا ضرني باطله وهو مقتول غداً فى الرعيل الاول . قال ثم خرج على على بغلة رسول الله الشهباء بين الصفين وهو حاسر فقال ابن الزبير فخرج اليه حتي اذا كانا بين الصفين اعتنق كل واحد منهما صاحبه وبكيا ثم قال على ياعبد الله ماجاء بك ههنا قال جئت أطلب دم عثمان . قال على تطلب دم عثمان قتل الله من قتل عثمان أنشدك الله ياز بير هل تعلم انك مررت بى وانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على يدك فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك الى ثم التفت اليك فقال لك ياز بير انك تقاتل علياً وأنت له ظالم قال اللهم نعم قال على فهلى م تقاتلنى قال الزبير نسيتها والله ولو ذكرتها ماخرجت اليك ولا قاتلتك فانصرف على الى اصحابه فقالوا ياأمير المؤمنين مررت الى رجل فى سلاحه وانت حاسر قال على . اندرون من الرجل ؟ قالوا لا قال ذلك الزبير بن صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد اعطى الله عهداً انه لا يقاتلكم انى ذكرت له حديثاً قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو ذكرته ماأتيتك . فقالوا الحمد لله ياأمير المؤمنين ما كنا نخشى فى هذا الحرب غيره ولا نتقى سواه انه لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ومن عرفت شجاعته و باسه ومعرفته بالحرب فاذقد كفاناه الله فلا نعد من سواه الا صرعى حول الهودج .

﴿ رجوع الزبير عن الحرب ﴾

قال وذكروا ان الزبير دخل على عائشة فقال : ياأماه ماشهدت موطنا قط فى الشرك ولا فى الاسلام الا ولى فيه رأى و بصيرة غير هذا الموطن فانه لا رأى لى فيه ولا بصيرة وانى لعلى باطل . قالت عائشة يا أبا عبد الله خفت سيوف بنى عبد المطلب فقال

اما والله ان سيوف بني عبد المطلب طوال حداد يحملها فتية انجاد ثم قال لابنه عبد الله عليك بحربك اما انا فراجع الى بيتي فقال له ابنه عبد الله : الآن حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان والله لا نغسل رؤسنا منها فقال الزبير لابنه لا تعد هذا مني جبناً فوالله ما فارقت احداً في جاهلية ولا اسلام قال فما يردك قال يردني ما ان علمته كسرك . فقام بأمر الناس عبد الله بن الزبير

﴿ قتل الزبير بن العوام ﴾

قال وذكروا ان الزبير لما انصرف راجعاً الى المدينة أتاه ابن جرموز فنزل به فقال يا أبا عبد الله أحييت حربا ظالما أو مظلوما ثم تنصرف أنائب أنت أم عاجز ؟ فسكت عنه ثم عاوده فقال له يا أبا عبد الله حدثني عن خصال خمس أسألك عنها فقال هات قال خذلك عثمان و بيعتك علياً واخراجك أم المؤمنين وصلاتك خلف ابنك و رجوعك عن الحرب . فقال الزبير نعم أخبرك : أما خذلي عثمان فأمر قدر الله فيه الخطيئة وأخر التوبة واما بيعتي علياً فوالله ما وجدت من ذلك بداً حيث بايعه المهاجرون والانصار وخشيت القتل واما اخراجنا امنا عائشة فأردنا أمراً وأراد الله غيره واما صلاتي خلف ابني فانما قدمته عائشة أم المؤمنين ولم يكن لي سوى صاحبي أمر واما رجوعي عن هذا الحرب فظن بي ما شئت غير الجبن فقال ابن جرموز والهفاه على ابن صفيه أضرمها ناراً ثم أراد ان يلحق بأهله قتلني الله ان لم أقتله . ثم أتاه فقال له يا أبا عبد الله كالمستنصح له : ان دون أهلك فيافي فخذ نجيبي هذا وخل فرسك ودرعك فانهما شاهدان عليك بما تكره فقال الزبير انظر في ذلك ليلتي ثم الح عليه في فرسه ودرعه فلم يزل حتى أخذهما منه وانما أراد ابن جرموز ان يلقاه حاسراً لما علم بأسه ثم أتى ابن جرموز الاحنف بن قيس فساره بمكان الزبير عنده و بقوله فقال له الاحنف اقتله قتله الله مخادعا . وأتى الزبير رجل من كلب فقال له يا أبا عبد الله أنت لي صهر وابن جرموز لم يعتزل هذا الحرب مخافة الله ولكنه كره ان يخالف الاحنف وقد ندم الاحنف على خذله علياً ولعله ان يتقرب بك اليه وقد أخذ منك درعك وفرسك وهذا تصديق ماقلت لك فبت عندي الليلة ثم اخرج بعد نومه فانك ان فتهم لم يطلبوك

فتهاون بقوله ثم بدا له فقال له فما ترى ياأخا كاب قال أرى ان ترجع الى فرسك ودرعك فتأخذهما فان احداً من الناس لا يقدم عليك وأنت فارس أبداً فاصبح الزبير عاريا وسار معه ابن جرموز وقد كفر على الدرع فلما انتهى الى وادى السباع استغفله فطعنه ثم رجع برأسه وسلبه الى قومه فقال له رجل من قومه يا ابن جرموز فضحت والله اليمن بأسرها قتلت الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته والله لو قتلته فى حرب لعز ذلك علينا ولمسنا عارك فكيف فى جوارك وذمتك والله لا يزيدك على على ان يبشرك بالنار فغضب ابن جرموز وقال والله ماقتلته الا له ووالله ما أخاف فيه قصاصاً ولا أرهب فيه قرشياً وان قتله على لهين .

﴿ مخاطبة على لطلحة بين الصفين ﴾

قال وذكروا ان علياً نادى طلحة بعد انصراف الزبير فقال له ياأبا محمد ماجاء بك قال اطلب دم عثمان قال على قتل الله من قتله قال طلحة فهل بيننا و بين من قتل عثمان أما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يحل دم المؤمن فى أربع خصال زان فيرجم أو محارب لله أو مرتد عن الاسلام أو مؤمن يقتل مؤمنا عمداً فهل تعلم ان عثمان أتى شيا من ذلك فقال على لا قال طلحة فأنت أمرت بقتله قال على اللهم لا قال طلحة فاعتزل هذا الامر وتجعله شورى بين المسلمين فان رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس وان رضوا غيرك كنت رجلا من المسلمين قال على أو لم تبايعنى ياأبا محمد طائعاً غير مكره فما كنت لاترك بيعتى قال طلحة بايعتك والسيف على عنقى قال ألم تعلم انى ما أكرهت أحداً على البيعة ولو كنت مكرهاً أحداً لاكرهت سعداً وابن عمر ومحمد بن مسلمة . أبوا البيعة واعتزلوا فتركتهم قال طلحة كنا فى الشورى ستة فمات اثنان وقد كرهناك ونحن ثلاثة قال على انما كان لكما ان لا ترضيا قبل الرضى وقبل البيعة وأما الآن فليس لكما غير مارضيتما به الا ان تخرجا مما بويعت عليه بحدث فان كنت أحدثت حدثا فسموه لى وأخرجتم أم كم عائشة وتركتم نساءكم فهذا أعظم الحدث منكم أرضى هذا لرسول الله ان تهتكوا ستراً ضربه عليها وتخرجوها منه فقال طلحة انما جاءت للاصلاح قال على

هى لعمر الله الى من يصلح لها أمرها أحوج ايها الشيخ اقبل النصح وارض بالتوبة مع العار قبل ان يكون العار والنار

التحام الحرب

قال وذكروا انه بينما كان الناس وقوف اذ رمى رجل من اصحاب على فجيء به الى على فقالوا يا أمير المؤمنين هذا اخونا قد قتل فقال على أعذروا الى القوم فقال عبد الرحمن بن أبى بكر الى متى قد والله أعذرنا واعذرت ان كنت تريد الاعذار والله لتأذنن لنا فى لقاء القوم اولننصرفن . الى متي نستهدف نحورنا للقتال والسلاح يقتلوننا رجلا رجلا فقال على قد والله ارانا اعذرنا أين محمد ابنى فقال ها انذا فقال أى بنى خذ الراية فابتدر الحسن والحسين ليأخذاها فأخرهما عنها وكان على يؤخرهما شفقة عليهما فأخذ محمد الراية ثم قام على فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسها ثم قال احزمونى فحزم بعمامة اسفل من سرته ثم خرج وكان عظيم البطن فقال لابنه تقدم وتضعضع الناس حين سمعوا به قد تحرك فبينما هم كذلك اذ سمعوا صوتا فقال على ورفع بصره الى السماء لعن الله قتلة عثمان فى السهل والجبل . وقد كان على عبأ الناس اثلاثا فجعل مضر قلب العسكر واليمن ميمنته وربيعة ميسرته وعبأ اهل البصرة مثل ذلك فاقتتل القوم قتالا شديداً فهزمت يمن البصرة يمن على وهزمت ربيعة البصرة ربيعة على قال حية بن جهين نظرت على وهو يخفق نعاساً فقلت له تالله ما رأيت كاليوم قط ان بازائنا لمائة الف سيف وقد هزمت ميمنتك وميسرتك وانت تخفق نعاساً فانتبه ورفع يديه وقال اللهم انك تعلم انى ما كتبت فى عثمان سواداً فى بياض وان الزبير وطلحة ألبا وأجلبا على الناس اللهم أولانا بدم عثمان فخذه اليوم . ثم تقدم على فنظر الى اصحابه يهزمون ويقتلون فالتفت نظر الى ذلك صاح بابنه محمد وسلمه الراية ان اقتحم فأبطأ وثبت فأتى على من خلفه فضربه بين كتفيه وأخذ الراية من يده ثم حمل فدخل عسكرهم وان الميمنتين والميسرتين تضربان فى احداهما عمار وفى الاخرى عبد الله بن عباس ومحمد بن أبى بكر قال فشق على فى عسكر القوم يطعن ويقتل ثم خرج وهو يقول ايها الناس فأتاه رجل بماء وتمر فيه عسل فقال له يا أمير المؤمنين اما الماء فانه لا يصلح لك فى هذا الوقت ولكن أفوقك هذا العسل فقال هات فحسا منه

حسوة ثم قال ان عسلك لطائني قال الرجل لعجبا منك والله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائني من غيره في هذا اليوم وقد بلغت القلوب الحناجر فقال له على انه والله يابن أخي ماملأ صدر عمك شيء قط ولا هابه شيء ثم اعطى الراية لابنه وقال هكذا فاصنع فتقدم محمد بالراية ومعه الانصار حتى انتهى الى الجمل والهودج وهزم ما يليه فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالا شديداً حتى كانت الواقعة والضرب على الركب وحمل الاشتر النخعي وهو يريد عائشة فلقيه عبدالله بن الزبير فضربه الاشتر واعتنقه عبدالله فصرعه وقعد على صدره ثم نادى عبدالله : اقتلوني ومالكا . فلم يدر الناس من مالك فانفلت الاشتر منه فلما رأى كعب بن سور الهزيمة أخذ بخطام البعير ونادى أيها الناس الله الله فقاتل وقاتل الناس معه وعطفت الازد على الهودج . واقبل على وعمار والاشتر والانصار معهم يريدون الجمل فاقتتل القوم حوله حتى حال بينهم الليل وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيام وان عليا خرج اليهم بعد سبعة أيام فهزمهم فلما رأى طلحة ذلك رفع يديه الى السماء وقال اللهم ان كنا قد داهنا في أمر عثمان وظلمناه فخذله اليوم منا حتى ترضى . قال فما مضى كلامه حتى ضربه مروان ضربة أتى منها على نفسه فخر وثبت عائشة وحماها مروان في عصابة من قيس ومن كنانة وبني أسد فأحدق بهم علي بن أبي طالب ومال الناس الى علي وكلما وثب رجل يريد الجمل ضربه مروان بالسيف وقطع يده حتى قطع نحو عشرين يداً من أهل المدينة والحجاز والكوفة حتى أتى مروان من خلفه فضرب ضربة فوقع وعرقب الجمل الذي عليه عائشة وانهزم الناس واسرت عائشة وأسر مروان بن الحكم وعمر بن عثمان وموسى بن طلحة وعمرو بن سعيد ابن العاصي فقال عمار لعلي يا أمير المؤمنين اقتل هؤلاء الاسرى فقال علي لا أقتل أسير أهل القبلة اذا رجع ونزع فدعا على بموسى بن طلحة فقال الناس هذا أول قتيل يقتل فلما أتى به علي قال تبايع وتدخل فيما دخل فيه الناس قال نعم فبايع وبايع الجميع وخلى سبيلهم وسأل الناس عليا ما كان عرض عليهم قبل ذلك فأعطاه ثم أمر المنادي فنادى لا يقتلن مدبر ولا يجهز على جريح ولكم ما في عسكرهم وعلى نسائهم العدة وما كان لهم من مال في اهليهم فهو ميراث على فرائض الله فقام رجل فقال يا أمير المؤمنين كيف تحل لنا اموالهم ولا تحل لنا نساؤهم ولا أبناؤهم

فقال لايحل ذلك لكم فلما أكثروا عليه فى ذلك قال اغترعوا هاتوا بسهامكم ثم قال أيكم يأخذ أمكم عائشة فى سهمه فقالوا نستغفر الله فقال وأنا أستغفر الله قال ثم ان عليا مر بالقتلى فنظر الى محمد بن طلحة وهو صريع فى القتلى وكان يسمى السجاد لما بين عينيه من أثر السجود فقال : رحمك الله يامحمد لقد كنت فى العبادة مجتهداً آناء الليل قواما وفى الحرور صواما ثم التفت الى من حوله فقال هذا رجل قتله برأيه فاختلفوا فى طلحة وابنه محمد أيهما قتل قبل فشهدت عائشة لمحمد انها رأته بعد قتل أبيه فورثوا ولده فى مال طلحة . قال وأتى محمد بن أبى بكر فدخل على اخته عائشة رضى عنها قال لها اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول : على مع الحق والحق مع على ثم خرجت تقاتلينه بدم عثمان ، ثم دخل عليهما على فسلم وقال ياصاحبة الهودج قد أمرك الله ان تقعدى فى بيتك ثم خرجت تقاتلين أترتحلى قالت ارتحل فبعث معها على رضى الله عنه أربعين امرأة وأمرهن ان يلبسن العمائم وتقلدن السيوف وان يكن من الذين يلينها ولا تطلع على انهن نساء فجعلت عائشة تقول فى الطريق فعل الله فى ابن أبى طالب وفعل بعث معى الرجال فلما قدمن المدينة وضعن العمائم والسيوف ودخلن عليها فقالت جزى الله ابن أبى طالب الجنة . قال ودفن طلحة فى ساحة البصرة فأتى عائشة فى المنام فقال حولينى من مكانى فان البرد قد آذانى فحولته . وقال عبدالله بن الزبير أمسيت يوم الجمل وفى بضع وثلاثون بين ضربة وطعنة وما رأيت مثل يوم جرحا الجمل قط ماينهزم منا احد ولا يأخذ احد منا بخطام الجمل الا قتل او قطعت يده حتى ضاع الخطام من يد بنى ضبة فعقر الجمل . قال دخل موسى بن طلحة على على فقال له على : انى لأرجوا ان اكون انا وابوك ممن قال الله فيهم « ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين » وامسى على بالبصرة ذلك اليوم الذى أتاه فيه موسى بن طلحة فقال ابن الكواء أمسيت بالبصرة يا أمير المؤمنين فقال كان عندى ابن أخى قال ومن هو قال موسى بن طلحة فقال ابن الكواء لقد شقينا ان كان ابن أخيك . فقال على ويحك ان الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم . ثم قال ابن الكواء ياأمير المؤمنين من اخبرك بذلك هذا الذى سرت فيه تضرب الناس بعضهم ببعض وتستولى بالامر

عليهم أرأى رأيته حين تفرقت الامة واختلفت الدعوة فرأيت انك أحق بهذا الامر منهم لقرابتك فان كان رأيا رأيته أجبناك فيه وان كان عهداً عهده اليك رسول الله فانت الموثوق به المأمون على رسول الله فيما حدثت عنه فقال على أنا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه اما ان يكون عندى عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا والله ولكن لما قتل الناس عثمان نظرت فى امرى فاذا الخليفتان اللذان أخذاها من رسول الله قد هلكا ولا عهد لهما واذا الخليفة الذى أخذها بمشورة المسلمين قد قتل وخرجت رقبته من عنقى لانه قتل ولا عهد له . قال ابن الكواء صدقت وبررت ولكن ما بال طلحة والزبير ولم استحلات قتالهما وقد شاركاك فى الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الشورى مع عمر بن الخطاب ؟ قال على : بايعانى بالحجاز ثم خالفانى بالعراق فقاتلتهما على خلافهما ولو فعلا ذلك مع أبى بكر وعمر لقاتلاهما .

﴿ مبايعة أهل الشام بالخلافة معاوية ﴾

قال وذكروا ان النعمان بن بشير لما قدم على معاوية بكتاب زوجة عثمان تذكر فيه دخول القوم عليه وما صنع محمد بن أبى بكر من نتف لحيته فى كتاب رققت فيه وأبلغت حتى اذا سمعه السامع بكى حتى يتصدع قلبه و بقميص عثمان مخضباً بالدم ممزقاً وعقدت شعر لحيته فى زر القميص . قال فصعد المنبر معاوية بالشام وجمع الناس ونشر عليهم القميص وذكر ما صنعوا بعثمان فبكى الناس وشهقوا حتى كادت نفوسهم أن تزهق ثم دعاهم الى الطلب بدمه فقام اليه أهل الشام فقالوا هو ابن عمك وأنت وليه ونحن الطالبون معك بدمه فبايعوه أميراً عليهم وكتب و بعث الرسل الى كور الشام وكتب الى شرحبيل ابن السمط الكندى وهو بحمص يأمره ان يبايع له بحمص كما بايع أهل الشام فلما قرأ شرحبيل كتاب معاوية دعا أناساً من أشراف أهل حمص فقال لهم ليس من قتل عثمان بأعظم جرماً ممن يبايع لمعاوية أميراً وهذه سقطة ولكنا نبايع له بالخلافة ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة . فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل حمص ثم كتب الى معاوية: أما بعد فانك أخطأت خطأ عظيما حين كتبت الى ان أبايع لك بالامرة وانك تريد ان تطلب بدم الخليفة

المظلوم وأنت غير خليفة وقد بايعت ومن قبلي لك بالخلافة . فلما قرأ معاوية كتابه سره ذلك ودعا الناس وصعد المنبر وأخبرهم بما قال شرحبيل ودعاهم الى بيعته بالخلافة فأجابوه ولم يختلف منهم أحد فلما بايع القوم له بالخلافة واستقام له الامر كتب الى على : سلام الله على من اتبع الهدى أما بعد فانا كنا نحن وإياكم يداً جامعة والفة اليفة حتى طمعت يا ابن أبي طالب فتغيرت وأصبحت تعد نفسك قويا على من عادالا بطعام أهل الحجاز وأوباش أهل العراق وحقى السقاط وغوغاء السواد وايم الله لينجلين عنك حمقاها ولينقشعن عنك غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء . قتلت عثمان بن عفان ورقيت سلما أطلعك الله عليه مطلع سوء عليك لالك . وقتلت الزبير وطلحة وشردت أمك عائشة ونزلت بين المصرين فمنيت وتمنيت وخيل لك ان الدنيا قد سخرت لك بخيلها ورجلها وانما تعرف أمنيتك لو قد زرتك فى المهاجرين من أهل الشام بقية الاسلام فيحيطون بك من روائك ثم يقضى الله علمه فيك والسلام على أولياء الله . فأجابه على : أما بعد فقدر الامور تقدير من ينظر لنفسه دون جنده ولا يشتغل بالهزل من قوله فلعمرى لئن كانت قوتى بأهل العراق أوثق عندى من قوتى بالله ومعونتي به ليس عند الله تعالى يتبين من كان على هذا فناج نفسك مناجاة من يستغنى بالجددون الهزل فان فى القول سعة ولن يعذر مثلك فيما طمح اليه الرجال . وأما ماذكرت من انا كنا وإياكم يداً جامعة فكنا كما ذكرت ففرق بيننا وبينكم ان الله بعث رسوله منا فآمنا به وكفرتم . ثم زعمت انى قتلت طلحة والزبير فذلك أمر غبت عنه ولم تحضره ولو حضرته لعلمته فلا عليك ولا العذر فيه اليك وزعمت انك زائرى فى المهاجرين وقد انقطعت الهجرة حين أسر أبوك فان يك فيك عجل فستبقه وان أزرك فجدير ان يكون الله بعثنى عليك للنقمة منك والسلام .

﴿ قدوم عقيل بن أبي طالب على معاوية ﴾

قال وذكروا ان عقيل بن أبي طالب قدم على أخيه على بالكوفة فقال له على مرحبا بك وأهلا ما أقدمك يا أخى قال تأخر العطاء عنا وغلاء السعر ببلدنا وركبنى دين عظيم فجئت لنصانى فقال على والله مالى مما ترى شيئا

الا عطائى فاذا خرج فهو لك فقال عقيل وانما شخوصى من الحجاز اليك من أجل عطائك وماذا يبلغ منى عطاؤك وما يدفع من حاجتى ؟ فقال على هل تعلم لى مالا غيره أم تريد أن يحرقنى الله فى نار جهنم فى صلتك باموال المسلمين؟ فقال عقيل والله لا خرجن الى رجل هو أوصل لى منك « يريد معاوية » فقال له على راشداً مهديا . فخرج عقيل حتى أتى معاوية فلما قدم عليه قال له معاوية مرحباً وأهلا بك يابن أبى طالب ما أقدمك على فقال قدمت عليك لدين عظيم ركبنى فخرجت الى أخى ليصلنى فزعم انه ليس له مما يلى الا عطاؤه فلم يقع ذلك منى موقعا ولم يسد منى مسداً فاخبرته انى سأخرج الى رجل هو أوصل منه لى فجئتك . فازداد معاوية فيه رغبة وقال ياأهل الشام هذا سيد قريش وابن سيدها عرف الذى فيه أخوه من الغواية والضلالة فأناب الى أهل الدعاء الى الحق ولكنى أزعم ان جميع ماتحت يدى لى فما أعطيت فقربة الى الله وما أمسكت فلا جناح على فيه . فأغضب كلامه عقيلا لما سمعه ينتقص أخاه فقال : صدقت خرجت من عند أخى على هذا القول وقد عرفت من فى عسكره لم أفقد والله رجلا من المهاجرين والانصار ولا والله مارأيت فى عسكر معاوية رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال معاوية عند ذلك ياأهل الشام أعظم الناس من قريش عليكم حقا ابن عم النبى صلى عليه وسلم وسيد قريش ها هو ذا تبرأ من الله مما عمل به أخوه . قال وأمر له معاوية بثلثمائة ألف دينار قال له هذه مائة ألف تقضى بها ديونك ومائة ألف تصل بها رحمك ومائة ألف توسع بها على نفسك .

﴿ نعى عثمان بن عفان الى معاوية ﴾

قال عبد الله بن مسلم وذكر ابن عفير عن عون بن عبد الله بن عبد الرحمن الانصارى قال قدم الحجاج بن خزيمة الشام بكتاب معاوية بعد قتل عثمان بايام فقال له أتعرفنى قال نعم انت ابن الحجاج خزيمة فما وراءك فقال الحجاج أنا النذير العريان انعى اليك امير المؤمنين عثمان ثم قال انى كنت ممن خرج معينا لعثمان مع يزيد بن اسد فتقدمت الى الربذة فلقينا بها رجلا حدثنا عن قتل عثمان وزعم انه ممن قتله فقتلناه وانى اخبرك يامعاوية انك تقوى على على بدون

مايقوى به عليك لأن من معك لا يقولون اذا قلت ولا يسألون اذا أمرت ولأن من مع على يقولون اذا قال ويسألون اذا أمر فقليل ممن معك خير من كثير ممن معه . واعلم ان علياً لا يرضيه الا الرضا وان رضاه يسخطك ولست وعلى بالسواء لا يرضى على بالعراق دون الشام ورضاؤك بالشام دون العراق . قال وذكروا انه لما فرغ من وقعة الجمل بايع له القوم جميعاً وبايع له أهل العراق واستقام له الامر بها كتب الى معاوية : اما بعد فان القضاء السابق والقدر النافذ ينزل من السماء ويقطر المطر فتمضى احكامه عز وجل وتنفذ مشيئته بغير تحاب المخلوقين الا رضا الا دهيين وقد بلغك ما كان من قتل عثمان رحمه الله وبيعة الناس عامة اياى ومصارع الناكثين لى فادخل فيما دخل الناس فيه والا فأنا الذى عرفت وحولى من تعلمه والسلام . فلما قدم على معاوية كتاب على مع الحجاج بن عدى الانصارى القاه وهو يخطب الناس بدمشق فلما قرأه اغتم بذلك واعظمه واسره عن اهل الشام ثم قام الحجاج ابن عدى خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ياأهل الشام ان أمر عثمان أشكل على من حضره المخبر عنه كالأعمى والسميع كالأصم غابه قوم فقتلوه وغدره قوم فلم ينصروه فكذبوا الغائب واتهموا الشاهد وقد بايع الناس علياً على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة عامة من رغب عنها رد اليها صاغراً داحراً فانظروا فى ثلاث وثلاث ثم اقضوا على أنفسكم : ابن الشام من الحجاز واين معاوية من على واين انتم من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان . قال فغضب معاوية لقوله وقال ياحجاج أنت صاحب زيد بن ثابت يوم الدار قال نعم فان كان بلغك والا احدثك قال هات قال : أشرف علينا زيد بن ثابت وكان مع عثمان فى الدار وقال يامعشر الانصار انصروا الله مرتين فقلت يازيد انا نكره ان نلقى الله فنقتل كما قال القوم « ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل » فقال معاوية انصرف الى على واعلمه ان رسولى على أثرك ثم ان معاوية انتخب رجلا من عبس وكان له لسان فكتب معاوية الى على كتابا عنوانه : من معاوية الى على وداخله : بسم الله الرحمن الرحيم : لاغير . فلما قدم الرسول دفع الكتاب الى على فعرف على مافيه وان معاوية

محارب له وانه لا يجيبه الى شيء مما يريد وقام رسول معاوية خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال هل ههنا احد من ابناء قيس عيلان و بنى عبس ذبيان قالوا نعم هم حولك قال فاسمعوا ما أقول لكم : يامعشر قيس انى احلف بالله لقد خلفت بالشام خمسين الف شيخ خاضبين لحاهم من دموع اعينهم تحت قميص عثمان رافعيه على الرماح مخضو بابدمائه قد اعطوا الله عهداً ان لا يغمدوا سيوفهم ولا يغمضوا جفونهم حتى يقتلوا قتلة عثمان يوصى به الميت الحى و يرثه الحى من الميت حتى والله نشأ عليه الصبى وهاجر عليه الاعرابى وترك القوم تعس الشيطان وقالوا تعساً لقتلة عثمان واحلف بالله ليأتينكم من خضر الخيل انا عشر الفا فانظروا كم الشهب وغيرها . فقال له على مايريدون بذلك قال يريدون بذلك والله خبط رقبتك فقال على تربت يداك وكذب فولك أما والله لو ان رسولا قتل لقتلتك فقام الصلت بن زفر : فقال : ليس وافد أهل الشام أنت و رائد أهل العراق ونعم العون لعلى و بئس العون لمعاوية ياأخا عبس أتخوف المهاجرين والانصار بخضر الخيل وغضب الرجال أما والله مانخاف غضب رجالك ولا خضر خيالك فأما بكاء أهل الشام على قميص عثمان فوالله ماهو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ولئن بكوا عليه بالشام لقد خذلوه بالحجاز واما قتالهم علياً فان الله يصنع فى ذلك ماأحب . قال وان العبسى أقام بالعراق عند على حتى اتهمه معاوية ولقيه المهاجرون والانصار فأمروه حب على وحدثوه عن فضائله حتي شك فى أمره .

﴿ قدوم ابن عم عدى بن حاتم الشام ﴾

قال وذكروا ان عدى بن حاتم قدم الى على بالكوفة قبل ان يسير الى البصرة فقال ياأمير المؤمنين لسنا نخاف احداً الا معاوية وعندى رجل من قومى يريد ان يزور ابن عم له بالشام يقال له حابس بن سعد فلو أمرناه ان يلقى معاوية لعله ان يكسره و يكسر أهل الشام فقال له على افعل فأغروه بذلك فلما قدم على ابن عمه وكان سيد طيء بالشام سأله فأخبره انه شهد قتل عثمان بالمدينة المنورة وسار مع على الى الكوفة وكان له لسان وهيبة فغدا به حابس الى معاوية فقال هذا ابن عمى قدم من الكوفة وكان مع على وشهد قتل عثمان

بالمدينة وهو ثقة فقال معاوية حدثنا عن أمر عثمان قال نعم : وليه محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وتجرد فى أمره ثلاث نفر عدى بن حاتم والاشتر النخعى وعمرو بن الحصين ودب فى أمره رجلان طلحة والزبير وابرأ الناس منه على ابن أبي طالب ثم تهافت الناس على على بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلت النعل وسقط الرداء ووطىء الشيخ . ولم يذكر عثمان ولم يذكروه ثم تهيأ للمسير فخف معه المهاجرون والانصار وكره القتال معه ثلاث نفر عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة فلم يستكره أحداً واستغنى بمن خف عمن ثقل ثم سار حتى انتهى الى جبل طىء فأتاه منهم جماعة عظيمة حتى اذا كان فى بعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة الى البصرة فسرح رسله الى الكوفة فأجابوا دعوته ثم قدمها فحملو اليه الصبي ودبت اليه العجوز وخرجت اليه العروس فرحاً به وسروراً وشوقاً اليه ثم سار الى البصرة فبرز اليه القوم طلحة والزبير واصحابهما فلم يلبثوا الا يسيراً حتى صرعهم الله وابرزهم الى مضاجعهم ثم صارت البصرة ومن حولها فى كفه قال وتركته وليس له هم الا أنت والشام. فانكسر معاوية لقوله وقال والله ما أظنه الا عيناً لعلى أخرجوه لا يفسد أهل الشام ثم قال معاوية وكيف لا يضيع عثمان ويقتل وقد خذله أهل ثقاته وأجمعوا عليه أما والله لئن بقينا لهم لندرسنهم درس الجمال هشيم اليبيس.

﴿ استعمال على عبد الله بن عباس على البصرة ﴾

قال وذكروا ان عليا لما سار من البصرة بعد فراغه من أصحاب الجمل استعمل عليها عبدالله بن عباس وقال له : أوصيك بتقوى الله عزوجل والعدل على من ولاك الله أمره اتسع للناس بوجهك وعلمك وحكمك واياك والاحن فانها تميت القلب والحق واعلم ان ماقربك من الله بعدك من النار وما قربك من النار بعدك من الله . اذكر الله كثيرا ولا تكن من الغافلين . فلم يلبث على حين قدم الكوفة وأراد المسير الى الشام ان انضم اليه ابن عباس واستعمل على البصرة زياد بن أبي سفيان .

﴿ ماأشار به الاحنف بن قيس على على ﴾

قال وذكروا ان الاحنف بن قيس قام الى على : فقال : ياأمير المؤمنين

انه ان يك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل فلن ينصروا عليك غيرك وقد عجبوا ممن نصرك يومئذ وعجبوا اليوم ممن خذلك لانهم شكوا فى طلحة والزبير ولم يشكوا فى عمر ومعاوية وان عشيرتنا بالبصرة فلو بعثنا اليهم فقدموا علينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم من الناس وادركوا اليوم مافاتهم أمس . وهذا جمع قد حشره الله عليك بالتقوى لم تستكره شاخصا ولم تشخص فيه مقيما ومن كان معك نافعك ورب مقيم خير من شاخص . وانما نشوب الرجاء بالمخافة ووالله لوددنا ان أمواتنا رجعوا الينا فاستعنا بهم على عدونا وليس لك الامن كان معك ولنا من قومنا عدد ولا نلقى بهم عدواً أعدى من معاوية ولا نسد بهم ثغراً أشد من الشام .

﴿ كتاب الاحنف الى قومه يدعوهم به الى نصرة على ﴾

قال وذكروا ان عليا قال للاحنف بن قيس اكتب الى قومك قال نعم فكتب الاحنف الى بنى سعد : أما بعد فانه لم يبق احد من بنى تميم الا وقد شقوا برأى سيدهم غيركم وعصمكم الله برأيى حتى نلتم مارجوتم وأمنتم مما خفتم فاصبحتم منقطعين من اهل البلاء لاحقين باهل العافية وانى أخبركم أنا قدمنا على تميم بالكوفة فأخذوا علينا بفضلهم مرتين مسيرهم الينا مع على وتهيؤهم للمسير الى الشام ثم انحشرنا معهم فصرنا كانا لا نعرف الا بهم فأقبلوا الينا ولا تتكلوا علينا فان لهم اعدادنا من رؤسائهم فلا تبطأوا عنا فان من تأخير العطاء حرمانا ومن تأخير النصر خذلانا . فحرمان العطاء القلة وخذلان النصر الابطاء . ولا تنقضى الحقوق الا بالرضى وقد يرضى المضطر بدون الامل ، فلما اتى كتاب الاحنف الى بنى سعد ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة

﴿ كتاب اهل العراق الى معاوية ﴾

قال وذكروا انه قام الى على بعد انصرافه من البصرة الى الكوفة وجوه بكر بن وائل فقالوا يا أمير المؤمنين ان نعيما أخا مصقلة يستحى منك لما صنع مصقلة وقد أتانا اليقين انه لا يمنع مصقلة من الرجوع اليك الا الحياء ولم يبسط منذ فارقنا لسانه ولا يده فلو كتبنا اليه كتابا يعنفه من قبلنا رسولا فانا نستحى ان يكون فارقنا مثل مصقلة من أهل العراق الى معاوية ، فقال على اكتبوا فكتبوا

أما بعد فقد علمنا انك لم تلحق بمعاوية رضى بدينه ولا رغبة فى دنياه ولم يعطفك عن على طعن فيه ولا رغبة عنه ولكن توسطت أمراً فقويت فيه الظن وأضعفت فيه الرجاء فكان أولاهما عندك أن قلت أفوز بالمال وألحق بمعاوية ولعمرنا ما استبدلت الشام بالعراق ولا السكاسك بربيعة ولا معاوية بعلى ولا أصبت دنيا تهنأ بها ولا حظاً تحسد عليه وان أقرب ما تكون مع الله أبعد ما تكون مع معاوية فارجع الى مصرك فقد اغفر أمير المؤمنين الذنب واحتمل الثقل واعلم ان رجعتك اليوم خير منها غداً وكانت أمس خيراً منها اليوم وان كان عليك حياء من أبى الحسن فما انت فيه أعظم فقبح الله أمراً ليس فيه دنيا ولا آخرة . فلما انتهى كتابهم الى مصقلة وكان لرسولهم عقل ولسان فقال الرسول : يامصقلة انظر فيما خرجت منه وفيما صرت اليه وانظر من أخذت ومن تركت وانظر من جاورت ومن زايلت ثم اقض بعقلك دون هواك . قال وان مصقلة مضى الى معاوية بالكتاب فأقرأه اياه فقال معاوية يامصقلة انك عندى بغير ظنين فاذا أتاك شىء فستره عنى فانصرف مصقلة الى منزله فدعا الرسول فقال يا أخا بكر انما هربت بنفسى من على ولا والله ما يطول لسانى بغيبته ولا قلت فيه قط حرفا بسوء اذهب بكتابى هذا الى قومى .

﴿ جواب مصقلة الى قومه ﴾

قال وذكروا ان مصقلة كتب الى قومه . أما بعد فقد جاءنى كتابكم وانى أخبركم انه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد علمتم الامر الذى قطعنى من على وأضافنى الى معاوية وقد علمت انى لو رجعت الى على واليكم لكان ذنبى مغفوراً ولكنى أذنبت الى على وصحبت معاوية فلو رجعت الى على أحدثت عيباً وأحييت عاراً وكنت بين لائمين أولهما خيانة وآخرهما غدر ولكنى أقيم بالشام فان غلب معاوية فدارى العراق وان غلب على فدارى أرض الروم فاما الهوى فاليكم طائر وكانت فرقتى عليا على بعض العذر أحب الى من فرقتى معاوية ولا عذر لى . ثم قال للرسول يابن أخى استعرض الناس عن قولى فى على فقال قد سألت فقالوا خيراً قال فانى والله عليه حتى أموت . فرجع الرسول بالكتاب فأقرأه علياً فقال كفوا عن صاحبكم فليس براجع حتى يموت فقال

حصين أما والله مابه الا الحياء .

﴿ لحوق عبدالله بن عامر ﴾

قال وذكروا ان عبدالله بن عامر لحق بالشام ولم يأت معاوية وخاف يوما كيوم الجمل فبعث اليه معاوية ان يأتيه وألح عليه فكتب ابن عامر . أما بعد فانى اخبرك انى أقحمت طلحة والزبير الى البصرة وانا أقول اذا رأى الناس أم المؤمنين مالوا اليها وان فر الناس لم يفر الزبير وان غدر الناس لم يغدر مروان فغضبت عائشة ورجع الزبير وقتل مروان طلحة وذهب مالى بما فيه والناس أشباه واليوم كامس فان اتبعتنى هواى والا ارتحل عنك والسلام . فكتب معاوية اليه . أما بعد فانك قلدت أمر دينك قتلة عثمان وانفقت مالك لعبد الله بن الزبير وآثرت العراق على الشام فأخرجك الله من الحرب صفر اليدين ليس لك حظ الحق ولاثار التتيل فلما انتهى كتابه الى ابن عامر اتاه فغمس يده معه وبايعه فلاطفه معاوية وعرف له قرابته من عثمان ،

﴿ ماأشار به عمار بن ياسر على على ﴾

قال وذكروا انَ عمار بن ياسر قام الى على . فقال . ياأمير المؤمنين انما بايعناك ولا نرى احداً يقاتلك فقاتلك من بايعك واعطاك الله فيهم ماوعد فى قوله عز وجل « ومن بغى عليه لينصرنه الله » وقوله « ياايها الناس انما بغيكم على انفسكم » وقوله « ومن نكث فانما ينكث على نفسه » وقد كانت الكوفة لنا والبصرة علينا فاصبحنا على ماتحب بين ماض مأجور وراجع معذور وان بالشام الداء العضال رجلا لا يسلمها ابداً الا مقتولا او مغلوبا فعاجله قبل ان يعاجلك وانبذ اليه قبل الحرب .

﴿ ماأشار به الاشتر على على ﴾

قال وذكروا ان الاشتر النخعى قام الى على فقال ياأمير المؤمنين انما لنا ان نقول قبل أن تقول فاذا عزمت لم نقل فلو سرت بنا الى الشام بهذا الحد والجد لم يقوك بمثله فان القلوب اليوم سليمة والابصار صحيحة فبادر بالقلوب القسوة وبالابصار العمى .

﴿ كتاب على الى جرير بن عبد الله ﴾

قال وذكروا ان عليا كتب الى جرير بن عبدالله وكان على ثغر همذان

كان استعمله عليه عثمان فكتب على اليه مع زفر بن قيس : اما بعد فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوأ فلا مرد له وما لهم من دونه من وال . ثم انى اخبرك عنا وعمن سرنا اليهم من جمع طلحة والزبير عند نكثهما بيعتهما وما صنعا بعامل عثمان بن حنيف انى هبطت من المدينة بالمهاجرين والانصار حتي اذا كنت ببعض الطريق بعثت الى الكوفة الحسن ابنى وعبدالله بن العباس ابن عمى وعمار بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة فاستنفرتهم بحق الله وحق رسوله فأجابوا وسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة فأعذرت فى الدعاء وأقلت فى العثرة وناشدتهم عقد بيعتهم فأبوا الا قتالى فاستعنت الله عليهم فقتل من قتل وولوا مدبرين الى مصرهم فسألونى ما كنت دعوتهم اليه قبل اللقاء فقبلت العافية ورفعت عنهم السيف واستعملت عليهم عبدالله بن عباس وبعثت اليك زفر بن قيس فاسأله عنا وعنهم .

﴿ خطبة زفر بن قيس ﴾

قال وذكروا انه لما قدم زفر على جرير بكتاب على وقرأه جرير قام زفر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان علياً كتب اليكم بكتاب لا يقول بعده الا رجيعاً من القول ان الناس بايعوا علياً بالمدينة غير محاباة ببيعتهم لعلمه بكتاب الله ويرى الحق فيه وان طلحة والزبير نقضا بيعة على على غير حدث ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب والبا عليه الناس وأخرجا أم المؤمنين عائشة من حجاب ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها فلقيهما فأعذر فى الدعاء وخشى البغى وحمل الناس على ما يعرفون فهذا عيان ماغاب عنكم وان سألتم الزيادة زدناكم .

﴿ خطبة جرير بن عبد الله البجلى ﴾

قال وذكروا ان جرير بن عبدالله قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه فقال : أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين على بن أبى طالب وهو المأمون على الدين والدنيا وكان من أمره وأمر عدوه ماقد سمعتم والحمد لله على اقضيته وقد بايعه السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والتابعون باحسان ولو جعل الله هذا الامر شورى بين المسلمين لكان على أحق بها الا وان البقاء فى الجماعة

والفناء فى الفرقة وعلى حاملكم على الحق مااستقمتم له فان ملتم أقام ميلكم . قال الناس سمعا وطاعة ورضانا رضى من بعدنا .

كتاب على الى الاشعث بن قيس

قال وذكروا ان علياً كتب الى الاشعث بن قيس مع زياد بن كعب والاشعث يومئذ بأذربيجان عاملا لعثمان كان استعمله عليها : أما بعد فلولا هنات كن فيك كنت المقدم فى هذا الامر قبل الناس فلعل أمراً يجعل بعضه بعضاً ان اتقيت الله وقد كان من بيعة الناس اياى ماقد بلغك وكان طلحة والزبير أول من بايعنى ثم نقض بيعتى على غير حدث وأخرجا أم المؤمنين الى البصرة فسرت اليهما فى المهاجرين والانصار فالقيانا فدعوتهما الى ان يرجعا الى ماخرجا منه فابيا فابلغت فى الدعاء وأحسنت فى العتاب ليس لك بطعمة ولكنه أمانة فى عنقك ومال من الله وأنت من حزنى عليه حتى تسلمه الى ان شاء الله وعلى أن لا أكون شر ولاتك .

خطبة زيد بن كعب

قال وذكروا ان الاشعث بن قيس لما قرأ كتاب على قام زيد بن كعب خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس انه من لم يكمه القليل لم يكفه الكثير وان أمر عثمان لم يمنع فيه العيان ولم يشف منه الخبر فجزان من سمعه ليس كمن عاينه وان المهاجرين والانصار بايعوا علياً راضين به وان طلحة والزبير نقضا بيعة على على غير حدث وأخرجا أم المؤمنين على غير رضى فسار اليهم ولم يظلمهم فتركهم وما فى نفسه منهم حاجة فورثه الله الارض وجعل له عاقبة المتقين .

خطبة الاشعث بن قيس

قال فقام الاشعث بن قيس خطيباً فقال : أيها الناس ان عثمان رحمه الله ولانى أذربيجان وهلك وهى فى يدى وقد بايع الناس علياً وطاعته لازمة وقد كان من أمره وأمر عدوه ماقد بلغكم وهو المأمون على ماغاب عنا وعنكم من ذلك .

مشورة الاشعث ثقاته فى اللحوق بمعاوية الى الشام

قال وذكروا ان الاشعث رجع الى منزله فدعا أهل ثقته من أصحابه فقال لهم ان كتاب على جاءنى وقد أوحشنى وهو آخذى بعمال اذربيجان وأنا لاحق بمعاوية .

فعال القوم الموت خير لك من ذلك أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنباً لاهل الشام .

(كتاب جرير الى الاشعث)

قال وذكروا ان جريراً كتب الى الاشعث : أما بعد فانه أتتنى بيعة على ضبلتها وقد أجد الى دفعها سبيلا وانى نظرت فيما غاب عنى من أمر عثمان فلم أجده يلزمنى وقد شهده المهاجرون والانصار فكان أولى أمرهم فيه الوقوف فاقبل بيعته فانك لا تلتفت الى خير منه . واعلم ان بيعة على خير من مصارع أهل البصرة وقد تحلب الناقة الضجور ويحلس العود على البعير الدبر فانظر لنفسك والسلام .

(ارسال على جريراً الى معاوية)

قال وذكروا ان جريرا المقدم على على قال له ايجرير انطلق الى معاوية بكتابى هذا ولكن عندظنى فيك واعلم باجرير انك ترى من حولى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والبدريين والعشيين وانى اخترت عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيرذى يمن جرير فاذهب الى معاوية بكتابى هذا ورسالتى فان دخل فيما دخل فيه المسلمون والا فانبذاليه بالحرب واعلمه أنى لا أرضى به أميراً ولا العامة ترضى به والياً : فقال جرير انى لا كره ان امنعك معونتى وما أطمع لك فى معاوية ويصنع الله ما يشاء .

(كتاب على الى معاوية مرة ثانية)

قال وذكروا ان علياً كتب الى معاوية مع جرير : أما بعد فان بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لانه بايعنى الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل فسموه اماماً كان ذلك لله رضاً فان خرج منهم خارج ردوه الى ما خرج منه فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وأولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً . وان طلحة والزبير بايعانى بالمدينة ثم نقضا بيعتهما فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما بعد ما أعذرت اليهما حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان أحب أمورك الى العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تتعرض للبلاء قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد أكثرت

الكلام فى قتلة عثمان فادخل فى الطاعة ثم حاكم القوم الى أحملك واياهم على كتاب الله فأما التى تريدها فهى خدعة الصبى عن اللبن ولعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ الناس من دم عثمان واعلم يامعاوية انك من الطلقاء الذين لاتحل لهم الخلافة ولا تعقد معهم الامامة ولا تعرض فيهم الشورى وقد بعثت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من أهل الايمان والهجرة السابقة فبايع ولا قوة الا بالله

(قدوم جرير الى معاوية)

قال وذكروا ان جريراً لما قدم على معاوية بكتاب على قام جرير بالشام خطيباً فقال : أيها الناس ان أمر عثمان قد أعيا علياً ومن شهده فما ظنكم بمن غاب عنه ان الناس بايعوا علياً وان طلحة والزبير كانا ممن بايع ثم نقضا بيعته الا وان هذا الدين لايحتمل الغبن . الا وان هذا الدين لايحتمل السيف وقد كانت بالبصرة ملحمة ان يشفع العلاء بمثلها فلا بناء للناس وقد بايعت العامة علياً وأرملكنا أمرنا لم نختر لها غيره فمن خالف هذا استعتب فادخل يامعاوية فيما دخل الناس فيه فان قلت ان عثمان ولانى ولم يعزلنى فان هذا لو كان لم يقم لتدبين وكان لكل امرىء ما هو فيه .

(اشارة الناس على على بالمقام بالكوفة)

قال وذكروا ان علياً استشار الناس فاشاروا عليه بالمقام بالكوفة عدا ذلك غير الاشتر النخعى وعدى بن حاتم وشريح بن هانىء فانهم قالوا نسكاموا بلسان واحد فقالوا ان الذين أشاروا عليك بالمقام اتاخوفوك بحرب الشام وليس فى حربهم شىء أخوف من الموت ونحن نريده فقال لهم ان استعدادى لحرب الشام وجرير صارف لهم عن خير ان أرادوه ولكنى قد وقتت له وقتاً لا يقيم بعده الا ان يكون مخدوعاً أو عاصياً ولا أكره لكم الاعداد وابطأ جرير على على بالشام حتى يئس منه وان جريراً لما ابطأ عليه معاوية برأيه استحثه بالبيعة فقال معاوية لجرير : ياجرير ان البيعة ليست بخلسة وانه أمر له مابعد فأبلغنى ريثى .

(مشورة معاوية أهل ثقته)

قال وذكروا ان معاوية دعا أهل ثقته فاستشارهم فقال عتبة بن أبى سفيان استعن على هذا الامر بعمرو بن العاص فانه من قد عرفت وقد اعتزل عثمان فى حياته وهو لامرك أشد اعتزالا الان ترضيه .

(كتاب معاوية الى عمرو بن العاص)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى عمرو بن العاص وهو بفلسطين : أما بعد فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سفط علينا مروان بن الحكم في رافضة من أهل البصرة وغيرهم على جرير بن عبد الله في بيعة علي وقد حسبت نفسي عليك فأقدم علي بركة الله والسلام .

(ما سأل معاوية من علي من الاقرار بالشام ومصر)

قال وذكروا ان معاوية قال لجرير اني قد رأيت رأيا قال جرير هات قال اكتب الى علي ان يجعل لي الشام ومصر فان حضرته الوفاة لم يجعل لاحد من بعده في عنقي بيعة واسلم اليه هذا الامر واكتب اليه بالخلافة قال جرير اكتب ما شئت . وانما أراد معاوية في طلبه الشام ومصر ان لا يكون لعلي في عنقه بيعة وان يخرج نفسه مما دخل فيه الناس فكتب الى علي يسأله ذلك فلما أتى عليا كتاب معاوية عرف انها خديعة منه .

(كتاب علي الى جرير بن عبد الله)

قال وذكروا ان عليا كتب الى جرير : اما بعد فان معاوية انما أراد بما طلب ان لا يكون لي في عنقه بيعة وان يختار من أمره ما أحب وقد كان المغيرة بن شعبة أشار علي وأنا بالمدينة ان استعمله على الشام فأبيت ذلك عليه ولم يكن الله ليراني ان أتخذ المضلين عضدا فان بايعك الرجل والا فاقبل .

(استشارة عمرو بن العاص ابنيه ومواليه)

قال وذكروا انه لما انتهى الى عمرو بن العاص كتاب معاوية وهو بفلسطين استشار ابنيه عبد الله ومحمدا وقال : يا بني انه قد كان مني في أمر عثمان فلتات لم أستقبلها بعد وقد كان من هروبي بنفسي حين ظننت انه مقتول ما قد احتمله معاوية عني وقد قدم على معاوية جرير ببيعة علي وقد كتب الى معاوية بالقدوم عليه فما ترياني ؟ فقال عبد الله وهو الاكبر : أرى والله ان نبي الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده كذلك وقتل عثمان وأنت غائب عنه فأقم في منزلك قلت مجعولا خليفة ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة وستهلكها فتستويها جميعا . وقال محمد : أرى انك شيخ قريش وصاحب أمرها فان

ينصرم هذا الامر وأنت فيه خامل يصغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام واطلب بدم عثمان فانك به تستميل الى بني أمية فقال عمرو : أما أنت ياعبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني وأما أنت ياحمد فقد أمرتني بما هو خير لي في دنياي. ثم دعا غلاماً له يقال له وردان وكان داهياً فقال له عمرو ياوردان احطط ياوردان ارحل ياوردان احطط ياوردان ارحل فقال وردان : أما انك ان شئت نبأتك بما في نفسك قال عمرو هات ياوردان فقال اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت مع على الآخرة بلا دنيا ومع معاوية الدنيا بغير آخرة فأنت واقف بينهما فقال عمرو ما اخطأت ما في نفسي فترى ياوردان فقال أرى ان تقيم في منزلك فان ظهر أهل الدين عشت في دينهم وان ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك . فقال عمرو الآن حين شهرتني العرب بمسيري الى معاوية

قدوم عمرو الى معاوية

قال وذكروا ان عمرو بن العاص لما قدم الى معاوية وعرف حاجته اليه باعده وكايد كل واحد منهما صاحبه فقال عمرو لمعاوية اعطني مصر فتلملكا معاوية وقال ألم تعلم ان مصر كالشام قال بلى ولكنها انما تكون لي اذا كانت لك وانما تكون لك اذا طلبت عليا على العراق وقد بعث أهلها بضاعتهم الى على فدخل عتبة بن أبي سفيان على معاوية فقال أما ترضى ان تشترى عمراً بمصر ان هي صفت لك ليتك لا تغلب على الشام فلما سمع معاوية قول عتبة بعث الى عمرو فاعطاه مصر ولما كتب معاوية لعمرو بمصر كتب في أسفل الكتاب : ولا ينقض شرط طاعة وكتب عمرو : ولا تنقض طاعة شرطا وكايد كل واحد منهما صاحبه وكان مع عمرو بن العاص ابن أخ له جاءه من مصر فلما جاء عمرو بالكتاب مسرورا به عجب ابن أخيه من سروره فقال . ياعمر وألا تخبرني باي رأي تعيش في قريش وقد أعطيت دينك غيرك أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها الى معاوية وعلى حي أوتراها ان صارت الى معاوية لا يأخذك بالجدل الذي قدمه فقال عمرو يابن اخي انه لا مر الله دون معاوية وعلى يابن اخي لو كنت مع على وسعني بيتي ولكني مع معاوية فقال الفتى لم تردمع معاوية ولكنك تريد دنياه ويريد دينك فبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلي وحدث علياً بأمر معاوية وعمرو وما قاله فسر على بذلك وقربه

مشورة معاوية عمراً رضى الله عنهما

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو ياأبا عبدالله طرقتنى فى ليلتى هذه ثلاثة اخبار ليس فيها ايراد ولا صدر : منها ان ابن أبى حذيفة كسر سجن مصر ومنها ان قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ومنها ان عليا قد تهيأ للمجيء الينا فما عندك ؟ قال عمرو كل هذا عظيم أما ابن أبى حذيفة فخرج فى اشياعه من الناس فان تبعث اليه يقتل وان يقتل فلا يضرك واما قيصر فاهد له من وصائف الروم ومن الذهب والفضة واطلب اليه الموادعة تجده اليها سريعاً واما على فوالله ان له فى الحرب لحظاً ماهو لاحد من الناس وانه لصاحب الامر قال معاوية صدقت ولكنى أقاتله على ما بايدينا ونلزمه دم عثمان فقال عمرو : واسوأتاه ان أحق الناس ان لايذكر عثمان لانا وأنت قال معاوية ولم فقال عمرو : اما انت فخذلته ومعك أهل الشام واستغاثك فابطأت عليه واما أنا فتركته عيانا وهربت الى فلسطين . قال معاوية دعنى من هذا هلم فابعنى فقال عمرو لا والله لاأعطيك من دينى حتى آخذ من دنياك قال معاوية صدقت سل تعط قال عمرو مصر طعمة . فغضب مروان بن الحكم وقال ما بالى لا أشترى فقال معاوية اسكت : يابن العم فانما نشترى لك الرجل . فكتب معاوية اسمه مصر طعمة

كتاب معاوية الى أهل مكة والمدينة وجوابهما

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو : انى أريد ان اكتب الى أهل مكة والمدينة كتاباً أذكر فيه قتل عثمان فاما ان ندرك حاجتنا او نكفهم عن المسير . فقال له عمرو الى من تكتب قال : الى ثلاثة نفر رجل لعلى لايرد غيره ولا يزيد كتابنا فيه الا بصيرة او رجل يهوى عليا فلا نرده عما هو عليه أو رجل معتزل لا يريد القتال قال عمرو على ذلك قال نعم . قال اكتب فكتب الى اهل مكة والمدينة : أما بعد فانه مهما غاب عنا فانه لم يفت علينا ان علياً قتل عثمان والدليل على ذلك ان قتلته عنده وانما نطلب بدمه حتى يدفع الينا قتلته فنقتلهم بكتاب الله تعالى فان دفعهم الينا كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عمر بن الخطاب فاما الخلافة فلسنا نطلبها فأعينونا يرحمكم الله وانهضوا من ناحيتكم

(جوابهما)

قال وذكروا انه لما قرئ عليهم كتابه اجتمع رأيهم على ان يسندوا أمرهم الى المسور بن مخرمة فجاوب عنهم فكتب اليه : أما بعد فانك أخطأت خطأ عظيما وأخطأت مواضع النصرة وتناولها من مكان بعيد وما أنت والخلافة يامعاوية وأنت طليق وابوك من الاحزاب. فكف عنا فليس لك قبلنا ولى ولا نصير

(كتاب معاوية الى ابن عمر)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى ابن عمر كتابا خاصا دون كتابه الى أهل المدينة : أما بعد فانه لم يكن أحد من قريش أحب الى ان يجتمع الناس عليه منك بعد عثمان فذكرت خذلك اياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك وقد هون ذلك على خلافك عليا وطعنك عليه وردنى اليك بعض ما كان منك فأعنا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فانى لست أريد الامارة عليك ولكنى أريدها لك فان أبيت كانت شورى بين المسلمين

(جوابه)

فكتب اليه عبدالله بن عمر : اما بعد فان الرأى الذى أطمعك فى هذا هو الذى صيرك الى مصيرك. تركت عليا فى المهاجرين والانصار وتركت طلحة والزبير وعائشة واتبعك من اتبعك وأما قولك انى طعنت على على فلعمرى ما أنا كعلى فى الاسلام والهجرة ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أحدث أمرا لم يكن الينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ففزعت الى الوقوف وقلت ان كان هذا فضلا تركته وان كان ضلالة فشر منه نجوت فاغن عنى نفسك

(كتاب معاوية الى سعد بن أبى وقاص)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى سعد بن أبى وقاص : أما بعد فان أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشام والذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك فى الامر والشورى ونظيراك فى الاسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلا تكرهن ما ركبوا ولا تردن ما قبلوا فانما يريدها شورى بين المسلمين

(جواب سعد بن أبى وقاص لمعاوية)

قال وذكروا ان سعدا كتب اليه : أما بعد فان أهل الشورى ليس منهم أحق بها من صاحبه غير ان عليا كان من السابقة ولم يكن فينا ما فيه فشاركنا فى

محاسننا ولم نشاركه فى محاسنه وكان احقنا كلنا بالخلافة ولكن مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه حيث شاء لعلمه وقدره . وقد علمنا انه أحق بهامنا ولكن لم يكن بدمن الكلام فى ذلك والتشاجر فدع ذا . وأما أمرك يامعاوية فانه امر كرهنا اوله وآخره . واما طلحة والزبير فلو لزما بيعتهما لكان خيراً لهما والله تعالى يغفر لعائشة أم المؤمنين .

(كتاب معاوية الى محمد بن مسلمة الانصارى)

وكان فارس الانصار رضى الله عنهم وذا النجدة فيهم : أما بعد فانى لم اكتب اليك وانا ارجو مبايعتك ولكنى اذكرك النعمة الذى خرجت منها انك كنت فارس الانصار وعدة المهاجرين فادعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً لم تستطع منه الامضاء فهذا اعنى وعن قتال اهل الصلاة فهلا نهيت اهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضاً او ترى ان عثمان واهل الدار ليسوا بمسلمين واماقولك الانصار فقد عصوا الله تعالى وخذلوا عثمان وسائلهم وسائلك الله تعالى عن الذى كان يوم القيامة .

﴿ جوابه ﴾

قال وذكروا ان محمد بن مسلمة كتب اليه . أما بعد فقد اعتزل هذا الامر من ليس فى يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى فى يدى وقد أخبرت بالذى هو كائن قبل ان يكون فلما كان كسرت سيفى ولزمت بيتي واتهمت الرأى على الدين اذ لم يصح لى أمر بمعروف آمر به ولا منكر انهى عنه ولعمرى يامعاوية ماطلبت الا الدنيا ولا اتبعت الا الهوى ولئن كنت نصرت عثمان ميتاً لقد خذلته حياً ونحن ومن قبلنا من المهاجرين والانصار أولى بالصواب : قال : فلما أجاب القوم معاوية بما أجابوه من الخلاف الى مادعاهم اليه قال له عمرو وكيف رأيت يامعاوية رأيي ورأيك أخبرتك بالامر قبل ان يقع قال معاوية رجوت ماخفت

(كتاب معاوية الى على رضى الله عنه)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى على . أما بعد فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وانت برئ من دم عثمان كنت كابى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ولكنك اغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار فأطاعك الجاهل

وقوى بك الضعيف وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فاذا دفعتهم كانت شورى بين المسلمين وقد كان اهل الحجاز أعلا الناس وفى أيديهم الحق فلما تركوه صار الحق فى أيدى أهل الشام ولعمرى ما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ولا حجتك على كحجتك على طلحة والزبير لان أهل البصرة بايعوك ولم يبايعك احد من أهل الشام وان طلحة والزبير بايعاك ولم أبايعك وأما فضلك فى الاسلام وقرابتك من النبي عليه السلام فلعمرى ما ادفعه ولا أنكره

(جواب على الى معاوية)

قالوا فكتب اليه على . أما بعد فقد جاءنى منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده فاستتاده . زعمت انه انما أفسد عليك بيعتى خطيئتى فى عثمان ولعمرى ما كنت الا رجلا من المهاجرين أوردت كما أوردوا واصدرت كما أصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى وما أمرت فيلزمنى خطيئة عثمان ولا قتلت فيلزمنى قصاص القاتل . وأما قولك ان أهل الشام هم الحكام على الناس فهات رجلا من قريش الشام يقول فى الشورى أو تحل له الخلافة فان سميت كذبك المهاجرون والانصار والا أتيتك من قريش الحجاز . وأما قولك تدفع الينا قتلة عثمان فما أنت وعثمان انما أنت رجل من بنى أمية وبنو عثمان أولى بعثمان منك فان زعمت انك أقوى على ذلك فادخل فى الطاعة ثم حاكم القوم الى واما تمييزك بين الشام والبصرة وذكرك طلحة والزبير فلعمرى ما الامر الا واحد انها بيعة عامة لا يثنى عنها البصير ولا يستأنف فيها الخيار واما ولوعك فى امر عثمان فوالله ما قلت ذلك عن حق العيان ولا عن تيقن الخبر واما فضلى فى الاسلام وقرابتي من رسول الله عليه السلام وشرفى فى قريش فلعمرى لو استطعت دفعه لدفعته

﴿ قدوم عبيد الله بن عمر على معاوية ﴾

قال وذكروا ان عبيد الله بن عمر قدم على معاوية الشام فسر به سروراً شديدا وسر به أهل الشام وكان اشد قريش سروراً به عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو ما منع عبد الله ان يكون كعبيد الله فضحك عمرو وقال شبهت غير شبيه

انما اتاك عبيدالله مخافة ان يقتله على بقتله الهرمزان ورأى عبدالله ان لا يكون عليك ولا لك ولو كان معك لنفعك او عليك لضرك

(تعبئة معاوية اهل الشام لقتال علي)

قال وذكروا ان معاوية بعث الى رؤساء اهل الشام فجمعهم ثم قال : انتم اهل الفضل فليقم كل رجل منكم يتكلم فقام رجل فقال : اما والله لو شهدنا أمر عثمان فعرفنا قتلته بأعيانهم ما استغنينا عن اخبار الناس ولكن نصدقك على ماغاب عنا وان ابغض الناس الينا من يقاتل على بن أبي طالب لندمه في الاسلام وعلمه بالحرب ثم قام حوشب فقال : والله ما اياك ننصر ولا لك نغضب ولا عنك نحامي ما ننصر الا الله ولا نغضب الا للخليفة ولا نحامي الا عن الشام فلف الخيل بالخيل والرجال بالرجال وقد دعونا قومنا الى مادعوتنا اليه أمس وأمرناهم بما أمرتنا به فجعلوك بيننا وبين الله ونحن بينك وبينهم فمرنا بما تحب وانهنا عما تكره : قال فلما عزم معاوية على المسير الى صفين عبأ أهل الشام فجعل على مقدمته أبا الاعور السلمي وعلى ساقته بشير بن أرطاة وعلى الخيل عبيدالله بن عمر ودفع اللواء الى عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وعلى الميمنة يزيد العبسي وعلى الميسرة عبدالله بن عمرو بن العاص ثم قال يا أهل الشام انكم قد سرتم لتمنعوا الشام وتأخذوا العراق ولعمري ما للشام رجال العراق وأموالها ولا لاهل العراق بصر أهل الشام ولا بصائرهم مع ان القوم بعدهم غيرهم مثلهم وليس بعدكم غيركم فان غلبتموهم فلم تغلبوا الا من قد أتاكم وان غلبوكم عاقبوا من بعدكم والقوم لاقوكم ببصائر أهل الحجاز ورقة أهل أهل اليمن وقسوة اهل مصر وكيد أهل العراق وانما يبصر غداً من أبصر اليوم فاستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين . ثم سار معاوية في ثلاثة آلاف وثمانين ألفا حتى نزل بصفين وذلك في نصف محرم وسبق الى سهولة الارض وسعة المناخ وقرب الفرات وكتب الى علي يخبره بمسيره

﴿ تعبئة علي أهل العراق للقتال ﴾

قال وذكروا ان عليا لما بلغه تأهب معاوية : قال : أيها الناس انما بايع معاوية أهل الشام وليس له غيرهم ولي ولا نصير وانكم أهل الحجاز وأهل العراق واهل اليمن وأهل مصر وقد جعل القوم معاوية بينهم وبين الله وليس له دعوة في الدنيا

ولا فى الآخرة وقد وادع القوم الروم فان غلبتموهم استعانوا بهم ولحقوا بارضهم وان غلبوكم فالغاية الموت والمفر الى الله العزيز الحكيم . وقد زعم معاوية ان أهل الشام أهل صبر ونصر ولعمرى لأنتم اولى بذلك منهم لانكم المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وانما الصبر اليوم والنصر غداً . قال فجد الناس ونشطوا وتأهبوا فسار على بالناس من الكوفة فى مائة الف وتسعين الفا فجعل على المقدمة الاشتر النخعى وعلى ساقته شريح بن هانئ وعلى المهاجرين والانصار محمد بن أبى بكر وعلى أهل البصرة عبد الله بن عباس وعلى الكوفة عبد الله بن جعفر وعلى جماعة الخيل عمار بن ياسر وعلى القلب الحسن بن على . وسار حتى نزل صفين وقد سبقه معاوية الى سهولة الارض وسعة المناخ وقرب الفرات

﴿ منع معاوية الماء من أصحاب على ﴾

قال وذكروا انه لما نزل معاوية بصفين بعث أبا الاعور بن معه ليحولوا بينهم وبين الفرات وان أهل العراق لما نزلوا بعثوا غلمانهم ليستقوا لهم من الفرات فحالت خيل معاوية بينهم و بين الماء فانصرفوا فساروا الى على فأخبروه فقال على للاشعث اذهب الى معاوية فقل له ان الذى جئنا له غير الماء ولو سبقناك اليه لم نحل بينك و بينه فان شئت خليت عن الماء وان شئت تناجزنا عليه وتركنا ماجئنا . فانطلق الاشعث الى معاوية فقال انك تمنعنا الماء وايم الله لنشربنه فمرهم بكفوا عنه قبل ان تغلب عليه والله لانموت عطشاً وسيوفنا على رقابنا فقال معاوية لاصحابه ماترون فقال رجل منهم نرى ان نقتلهم عطشاً كما قتلوا عثمان ظلما. فقال عمرو بن العاص لاتظن يامعاوية ان علياً يظمأ وأعنة الخيل بيده وهو ينظر الى الفرات حتى يشرب او يموت دونه خل عن القوم يشربوا . فقال معاوية هذا والله اول الظفر لاسقانى الله من حوض الرسول ان شربوا منه حتى يغلبونى عليه . فقال عمرو وهذا اول الجور اما تعلم ان فيهم العبد والاجير والضعيف ومن لاذنب له لقد شجعت الجبان وحملت من لايريد قتالك على قتالك

﴿ غلبة اصحاب على على الماء ﴾

قال وذكروا ان معاوية لما غلب على الماء اغتنم على لما فيه الناس من العطش فخرج ليلا والناس يشكون بعضهم الى بعض مخافة ان يغلب أهل الشام على الماء

فقال الاشعث يأمير المؤمنين أيمنعنا القوم الماء وانت فينا ومعنا السيوف خل عنا وعن القوم فوالله لا أرجع اليك حتي أرده أو أموت دونه وامر الاشتر ان يعلو الفرات فى الخيل حتي آمره بامرى فقال على ذلك لك فانصرف الاشعث فنادى فى الناس من كان يريد الماء فيعادها الصبح فانى ناهض الى الماء فأجابه بشر كثير فتقدم الاشعث فى الرجالة والاشتر فى الخيل حتى وقفا على الفرات فلم يزل الاشعث فى الرجالة يمضى حتي خالط القوم ثم حسر عن رأسه فنادى : انا الاشعث بن قيس خلوا عن الماء . فقال ابو الاعور اما والله قبل ان تاخذنا واياكم السيوف فلا . فقال الاشعث أظنها والله قد دنت منا ومنكم قال وبعث الى الاشتر ان اقحم الخيل فاقحمها الاشتر حتى وضع سنابكها فى الفرات وحمل الاشتر فى الرجالة فأخذ القوم السيوف فانكشف ابو الاعور وأصحابه وبعث الاشتر الى على هلم يأمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء فلما غلب أهل العراق على الماء شمت عمرو بن العاص بمعاوية وقال يامعاوية ماظنك ان منعك على الماء كما منعته أمس اتراك ضاربهم كما ضربوك . فقال دع مامضى عنك فان عليا لا يستحل منك ما استحللت منه وان الذى جاء له غير الماء

(دعاء على معاوية الى البراز)

قال وذكروا ان الناس مكثوا بصفين اربعين ليلة يغدون الى القتال ويروحون فاما القتال الذى كان فيه الفناء فثلاثة أيام . فلما رأى على كثرة القتال والقتل فى الناس برز يوما من الايام ومعاوية فوق التل فنادى بأعلا صوته يامعاوية فاجابه فقال ماتشاء ياابا الحسن قال على علام يقتتل الناس ويذهبون على ملك ان نلته كان لك دونهم وان نلته انا كان لى دونهم ابرز الى ودع الناس فيكون الامر لمن غلب قال عمرو بن العاص : أنصفك الرجل يامعاوية فضحك معاوية وقال طمعت فيها ياعمرو فقال عمرو : والله ما أراه يجمل بك الا أن تبارزه فقال معاوية ماأراك الا مازحا فلقاه بجمعنا

﴿ براز عمرو بن العاص لعلى ﴾

قال وذكروا ان عمراً قال لمعاوية أتجبن عن على وتتهمنى فى نصيحتي اليك والله لأبارزن عليا ولو مت الف موتة فى أول لقائه . فبارزه عمرو فطعنه على

فصرعه فاتقاه بعورته فانصرف عنه علي وولى بوجهه دونه . وكان علي رضى الله عنه لم ينظر قط الى عورة احد حياء وتكرماً وتنزهاً عما لا يحل ولا يجمل بمثله كرم الله وجهه

﴿ قطع الميرة من اهل الشام ﴾

قال وذكروا ان عليا دعا زحر بن قيس فقال له سر في بعض هذه الخيل الى القطقطانة فاقطع الميرة عن معاوية ولا تقتل الا من يحل لك قتله وضع السيف موضعه . فبلغ ذلك معاوية فدعا الضحاك بن قيس فامره ان يلقى زحر بن قيس فيقاتله فسار الضحاك فلقيه زحر فهزمه وقتل من اصحابه وقطع الميرة عن اهل الشام ورجع الضحاك الى معاوية منهزماً فجمع معاوية الناس فقال : اتاني خبر من ناحية من نواحي أمر شديد فقالوا يا أمير المؤمنين لسنا في شيء مما أتاك انما علينا السمع والطاعة وبلغ عليا قول معاوية وقول اهل الشام فاراد أن يعلم ما رأى اهل العراق فجمعهم فقال ايها الناس انه اتاني خبر من ناحية من نواحي فقال ابن الكواء واصحابه ان لنا في كل امر رأى ما أتاك فأطاعنا عليه حتى نشير عليك فبكى على ثم قال : ظفر والله ابن هند باجماع اهل الشام عليه واختلافكم علي والله ليغلبن باطله حقكم انما اتاني ان زحر بن قيس ظفر بالضحاك وقطع الميرة واني معاوية هزيمة صاحبه فقال يا أهل الشام انه أتاني أمر شديد فنظروا امرهم واختلفهم على فقام قيس بن سعد فقال أما والله لنحن كنا أولى بالتسليم من أهل الشام

﴿ قدوم أبي هريرة وأبي الدرداء على معاوية وعلي ﴾

قال وذكروا ان أبا هريرة وأبا الدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصفين فوعظاه وقال يا معاوية علام تقاتل عليا وهو أحق بهذا الامر منك في الفضل والسابقة لانه رجل من المهاجرين الاولين السابقين باحسان وأنت طليق وأبوك من الاحزاب أما والله ما نقول لك ان تكون العراق أحب الينا من الشام ولكن البقاء أحب الينا من الفناء والصلاح أحب الينا من الفساد . فقال معاوية لست أزعم اني أولى بهذا الامر من علي ولكني أقاتله حتى يدفع الي قتلة عثمان فقالا اذا دفعهم اليك ماذا يكون . قال أكون رجلا من المسلمين فأتيا عليا فان دفع اليكما قتلة عثمان جعلتها شورى فقدما على عسكر على فأتاهما الاشتر فقال ياهذان انه لم ينزلكما الشام حب معاوية وقد زعمتما انه يطلب قتلة عثمان

فعمن اخذتما ذلك فقبلناه أعمن قتله فصدقتموهم على الذنب كما صدقتموهم على القتل أم عمن نصره فلا شهادة لمن جر الى نفسه أم عمن اعتزل اذ علموا ذنب عثمان وقد علموا ما الحكم فى قتله أو عن معاوية وقد زعم ان علياً قتله . اتقيا الله فانا شهدنا وغبتما ونحن الحكام على من غاب فانصرفا ذلك اليوم فلما أصبحا أتيا علياً فقالا له ان لك فضلا لا يدفع وقد سرت مسيرفتي الى سعيه من السفهاء ومعاوية يسألك ان تدفع اليه قتلة عثمان فان فعلت ثم قاتلك كنا معك قال على أتعرفانهم قالا نعم قال فخذاهم فأتيا محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر والاشتر : فقالا : أنتم من قتلة عثمان وقد أمر نا باخذكم فخرج اليهما اكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا نحن قتلنا عثمان فقالا نرى أمراً شديداً ليس علينا الرجل . وان أبا هريرة وأبا الدرداء انصرفا الى منزلهما بحمص فلما قدما حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان فسألهما عن مسيرهما فقصا عليه القصة فقال : العجب منكما انكما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لئن كففتما أيديكما كففتما ألسنتكما أتأتيان علياً وطلبان اليه قتلة عثمان وقد علمتما ان المهاجرين والانصار لو حرموا دم عثمان نصروه وبايعوا عليا على قتلته فهل فعلوا واعجب من ذلك رغبتكما عما صنعوا وقولكما لعلى اجعلها شورى واخلعها من عنقك وانكما لتعلمان ان من رضى بعلى خير ممن كرهه وان من بايعه خير ممن لم يبايعه ثم صرتما رسولى رجل من الطلقاء لا تحل له الخلافة . ففشى قوله وقولهما فهم معاوية بقتله ثم راقب فيه عشيرته

وقوع عمرو بن العاص فى على

قال وذكروا ان رجلا من همدان يقال له برد قدم على معاوية فسمع عمراً يقع فى على فقال له يا عمرو ان أشياخنا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كنت مولاه فعلى مولاه . فحق ذلك أم باطل فقال عمرو حق وأنا أزيدك انه ليس أحد من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب على فنزع الفتى فقال عمرو انه أفسدها بأمره فى عثمان فقال يرد هل أمر أو قتل قال لا ولكنه آوى ومنع قال فهل بايعه الناس عليها قال نعم فما أخرجك من بيعته قال اتهامى اياه فى عثمان قال له وأنت أيضاً قد اتهمت قال صدقت فيها خرجت الى فلسطين فرجع الفتى الى قومه فقال انا أتيناقوما أخذنا الحجة عليهم من أفواههم . على على الحق فاتبعوه

﴿ كتاب معاوية الى أبى أيوب الانصارى ﴾

قال وذكروا أن معاوية كتب الى ابى أيوب الانصارى وكان أشد الانصار على معاوية : أما بعد فنى سيتك مالا تنسى الشيباء . فلما قرأ كتابه أتى به علياً فقرأه اياه قال على يعنى بالشيباء المرأة الشمطاء لا تنسى ثكل ابنها فأنا لا أنسى قتل عثمان . فكتب اليه أبو أيوب : انه لا تنسى الشيباء ثكل ولدها وضربتها مثلا لقتل عثمان فانا نحن وقتله عثمان ان الذى تربص بعثمان وثبط أهل الشام عن نصرته لا نت وان الذين قتلوه غير الانصار والسلام

﴿ ما خاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد ﴾

قال وذكروا ان النعمان بن بشير الانصارى وقف بين الصفين . فقال . يا قيس بن سعد أما أنصفكم من دعتكم الى مارضى لنفسه الكم يا معشر الانصار أخطأتم فى خذل عثمان يوم الدار وقتلكم أنصاره يوم الجمل وافحامكم على أهل الشام بصفين فلو كنتم اذ خذلتم عثمان خذلتم عليا كان هذا بهذا ولكنكم خذلتم حمو وصرتم باطلا ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى اشعلتم الحرب ودعوتم الى النار فقد والله وجدتم رجال الحرب من أهل الشام سراعا الى برازكم غير انكاث عن حربكم ثم ينزل بعلى أمر قط الا هونتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر وقد والله أخفتموه وهان علينا باسكم وما كنتم لتخلوا به أنفسكم من شدتكم فى الحرب وقدرتكم على عدوكم وقد أصبحتم أذلاء على أهل الشام لا يرون حربكم شيئاً وأنتم أكثر منهم عدداً ومدداً وقد والله كثروكم بالقلة فكيف لو كانوا مثلكم فى الكثرة والله لا تزالون أذلاء فى الحرب بعدها أبداً الا ان يكون معكم أهل الشام وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم ونحن أحسن بقية وأقرب الى الظفر فاتقوا الله فى البقية . فضحك قيس وقال والله ما كنت أراك يا نعمان تجترىء على هذا المقام أما المنصف المحق فلا ينصح اخاه من غش نفسه وانت والله الغاش لنفسه المبطل فيما تنصح غيره . أما ذكرك عثمان فان كان الانجاز يكفيك فخذه . قتل عثمان من لست خيراً منه وخذله من هو خير منك وأما أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث وأما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الانصار وأما قولك انا لسنا كالناس فنحن فى هذه الحرب كما كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نتقى

السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . ولكن انظر يا نعمان هل ترى مع معاوية الا طليقاً اعرابياً أو يمانياً مستدرجا وانظر أين المهاجرون والانصار والتابعون باحسان الذين رضى الله عنهم و رضوا عنه ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وغير صوبحبك ولستما والله بدريين ولا عقبيين ولا لكما سابقة فى الاسلام ولا آية فى القرآن

﴿ كتاب عمرو الى ابن عباس ﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو بن العاص ان رأس اهل العراق مع على عبد الله بن عباس فلو القيت اليه كتابا ترقق فيه فان قال شيأ لم يخرج منه على وقد أكلتنا هذه الحرب ولا اراانا نطيق العراق الا بهلاك الشام . فقال له عمرو ان ابن عباس لا يخدع ولو طمعت فيه طمعت فى على قال معاوية على ذلك فكتب عمرو الى ابن عباس . أما بعد فان الذى نحن وانت فيه ليس اول امر قاده البلاء وساقته العافية وانك رأس هذا الجمع بعد على فانظر فيما بقى بغير ما مضى فوالله ما ابقت هذه الحرب لنا ولكم حياة ولا صبراً واعلم ان الشام لا تهلك الا بهلاك العراق وان العراق لا تهلك الا بهلاك الشام فما خيرنا بعد اعدادنا منكم وما خيركم بعد اعدادكم مناولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكنا نقول ليتها لم تكن وان منا لمن يكره البقاء كما فيكم وانما هى ثلاثة امير مطاع او مأمور مطيع او مشاور مأمون . فاما العاصى السفيه فليس بأهل ان يدعى فى ثقات اهل الشورى ولا خواص اهل النجوى

﴿ جواب عبد الله بن عباس الى عمرو بن العاص ﴾

قال وذكروا انه لما انتهى كتاب عمرو الى ابن عباس اتى به الى على فاقرأه اياه فقال على قاتل الله ابن العاص اجبه . فكتب اليه . اما بعد فانى لا اعلم رجلا اقل حياء منك فى العرب انك مال بك الهوى الى معاوية و بعته دينك بالثمن الاوكس ثم خبطت الناس فى عشواء طمعاً فى هذا الملك فلما ترامينا اعظمت الحرب والرماء اعظام اهل الدين واظهرت فيها كراهية اهل الورع لا تريد بذلك الا تمهيد الحرب وكسر اهل الدين فان كنت تريد الله فدع مصر وارجع الى بيتك فان هذه حرب ليس فيها معاوية كعلى بدأها على بالحق وانتهى فيها الى العذر و بدأها معاوية بالبغى

وانتهى فيها الى السرف وليس اهل الشام فيها كأهل العراق ، بايع اهل العراق علياً وهو خير منهم وبايع اهل الشام معاوية وهم خير منه ولست انا وانت فيها سواء اردت الله وانت اردت مصر . وقد عرفت الشيء الذي باعدك مني ولا اعرف الشيء الذي قربك من معاوية فان ترد شراً لا تفتنابه وان ترد خيراً لا تسبقنا اليه

﴿ امر معاوية مروان بحرب الاشتر ﴾

قال وذكروا ان معاوية دعا مروان بن الحكم فقال يا مروان ان الاشتر قد غمني فاخرج بهذه الخيل فقاتله بها غداً . فقال مروان ادع لها عمراً فانه شعارك دون دثارك . قال معاوية وأنت نفسي دون وزيري . قال مروان لو كنت كذلك الحتنني به العطاء والحقته بي الحرمان ولكنك اعطيته ما في يدك ومنيتني ما في يدي غيرك فان غلبت طاب المقام وان غلبت خف عليك المهرب . قال معاوية يغني الله عنك قال اما اليوم فلا . فدعا معاوية عمراً فأمره بأمره فقال : اما والله لئن فعلت لقد قدمتني كافياً ولادخلتني ناصحاً وقد غمك التوم في مصر فان كان لا يرضيهم الا اخذها بخذها عليها لعنة الله أما والله يا امير المؤمنين ان مروان يباعدك منا ويباعدنا منك ويأبى الله الا ان يقربنا اليك

﴿ كتاب معاوية الى ابن عباس ﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما : اما بعد فانكم معشر بني هاشم لستم الى احد اسرع منكم بالمساءة الى انصار عثمان فان يك ذلك لسلطان بني أمية فقد ورثها عدي وتيم وقد وقع من الامر ما قد ترى وأدالت هذه الحرب بعضنا من بعض حتى استوينا فيها فما أطمعكم فينا اطمعنا فيكم وما أيأسكم منا أيأسنا منكم وقد رجونا غير الذي كان وخشينا دون ما وقع ولستم ملاقينا اليوم باحد من جدكم أمس وقد منعنا بما كان منا الشام وقد منعتم بما كان منكم العراق اتقوا الله في قريش فما بقي من رجالها الا ستة : رجلان بالشام ورجلان بالعراق ورجلان بالحجاز : فأما اللذان بالحجاز فسعد وعبدالله بن عمر : وأما اللذان بالشام فأنا وعمرو وأما اللذان بالعراق فعلي وأنت ، ومن الستة رجلان ناصبان لك وآخران واقفان عليك وأنت رأس هذا الجمع اليوم وغدا ولو بايع الناس لك بعد عثمان كنا أسرع اليك منا الى على

جوابه

قال وذكروا انه لما أتى كتاب معاوية الى ابن عباس ضحك ثم قال حتى متى يخطب الى معاوية عقلى وحتى متى أجمجم له عما فى نفسى فكتب اليه : أما بعد فقد جاءنى كتابك فأما ما ذكرت من سرعتنا بالمسارعة الى انصار عثمان لسلطان بنى أمية فلعمرى لقد أدركت فى عثمان حاجتك لقد استنصرك فلم تنصره حتى صرت الى ناصرت اليه وبينى وبينك فى ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عقبة ، وأما قولك انه لم يبق من رجال قريش غير سنة فقد أكثر رجالها وأحسن بقيتها وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا الا من خذلك ، وأما اغراؤك لنا ايانا بعدى وتيم فأبو بكر وعمر كانا خيرا منك ومن عثمان كما ان علياً خير منك ، وأما قولك انا لن نلقاك الا بالقنا فقد بقى لك منا يوم يسيل ما قبله وخلف له ما بعده ، وأما قولك انه لو بايعنى الناس استقمت فقد بايعوا علياً وهو خير منى فلم تستقم له وان الخلافة لا تصلح الا لمن كان فى الشورى فأنت والخلافة وانت وطليق الاسلام وابن رأس الاحزاب وابن آكلة الاكباد من قتلى بدر

خطبة على كرم الله وجهه

قال وذكروا ان علياً قام خطيباً فقال : أيها الناس الا ان هذا المطر ينزل من السماء كقطر المطر على كل نفس بما كسبت من زيادة أو نقصان فى أهل او مال فمن اصابه نقصان فى اهل او مال فلا يغش نفسه ، الا وانما المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لاقوام وقد دخل فى هذا العسكر طمع من معاوية فقطعوا عنكم هم الدنيا بفراقها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها فان نازعتكم انفسكم الى غير ذلك فردوها الى الصبر ووطنوها على العزاء فوالله ان ارجى ما ارجوه الرزق من الله من حيث لا تحتسب وقد فارقكم مصقلة بن هبيرة فآثر الدنيا على الآخرة وفارقكم بشر بن ارطاة فأصبح تقيل الظهر من الدماء منتفخ البطن من المال وفارقكم زيد بن عدى بن حاتم فأصبح يسأل الرجعة . وايم الله لودت رجال مع معاوية انهم معى فباعوا الدنيا بالآخرة ولودت رجال معى انهم مع معاوية فباعوا الآخرة بالدنيا

قدوم ابن أبى محجن على معاوية

قال وذكروا ان عبدالله بن أبى محجن الثقفى قدم على معاوية فقال ياأمير المؤمنين انى أتيتك من عند الغبى الجبان البخيل ابن أبى طالب فقال معاوية : لله أنت تدرى ماقلت ، أما قولك الغبى فوالله لوان ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان على وأما قولك انه جبان فثكلتك أمك هل رأيت أحداً قط بارزه الاقتله . واماقولك انه بخيل فوالله لو كان له بيتان احدهما من تبر والآخر من تبن لانفد تبره قبل تبنه . فقال الثقفى فعلى م تقاتله اذاً ؟ قال على دم عثمان وعلى هذا الخاتم الذى من جعله فى يده جازت طينته وأطعم عياله وادخر لاهله . فضحك الثقفى ثم لحق بعلى فقال ياأمير المؤمنين هب لى يدى بجرمى لادنيا أصبت ولا آخرة . فضحك على ثم قال : انت منها على رأس أمرك وانما يأخذ الله العباد باحد الامرين

(رفع اهل الشام المصاحف)

قال وذكروا ان اهل العسكرين باتوا بشدة من الالم ونادى على اصحابه فاصبحوا على راياتهم ومصافهم فلما رآهم معاوية وقد برزوا للقتال قال لعمرو ابن العاص ياعمرو ألم تزعم انك ماوقعت فى امر قط الا وخرجت منه قال بلى قال افلا تخرج مما ترى . قال والله لادعونهم ان شئت الى امر افرق به جمعهم ويزداد جمعك اليك اجتماعا ان اعطوكه اختلفوا وان منعوكه اختلفوا ، قال معاوية وما ذلك قال عمرو تأمر بالمصاحف فترتفع ثم تدعوهم الى مافيها فوالله لئن قبله لتفترقن عنه جماعته ولئن رده ليكفرنه اصحابه . فدعا معاوية بالمصحف ثم دعا رجلا من اصحابه يقال له ابن هند فنشره بين الصفين ثم نادى إلله الله فى دمائنا ودمائكم البقية بيننا وبينكم كتاب الله . فلما سمع الناس ذلك ثاروا الى على فنالوا قد اعطاك معاوية الحق ودعاك الى كتاب الله فاقبل منه . ورفع صاحب معاوية المصحف وهو يقول بيننا وبينكم هذا المصحف ثم تلى : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » ثم نادى من الفارس من الروم فقال الاشعث والله لا نأتى هذه أبداً ونرضى معك او تقاتل معك وتابعه اشراف اهل اليمن

وركنوا الى الصلح وكرهوا القتال

(ماتكلم به عبدالله بن عمرو وأهل العراق)

قال وذكروا ان معاوية دعا عبدالله بن عمرو بن العاص فأمره ان يكلم أهل العراق فأقبل عبدالله بن عمرو حتى اذا كان بين الصفين نادى : ياأهل العراق انا عبدالله بن عمرو بن العاص انه قد كانت بيننا و بينكم أمور للدين والدنيا فان تلك للدين فقد والله اسرفنا واسرفتم وان تلك للدنيا فقدوالله اعذرنا واعذرتم وقد دعونا كم لامر لو دعوتمونا اليه اجبناكم فان يجمعنا وايا كم الرضا فذلك من الله والا فاغتنموا هذه الفرجة لعل الله ان ينعش بها الحي وينسى بها القتيل فان بقاء المقلد بعد الهالك قليل . فقال على لسعيد بن قيس اجب الرجل وقد كان عبدالله بن عمرو قاتل يوم صفين بسيفين وكان من حجته أن قال امرني رسول الله ان اطيع ابى . فتقدم سعيد بن قيس حتى اذا كان بين الصفين نادى . ياأهل الشام انه كانت بيننا و بينكم امور حميما فيها على الدين والدنيا وقد دعوتمونا الى ماقاتلناكم عليه امس ولم يكن له ليرجع اهل العراق الى عراقهم ولا أهل الشام الى شامهم بامر احمل منه فان يحكم فيه بما انزل الله فالامر فى ايدينا والا فنحن نحن وأنتم أنتم . وان الناس ناروا الى على عند كلام عبد الله بن عمرو فقالوا اجب القوم الى ماد عوك اليه فانا دعونا عثمان الى ماد عاك القوم اليه فابى فقاتلناه . فبعث على الاشعث الى اهل الرايات يأمرهم ان ينقضوها و يرجعوا الى رحالهم حتى يبرموا رأيهم

﴿ ماخاطب به عتبة بن أبى سفيان الاشعث بن قيس ﴾

قال وذكروا ان معاوية دعا عتبة فقال له : ألن الى لاشعث كلاما فانه ان رضى بالصلح رضيت به العامة فخرج عتبة حتى اذا وقف بين الصفين نادى الاشعث فأتاه فقال عتبة أيها الرجل ان معاوية لو كان لاقيا احداً غيرك وغير على لنيك انك رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن ومن قد سلف اليه من عثمان ماقد سلف من الصهر والعمل ولست كاصحابك اما الاشتر فقتل عثمان ، واما عدى فحض ، واما سعيد بن قيس فقد عليا دينه ، واما شريح بن هانئ وزحر بن قيس فلا يعرفان غير الهوى واما انت فاميت عن اهل العراق

تكرما وحاربت اهل الشام حمية وقد والله بلغنا منك ما أردنا وبلغت منا ما أردت وانا لا ندعوك الى ما يكون منك من تركك عليا ولا نصرة معاوية ولكنا ندعوك الى البقية التى فيها صلاحك وصلاحنا

(فتكلم الاشعث)

فقال : ياعتبة اما قولك ان معاوية لا يلقى الا عليا فلو لقيني مازاد ولاعظم فى عيني ولا صغرت عنه وان أحب ان أجمع بينه وبين على لافعلن ، واما قولك انى رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن فالرأس الامير والسيد المطاع وهاتان لعلى ، وأما اسلفت الى من عثمان فوالله مازادنى صهره شرفا ولا عمله غنى ، واما عيبك أصحابى فان هذا الامر لا يقربك منى واما محاماتى عن العراق فمن نزل بيننا حميناه واما البقية فلسنا نأحوج منها اليكم

﴿ كتاب معاوية الى على رضى الله عنهما ﴾

قال وذكروا ان عليا اظهر انه مصبح معاوية للقتال فبلغ ذلك معاوية ففزع اهل الشام فتكسروا لذلك فقال معاوية لعمرو انى قد رايت رأيا ان اعيد الى على كتابا اسأله فيه الشام . فضحك عمرو ثم قال اين انت يامعاوية من جرعة على . فقال معاوية ألسنا بنى عبد مناف فقال بلى ولكن لهم النبوة دونكم فان شئت ان تكتب فاكتب . فكتب معاوية الى على : اما بعد فانى اظنك ان لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وان كنا قد غلبنا على عقولنا فلنا منها ما نذم به ما مضى ونصلح ما بقى وقد كنت سألتك ان لا يلزمنى لك طاعة ولا بيعة فابيت ذلك على فاعطانى الله ما منعت وانى ادعوك الى ما دعوتك اليه أمس فانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخاف من الفناء الا ما أخاف . وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل الا فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر

﴿ جوابه ﴾

فلما انتهى كتابه الى على دعا كاتبه عبيدالله بن رافع فقال اكتب : أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر انك لو علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا واياك فى غاية لم نبلغها بعد ، واما طلبك الى الشام فانى

لم اكن اعطيك اليوم مامنعتك امس ، واما استواؤنا فى الخوف والرجاء فانك لست امضى على الشك منى على اليقين وليس اهل الشام بأحرص من اهل العراق على الاخرة واماقولك انا بنى عبد مناف فكذلك ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبدالمطلب ولا ابوسفيان كأبى طالب ولا المهاجر كالطليق ولا المحق كالمبطل وفى ايدينا فضل النبوة التى قتلنا بها العزيز ونعنا بها الحر والسلام ، فلما أتى معاوية الكتاب أقرأه عمراً فشمت به عمرو ولم يكن أحد أشد تعظيما لعلى من عمرو بن العاص بعد يوم مبارزته فقال معاوية لعمرو قد علمت ان اعظامك لعلى لما فضحك قال عمرو لم يفتضح امرؤ بارز عليا وانما افتضح من دعاه الى البراز فلم يجبه

اختلاف أهل العراق فى الموادعة

قال وذكروا انه لما عظم الامر واستمر القتال قال له رأس من أهل العراق ان هذه الحرب قد اكلتنا واذهبت الرجال والرأى الموادعة . وقال بعضهم لابل نقاتلهم اليوم على ماقاتلناهم عليه أمس وكانت الجماعة قد رضيت الموادعة وجنحت الى الصلح والمسالمة . فقام على خطيبا فقال : أيها الناس انه لم أزل من أمرى على ماأحب حتى قدحتكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وهى لعدوكم أنهك . وقد كنت بالامس أميراً فأصبحت اليوم مأمورا وكنت ناهيا فأصبحت اليوم منهيا فليس لى ان احملكم على ماتكرهون

(مارد كردوس بن هانئ على على)

قال وذكروا ان كردوس بن هانئ قام فقال . ايها الناس انه والله ماتولينا معاوية منذ تبرأنا منه ولا تبرأنا من على منذ توليناه وان قتيلنا لشهيد وان حيا لفائز وان عليا على بينة من ربه وما اجاب القوم الا انصافا وكل محق منصف فمن سلم له نجا ومن خالفه هوى

(ماقاله سفيان بن ثور)

قال وذكروا ان سفيان بن ثور قال . ايها الناس انادعونا اهل الشام الى كتاب الله فردوه علينا فقاتلناهم وانهم دعونا الى كتاب الله فان رددناه عليهم حل لهم منا ماحل لنا منهم ولسنا نخاف ان يحيف الله علينا ورسوله وان عليا

ليس بالراجع الناكص وهواليوم على ما كان عليه أمس وقد أكلتنا هذه الحرب ولا نرى البقاء الا فى الموادعة

ماقال حريث بن جابر

ثم قام حريث بن جابر فقال : أيها الناس ان علياً لو كان خلواً من هذا الامر لكان المرجع اليه فكيف وهو قائده وسابقته وانه والله ماقبل من القوم اليوم الا الامر الذى دعاهم اليه أمس ولو رده عليهم كنتم له أعيب ولا لحد فى هذا الامر الا راجع على عقبيه او مستدرج مغرور وما بيننا وبين من طعن علينا الا السيف

ماقال خالد بن معمر

ثم قام خالد بن معمر فقال ياأمير المؤمنين انا والله ماأخرنا هذا المقام أن يكون أحد أولى به منا ولكن فلما أحب الامور الينا ما كفينا مؤنته فاما اذ استغنينا فانا لانرى البقاء الا فيما دعاك القوم اليه اليوم ان رأيت ذلك وان لم تر فرأيك أفضل

ماقال الحصين بن المنذر

ثم قام الحصين بن المنذر وكان أحد القوم سناً فقال : أيها الناس انما بنى هذا الدين على التسليم فلا تدفعوه بالقياس ولا تهدموه بالشبهة وانا والله لو انا لا نقبل من الامور الا ما نعرف لاصبح الحق فى الدنيا قليلا ولو تركنا وما تهوى لاصبح الباطل فى ايدينا كثيراً وان لنا راعياً قد حمدنا ورده وصدره وهو المأمون على ماقال وفعل فان قال لاقلنا لا : وان قال نعم قلنا نعم

ماقال عثمان بن حنيف

ثم قام عثمان بن حنيف وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عاملا لعلى على البصرة وكان له فضل فقال : أيها الناس اتهموا رأيكم فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية يوم أبى جندل وانا لنريد القتال انكارا للصلح حتى ردنا عنه رسول الله وان أهل الشام دعوا الى كتاب الله اضطراراً فأجبناهم اليه اعذاراً فلسنا والقوم سواء انا والله ماعدلنا الحى بالحى ولا القتيل بالقتيل ولا الشامى بالعراقى ولا معاوية بعلى وانه لا مرمنعه غير نافع واعطاؤه غير ضائر وقد كلت البصائر التى كنا نقاتل بها وقد حمل الشك

اليقين الذى كنا نؤل اليه وذهب الحياء الذى كنا نمارى به فاستظلوا فى هذا الفىء واسكنوا فى هذه العافية فان قلتم نقاتل على ما كنا نقاتل عليه أمس هيهات هيهات ذهب والله قياس أمس وجاء غد . فاعجب علياً قوله وافتخرت به الانصار ولم يقل احد باحسن من مقالته

﴿ ماقال عدى بن حاتم ﴾

ثم قام عدى بن حاتم فقال : ايها الناس انه والله لو غير على دعانا الى قتال اهل الصلاة ماأجبناه ولا وقع بأمر قط الا ومعه من الله برهان وفى يديه من الله سبب وانه وقف عن عثمان بشبهة وقاتل اهل الجمل على النكث واهل الشام على البغى فانظروا فى امورکم وامره فان كان له عليكم فضل فليس لكم مثله فسلموا له والا فنازعوا عليه ، والله لئن كان الى العلم بالكتاب والسنة انه لاعلم الناس بهما . ولئن كان الى الاسلام انه لاخو نبي الله والرأس فى الاسلام . ولئن كان الى الزهد والعبادة لانه أظهر الناس زهداً واهكهم عبادة ولئن كان الى العقول والنجائز انه لاشد الناس عقلا واكرمهم نجبزة ، ولئن كان الى الشرف والنجدة انه لاعظم الناس شرفا ونجدة ، ولئن كان الى الرضى لقد رضى به المهاجرون والانصار فى شورى عمر رضى الله عنهم وبايعوه بعد عثمان ونصروه على أصحاب الجمل وأهل الشام فما الفضل الذى قربكم الى الهدى وما النقص الذى قربه الى الضلال ؟ والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد لاتاح الله له من يقاتل لامر ماض وكتاب سابق . فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ورجع كل من تشعب على على رضى الله عنه

﴿ ماقال عبدالله بن حجل ﴾

ثم قام عبدالله بن حجل فقال : ياأمير المؤمنين انك امرتنا يوم الجمل بأمور مختلفة كانت عندنا أمراً واحداً فقبلناها بالتسليم وهذه مثل تلك الامور ونحن أولئك أصحابك وقد اكثر الناس فى هذه القضية وأيم الله ما المكثر المنكر بأعلم بها من المقل المعترف وقد أخذت الحرب بأنفاسنا فلم يبق الا رجاء ضعيف فان تجب القوم الى مادعوك اليه فأنت أولنا ايمانا وآخرنا بنبي الله عهداً وهذه سيوفنا على اعناقنا وقلوبنا بين جوانحنا وقد اعطيناك بقيتنا وشرحت بالطاعة

صدورنا ونفدت فى جهاد عدوك بصيرتنا فأنت الوالى المطاع ونحن الرعية الاتباع ، أنت أعلمنا بربنا وأقربنا بنبينا وخيرنا فى ديننا وأعظمنا حقا فينا ، فسدد رأيك تتبعك واستخر الله تعالى فى امرك واعزم عليه برأيك فأنت الوالى المطاع . قال فسر على كرم الله وجهه بقوله واثنى خيراً

﴿ ثم قام صعصعة بن صوحان ﴾

فقال : ياأمير المؤمنين انا سبقنا الناس اليك يوم قدوم طلحة والزبير عليك فدعانا حكيم الى نصرة عاملك عثمان بن حنيف فأجبناه فقاتل عدوك حتى أصيب فى قوم من بنى عبد قيس عبدوا الله حتى كانت أكفهم مثل أكف الابل وجباههم مثل ركب المعز فأسر الحى وسلب القتيل فكنا أول قتيل وأسير ثم رأيت بلاءنا بصفين وتدكدكت البصائر وذهب الصبر وبقى الحق موفوراً وأنت بالغ بهذا حاجتك والامر اليك ما أراك الله فمرنا به

﴿ ماقال المنذر بن الجارود ﴾

ثم قام المنذر بن الجارود فقال : ياأمير المؤمنين انى أرى أمراً لايدين له الشام الا بهلاك العراق ولايدين له العراق الا بهلاك الشام ولقد كنا نرى أن مازادنا نقصهم وما نقصنا أضرهم فاذا فى ذلك أمران فان رايت غيرك فينا والله ما يفعل به الحد ويرد به الكلب وليس لنا معك ايراد ولا صدر

﴿ ماقال الاحنف بن قيس ﴾

ثم قام الاحنف بن قيس فقال : ياأمير المؤمنين ان الناس بين ماض وواقف وقائل وساكت وكل فى موضعه لحسن وانه لو يكل الآخر عن الاول لم يقل شيئاً الا ان يقول اليوم ماقد قيل أمس ولكنه حق يقضى ولم نقاتل القوم لنا ولا لك انما قاتلناهم لله فان حال أمر الله دوننا ودونك فاقبله . فانك أولى بالحق واحقنا بالتوفيق ولا أرى الا النتال

﴿ ماقال عمير بن عطارد ﴾

ثم قام عمير بن عطارد فقال : ياأمير المؤمنين ان طلحة والزبير وعائشة كانوا أحب الناس الى معاوية وكانت البصرة اقرب الينا من الشام وكان القوم الذين وثبوا عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً من الذين وثبوا

عليك من أصحاب معاوية اليوم فوالله مامنعنا ذلك من قتل المحارب وعيب الواقف فقاتل القوم انا معك

﴿ ماقال على رضى الله عنه بعده ﴾

ثم قام على خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انه قد بلغ كم وبعدوكم ماقد رأيتم ولم يبق منهم الا آخر نفس وان الامور اذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم ما بلغوا وانا غاد عليهم بنفسى بالغداة فأحاكمهم بسيفى هذا الى الله

﴿ نداء أهل الشام واستغاثتهم علياً رضى الله عنه ﴾

قال فلما بلغ معاوية قول على دعا عمرو بن العاص فقال له يا عمرو انما هى الليلة حتى يغدوا علينا على بنفسه فماترى قال عمرو ان رجالك لا يقومون لرجاله ولا أنت ولا أنا لا نقوم له . انت تقاتله على أمر و يقاتلك على غيره وأنت تريد البقاء وعلى يريد الفناء وليس يخاف أهل الشام من على مايخاف منك أهل العراق وان هلكتم . ولكن ادعهم الى كتاب الله فانك تقضى منه حاجتك قبل أن ينشب مخلبه فيك . فأمر معاوية أهل الشام أن يناديهم فنادوا فى سواد الليل نداء معه صراخ واستغاثة يقولون يا أبا الحسن من لذراريا من الروم ان قتلتنا الله الله البقيا كتاب الله بيننا وبينكم . فاصبحوا وقد رفعوا المصاحف على الرماح وقلدوها أعناق الخيل والناس على رايتهم قد اصبحوا للقتال

﴿ ماأشار به عدى بن حاتم ﴾

فقام عدى بن حاتم فقال : يا أمير المؤمنين ان أهل الباطل لا تعوق لأهل الحق وقد جزع القوم حين تأهبت للقتال نفسك وليس بعد الجزع الا ماتحب ناجز القوم .

﴿ ماقال الاشتر وأشار به ﴾

ثم قام الاشتر فقال : يا أمير المؤمنين ماأجبناك لدنيا ان معاوية لا خلف له من رجاله ولكن بحمد الله الخلف لك ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرتك فافرج الحديد بالحديد واستعن بالله

﴿ ماقال عمرو بن الحمق ﴾

ثم قام عمرو بن الحمق فقال يا أمير المؤمنين ماأجبناك لدنيا ولا نصرناك على

باطل ما أجبناك الا الله تعالى ولا نصرناك الا للحق ولو دعانا غيرك الى ما دعوتنا اليه لكثر فيه اللجاج وطالت له النجوى وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك رأى

﴿ ماقال الاشعث بن قيس ﴾

ثم قام الاشعث بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين انا لك اليوم على ما كنا عليه أمس ولست أدرى كيف يكون غداً وما القوم الذين كلموك بأحمد لاهل العراق منى ولا باوتر لاهل الشام منى فأجب القوم الى كتاب الله فانك احق به منهم وقد احب الله البقيا

﴿ ماقال عبد الرحمن بن حارث ﴾

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال يا أمير المؤمنين امض لامر الله ولا يستخفنك الذين لا يوقنون . احكم بعد حكم وأمر بعد أمر مضت دماؤنا ودماؤهم ومضى حكم الله علينا وعليهم

﴿ مارآه على كرم الله وجهه ﴾

فقال فقال على الى قول الاشعث بن قيس وأهل اليمن فأمر رجلا ينادى انا اجبنا معاوية الى ما دعانا اليه . فأرسل معاوية الى على ان كتاب الله لا ينطق ولكن نبعث رجلا منا و رجلا منكم فيحكمان بما فيه . فقال على قد قبلت ذلك

﴿ ماقال عمار بن ياسر ﴾

فلما أظهر على أنه قد قبل ذلك قام عمار بن ياسر فقال : يا أمير المؤمنين أما والله لقد أخرجها اليك معاوية بيضاء من أقربها هلك ومن انكرها هلك مالك يا أبا الحسن اشككتنا فى ديننا ورددتنا على اعقابنا بعد مائة الف قتلوا منا ومنهم أفلا كان هذا قبل السيف وقبل طلحة والزبير وعائشة وقد دعوك الى ذلك فابيت وزعمت أنك اولى بالحق وان من خالفك منهم ضال حلال الدم وقد حكم الله تعالى فى هذا المال ماقد سمعت فان كان القوم كفاراً مشركين فليس لنا ان نرفع السيف عنهم حتى يفيؤا الى امر الله وان كانوا اهل فتنة فليس لنا ان نرفع السيف عنهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله والله ما أسلموا ولا أدوا الجزية ولا فاؤا الى امر الله ولا طفئت الفتنة فقال على والله انى لهذا الامر كاره

﴿ قتل عمار بن ياسر ﴾

قال فلما رد على على عمار انه كاره للقضية وانه ليس من رأيه نادى عمار : أيها

الناس هل من رائح الى الجنة فخرج اليه خمسمائة رجل منهم أبو الهيثم وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فاستسقى عمار الماء فأتاه غلام له بأداوة فيها لبن فلما رآه كبر وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « آخر زادك لبن » ثم قال عمار اليوم القى الاحبة محمداً وحزبه . ثم حمل عمار وأصحابه فالتقى عليه رجلان فقتلاه واقبلا برأسه الى معاوية يتنازعان فيه كل يقول انا قتلته فقال لهما عمرو بن العاص : والله ان تتنازعان الا فى النار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول : تقتل عماراً الفئة الباغية فقال معاوية قبحك الله من شيخ فما تزال تزاق فى قولك اونحن قتلناه انما قتله الذين جاؤوا به ثم التفت الى أهل الشام فقال : انما نحن الفئة الباغية التي تبغى دم عثمان . فلما قتل عمار اختلط الناس حتي ترك أهل الرايات مراكزهم وأقحم أهل الشام وذلك من آخر النهار وتفرق الناس عن على فقال عدى ابن حاتم : والله يا أمير المؤمنين ما ابقت هذه الواقعة لنا ولا لهم عميداً فقاتل حتي يفتح الله تعالى لك فان فينا بقية فقال على يا عدى قتل عمار بن ياسر ؟ قال نعم فبكى على : وقال ! رحمك الله يا عمار استوجب الحياة والرزق الكريم كم تريدون ان يعيش عمار وقد نيف على التسعين

﴿ هزيمة أهل الشام ﴾

ثم اقبل الاشتر جريحا فقال : يا أمير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل الى ساعتنا هذه فعد الى مكانك الذى كنت فيه فان الناس انما يطلبون حيث تركوك . وان علياً دعا بفرسه التى كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء ثم تعصب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء ثم نادى : من يبع نفسه اليوم يربح غدا يوم له ما بعده وان عدوكم قد قدح كما قد حتم فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى اثنى عشر ألفا واضعى سيوفهم على عواتقهم وتقدموا فحمل على والناس حملة واحدة فلم يبق لاهل الشام صف الا أغمد حتى افضى الامر الى معاوية وعلى يضرب بسيفه ولا يستقبل أحدا الا ولى عنه فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فلما وضع رجله فى الركاب نظر الى عمرو بن العاص فقال له يا بن العاص . اليوم صبر وغدا فخر قال صدقت فترك الركوب وصبر وصبر القوم معه الى الليل فبات الناس يتحارسون وكرهوا القتال وهو اليوم الذى فيه

البلاء العظيم يوم قتل عمار وكل يظن ان الدائرة عليه وأسرف الفريقان فى القتل ولم يكن فى الاسلام بلاء ولا قتل أعظم منه فى تلك الثلاثة الايام وان علياً نادى بالرحيل فى جوف الليل فلما سمع معاوية رضى الله عنه رغاء الابل دعا عمرو بن العاص فقال ما ترى هاهنا قال عمرو أظن الرجل هاربا فلما أصبحوا اذا على وأصحابه الى جانبهم قد خالطوهم فقال معاوية كلا زعمت ياعمرو انه هارب فضحك وقال من فعلاته والله فعندها أيقن معاوية بالهلكة ونادى أهل الشام كتاب الله بيننا وبينكم ويومئذ استبان ذل أهل الشام ورفعوا المصاحف ثم ارتحلوا فاعتصموا بجبل منيف وصاحوا لا ترد كتاب الله يا ابا الحسن فانك اولى به منا واحق من اخذبه

﴿ ماقال الاشعث بن قيس ﴾

قال فاقبل الاشعث بن قيس فى اناس كثير من اهل اليمن فقالوا لعلى لا ترد ما دعاك القوم اليه قد انصفك القوم والله لئن لم تجبهم الى ما دعوك اليه منهم لا وفاء معك ولا نرمى معك بسهم ولا حجر ولا نضع معك موضعا

﴿ ماقال القراء ﴾

قال فلما سمع على قول الاشعث ورأى حال الناس قبل القضية واجاب الى الصلح وقام الى على اناس وهم القراء منهم عبدالله بن وهب الراسبى فى اناس كثير قد اخترطوا سيوفهم ووضعوها على عواتقهم فقالوا لعلى اتق الله فانك قد اعطيت العهد واخذته منا لتفين انفسنا ولتفين عدونا او نفئ الى امر الله وانا نراك قد ركنت الى امر فيه الفرقة والمعصية لله والذل فى الدنيا فانهض بنا الى عدونا فلنحاكمه الى الله بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين لا حكومة الناس .

﴿ ماقال عثمان بن حنيف ﴾

ثم قام عثمان بن حنيف فقال : ايها الناس اتهموا رأيكم فانا والله قد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو رايناقتالا قاتلنا وذلك فى الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اهل مكة . فامض على القضية واتهم هذا الصلح

﴿ ماقال الاشتر وقيس بن سعد ﴾

قال فانكرها الاشتر وقيس بن سعد وكانا أشد الناس على على فيها قولا فكان الذين عملوا فى الصلح الاشعث بن قيس وعدى بن حاتم وشريح بن هانى

وعمرو بن الحمق وزحر بن قيس ومن أهل الشام زيد بن أسد ومخارق بن الحارث وحمزة بن مالك فلما رأى ذلك أبو الاعور قام الى معاوية فقال ياأمير المؤمنين ان القوم لم يجيبوا الى مادعوناهم اليه حتى لم يجدوا من ذلك بداً وانهم ان ينصرفوا العام يعودوا فى قابل فى سنة يبرأ الجريح وينسى القتيل وقد أخذت بالحرب منا ومنهم غير انهم اختلفوا على على ولم يختلف عليك أحد والخلاف أشد من القتل ناجز القوم . فقال بشر بن أرطاة والله ان الشام خير من العراق لعلى وما فى يدك لك وما فى يد على لاصحابه دونه فان كنت انما سألت المدة لاعداد العدة وانتظار المدد فنعم وان كنت سالتها بغضا للحرب وقياعلى أهل الشام فلا

﴿ ذكر الاتفاق على الصلح وارسال الحكمين ﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لاصحابه حين استتمت المدة ولم يسم الحكمين من تروون عليا يختار فاما حن فصاحبنا عمرو بن العاص . قال عتبة بن أبى سفيان أنت أعلم بعلى منا فقال معاوية : ان لعلى خمسة رجال من ثقاته منهم عدى بن حاتم وعبد الله بن عباس وسعد بن قيس وشريح بن هانئ والاحنف ابن قيس وأنا أصفهم لك : أما عباس فانه لا يقوى . واما عدى بن حاتم فيرد عمراً سائلا ويسأله مجيبا . واما شريح بن هانئ فلا يدع لعمرو حياضا . وأما الاحنف بن قيس فبديهته كرويته . وأما سعد بن قيس فلو كان من قريش بايعته لعرب ومع هذا ان الناس قد ملوا هذه الحرب ولم يرضوا الا رجلا له نفية وكل هؤلاء لا تقية لهم ولكن انظروا أين أنتم من رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمنه أهل الشام وترضى به أهل العراق فقال عتبة ذلك أبو موسى الاشعرى

﴿ اختلاف أهل العراق فى الحكمين ﴾

قال وذكروا ان عليا لما استقام رايه على أن يرسل عبد الله بن عباس مع عمرو ابن العاص قام اليه الاشعث بن قيس وشريح بن هانئ وعدى بن حاتم وسعد ابن قيس ومعهم ابو موسى الاشعرى فقالوا ياامير المؤمنين هذا ابو موسى الاشعرى وافد أهل اليمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب مغانم أبى بكر وعامل عمر بن الخطاب وقد عرضنا على القوم بن عباس فزعموا انه قريب القرابة

منك ضنين فى امرك وايم الله لو لقيت به عمرا لاخذ بصره وغم صدره . ولكن الناس قد رضوا برجل يثق اهل العراق واهل الشام بتقيته . فتكلم شبيب ابن ربعى فقال انا والله ان خفنا على ابى موسى من عمرو مالا يخافه اهل الشام على عمرو من ابى موسى فلعل ماخفناه لا يضرنا ولعل مارجوا لا ينفعهم فان قلت فى ابى موسى ضعف فضعفه ونقاده خير من قوة عمرو وفجوره فاغلق به البلاء وافتح به العافية . فتكلم ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين انك أجبت الله فأجبناك ولكنا نقول الله بيننا وبينك ان كنت تخشى من أبى موسى عجزاً فشر من أرسلت الخائن العاجز . ولست تحتاج من عقله الا الى حرف واحد ان لا يجعل حتفك لغيرك فيدرك حاجته منك . واعلم ان معاوية طليق الاسلام وان ابنه رأس الاحزاب وانه ادعى الخلافة من غير مشورة فان صدقك فقد حل خلعه وان كذبك فقد حرم عليك كلامه وان ادعى ان عمر وعثمان استعملاه فقد صدق استعمله عمر وهو الوالى بمنزلة الطبيب من المريض يحميه ما يشتهى ويوجره ما يكره ثم استعمله عثمان وما كان من استعماله ثم لم يدع الخلافة ومهما نسيته فلا ننس ان عليا بايعه الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وانها بيعة هذا ولم يقاتل الا عاصيا أو ناكثا . فقال : ابوموسى رحمك الله أما والله انى لواقف عند ما أرى ولرضاء الله تعالى أحب الى من رضاء الناس وما أنا وأنت الا بالله تعالى

﴿ ماقال أهل الشام لاهل العراق ﴾

قال وذكروا ان اهل الشام قالوا لاهل العراق اعطونا رجلا نسميهم لكم يكونون شهوداً على ما ينقوله صاحبنا وصاحبكم بيننا وبينكم صحيفة فقال على سموا من احببتم فسموا ابن عباس والاشعث بن قيس وزياد بن كعب وشريح بن هانئ وعدى بن حاتم وحجر بن عدى وعبدالله بن الطفيل وسفيان بن ثور وعروة بن عامر وعبدالله بن حجر وخالد بن معمر وطلب اهل العراق من اهل الشام عتبة بن أبى سفيان وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد ويزيد بن أسيد وأبا الاعور والحصين بن نمير وحمزة بن مالك وبسر بن أرطاة والنعمان بن بشير ومخارق بن الحارث فلما سمى اهل العراق رجال اهل الشام وسمى اهل الشام رجال اهل العراق قال معاوية أين يكون هذين الرجلين فرضى الناس ان يكونا بدومة الجندل

﴿ ماقال الاحنف بن قيس لعلى ﴾

قال فلم يبق الا الكتاب قال الاحنف بن قيس لعلى ياأمير المؤمنين ان أبا موسى رجل يمانى وقومه مع معاوية فابعثنى معه فوالله لايحل لك عقدة الاعقدت لك أشد منها فان قلت انى لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فابعث ابن عباس وابعثنى معه

﴿ ماقال على كرم الله وجهه ﴾

فقال على ان الانصار والقراء أبوني بأبي موسى فقالوا ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه والله بالغ أمره

﴿ الاختلاف فى كتاب صحيفة الصلح ﴾

قال فوضع الناس السلاح والتقوا بين العسكرين فلما جئ بالكتاب قال على اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ماتقاضى عليه على بن أبى طالب أمير المؤمنين ومعاوية بن أبى سفيان فقال معاوية على م قاتلناك اذ كنت أمير المؤمنين اكتب : على بن أبى طالب . قال الاشعث اطرح هذا الاسم فانه لايضرك فضحك على ثم قال . دعان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين صده المشركون عن مكة فقال ياعلى اكتب هذا ماتقاضى عليه محمد رسول الله ومشركو قريش فقال سهيل بن عمرو لقد ظلمناك اذا يامحمد ان قاتلناك وأنت رسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال صلى الله عليه وسلم اكتب محمد ابن عبد الله وانى رسول الله . وكنت اذ أمرنى شئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعت واذا قال مشركو قريش أبطأت به واذا كتبت شيئاً قال نبى الله امحها فتعاظمنى ذلك . فدعا بمقراض فقرضته وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماتقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان فقال أبو الاعور أو معاوية وعلى فقال الاشعث لا لعمر الله ولكن نبذ أباولهما ايمانا وهجرة وأدناهما من الغلبة فقال معاوية : قدموا أو أخروا تقاضوا على ان علياً ومن معه من شيعته من أهل العراق ومعاوية ومن معه من أهل الشام انا ننزل عند حكم الله وكتابه من فاتحته الى خاتمته ماأحيه القرآن أحييناه وما أمات القرآن امتناه فلما لم يجد عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص فى القرآن حكما بما يجدان فى

السنة العادلة غير المفرقة وعلى على ومعاوية وتبيعتهما وضع السلاح الى انقضاء هذه المدة وهي من رمضان الى رمضان وعلى ان عبدالله بن قيس وعمراً آمنان على دمائهما واموالهما وحريمهما والامة على ذلك انصار وعليهما مثل الذى أخذا ان يقضيا بما فى كتاب الله تعالى وما لم يجدا فى كتاب الله قضيا بما يجدان فى السنة وعليهما ان لا يؤخرا أمرهما عن هذه المدة فان أحبا ان لا يقولا قبل انقضائها فليهما ان يقولا عن تراض منهما على ان يرجع اهل العراق الى العراق واهل الشام الى الشام فيكون الاجتماع الى دومة الجندل فان رضيا ان يحتمعا بغيرها فليهما ذلك ولهما ان لا يحضرهما الا من احبا ولا يشهدا الا من أرادا وهؤلاء النفر من أهل العراق وأهل الشام ضامنون بالوفاء الى هذه المدة فكتب أهل العراق بهذا كتابا لاهل الشام وكتب أهل الشام كتابا بهذا لاهل العراق بخط عمرو بن عبادة كاتب معاوية وشهد شهود أهل الشام على أهل العراق وشهد شهود أهل العراق على أهل الشام فلما كتب الكتابان أقبل رجل من بنى يشكر على فرس له أبلق حتى وقف بين الصفين على على فقال ياعلى أكفرت بعد اسلام ونقضت بعد توكيد وردة بعدمعرفة أما من صحيفة كما برئ ومحى أقر بها برئ ثم حمل على اصحاب معاوية فطعن فيهم حتى اذا عطش أتى عسكر على فاستسقى فسقى ثم حمل على عسكر على فطعن فيهم حتى اذا عطش أتى عسكر معاوية فاستسقى فسقى

﴿ ماوصى به شريح بن هانئ أبا موسى ﴾

قال وذكروا ان شريح بن هانئ اخذ بيد أبى موسى فقال : ياأبا موسى انك نصبت لامر لا يجبر صدعه ولا تستقال فلتته ومهما تقل من شئ لك أو عليك يثبت حتمه ويزيل باطله انه لا بقاء لاهل العراق ان ملكها معاوية ولا بأس لاهل الشام ان ملكها على فانظر فى ذلك نظر من يعرف هذا الامر حقاً

﴿ ماوصى به الاحنف بن قيس ابا موسى ﴾

قال ثم جاء الاحنف بن قيس فأخذ بيد ثم قال : ياأبا موسى اعرف خطب هذا المسير واعلم ان لك ما بعده وانك ان ضيعت العراق فلا عراق لك فاتق الله فانك تجمع بذلك دنيا واخرى . اذا لقيت عمراً غداً فلا تبادره بالسلام فليس من أهله ولا تعطيه يدك فانها امانة واياك ان تقعد على صدر الفراش فانها خدعة ولا تلقه

وحدك واياك ان يكلمك في بيت فيه مخدع يخبأ لك فيه رجالا وان لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي فخيره ان يختار أهل العراق رجلا من قريش أهل الشام من شاؤا فانهم ان يولوا الخيار يختاروا من يريدون فان ابى فلتختار أهل الشام من قريش اهل العراق من شاؤا فان فعلوا كان الامر بيننا

(ماقال معاوية لعمرو)

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو ان اهل العراق اكرهوا علياً على أبي موسى وانا واهل الشام راضون بك وارجو في دفع هذه الحرب قوة لاهل الشام وفرقه لاهل العراق وامداداً لاهل اليمن وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى وله على ذلك دين وفضل فدعه يقول فاذا هو قال فصمت واعلم ان حسن الرأى زيادة في العقل ان خوفك العراق فخوفه بالشام وان خوفك مصر فخوفه باليمن وان خوفك علياً فخوفه بمعاوية وان أباك الجميل فانه بالجميل قال عمرو ياأمير المؤمنين أفلس الاهتمام بما قبلي وارج الله تعالى فيما وجهتني له انك من أمرك على مثل حد السيف لم ينثن في حربك ما رجوت ولم تأمن ما خفت ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً وقد ذكرت لابي موسى ديناً وان الدين منصور أرأيت ان ذكر علياً وجاءنا بالاسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول فقال معاوية فل ما تريد وترى قال فانصرف عمرو الى منزله فقال لاصحابه هل ترون ما أراد معاوية من تصغير أبي موسى قالوا لا قال عرف انه خادعه غداً

﴿ ماقال شرحبيل لعمرو ﴾

قال واتى شرحبيل بن السمط الى عمرو فقال ياعمرو انك رجل قريش وان معاوية لم يبعثك الا لثقته بك واعلم انك لم تؤت من عجز وقد علمت ان وطأة هذا الامر لصاحبك ولك فكن عند ظننا بك

﴿ اجتماع أبي موسى وعمرو ﴾

قال وذكروا ان أبا موسى وعمراً لما اجتمعا بدومة الجندل وحضرهما من يليهما من العرب ليستمعوا قول الرجلين فلما التقيا استقبل عمرو أبا موسى فاعطاه يده وضم عمرو أبا موسى الى صدره فقال ياأخي قبح الله أمراً فرق بيننا ثم أقعد أبا موسى على صدر الفراش وأقبل عليه بوجهه والناس مجتمعون فلم يزالا حتى تفرقا ومكثا أياما

يلتقيان فى أمرهما سراً وجهراً وأقبل الاشعث بن قيس وكان من أحرص الناس على اتمام الصلح والراحة من الحرب فقال يا هذان انا قد كرهنا هذه الحرب ولا نزداد الينا فانها مرة الرضاع والفطام فكفاها بما شئتما

﴿ ماقال سعيد بن قيس للحكمين ﴾

قال فاقبل سعيد بن قيس وكان من النصحاء لعلى كرم الله وجهه فقال : أيها الرجلان انى أراكما قد أبطأتما بهذا الامر حتى أيس القوم منكما فان كنتما اجتمعتما على خير فاظهراه نسمعه ونشهد عليه وان كنتما لم تجتمعا رجعنا الى الحرب

﴿ ماقال عدى بن حاتم لعمرو ﴾

قال وذكروا ان عدياً قال لعمرو أما والله يا عمرو انك لغير مأمون الغناء وانك يا أبا موسى لغير مأمون الضعف وما ننتظر بالقول منكما الا أن تقولا والله ما لكما مع كتاب الله ايراد ولا صدر فقال أبو موسى كفوا عنا فانا انما نقول فيما بقى ولسنا نقول فيما مضى

﴿ ماقال عمرو لابى موسى ﴾

قال وذكروا ان عمراً غدا على أبى موسى فقال يا أبا موسى قد عرفت حال معاوية فى قريش وشرفه فى بنى عبد مناف وانه ابن هند وابن أبى سفيان فما ترى فقال أبو موسى أما معاوية فليس بأشرف فى قريش من على ولو كان هذا الامر على شرف الجاهلية كان أخوال ذى أصبح ولكننى أرى وترى وباعده أبو موسى ثم غدا عليه عمرو فقال يا أبا موسى ان قال قائل ان معاوية من الطلقاء وابو در أس الاحزاب لم يبايعه المهاجرون والانصار فقد صدق واذا قال أن عليا آوى قتلة عثمان وقتل أنصاره يوم الجمل وبرز على أهل الشام بصفين فقد صدق وفينا وفيكم بقية وان عادت الحرب ذهب ما بقى فهل لك ان نخلعهما جميعاً ونجعل الامر لعبد الله بن عمر فقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبسط فى هذه الحرب يداً ولا لسانا وقد علمت من هو مع فضله وزهده وورعه وعلمه فقال أبو موسى جزاك الله بنصيحتك خيراً وكان ابو موسى لا يعدل بعبد الله بن عمر احداً لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من ابيه لفضل عبد الله فى نفسه وافترقا على هذا الامر واجتمع رأيهما على ذلك . ثم ان عمراً غدا على أبى موسى ناشدتك الله تعالى من احق بهذا الامر من اوفى او من غدر قال ابو موسى من اوفى قال عمرو يا ابا موسى نشدتك الله

تعالى ما تقول فى عثمان قال ابو موسى قتل مظلوما قال عمرو فما الحكم فيمن قتل قال ابو موسى يقتل بكتاب الله تعالى قال فمن يقتله قال اولياء عثمان قال فان الله يقول فى كتابه العزيز « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا » قال فهل تعلم ان معاوية من أولياء عثمان قال نعم قال عمرو للقوم اشهدوا قال أبو موسى للقوم اشهدوا على ما يقول عمرو ثم قال أبو موسى لعمرو قم يا عمرو فتكلم وصرح بما اجتمع عليه رأيى و رأيك وما اتفقنا عليه فقال عمرو سبحان الله اقوم قبلك وقد قدمك الله قبلى فى الايمان والهجرة وانت وافد اهل اليمن الى رسول الله ووافد رسول الله اليهم وليك هداهم الله وعرفهم شرائع دينه وسنة نبيه وصاحب مغانم ابى بكر وعمر ولكن قم انت فقل ثم اقوم فأقول فقام ابو موسى فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان خير الناس للناس خيرهم لنفسه وانى لا أهلك ديني بصلاح غيري . ان هذه الفتنة قد اكلت العرب وانى رأيت وعمراً ان نخلع عليا ومعاويه ونجعلها لعبد الله بن عمر فانه لم يبسط فى هذه الحرب يداً ولا لسانا ثم قال عمرو وقال : أيها الناس ان أبا موسى شيخ المسلمين وحكم أهل العراق ومن لا يبيع الدين بالدنيا قد خلع عليا وأثبت معاوية فقال أبو موسى مالك عليك لعنة الله ما أنت الا كمثل الكلب ان تلهث فقال عمرو لكنك مثل الحمار يحمل أسفاراً . واختلط الناس فقالوا والله لا اجتمعنا على على هذا ما حولنا عما نحن عليه وما صلح لنا الا بلا زمناوا اليوم على ما كنا عليه أمس ولقد كنا ننظر الى هذا قبل ان يقع وما أمات قولكما حقا ولا أحيا باطلا ثم تشاتم ابو موسى وعمرو ثم التفت عمرو الى معاوية ولحق ابو موسى بمكة وانصرف القوم الى على فقال عدى أما والله يا امير المؤمنين لقد قدمت القرآن وأخرت الرجال وجعلت الحكم لله فقال على أما انى قد اخبرتكم ان هذا يكون بالامس وجهدت أن تبعثوا غير أبى موسى فأبيتم على ولا سبيل لحرب النوم حتى تنقضى المدة . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : قم يا حسن فتكلم فى امر هذين الرجلين أبى موسى وعمرو ، فقام الحسن فتكلم فقال . أيها الناس قد اكثرتم فى امر ابى موسى وعمرو وانا بعد لم يحكما بالقرآن دون الهوى فحكما بالهوى دون القرآن فمن كان هكذا لم يكن حكما ولكنه محكوم عليه وقد كان من خطأ ابى موسى أن جعلها لعبد الله بن عمر فأخطأ فى ثلاث خصال خالف يعنى ابا موسى اباه عمرا اذ لم يرضه لها ولم يره اهلا لها وكان ابوه اعلم به

من غيره ولا ادخله فى الشورى الا على انه لا شئ له فيها مشروطا مشروطا من عمر على اهل الشورى فهذه واحدة ، وثانية لم تجمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعقدون الامامة ويحكمون على الناس ، وثالثة لم يستأمر الرجل فى نفسه ولا علم ما عنده من رد او قبول . ثم جلس ثم قال على لعبد الله بن عباس قم فتكلم فقام عبد الله ابن عباس وقال . أيها الناس ان للحق اناسا اصابوه بالتوفيق والرضا والناس بين راض به وراغب عنه وانا سار ابو موسى بهدى الى ضلال وسار عمرو بضلال الى هدى فلما التقيا رجع ابو موسى عن هداه ومضى عمرو على ضلاله فوالله لو كانا حكما على بالقرآن لقد حكما عليه ولئن كانا حكما بهواهما على القرآن ولئن مسكينا سار به لقد سار ابو موسى وعلى امامه وسار عمرو ومعاوية امامه ثم جلس فقال على لعبد الله ابن جعفر قم فتكلم فقام وقال . أيها الناس هذا أمر كان النظر فيه لعلى والرضا فيه الى غيره حتم أبو موسى فظلم فدرضيا بهذا فارض به وايم الله ما اصلحا بما فعلا الشام ولا امسدا عراقا ولا اماتا حقا على ولا احييا باطل معاوية ولا يذهب الحق قلة رأى ولا نفخة شيطان وانا على اليوم كما كنا امس عليه ثم جلس

﴿ كتاب ابن عمر الى ابى موسى ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن عمر لما بلغه ما كان من رأى ابى موسى كتب اليه . اما بعد يا ابا موسى فانك تقربت الى ناس لم تعلم هواى فيه اكنت تظن انى ابسط يداً الى امر نهانى عنه عمر او كنت ترانى اتقدم على على وهو خير منى لقد خبت اذاً وخسرت وما أنا من المهتدين فأغضبت بتولك وفعلك على علياً ومعاوية : ثم أعظم من ذلك خديعة عمرو اياك وأنت حامل القرآن ووافداهل اليمن الى نبى الله وصاحب مناسم ابى بكر وعمر فقدمك عمرو للقول مخادعا حتى خلعت علياً قبل ان تخلع معاوية ولعمرى ما يجوز لك على على ما جاز لعمرو على معاوية ولا ما جاز لنا عليه ولعمرى ما رضيت واردت ان الحاكم بما حكم الله بين الناس ولم تبلغ من خطيئتك عنده ما غير امرك فى خلاف هواه فلما أتى أبا موسى كتاب ابن عمر كتب اليه : اما بعد فانى والله ما اردت بتوليتى اياك وبيعتى لك القربة اليك ما أردت بذلك الا الله عز وجل وأما تقدمى امر هذه الامة غير مستكره فانهم كانوا على مثل حد السيف فقلت الى سنة محيا وممات ان يصطلحوا فهو الذى اردت والا لم

يرجعوا الى اعظم مما كانوا عليه ، وأما اغضابي عليك علياً ومعاوية فقد غضبا عليك قبل ذلك ، وأما خديعة عمرو اياي فوالله ماضر بخديعته عليا ولا نفع معاوية وقد كان الشرط ما اجتمعنا عليه لا ما اختلفنا فيه وأما نهيي اليك فوالله لو تم الامر لا كرهت عليه

﴿ كتاب معاوية الى ابي موسى ﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى ابي موسى بعد الحكومة وهو بمكة أما بعد فاكره من اهل العراق ما كرهوا منك واقبل الى الشام فاني خير لك من علي والسلام .

﴿ جوابه ﴾

فكتب اليه أبو موسى : أما بعد فانه لم يكن مني في علي الا ما كان من عمرو فيك غير أني أردت بما صنعت وجه الله واراد عمرو بما صنع ما عندك وقد كان بيني وبينه شروط عن تراض فلما رجع عمرو رجعت وأما قولك ان الحكمين اذا حكما على امر فليس للمحكوم عليه ان يكون بالخيار اما ذاك في الشاة والبعير ، وأما في أمر هذه الامة فليست تساق الى ماتكره ولن تذهب بين عجز عاجز ولا كيد كائد ولا خديعة فاجر . وأما دعاؤك اياي الى الشام فليس لي بدل ولا ايثار عن قبر ابن ابراهيم ابي الانبياء

﴿ كتاب علي الى ابي موسى ﴾

قال وذكروا انه لما بلغ عليا كتاب ابي موسى رق له وأحب ان يضمه اليه : اما بعد فانك امرؤ ضلك الهوى واستدرجك الغرور فاستقل الله يقلك عثرتك فانه من استقال الله اقاله ان الله يغفر ولا يغير وأحب عباده اليه المتقون والسلام ، فلما انتهى كتاب علي الى ابي موسى هم ان يرجع ثم قال لاصحابه اني امرؤ غلب على الحياء ولا يستطيع هذا الامر رجل فيه حياء

(جوابه)

فكتب أبو موسى الى علي : أما بعد فلولا اني خشيت ان يؤل دفع الجواب الى اعظم مما في نفسك لم أجبك لانه ليس عذر ينفعني ولا عذر يمنعني منك واما التزامي مكة فاني استفسرت الى اهل الشام وانقطعت من اهل العراق وأصبت اقواما صغروا من ذنبي ماعظمتم وعظموا من حقي ماصغرتم فأقمت بين اظهرهم اذ لم يكن لي منكم ولي ولا نصير

﴿ ذكر قيام الخوارج على على بن ابى طالب كرم الله وجهه ﴾

قال وذكروا انه لما كان من الحكمين ما كان لقيت الخوارج بعضها بعضا فاجتمعوا فى منزل عبدالله بن وهب الراسبي فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن و ينسبون الى حكم القرآن ان تكون هذه الدنيا آثر عندهم من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق وان ضر ومر فانه ان يضر و يمر فى هذه الدنيا فان ثوابه يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنة فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم اهلها الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدعة المضلة والاحكام الجائرة فقال . حرقوص بن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعوكم زينتها ومهجتها الى المقام بها ولا تلوينكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ياقوم ان ان الرأى ماقد رأيتم والحق ماقد ذكرتم فسكلوا امركم رجلا منكم فانه لابد لكم من عماد وسند ومن راية تحفون حولها وترجعون اليها ثم اجتمعوا فى منزل زفر بن حصين الطائى فقالوا ان الله اخذ عهودنا ومواثيقنا على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق والجهاد فى تقويم السبيل وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام « ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد » وقال « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون » فاشهدوا على أهل دعوتنا ان قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم القرآن وجاروا فى الحكم والعمل وان جهادهم على المؤمنين فرض واقسم بالذى تمنو له الوجوه وتخشع دونه الابصار لو لم يكن احد على تغيير المنكر وقتال الناسطين مساعداً لقاتلتهم وحدى فرداً حتى ألقى الله ربى فيرى انى قد غيرت ارادة رضوانه بلسانى ياخواننا اضربوا جباههم ووجوههم بالسيف حتى يطاع الرحمن عزوجل فان يطع الله كما اردتم أثابكم ثواب المطيعين له الآمرين بأمره وان قتلتم فأى شئ أعظم من المسير الى رضوان الله وجنته واعلموا ان هؤلاء القوم خرجوا لاقضاء حكم الضلالة فاخرجوا بنا الى بلد نتعد فيه الاجتماع من مكاننا هذا فانكم قد أصبحتم بنعمة ربكم وأنتم أهل الحق بين الخلق اذ قلتم بالحق وصمدتم

لقول الصدق فاخرجوا بنا الى المدائن نسكنها فنأخذ بابوابها ونخرج منها سكانها ونبعث الى اخواننا من اهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين الطائى ان المدائن بها قوم يمنعونكم منها ويمنعونها منكم ولكن اكتبوا الى اخوانكم من أهل البصرة فاعلموهم بخروجكم وسيروا أنتم على المدائن فتنزلوا بجسر النهروان قالوا هذا هو الرأى فاجتمعوا على ذلك وكتبوا الى اخوانهم من أهل البصرة : أما بعد فان أهل دعوتنا حكموا الرجال فى أمر الله ورضوا بحكم القاسطين على عباده فخالفناهم ونابذناهم نريد بذلك الوسيلة الى الله وقد قعدنا بجسر النهروان وأحببنا اعلامكم لتأخذوا بنصيبكم من الاجر والسلام

﴿ الجواب ﴾

فكتبوا اليهم : أما بعد فقد بلغنا كتابكم وفهمنا ما ذكرتم وقد وهبنا لكم الرأى الذى جمعكم الله عليه من الطاعة واخلاص الحكم لله واعمالكم أنفسكم فيما يجمع الله به كلمتكم وقد أجمعنا على المسير اليكم عاجلا . وكان بدء خروجهم انهم اجتمعوا فى منزل حرقوص بن زهير ليلة الخميس فقالوا متى أنتم خارجون قالوا الليلة القابلة من يوم الجمعة فقال لهم حرقوص بل أقيموا ليلة الجمعة تتعبدوا لربكم وأوصوا فيها بوصاياكم ثم اخرجوا ليلة السبت مثنى ووحدانا لا يشعر بكم

﴿ خطبة على كرم الله وجهه ﴾

قالوا فلما خرج جميع الخوارج وتوافوا الى النهروان قام على بالكوفة على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد فان معصية العالم الناصح تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة بأمرى فأبيتم الا ما اردتم فأحييا أمات القرآن وأماتا ما أحيا القرآن واتبع كل واحد منهما هواه يحكم بغير حجة ولا سنة ظاهرة واختلفا فى أمرهما وحكمهما فكلاهما لم يرشد الله فبرئ الله منهما ورسوله وصالحوا المؤمنين فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير ثم أصبحوا فى معسكركم يوم الاثنين بالنخيلة وانما حكمنا من حكمنا ليحكما بالكتاب فقد علمتم انهما حكما بغير الكتاب وبغير السنة ووالله لا غزونهم ولو لم يبق احد غيرى لجاهدتهم . واعطى الناس العطاء وهم بالجهاد

﴿ كتاب على كرم الله وجهه للخوارج ﴾

قالوا فأجمع رأى على والناس على المسير الى معاوية بصفين فتجهز معاوية وخرج حتي نزل بصفين واصبح على قد تجهز وعسكر فقيل له ياأمير المؤمنين انه قد افترقت منا فرقة فذهبت قال فكتب اليهم على . أما بعد فان هذين الرجلين الحاطئين الحا كمين اللذين ارتضيتم حكمين قد خالفا كتاب الله واتبع هواهما بغير هدى من الله فلا يعملا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكما فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين ؛ اذ بلغكم كتابنا هذا فاقبلوا الينا فانا سائرون الى عدونا وعدكم ونحن على الامر الذى كنا عليه والسلام . قال فكتبوا اليه : أما بعد فانك لم تغضب لله انما غضبت لنفسك والله لايهدى كيد الخائنين . قال فلما رأى على كتابهم ايس منهم ورأى ان يدعهم ويمضى بالناس الى معاوية وأهل الشام فيناجزهم فقام على خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان من ترك الجهاد وداهن فى امر الله كان على شفا هلكة الا ان يتداركه الله برحمته فانهوا الله عباد الله فانلوا من حاد الله وحاول ان يطفئ نورالله قاتلوا الخاطئين الفاتلين لاولياء الله المحرفين لدين الله الذين ليسوا بقراء للكتاب ولا فقهاء فى الدين ولا علماء بالتأويل ولا لهذا الامر بأهل فى دين ولا سابقة فى الاسلام ووالله لو ولوا عليكم لعلموا فيكم بعمل كسرى وقيصر . فسيروا وتأهبوا للقتال وقد بعثت لاخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم فاذا قدموا واجتمعتم شخصنا ان شاء الله

﴿ كتاب على الى ابن عباس ﴾

قالوا وقد كان على قد كتب الى ابن عباس والى أهل البصرة أما بعد فانا أجمعنا على المسير الى عدونا من أهل الشام فاشخص الى من قبلك من الناس وأقم حتى آتيك والسلام

﴿ ماقال ابن عباس الى أهل البصرة ﴾

فلما قدم كتاب على على ابن عباس فقراه على الناس ثم امرهم بالشخوص مع الاحنف بن قيس فشخص معه منهم الف وخمسمائة رجل فاستقبلهم ابن عباس . فقام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ياأهل البصرة قد جاءنى كتاب أمير المؤمنين

يامرني باشخاصكم فامرتكم بالمسير اليه مع الاحنف بن قيس فلم يشخص اليه منكم الا ألف وخمسمائة وأنتم في الديوان ستون ألفا سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم . ألا فانفروا ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلا فاني موقع بكل من وجدته تخلف عن دعوته عاصيا لامامه حزنا يعقب ندما وقد أمرت أبا الاسود بحشدكم فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه الا نفسه

﴿ ماقال علي كرم الله وجهه لاهل الكوفة ﴾

قال فحشد أبو الاسود الناس بالبصرة فاجتمع اليه الف وسبعماية فاقبل هو والاحنف بن قيس حتى وافيا عالياً بالنخيلة فلما رأى على انه انما قدم عليه من أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل جمع اليه رؤساء الناس وامراء الاجناد ووجوه القبائل فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة انتم اخواني وانصاري واعواني على الحق ومحبي الى جهاد المخلين ، بكم اضرب المدبر وارجو انام طاعة المقبل ، وقد بعثت الى أهل البصرة فاستنفرتهم فلم يأتني منهم غير ثلاثة آلاف ومائتين فاعينوني بنا صحة سمحة خلية من الغش واني آمركم ان يكتب الى رئيس كل قوم منكم ما في عشيرته من المقاتلة وابنائهم الذين ادركوا القتال والعبدان والموالي وارفعوا ذلك الى ننظر فيه ان شاء الله . فقام سعد بن قيس الهمداني . فقال : يا أمير المؤمنين سمعاً وطاعة ووداً ونصيحة انا اول الناس وأول من اجابك بما سألت وطلبت . ثم قام عدي بن حاتم وحجر بن عدي واشراف القبائل فنا الرانحن كذلك ثم كتبوا ورفعوا الى علي فكان جميع ما رفعوا اليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفاً من الابناء وثمانية آلاف من عبيدهم ومواليهم وكانت العرب يومئذ سبعة وخمسين ألفاً من أهل الكوفة ومن مواليهم ومواليهم ثمانية آلاف ومن أهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا وجل . فقام على فيهم خطيباً فقال : أما بعد فقد بلغني قولكم لوان أمير المؤمنين سار بنا الى هذه الخارجة التي خرجت علينا فبدأنا بهم الا ان غير هذه الخارجة اهم على أمير المؤمنين سيروا الى قوم يقاتلونكم كما يكونوا في الارض جبارين ملوكا ويتخذهم المؤمنون أربابا ويتخذون عباد الله خولا ودعواذكر الخوارج . قال فنادى الناس من كل جانب سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت فنحن حزبك وأنصارك نعادي من عاداك ونشايع من اناب اليك والى طاعتك فسر بنا الى عدوك .

كائنامن كان فانك لن تؤتى من قلة ولا ضعف فان قلوب شيعتك كقلب رجل واحد فى الاجتماع على نصرتك والجد فى جهاد عدوك فابشر ياأمير المؤمنين بالنصر واشخص الى أى الفريقين أحببت فانا شيعتك التي ترجو فى طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله وتخاف من الله فى خذلانك، والمختلف عنك شديد الوبال

ماقال على رضى الله عنه فى الخثعمى

فبايعوه على التسليم والرضاء وشرط عليهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل من خثعم فقال له على : بايع على كتاب الله وسنة نبيه قال لا ولكن أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وسنة أبى بكر وعمر فقال على ومايدخل سنة أبى بكر وعمر مع كتاب الله وسنة نبيه انما كانا عاملين بالحق حيث عملا فأبى الخثعمى الا سنة أبى بكر وعمر وابى على ان يبايعه الا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال له حيث ألح عليه تبايع قال لا الا على ماذكرت لك فقال له على أما والله لكأنى بك قد نفرت فى هذه الفتنة وكأنى بحوافر خيلى قد شدخت وجهك فالحق بالخوارج فتقتل يوم النهروان ، قال قبيصة فرأيته يوم النهروان قتيلا قد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه ومثلت به فذكرت قول على وقلت لله در أبى الحسن ماحرك شفتيه قط بشئ الا كان كذلك

اجتماع على للذهاب الى صفين

فاجمع على والناس على المسير الى صفين وتجهز معاوية حتى نزل صفين فلما خرج على بالناس عبر الجسر ثم مضى حتى نزل دير أبى موسى على شاطئ الفرات ثم أخذ على الانبار . وان الخارجة التى خرجت على على بينما هم يسيرون فاذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له فعدوا اليه الفرات فقالوا له من أنت قال انا رجل مؤمن قالوا فما تقول فى على بن أبى طالب قال أقول انه أمير المؤمنين وأول المسلمين ايمانا بالله ورسوله قالوا فما اسمك قال انا عبد الله بن خباب بن الارث صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له افزعناك قال نعم قالوا لا روع عليك حدثنا عن أبيك بحديث سمعه من رسول الله لعل الله أن ينفعنا به قال نعم حدثنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ستكون فتنة بعدى يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسى مؤمنا ويصبح كافراً . فقالوا لهذا الحديث سألناك والله لنقتلنك قتلة ماقتلناها أحداً .

فأخذوه وكتفوه ثم اقبلوا به و بامرأته وهي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل فسقطت رطبة منها فأخذها بعضهم فقذفها في فيه فقال له أحدهم بغير حل أو بغير ثمن أكلتها فالقاها من فيه ، ثم اخترط بعضهم سيفه فضرب به خنزيرا لاهل الذمة فقتله قال له بعض أصحابه ان هذا من الفساد في الارض فلقي الرجل صاحب الخنزير فأرضاه من خنزيره فلما رأى منهم عبد الله بن خباب ذلك قال لئن كنتم صادقين فيما أرى ما على منكم بأس ووالله ما أحدثت حدثا في الاسلام واني لمؤمن وقد امنتموني وقلتم لا روع عليك فجاؤا به و بامرأته فاضجعوه على شفير النهر على ذلك الخنزير فذبحوه فسال دمه في الماء ثم اقبلوا الى امرأته فقالت : انا انا امرأة أما تتقون الله قال فبقروا بطنها وقتلوا ثلاثة نسوة فيهم أم سنان قد صحبت النبي عليه السلام فبلغ علياً خبرهم فبعث اليهم الحارث بن مرة لينظر فيما بلغه من قتل عبد الله بن خباب والنسوة ويكتب اليه بالامر فلما انتهى اليهم ليسائلهم خرجوا اليه فقتلوه فقال الناس يا أمير المؤمنين بدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفونا في عيالنا واموالنا سر بنا اليهم فاذا فرغنا منهم نهضنا الى عدونا من أهل الشام

﴿ مسير علي الى الخوارج وما قال لهم ﴾

قال فسار علي ومن معه حتى نزلوا المدائن ثم خرج حتى أتى النهروان فبعث اليهم : ان ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم انا افارقكم وأكف عنكم حتى ألقى أهل الشام فبعثوا اليه : انا كلنا قتلناهم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم ثم أتاهم على فوقف عليهم فقال أيتها العصابة اني نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الامة غدا وأنتم صرعى بازاء هذا النهر بغير برهان ولا سنة الم تعلموا اني نهيتكم عن الحكومة واخبرتكم ان طلب القوم لها مكيدة وأنباتكم ان القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن واني اعرف بهم منكم قد عرفتم أطفالا وعرفتم رجالا فهم شر رجال وشر اطفال وهم أهل المكر والغدر وانكم ان فارقتموني ورأى جانبتم الخير والحزم فعصيتموني واكرهتموني حتى حكمت فلما ان فعلت شرطت واستوثقت وأخذت على الحكمين ان يحييا ما أحيا القرآن وان يميتا ما امات القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة وعملا بالهوى فنبذا أمرهم ونحن على أمرنا الاول فما نباكم ومن اين أتيتم . قالوا له انا حيث حكمنا الرجلين اخطانا بذلك وكنا كافرين وقد تبنا من ذلك فان

شهدت على نفسك بالكفر وتبت كما تبنا واشهدنا فنحن معك ومنك والا فاعتزلنا وان ابيت فنحن منابذوك على سواء . فقال : على ابعد ايماني بالله وهجرتي وجهادي مع رسول الله ابوء واشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذاً وما انا من المهتدين . ويحكم بم استحللتم قتالنا والخروج من جماعتنا ان اختار الناس رجلين فنالوا لهما انظرا بالحق فيما يصلح العامة ليعزل رجل ويوضع آخر مكان آخر . أحل لكم ان تضعوا سيوفكم على عواتقكم تضربون بها هامات الناس وتسفكون دماءهم ان هذا لهو الخسران المبين . قال فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم تهيأوا للقاء الحرب الرواح الرواح الى الجنة

﴿ قتل الخوارج ﴾

قال فرجع على فعبأ اصحابه فجعل على الميمنة حجر بن عدي وعلى الميسرة شبث بن ربعي وعلى الخيل ابا ايوب الانصاري وعلى الرجالة ابا قتادة وعلى اهل المدينة وهم ثمانمائة رجل من الصحابة قيس بن سعد بن عبادة ووقف على في القلب في مضر . قال ثم رفع لهم راية امان مع ابي ايوب الانصاري فناداهم ابو ايوب من جاء منكم الى هذه الراية فهو آمن ومن دخل المصر فهو آمن ومن انصرف الى العراق ومن خرج من هذه الجماعة فهو آمن فانه لا حاجة لنا في سفك دمائكم . قال وقدم الخيل دون الرجالة ووصف الناس صفين وراء الخيل ووصف الرماة صفا امام صف وقال لاصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم . قال واقبلت الخوارج حتى اذا دنو من الناس نادوا لا حكم الا لله ثم نادوا الرواح الرواح الى الجنة . قال وشدوا على أصحاب على شدة رجل واحد والخيل امام الرجال فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل فخمدوا . قال الشعبي لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كأنهم معز اتقت المطر بقرونها ثم عطفت الخيل عليهم من الميمنة والميسرة ونهض على في القلب بالسيوف والرماح فلا والله ما لبثوا فواقا حتى صرعهم الله كأنما قيل لهم موتوا فماتوا . قال وأخذ على ما كان في عسكرهم من كل شيء فاما السلاح والدواب فقسمه على بيننا وأما المتاع والعبيد والاماء فانه حين قدم الكوفة رده على أهله . قال ولما أراد على الانصراف من النهروان قام خطيباً فحمد الله ثم قال : اما بعد فان الله قد احسن

بلاؤكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى معاوية واشياعه الماسطين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون . فقالوا ياأمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت اذرعنا وتقطعت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا فارجع بنا بأحسن عدتنا ولعل أمير المؤمنين يزيد فى عدتنا عدة فان ذلك اقوى لنا على عدونا فأقبل على بالناس حتى نزل بالنخيلة فعسكر بها وامر الناس ان يلزموا معه عسكرهم ويوطنوا انفسهم على الجهاد وان يقلوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتي يسيروا الى عدوهم من أهل الشام فأقاموا معه اياما ثم رجعوا يتسللون ويدخلون الكوفة ويتلذذون بنسائهم وابنائهم ولذاتهم حتي تركوا علياً وما معه الا نفر من وجوه الناس يسير وترك العسكر خاليا

﴿ خطبة على كرم الله وجهه ﴾

قال فقام على على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس استعدوا للمسير الى عدو فى جهاده القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده فأعدوا له ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ونوكلوا على الله وكفى به وكيلا ثم تركهم اياما ودعا رؤسائهم ووجوههم فسألهم عن رأيهم وما الذى ثبطهم فمنهم المعلل ومنهم المنكره واقلهم من نشط فقال لهم على : عباد الله مالكم اذا أمرتكم ان تنفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ورضيتم بالذل والهوان من العز خلفا كلما ناديتكم الى الجهاد دارت اعينكم كأنكم من الموت فى سكرة وكانت قلوبكم قاسية فانتم لاتعقلون وكأن ابصاركم كمه فأنتم لاتبصرون ، لله أنتم ما انتم الا اسود رواغة وثعالب رواغة عند الناس تكادون ولا تكيدون وتنتقص اطرافكم فلا تحاشون وأنتم فى غفلة ساهون ، ان أخا الحرب اليقظان . أما بعد فان لى عليكم حقا ولكم على حقا أما حقكم على فالنصيحة فى ذات الله وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا . وأما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لى فى الاجابة حين ادعوكم والطاعة حين آمركم ، فان يرد الله بكم خيراً تنزعموا عما اكره وترجعوا الى ما احب تناولوا بذلك ماتحبون وتدركوا ماتأملون ، ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم ماعزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم كلامكم يوهى

الصم وفعلكم يطمع فيكم عدوكم اذا امرتكم بالمسير قلتم كيت وكيت اعاليل باضاليل دعهات لايدرك الحق الا بالجد والصبر اى دار بعد داركم تمنعون ، ومع اى امام بعدى تقاتلون ، المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب اصبحت لاأطمع فى نصرتكم ولا اصدق قولكم ، فرق الله بينى وبينكم واعقبنى بكم من هو خير لى وأعقبكم بعدى من شر لكم منى أما انكم ستلقون بعدى ذلا شاملا وسيفا قاطعا واثرة يتخذها الظالمون بعدى عليكم سنة تفرق جماعتكم وتبكى عيونكم وتدخل الفقر بيوتكم ، تمنعون والله عندها ان لو رأيتمونى ونصرتمونى وستعرفون ما أقول لكم عما قليل . استنفرتكم فلم تنفروا ونصحت لكم فلم تقبلوا وأسمعتكم فلم تعوا أتم شهود كأغياب وصم ذووا أسماع ، اتلوا عليكم الحكمة وأعظكم بالموعظة النافعة وأحثكم على جهاد المحلين الظلمة الباغين ، فما آتى على آخر قولى حتى أراكم متفرقين اذا تركتكم عدتم الى مجالسكم حلقا عزين تضربون الامثال وتناشدون الاشعار ربت أيديكم وقد سيم الحرب واستعدادها وأصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها وشغلتموها بالاباطيل والاضاليل ؟ ويحكم اغزوا عدوكم قبل ان يغزوكم فوالله ماغزى قوم قط فى عقر دارهم الاذلوا وأيم الله ماأظنكم تفعلون حتى يفعل بكم وأيم الله لوددت انى قد رأيتهم فلقيت الله على نيتى وبصيرتى فاسترحت من مقاساتكم ومداراتكم ، ويحكم ماانتم الا كابل جاحمة ضل عنها رعاؤها فكلما ضمت من جانب انتشرت من جانب والله لكأنى انظر اليكم وقد حمى الوطيس لقد انفرجتم على انفراج الراس وانفراج المرأة عن قبلها ، فقام اليه الاشعث بن قيس الكندى فقال : ياامير المؤمنين افهلا فعلت كما فعل عثمان قال على ويلك وكما فعل عثمان رأيتنى فعلت عائذاً بالله من شر ماتقول والله ان الذى فعل عثمان لمخزأة على من لادين له ولا حجة معه فكيف وانا على بينة من ربى والحق معى والله ان امرأ امكن عدوه من نفسه فنهش عظمه وسفك دمه لعظيم عجزه وضعيف قلبه انت يابن قيس فكن ذلك فأما انا فوالله دون اعطى ذلك ضرباً بالمشرفى يطير له فراش الراس وتطيح منه الاكف والمعاصم وتجد به الغلاصم ويفعل الله بعد ذلك مايشاء والله ياأهل العراق ما اظن هؤلاء القوم من اهل الشام الا

ظاهرين عليكم ، فقالوا ابعلم تقول ذلك ياأمير المؤمنين ؟ فقال : نعم والذى فلق الحبة وبرأ النسمة انى ارى امورهم قد علت وارى اموركم قد خبت واراهم جادين فى باطلهم واراكم وابين فى حقكم واراهم مجتمعين واراكم متفرقين واراهم لصاحبهم معاوية مطيعين واراكم لى عاصيين ، اما والله لئن ظهروا عليكم بعدى لتجدنهم ارباب سوء كانهم والله عن قريب قد شاركوكم فى بلادكم وحملوا الى بلادهم منكم ، وكأنى انظر اليكم تكشون كشيش الضباب لاتأخذون لله حقا ولا تمنعون له حرمة وكأنى انظر اليهم يقتلون صلحاءكم ويخيفون علماءكم وكأنى انظر اليكم يحرمونكم ويحجبونكم ويدنون الناس دونكم فلو قد رأيتم الحرمان ولقيتم الذل والهوان ووقع السيف ونزل الخوف لندمتم وتحسرتم على تفريطكم فى جهاد عدوكم وبذركم ماانتم فيه من الخفض والعافية حين لاينفعكم التذكار . فقال الناس قد علمنا ياامير المؤمنين ان قولك كله وجميع لفظك يكون حتاً اترى معاوية يكون علينا اميراً ؟ فقال لا تكرهون امرة معاوية فان امرته سلم وعافية فلو مات رأيتم الرؤوس تندر عن كبولها كأنها الحنظل وعداً كان مفعولا ، فاما امرة معاوية فلست احف عليكم شرها مابعدها ادهى وامر ثم قام ابو ايوب الانصارى فقال : ان امير المؤمنين اكرمه الله قد اسمع من كانت له اذن واعية وقلب حفيظ ان الله قد اكرمكم به كرامة ماقبلتموها حق قبولها حيث نزل بين اظهركم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير المسلمين وافضلهم وسيدهم بعده يفقهكم فى الدين ويدعوكم الى جهاد المحلين ؟ فوالله لكأنكم صم لاتسمعون وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون عباد الله اليس انما عهدكم بالجور والعدوان امس وقد شمل البلاد وشاع فى الاسلام فذو حق محروم ومشتوم عرضه ومضروب ظهره وملطوم وجهه وموطوء بطنه وملقى بالعراء فلما جاءكم أمير المؤمنين صدع بالحق ونشر العدل وعمل بالكتاب فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولوا مجرمين ، ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون ، اشحذوا السيوف وجددوا آلة الحرب واستعدوا للجهاد فاذا دعيتم فأجيبوا واذا امرتم فاطيعوا تكونوا بذلك من الصادقين . قال ثم قام رجال من أصحاب على فقالوا : ياأمير المؤمنين أعط

هؤلاء هذه الاموال وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالى ممن يتخوف خلافه على الناس وفراقه وانما قالوا له هذا الذى كان معاوية يصنعه بمن أباه وانما عامة الناس همهم الدنيا ولها يسعون وفيها يكدحون فاعط هؤلاء الاشراف فاذا استتام لك ما تريد عدت الى احسن ما كنت عليه من القسم . فقال على أ تامرونى أن اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من الاسلام فوالله لا أفعل ذلك مالاح فى السماء نجم ، والله لو كان لهم مال لسويت بينهم فكيف وانما هى اموالهم . فقال رجل يا أمير المؤمنين ان الموت نازل لابد منه فان حل فمن لهما حينئذ ؟ فقال على احدثك عن خاصة نفسى أما الحسن فصاحب خوان وفتى من الفتيان ولو قد التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم فى الحرب حثالة عضنور . وأما ابن أخى عبدالله بن جعفر فصاحب لهو . وأما الحسين ومحمد ابنائى فانا منهم وهما منى ؟ والله لقد احببت ان يدال هؤلاء اللوم عليكم باصلاحهم فى ارضهم وفسادكم فى ارضكم وادائهم الامانة لمعاوية وخيانتكم وطاعتهم له ومعصيتكم لى واجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم . وايم الله لايدعوا بعدى محرما الا استحلوه ولا يبقى بيت وبر ولا مدر الا ادخلوه ظلمهم حتى يقوم الباكيان منكم بالك لدينه وبالك لدنياه . وحتى تكون نصرة أحدكم كنصرة العبد لسيده اذا شهد أطاعه واذا غاب سبه . فقال رجل يا أمير المؤمنين اتظن ذلك كائنا قال ما هو بالظن ولكنه باليقين .

ما كتب على لاهل العراق

قال فقام حجر بن عدى وعمرو بن الحمق وعبدالله بن وهب الراسبى فدخلوا على على فسألوه عن أبى بكر وعمر ما تقول فيهما وقالوا بين لنا قولك فيهما وفى عثمان قال على كرم الله وجهه أوقد تفرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتى فيها قد قتلت انى مخرج اليكم كتابا أنبئكم فيه ماسألتمونى عنه فاقرأوه على شيعتى فأخرج اليهم كتابا فيه : أما بعد فان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نذيرا للعالمين وأمينا على التنزيل وشهيدا على هذه الامة وانتم يامعشر العرب على غير دين وفى شر دار تسفكون دماءكم وتقتلون أولادكم وتقطعون أرحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل فمن الله عليكم فبعث محمدا اليكم بلسانكم فكنتم أنتم المؤمنون وكان الرسول فيكم

ومنكم تعرفون وجهه ونسبه فعلمكم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض وأمركم بصلة الرحم وحقن الدماء واصلاح ذات بينكم وان تؤدوا الامانات الى أهلها وان توفوا بالعهد وان تعاطفوا وتبادروا وتراحموا ونهاكم عن التظالم والتحاسد والتقاذف والتباغي وعن شرب الحرام وعن بخس المكيال والميزان ، وتقدم اليكم فيما انزل عليكم ان لا تزنوا ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلما فكل خير يبعدكم عن النار قد حضكم عليه وكل شر يبعدكم عن الجنة قد نهاكم عنه فلما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدته من الدنيا توفاه الله وهو مشكور سعيه مرضى عمله مغفور له ذنبه شريف عند الله نزله : فيالموته مصيبة خصت الاقربين وعمت المؤمنين ! فلما مضى تنازع المسلمون الامر بعده فوالله ما كان باقى فى روعى ولا يخطر على بالى ان العرب تعدل هذا الامر عنى فماراعنى الا اقبال الناس على أبى بكر واجفالهم عليه فأمسكت يدى ورأيت أنى أحق بمقام محمد فى الناس ممن تولى الامور على فلبثت بذلك ماشاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون الى محو دين محمد وملة ابراهيم عليهما السلام فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان أرى فى الاسلام ثلما وهدما تكون المصيبة به على أعظم من قوة ولاية أمركم التى انما هى متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، فمشيت عند ذلك الى أبى بكر فبايعته ونهضت معه فى تلك الاحداث حتى زهق الباطل وكانت كلمة الله هى العليا وان يرغم الكافرون. فتولى أبو بكر رضى الله عنه تلك الامور فيسر وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً فلما احتضر بعث الى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا وبايعنا وناصحنا فتولى تلك الامور فكان مرضى السيرة ميمون النقيبة أيام حياته ، فلما احتضر قلت فى نفسى ليس يصرف هذا الامر عنى فجعلها عمر شورى وجعلنى سادس ستة فما كانوا لولاية احد منهم باكره منهم لولا يتي لانهم كانوا يسمعونني وأنا أحاجج أبا بكر فاقول يامعشر قريش انا احق بهذا الامر منكم ما كان منامن يقرأ القرآن ويعرف السنة فخشوا ان وليت عليهم أن لا يكون لهم فى هذا الامر نصيب فبايعوا اجتماع رجل واحد حتى صرفوا الامر عنى لعثمان فاخرجونى منهارجاء ان يتداولوها حين يئسوا أن ينالوها ثم قالوا لى هلم فبايع عثمان والا جاهدناك فبايعت مستكرها وصبرت محتبسا وقال قائلهم انك

يابن أبي طالب على الامر لحريص قلت لهم أنتم أحرص أما أنا اذا طلبت ميراث ابن أبي وحدته وانتم دخلتم بيني وبينه وتصرفون وجهي دونه اللهم اني استعين بك على قريش فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي وفضلي واجتمعوا على منازعتي حقاً كنت اولى به منهم ثم قالوا اصبر كمدا وعش نائسا فنظرت فاذا ليس معي رفاقة ولا مساعد الا أهل بيتي فضننت بهم عن الهلاك فاغضيت عيني عن القذى وتجرعت ريقي على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم طعماً وآلم للقلب من حز الحديد ، حتى اذا تقتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثم جئتموني تبايعوني فأبيت عليكم وأبيتم على فنازعتموني ونافستموني ولم امد يدي تمنعاً عنكم ثم ازدحمتم على حتي ظننت ان بعضكم قاتل بعض او انكم قاتلي وقلتم لا نحد غيرك ولا نرضى الا بك فبايعنا لا نفترق ولا نختلف فبايعتكم ودعوتم الناس الى بيعتي فمن بايع طائعاً قبلت منه ومن ابى تركته فاول من بايعني طلحة والزبير ولو أبيا ما اكرههما كما لم اكره غيرهما فما لبثا الا يسيرا حتي قيل لي قد خرجا متوجهين الى البصرة في جيش مامنهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة ، فقاموا على عمالي بالبصرة وخزائن بيوت اموالي وعلى أهل مصر وكلهم في طاعتي وعلى شيعتي فشتتوا كلمتهم وأفسدوا على جماعتهم ثم وثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة صبراً وطائفة عصراً باسيافهم فضاربوهم حتي لقوا الله صابرين محتسبين فوالله لو لم يصيبوا منهم الا رجلا واحداً متعمدين لقتله لحل لي بذلك قتل الجيش كله مع انهم قد قتلوا من المسلمين اكثر من العدة التي دخلوا عليهم بها فقد ادال الله منهم فبعداً للقوم الظالمين ، ثم نظرت بعد ذلك في أهل الشام فاذاهم اعراب واحزاب وأهل طمع جفاة طغام تجمعوا من كل أوب ممن ينبغي ان يؤدب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار ولا من التابعين باحسان فسرت اليهم ودعوتهم الى الجماعة والطاعة فابوا الا شقاقا ونفاقا ونهضوا في وجوه المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ينضحونهم بالنبل ويشجونهم بالرماح فهنالك نهضت اليهم فقاتلتهم فلما عضهم السلاح ووجدوا الم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم الى مافيها فنباتكم انهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وانما رفعوها

اليكم خديعة ومكيدة فامضوا على قتالهم ، فاتهمتمونى وقلتم اقبل منهم فانهم ان أجابوا الى مافى الكتاب جامعونا على مانحن عليه من الحق وان ابوا كان أعظم لحجتنا عليهم ، فقبلت منهم وخففت عنهم وكان صلحى بينهم على رجلين حكمين يحييان ماأحييا القرآن ويميتان ماأمات القرآن فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما ونبذا حكم القرآن وخالفا مافى الكتاب واتبعا هواهما بغير هدى من الله فجنبهما الله السداد وأهوى بهما فى غمرة الضلال وكنا اهل ذلك فانخذلت عنا فرقة منهم فتركناهم ماتركونا حتى اذا عاثوا فى الارض مفسدين وقتلوا المؤمنين أتيناهم فقالوا لهم ادفعوا الينا قتلة اخواننا فقالوا كلنا قتلهم وكلنا استحللنا دماءهم ودماؤكم وشدت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله مصارع القوم الظالمين ثم امركم ان تمضوا من فوركم الى عدوكم فانه افزع لقلوبهم وأنهك لمكرهم واهتك لكيدهم فقلتم كلت اذرعنا وسيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فأذن لنا فلنرجع حتى نستعد بأحسن عدتنا واذا رجعت زدت فى مقاتلتنا عدة من هلك منا ومن قد فارقنا فان ذلك قوة منا على عدونا فاقبلتم حتى اذا اطلتم على الكوفة أمرتكم ان تلزموا معسكركم وتضموا قواصيكم وتتوطنوا على الجهاد ولا تكثروا زيارة اولادكم ونسائكم فان ذلك يرق قلوبكم ويلويكم وان اصحاب الحرب لا يتوحدون ولا يتوجعون ولا يسأمون من سهر ليلهم ولا من ظمأ نهارهم ولا من خمص بطونهم حتى يدركوا بثارهم وينالوا بغيتهم ومطلبهم فنزلت طائفة منكم معذرة ودخلت طائفة منكم المصر عاصية فلا من نزل معى صبر فثبت ولا من دخل المصر عاد الى ، ولقد نظرت الى عسكرى وما فيه معى منكم الا خمسون رجلا فلما رأيت ماأتيتم دخلت اليكم فما قدرتم ان تخرجوا معى الى يومكم هذا ، لله آباؤكم فما تنتظرون اما ترون الى اطرافكم قد انتقصت والى مصركم قد افتتح فما بالكم تؤفكون ، الاان القوم قد اجتمعوا وجدوا وتناصحوا وانكم تفرقتم واختلفتم وتغاششتم فأتم ان اجتمعتم تسعدون فايقظوا رحمكم الله نائمكم وتحرزوا لحرب عدوكم انما تقاتلون الطلقاء وابناء الطلقاء من أسلم كرها وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حربا ، أعداء السنة والقرآن وأهل الاحزاب والبدع والاحداث ومن كانت بوائقه تتقى وكان عن

الدين منحرفا واكلة الرشا وعبيد الدنيا لقد نمى الى ان ابن الباغية لم يبايع معاوية حتى شرط عليه ان يؤتيه اثاوة هى اعظم مما فى يديه من سلطانه ، فصفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا وتربت يد هذا المشترى نصرة غادر فاسق بأموال الناس وان منهم لمن شرب فيكم الخمر اوجلد حداً فى الاسلام ، فهؤلاء قادة القوم ومن تركت ذكر مساويه منهم شر واضر وهؤلاء الذين لو ولوا عليكم لاظهروا فيكم الغضب والفخر والتسلط بالجبروت والتطاول بالغضب والفساد فى الارض ولاتبعوا الهوى رما حكموا بالرشاد وأنتم على ما فيكم من تخاذل وتوا كل خير منهم واهدى سبيلا ، فيكم الحكماء والعلماء والفقهاء وحملة القرآن والمجتهدون بالاسحار والعباد والزهاد فى الدنيا وعمار المساجد واهل تلاوة القرآن أفلا تسخطون وتغضبون ان ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والارازل والاشرار منكم . اسمعوا قولى اذا قلت وأطيعوا أمرى اذا امرت واعرفوا نصيحتى اذا نصحت واعتقدوا حزمى اذا حزمت والتزموا عزمى اذا عزمت وانهضوا لنهوضى وقارعوا من قارعت ولئن عصيتمونى لا ترشدوا ولا تجتمعوا . خذوا للحرب اهبتها واعدوا لها التهيأ فانها قد وقدت نارها وعلا سناها وتجرد لكم الظالمون كيما يطفئوا نور الله ويقهركم ، عباد الله ألا انه ليس اولياء الشيطان من اهل الطمع والخفاء بأولى فى الحد فى غيهم وضلالهم وباطلهم من اهل النزاهة والحق والاخبات بالحق فى حتهم وطاعة ربهم ومناصحة امامهم الى والله لو لقيتهم وحيداً منفرداً وهم فى اهل الارض ان اليت بهم أو استوحشت منهم انى فى ضلال الذى هم فيه والهدى الذى انا عليه لعلى بصيرة ويقين وبينة من ربى وانى للقاء ربى لمشتاق وحسن ثوابه لمنتظر راج ولكن أسفا يعترينى وجزعا يريبنى من ان يلى هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولا وعباد الله خولا والصالحين حربا والفاسطين حزبا ، وايم الله لولا ذلك ما أكثرت تأليبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم فوالله انى لعلى الحق وانى للشهادة لمحب انا نافر بكم ان شاء الله فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ان الله مع الصابرين

﴿ مقتل على عليه السلام ﴾

قال المدائنى حج ناس من الخوارج سنة تسع وثلاثين وقد اختلف عامل على وعامل معاوية فاصطلح الناس على شبيب بن عثمان فلما انقضى الموسم أقام النفر من الخوارج مجاورين بمكة فقالوا كان هذا البيت معظما فى الجاهلية جليل الشأن فى الاسلام وقد انهك هؤلاء حرمته فلو ان قوما شروا انفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد افسدا فى الارض واستحلا حرمة هذا البيت استراحت الامة واختار الناس لهم اماماً . فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله أنا اكفيكم امر على ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك انا أقتل معاوية فقال زاذويه مولى بنى العنبر واسمه عمرو بن بكر والله ما عمرو ابن العاص بدونها فانا به . فتعاقدوا على ذلك ثم اعتمروا عمرة رجب واتفقوا يوم واحد يكون فيه وقوع القتل منهم فى على ومعاوية وعمرو ثم ساروا كل منهم فى طريقه فقدم ابن ملجم الكوفة وكتم امره وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة وكانت خارجية وكان على قد قتل اخاها فى حرب الخوارج وتزوجها على ان يقتل عليا فاقام عندها مدة فقالت له فى بعض الايام وهو مختف : لطالما احببت انكث عند أهلك وأضربت عن الامر الذى جئت بسببه فقال ان لى رفقا واعدت فيه اصحابى ولن اجاوزه فلما كان اليوم الذى تواعدوا فيه خرج عدو الله فقعد لعلى حين خرج لصلاة الصبح صبيحة نهار الجمعة ليلة عشر بقيت من رمضان سنة اربعين فلما خرج على للصلاة وثب عليه وقال الحكم لله لالك ياعلى وضربه على قرنه بالسيف فقال على فزت ورب الكعبة ثم قال لايفوتكم الرجل فشد الناس عليه فاخذوه وكان على رضى الله عنه شديد الادمة ثقيل العينين ضخم البطن اصلع ذا عضلات فى أذنيه شعر يخرج منها وكان الى القصر أقرب . وكان ابن ملجم يعرض سيفه فاذا اخبر ان فيها عيباً أصلحه فلما قتل عليا قال لقد احددت سيفى بكذا وكذا وسممته بكذا وضربت به عليا ضربة لو كانت باهل المصر لاتت عليهم . وروى عن الحسن انه قال اتيت ابى فقال لى أرقت الليلة ثم ملكتنى عينى فسنح لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاولاد واللدد فقال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلنى بهم خيراً لى منهم وابدلهم

بى شراً لهم منى وخرج الى الصلاة فاعترصه ابن ملجم ، وأدخل ابن ملجم على على بعد ضربه اياه فقال اطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان اعش فأنا ولى دمى اماعفوت واما قصصت وان امت فالحقوه بى ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين قالوا وبكت ام كلثوم وقالت لابن ملجم ياعدو الله قتلت أمير المؤمنين قال ماقتلت أمير المؤمنين ولكنى قتلت اباك قالت والله انى لارجو ان لا يكون عليه بأس قال . ولم تبكين اذاً ؟ والله لند ارهفت السيف ونفيت الخوف وجبت الاجل وقطعت الامل وضربت ضربة لو كانت باهل الشرق لاتت عليهم ومكث على يوم الجمعة ويوم السبت وتوفى ليلة الاحد وغسله الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبدالله بن جعفر وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وصلى عليه الحسن ابنه ودفن فى قصر الامارة بالكوفة وعمى قبره مخافة ان تنبشه الخوارج وقيل انه نقل بعد صلح معاوية والحسن الى المدينة واخذ ابن ملجم فقطعت يده ورجليه واذنيه وانفه وأبوا يقطعون لسانه فصرخ فقيل له قد قطعت منك أعضاء ولم تنطق فلما أبوا يقطعون لسانك صرخت قال انى اذكر الله به فلم يسهل على قطعه ثم قتلوه بعد هذه المثلة . وكانت خلافة على اربع سنين وتسعة أشهر : وكان عمره ثلاثا وستين سنة . واما البرك فانه انطلق ليلة ميعادهم فقعد لمعاوية فلما خرج لصلاة الصبح شد عليه بسيفه فأدبر معاوية فضرب رانفة اليته فقطعها ووقع السيف فى لحم كثير وأخذ فقال لمعاوية ان لك عندى خبراً ساراً قد قتل الليلة على وحدثه الحديث وعولج معاوية فبرئ وأمر بقتل البرك وقيل ضرب البرك معاوية وهو ساجد فمذ ذاك جعل الحرس على رؤس الخلفاء واتخذ معاوية المقصورة . واما الثالث فتعمد عمرو بن العاص ليلة الميعاد فلم يخرج تلك الليلة لعلة وجدها فى بطنه وصلى بالناس خارجة بن جزافة العدوى فشد عليه الخارجى وهو يظن انه ابن العاص فقتله وأخذ فأتى به عمرو بن العاص فلما رآه قال ومن المقتول قالوا خارجة فقال أردت عمراً وأراد الله خارجة ثم قال لعمرو بن العاص الحديث وما كان من اتفاقه مع صاحبيه فأمر بقتله . فلما قتل على تداعى اهل الشام الى بيعة معاوية وقال له عبدالرحمن بن خالد بن الوليد نحن المؤمنون وأنت أميرنا فبايعوه

وهو بايليا لخمس ليال خلون من شوال سنة اربعين

﴿ فصل ﴾

روى عن النبي عليه السلام انه قال : ياعلى : أتدرى من أشقى الاولين والآخرين قال الله ورسوله اعلم قال اشقى الاولين عاقر الناقة وأشقى الآخرين الذى يطعنك ياعلى وأشار الى حيث طعن قال وخرج على فى ليلة قتل وهو يقول :

أشدد حيازيمك للمو * ت فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

وقال الشاعر فى قتل ابن ملجم علياً :

تضمن للآثام لادر دره * ولاقى عقابا غير ما متصرم
فلا مهرا غلا من على وان غلا * ولا فلك الادون فلك ابن ملجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب على بالحسام المصمم

قال هبيرة بن شريم : سمعت الحسن رضى الله عنه يخطب فذكر أباه وفضله وسابقته ثم قال والله ماترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد ان يشترى بها خادما . وجاء رجل من مراد الى على فقال له يا أمير المؤمنين احترس فان هنا قوما يريدون قتلك فقال ان لكل انسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خليا به . قيل ولما ضرب على دعى أولاده وقال لهم : عليكم بتقوى الله وطاعته وألا تأسوا على ماصرف عنكم منها وانهضوا الى عبادة ربكم وشمروا عن ساق الجد ولا تثاقلوا الى الارض وتفرنوا بالخسف وتبوؤا بالذل اللهم اجمعنا واياهم على الهدى وزدنا واياهم فى الدنيا واجعل الآخرة خيراً لنا ولهم من الاولى والسلام

﴿ بيعة الحسن بن على رضى الله عنه لمعاوية ﴾

قال وذكروا انه لما قتل على بن أبى طالب ثار الناس الى الحسن بن على بالبيعة فلما بايعوه قال لهم تبايعون لى على السمع والطاعة وتحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت فلما سمعوا ذلك ارتابوا وامسكوا ايديهم وقبض هو يده فاتوا الحسين فقالوا له ابسط يدك نبايعك على مابايعنا عليه اباك وعلى حرب المحلين الضالين أهل الشام فقال الحسين معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حياً قال فانصرفوا الى الحسن فلم يجدوا بداً من بيعته على ماشرط عليهم فلما تمت البيعة له وأخذ عهودهم ومواثيقهم

على ذلك كاتب معاوية فاتاه فخلا به فاصطلح معه على ان لمعاوية الامامة ما كان حياً فاذا مات فالامر للحسن فلما تم صلحهما صعد الحسن الى المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أيها الناس ان الله هدى أولكم باولنا وحقن دمائكم بآخرنا وكانت لى فى رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين واشار الى معاوية

﴿ انكار سليمان بن صرد ﴾

قال وذكروا انه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق وانصرف راجعا الى الشام اتاه سليمان بن صرد وكان غائبا عن الكوفة وكان سيد أهل العراق ورأسهم فدخل على الحسن فقال السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال الحسن وعليك السلام اجلس لله أبوك قال فجلس سليمان فقال : أما بعد فان تعجبنا لا ينقضى من بيعتك معاوية ومعك مائة الف مقاتل من أهل العراق وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من ابنائهم ومواليهم سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ثم لم تأخذ لنفسك بقية فى العهد ولا حظا من الفضية فلو كنت اذ فعلت ما فعلت واعطاك ما اعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق كنت كتبت عليك بذلك كتابا وأشهدت عليه شهودا من أهل المشرق والمغرب بان هذا الامر لك من بعده كان الامر علينا أيسر ولكنه أعطاك هذا فرضيت به من قولك ثم قال وزعم على رؤس الناس ما قد سمعت انى كنت شرطت لقوم شروطا ووعدتهم عدات ومنيتهم أمانى ارادة اطفاء نار الحرب ومداراة لهذه الفتنة اذ جمع الله لنا كلمتنا والفتنا فان كل ما هنالك تحت قدمى هاتين ووالله ما أعنى بذلك الا نقض ما بينك وبينه فأعد للحرب خدعة وأذن لى أشخص الى الكوفة فأخرج عاملك منها واظهر فيها خلعه وابذ اليه على سواء ان الله لا يهدى كيد الخائنين. ثم سكت فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته وكلهم يقول ابعث سليمان بن صرد وابعثنا معه ثم الحقنا اذا علمت انا قد أشخصنا عامله وأظهرنا خلعه فتكلم الحسن فحمد الله ثم قال : أما بعد فانكم شيعتنا وأهل مودتنا ومن نعرفه بالنصيحة والاستقامة لنا وقد فهمت ما ذكرتم ولو كنت بالحزم فى أمر الدنيا وللدنيا اعمل وانصب ما كان معاوية بأبأس منى بأساً وأشد شكيمة ولكان رأيى غير ما رأيتم ولكنى اشهد الله وايا كم انى لم ار دبما رأيتم الا حقن دمائكم واصلاح ذات بينكم فاتقوا الله وارضوا

بقضاء الله وسلموا الامر لله والزموا بيوتكم وكفوا أيديكم حتى يستريح برأو يستراح من فاجر معان ابى كان يحدثني ان معاوية سيلى الامر فوالله لو سرنا اليه بالجبال والشجر ماشككت انه سيظهر ان الله لا معقب لحكمه ولا رادلقضائه ، وأما قولك يامذل المؤمنين فوالله لئن تذلوا وتعاقوا أحب الى من ان تعزوا وتقتلوا فان رد الله علينا حقنا فى عافية قبلنا وسألنا الله العون على أمره وان صرفه عنا رضينا وسألنا الله ان يبارك فى صرفه عنا فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته مادام معاوية حياً فان يهلك ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا وان لا يكلنا الى انفسنا فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

﴿ كراهية الحسين رضى الله عنه للبيعة ﴾

قال ثم خرج سليمان بن صرد من عنده فدخل على الحسين فعرض عليه ما عرض على الحسن واخبره بما رد عليه الحسن فقال الحسين ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته مادام معاوية حياً فان لنا بيعة كنت والله لها كارهاً فان هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم .

﴿ ما أشار به المغيرة بن شعبة على معاوية من البيعة ليزيد ﴾

قال وذكروا انه لما استقامت الامور لمعاوية استعمل على الكوفة المغيرة بن شعبة ثم هم ان يعزله و يولى سعيد بن العاص فلما بلغ ذلك المغيرة قدم الشام على معاوية فقال يا أمير المؤمنين قد علمت ما لقيت هذه الامة من الفتنة والاختلاف وفى عنقك الموت وأنا أخاف ان حدث بك حدث ان يتبع الناس فى مثل ما وقعوا فيه بعد قتل عثمان فاجعل للناس بعدك علما يفزعون اليه واجعل ذلك يزيد ابنك . فدخل معاوية على امرأته فاختة بنت قرظة بن حبيب بن عبد شمس وكان ابنها منه عبد الله ابن معاوية وقد كان بلغها ما قال المغيرة وما أشار به عليه من البيعة ليزيد وكان يزيد بن الكلبية مسرورة ابنة عبد عبد الرحمن بن بحدل الكلبى . فقالت فاختة وكانت معادية للكلبية ما أشار به عليك المغيرة أراد ان يجعل لك عدواً من نفسك يتمنى هلاكك كل يوم فشق ذلك على معاوية ثم بداله أن يأخذ بما أشار عليه المغيرة

﴿ ما حاول معاوية فى بيعة يزيد ﴾

قال فلما اجتمعت عند معاوية وفود الامصار وفيهم الاحنف بن قيس دعا

معاوية الضحاك بن قيس الفهري اقال له : اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتي وكلامي فاستأذني للقيام فاذا أذنت لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذي يحق له عليك من حسن الثناء عليه ثم ادعني الى توليته من بعدي فاني قد رأيت واجمعت على توليته فاسأل الله في ذلك وفي غيره الخيرة وحسن القضاء . ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبدالله بن مسعدة الفزاري وثور بن معن السلمي وعبدالله بن عصام الاشعري فأمرهم ان يقوموا اذا فرغ الضحاك وان يصدقوا قوله ويدعوه الى يزيد

﴿ ماتكلم به الضحاك بن قيس ﴾

قال فلما جلس معاوية على المنبر وفرغ من بعض موعظته وهؤلاء النفر في المجلس قد أعدوا للكلام قام الضحاك بن قيس فاستأذن في الكلام فأذن له فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به انا قد رأينا الجماعة والالفة والاختلاف والفرقة فوجدنا هذا ألم لشعثنا وآمنة لسبلنا وحاقنة لدمائنا وعائدة علينا في عاجل ما نرجو به الجماعة من الالفة ولا خير لنا أن نترك سدى والايام عوج رواجع والله يزل كل يوم هو في شأن ولسنا ندري ما يختلف به العصران ، وأنت يا أمير المؤمنين ميت كما مات من كان قبلك من أنبياء الله وخلفائه نسأل الله تعالى بك المتاع وقد رأينا دعة يزيد بن أمير المؤمنين وحسن مذهبه وقصد سيرته ويمن نقيبته مع ما قسم الله له من المحبة في المسلمين والشبه بأمير المؤمنين في عقله وسياسته وشيمته المرضية فمال رأينا الى الرضا به في أمورنا والقنوع به في الولاية علينا فليوله أمير المؤمنين اكرمه الله عبده وليجعله لنا ملجأ ومفزعاً بعده نأوي اليه ان كان كون ، فانه ليس أحد أحق بما منه فاعزم على ذلك عزم الله لك في رشدك ووفقك في أمورنا . ثم قام عبدالرحمن بن عثمان الثقفي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اصلح الله أمير المؤمنين انا قد أصبحنا في زمان مختلفة أهواؤه ، قد احدودبت علينا سياسته واقطوطبت علينا ادواؤه ، واناخت علينا أنباؤه ونحن نشير عليك بالرشاد وندعوك الى السداد ، وأنت يا أمير المؤمنين أحسننا نظراً وأثبتنا بصراً ويزيد بن أمير المؤمنين قد عرفنا سيرته وبلونا علانيته ورضينا ولايته وزادنا بذلك انبساطاً وبه اغتباطا مع ما منحه الله بالشبه بأمير المؤمنين والمحبة في المسلمين فاعزم على ذلك ولا تضيق به ذرعاً فالله

تعالى يقيم به الأود ويرد به الألد وتأمن به السبل ويجمع به الشمل ويعظم به الاجر ويحسن به الذخر ثم جلس . فقام ثور بن معن السلمى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اصلح الله أمير المؤمنين انا قد اصبحنا فى زمان صاحبه مشاغب وظله ذاهب مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة وأنت يا أمير المؤمنين ميت نسأل الله بك المتاع ويزيد بن أمير المؤمنين أقدمنا شرفاً وابذلنا عرفاً وقد دعانا الى الرضا به والقنوع بولايته والحرص عليه والاختيار له ما قد عرفنا من صدق لسانه ووفائه وحسن بلائه فاجعله لنا بعدك خلفا فانه اوسعنا كنفا واقدمنا سلفاً ، وهو رتق لما فتق وزمام لما شعث ونكال لمن فارق ونافق وسلم لمن واظب وحافظ للحق اسأل الله لامير المؤمنين افضل البقاء والسعادة والخيرة فيما اراد والتوطن فى البلاد وصلاح أمر جميع العباد . ثم جلس فقام عبد الله بن عصام فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين وامتع به انا قد أصبحنا فى دنيا منقضية واهواء منجذمة ، نخاف حدها وننتظر جدها ، شديد منحدرها كثير وعرها ، شامخة مراقبها ثابتة مراتبها ، صعبة مراكبها . فالموت يا أمير المؤمنين وراءك ووراء العباد لا يخلد فى الدنيا أحد ولا تبقى لنا أمد وأنت يا أمير المؤمنين مسؤل عن رعيتك ومأخوذ بولايتك وأنت انظر للجماعة وأعلا عيناً بحسن الرأى لاهل الطاعة وقد هديت ليزيد فى أكمل الامور وافضلها رأياً وأجمعها رضا فقطع بيزيد فلة الكلام ونخوة المبطل وشعث المنافق وأكبت به الباذخ المعادى فان ذلك ألم للشعث واسهل للوعث فاعزم على ذلك ولا تترامى بك الظنون . ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزارى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أصلح الله أمير المؤمنين وأمتع به ان الله قد آثرك بخلافته واختصك بكرامته وجعلك عصمة لاوليائه وذا نكاية لاعدائه فأصبحت بأنعمه جذلا ولما حملك محتملا ، يكشف الله تعالى بك العمى ويهدى بك العدى ويزيد بن أمير المؤمنين أحسن الناس برعيتك رأفة وأحقهم بالخلافة بعدك قد ساس الامور وأحكمته الدهور ، ليس بالصغير الفهيه ولا بالكبير السفيه قد احتجن المكارم وارتجى لحمل العظائم وأشد الناس فى العدو نكاية واحسنهم صنعا فى الولاية وأنت أغنى بأمرك واحفظ لوصيتك واحرز لنفسك . اسأل الله لامير المؤمنين العافية فى غير جهد والنعمة فى غير تغيير . قال فقال معاوية أوكلكم قد أجمع على هذا رأيه فقالوا كلنا قد أجمع رايه على ماذكرنا

قال فأين الاحنف فأجابه قال الا تتكلم فقام الاحنف فحمد الله وأثنى ثم : قال : اصلح الله أمير المؤمنين ان الناس قد أمسوا فى منكر زمان قد سلف ومعروف زمان مؤتنف ، ويزيد بن أمير المؤمنين نعم الخلف وقد حلبت الدهر اشطره يا أمير المؤمنين فاعرف من تسند اليه الامر من بعدك ثم اعص امر من يأمرك لا يغررك من يشير عليك ولا ينظر لك . وانت انظر للجماعة وأعلم باستقامة الطاعة مع ان أهل الحجاز واهل العراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيا

مارد الضحاك بن قيس عليه

قال فغضب الضحاك بن قيس فقام الثانية فحمد الله واثنى عليه ثم قال أصلح الله أمير المؤمنين ان أهل النفاق من أهل العراق مروءتهم فى انفسهم الشقاق والقتهم فى دينهم العراق ، يرون الحق على اهوائهم كانما ينظرون بقلوبهم اختالوا جهلا وبطرا لا يرقبون من الله رقابة ولا يخافون وبال عاقبة اخذوا الباس لهم ربا واتخذهم ابليس حزبا فمن بتاربوه لا يسروه ومن يتاركوه لا يضروه فدع رايهم يا أمير المؤمنين فى نحورهم وكلامهم فى صدورهم ما للحسن وذوى الحسن فى سلطان الله الذى استخلف به معاوية فى ارضه هيهات لا تورث الخلافة عن كلالة ولا يحجب غير الذكر العصبة فوطنوا انفسكم يا أهل العراق على المناجحة لامامكم وكاتب نيكم وصهره يسلم لكم العاجل وتربحوا من الآجل ثم قام الاحنف بن قيس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : يا امير المؤمنين انا قد فررنا عنك قريشا فوجدناك اكرمها زنداً واشدها عتداً واوفاها عهداً ، وقد علمت انك لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليها قعصاً ولكنك اعطيت الحسن بن على من عهود الله ما قد علمت ليكون له الامر من بعدك فان تف فأنت اهل الوفاء وان تغدر تعلم والله ان وراء الحسن خيولا جياداً واذرعا شداداً وسيوفا حداداً . ان تدن له شبراً من غدر تجد وراءه باعا من نصر ، وانك تعلم ان اهل العراق ما احبوك منذ ابغضوك ولا ابغضوا عليا وحسناً منذ احبوهما ومازل عليهم فى ذلك غير من السماء وان السيوف التى شهروها عليك مع على يوم صفين لعلى عواتقهم والقلوب التى ابغضوك بها لبين جوانحهم وايم الله ان الحسن لاحب الى اهل العراق من على . ثم قام عبدالله بن عثمان الثقفى فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اصلح الله امير المؤمنين ان راى الناس مختلف وكثير منهم منحرف لا يدعون احداً الى رشاد

ولا يجيبون داعياً الى سداد ، مجانبون لرأى الخلفاء مخالفون لهم فى السنة والقضاء وقد وقفت ليزيد فى احسن القضية وارضاها لجمل الرعية فاذا خار الله لك فاعزم ثم اقطع قالة الكلام فان يزيد اعظمنا حلما وعلما واوسعنا كنفا وخيرنا سلفا . قد احكمته التجارب . وقصدت به سبل المذاهب ، فلا يصرفنك عن بيعته صارف ولا يفتن بك دونها واقف ممن هو شاسع عاص ينوص للفتنة كل مناص ، لسانه ملتو وفى صدره داء دوى ، ان قال فشر قائل وان سكت فداء غائل قد عرفت من هم أولئك وما هم عليه لك من المجانبة للتوفيق والكلف للتفريق فاجعل بيعته عما النعمة واجمع به شمل الامة فلا تخدعنه اذا هديت له ولا تنبش عنه اذا وقفت له فان ذلك الراى لنا ولك والحق علينا وعليك اسأل الله العون وحسن العاقبة لنا ولك بمنه .

فقام معاوية فقال : أيها الناس ان لا بليس من الناس اخوانا وخلانا بهم يستعدوا بهم يستعين وعلى السنتهم ينطق ان رجوا طمعا اوجفوا وان استغنى عنهم ارجفوا ثم يلحقون الفتن بالفجور و يشفقون لها حطب النفاق عيابون مرابون ان لووا عروة أمر حنقوا وان دعوا الى غى اسرفوا وليسوا أولئك بمتهين ولا بمقلعين ولا متعظين حتى تصيبهم صواعق خزى و بيل وتحل بهم قوارع امر جليل ، تجتث اصولهم كاجتثاث اصول النقع فأولى لاولئك ثم اولى فانا قد قدمنا وانذرنا ان اغنى التقدم شيأ اونفع النذر . فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة ودعا عبد الرحمن فولاه الجزيرة ثم قام ابو حنيف فقال : ياأمير المؤمنين انا لا نطيق السنة مضر وخطبها أنت أمير المؤمنين فان هلكت فيزيد بعدك فمن ابى فهذا وسل سيفه فقال معاوية أنت أخطب القوم واكرمهم . ثم قام الاحنف بن قيس فقال : ياأمير المؤمنين أنت اعلمنا بليله ونهاره و يسره وعلانيته فان كنت تعلم انه خير لك قوله فاستخلفه وان كنت تعلم انه شر لك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة فانه ليس لك من الآخرة الا ماطاب واعلم انه لا حجة لك عند الله ان قدمت يزيد على الحسن والحسين وأنت تعلم من هما والى ماهما ، وانما علينا ان نقول سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

﴿ قدوم معاوية المدينة وما فوض فيه العبادلة ﴾

قالوا فاستخار الله معاوية وأعرض عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة سنة خمسين فتلقاه الناس فلما استقر فى منزله ارسل الى عبد الله بن عباس وعبد الله

ابن جعفر بن أبي طالب والى عبدالله بن عمر والى عبدالله بن الزبير وامر حاجبه ان لا يأذن لاحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر فلما جلسوا تكلم معاوية فقال : الحمدلله الذى امرنا بحمده ووعدنا عليه ثوابه نحمده كثيراً كما أنعم علينا كثيراً واشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله أما بعد : فانى قد كبرسنى ووهن عظمى وقرب اجلى واوشكت ان ادعى فاجيب ، وقد رأيت ان استخلف عليكم بعدى يزيد ورأيته لكم رضا وانتم عبادلة قريش وخيارها وابناء خيارها ولم يمنعنى ان احضر حسنا وحسيناً الا انهما اولاد ابيهما على حسن رأيى فيهما وشديد محبتي لهما فردوا على أمير المؤمنين خيراً يرحمكم الله فتكلم عبدالله بن عباس فقال : الحمدلله الذى الهمنا ان نحمده واستوجب علينا الشكر على آلائه وحسن بلائه واشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله وصلى الله على محمد وآل محمد : أما بعد فانك قد تكلمت فانصتنا وقلت فسمعنا وان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه اختار محمداً صلى الله عليه وسلم لرسالته واختاره لوحيه وشرفه على خلقه فأشرف الناس من تشرف به وأولاهم بالامر أخصهم به وانما على الامة التسليم لنبيها اذ اختاره الله لها فانه انما اختار محمداً بعلمه وهو العليم الخبير وأستغفر الله لى ولكم . فقام عبدالله بن جعفر فقال : الحمد لله اهل الحمد ومنتهاه نحمده على الهامنا حمده ونرغب اليه فى تأدية حقه وأشهد أن لااله الا الله واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وان محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم : أما بعد فان هذا الخلافة ان أخذ فيها بالقرآن فأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وان أخذ فيها بسنة رسول الله فألو رسول الله وان أخذ بسنة الشيخين أبى بكر وعمر فأى الناس أفضل وأكمل واحق بهذا الامر من آل الرسول . وأيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الامر موضعه لحقه وصدقه ولاطيع وعصى الشيطان وما اختلف فى الامة سيفان فاتق الله يامعاوية فانك قد صرت راعياً ونحن رعية فانظر لرعيتك فانك مسئول عنها غداً . وأما ماذكرت من ابنى عمى وتركك ان تحضرهما فوالله ما أصبت الحق ولا يجوز لك ذلك الا بهما وانك لتعلم انهما معدن العلم والكرم فقل أودع واستغفر الله لى ولكم . فتكلم

عبدالله بن الزبير فقال : الحمدلله الذى عرفنا دينه واكرمنا برسوله احمده على ما ابلى واولى واشهد ان لااله الا الله وان محمداً عبده ورسوله اما بعد فان هذه الخلافة اقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وافعالها المرضية مع شرف الآباء وكرم الابناء ، فاتق الله يامعاوية وانصف من نفسك فان هذا عبدالله بن عباس بن عم رسول الله وهذا عبدالله بن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله وانا عبدالله بن الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى خلف حسناً وحسيناً وانت تعلم من هما وما هما فاتق الله يامعاوية وانت الحكم بنا وبين نفسك . فتكلم عبد الله بن عمر فقال . الحمد لله الذى اكرمنا بدينه وشرفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم اما بعد فان هذه الخلافة ليست بهرقلية ولا قيصرية ولا كسروية يتوارثها الابناء على الآباء ولو كان كذلك كنت القائم بها بعدابى فوالله ما ادخلنى مع الستة من أصحاب الشورى الا على ان الخلافة ليست شرطا مشروطا وانما هى فى قريش خاصة لمن كان لها اهلا ممن ارتضاه المسلمون لانفسهم من كان اتقى وارضى فان كنت تريد الفتيان من قريش فلعمرى ان يزيد من فتيانها واعلم انه لايغنى عنك من الله شيئاً ، فتكلم معاوية فقال . قد قلت وقلنم وانه قد ذهبت الآباء وبقيت الابناء فابنى احب الى من ابنائهم مع ان ابنى قاولتموه وجد متمالا وانما كان هذا الامر لبنى عبد مناف لانهم اهل رسول الله فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولى الناس ابا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة غير انهما سارا بسيرة جميلة ثم رجع الملك الى بنى عبد مناف فلا يزال فيهم الى يوم القيامة وقد اخرجك الله يابن الزبير وانت يابن عمر منها فأما ابنا عمى هذان فليس بخارجين من الراى ان شاء الله . ثم امر بالرحلة واعرض عن ذكر البيعة ليزيد ولم يقطع عنهم شيئاً من صلاتهم وأعطياتهم ثم انصرف راجعاً الى الشام وسكت عن لها البيعة فلم يعرض الى سنة احدى وخمسين

﴿ موت الحسن بن على رضى الله عنهما ﴾

قال فلما كانت سنة احدى وخمسين مرض الحسن بن على مرضه الذى مات فيه فكتب عامل المدينة الى معاوية يخبره بشكاية الحسن فكتب اليه :

معاوية ان استطعت ان لا يمضي يوم بي مر الا يأتيني فيه خبره فافعل فلم يزل يكتب اليه بحاله حتى توفى . فكتب اليه بذلك فلما أتاه الخبر أظهر فرحا وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه فبلغ ذلك عبدالله بن عباس وكان بالشام يومئذ . فدخل على معاوية فلما جلس قال معاوية : يابن عباس هلك الحسن بن على فقال ابن عباس نعم هلك انا لله وانا اليه راجعون ترجيعاً مكرراً وقد بلغني الذى اظهرت من الفرح والسرور لوفاته أما والله ما سد جسده خصاصتك ولا زاد نقصان اجله في عمرك ولقد مات وهو خير منك ، ولئن اصبنا به لقد اصبنا بمن كان خيراً منه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده احسن الخلافة . ثم شهق ابن عباس وبكى وبكى من حضر في المجلس وبكى معاوية فما رأيت يوما اكثر باكيا من ذلك اليوم . فقال معاوية بلغني انه ترك بنين صغاراً فقال ابن عباس كلنا كان صغيراً فكبر . قال معاوية كم اتى له من العمر فقال ابن عباس أمر الحسن أعظم من ان يجهل احد مولده قال فسكت معاوية يسيراً ثم قال يابن العباس اصبحت سيد قومك من بعده فقال ابن عباس اما ما ابقى الله أبا عبدالله الحسين فلا . قال معاوية لله ابوك يابن عباس ما استنبأتك الا وجدتك معداً

بيعة معاوية ليزيد بالشام واخذه اهل المدينة

قالوا ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله الا يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام وكتب بيعته الى الآفاق وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب اليه يذكر الذى قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد ويأمره بجمع من قبله من قريش وغيرهم من اهل المدينة ثم يبايعوا ليزيد

عزل مروان عن المدينة

قال فلما قرأ مروان كتاب معاوية أبى من ذلك وأبته قريش فكتب لمعاوية : ان قومك قد أبوا اجابتك الى بيعتك ابنك فأرنى رأيك . فلما بلغ معاوية كتاب مروان عرف ذلك من قبله . فكتب اليه يأمره ان يعتزل عمله ويخبره انه قد ولى المدينة سعيد بن العاص فلما بلغ مروان كتاب معاوية اقبل مغاضبا فى اهل بيته وناس كثير من قومه حتى نزل باخواله بنى كنانة

فشكا اليهم واخبرهم بالذى كان من رأيه فى أمر معاوية وفى عزله واستخلافه يزيد ابنه عن غير مشورة مبادرة له فقالوا : نحن نبلك فى يدك وسيفك فى قرابك فمن رميته بنا أصبناه ومن ضربته قطعناه الرأى رأيك ونحن طوع يمينك . ثم اقبل مروان فى وفد منهم كثير ممن كان معه من قومه واهل بيته حتي نزل دمشق فخرج فيهم حتى اتى سدة معاوية وقد اذن للناس فلما نظر الحاجب الى كثرة من معه من قومه وأهل بيته منعه من الدخول فوثبوا اليه فضربوا وجهه حتي خلى عن الباب ثم دخل مروان ودخلوا معه حتي اذا كان من معاوية بحيث تناله يده قال بعد التسليم عليه بالخلافة : ان الله عظيم خطره لا يقدر قادر قدره خلق من خلقه عباداً جعلهم لدعائم دينه اوتاداً . هم رقباؤه على البلاد وخلفاؤه على العباد اسفر بهم الظلم والف بهم الدين وشدد بهم اليقين ، ومنح بهم الظفر ووضع بهم من استكبر ، فكان من قبلك من خلفائنا يعرفون ذلك فى سالف زماننا وكنا نكون لهم على الطاعة اخوانا وعلى من خالف عنها اعوانا يشد بنا العضد ويقام منا الاود ونستشار فى القضية ونستأمر فى امر الرعية وقد اصبحنا اليوم فى امور مستخيرة ذات وجوه مستديرة تفتح بازمة الضلال وتجلس بأسوأ الرجال ، يؤكل جزورها وتمق احلابها فمالنا لا نستأمر فى رضاعها ونحن فطامها واولاد فطامها وأيم الله لولا عهود مؤكدة ومواثيق معقدة لأقمت اود وليها فأقم الامر يابن أبى سفيان واهد أمن تأميرك الصبيان واعلم ان لك فى قومك نظراً وان لهم على مناوأتك وزراً ، فغضب معاوية من كلامه غضباً شديداً ثم كظم غيظه بحلمه واخذ بيد مروان ثم قال : ان الله قد جعل لكل شئ اصلا وجعل لكل خير أهلا ثم جعلك فى الكرم منى محتداً والعز منى والداً ؟ اخترت من قروم قادة ثم استللت سيد سادة فأنت ابن ينابيع الكرم فمرحبا بك وأهلا من ابن عم ذكرت خلفاء مفقودين شهداء صديقين كانوا كما نعت وكنت لهم كما ذكرت وقد اصبحنا فى امور مستخيرة ذات وجوه مستديرة وبك والله يابن العم نرجوا استقامة أودها وذلولة صعوبتها وسفور ظلمتها حتى يتطأطأ جسيمها ويركب بك عظيمها فانت نظير أمير المؤمنين بعده وفى كل شدة عضده واليك بعد عهده ، فقد وليتك قومك واعظمنا فى الخراج سهمك وانا مجيز وفدك ومحسن رفدك وعلى امير المؤمنين غناك والنزول عند رضاك ، فكان

أول مارزق الف دينار فى كل هلال وفرض له فى أهل بيته مائة مائة

﴿ كراهية أهل المدينة البيعة وردهم لها ﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمره ان يدعو أهل المدينة الى البيعة ويكتب اليه بمن سارع ممن لم يسارع . فلما أتى سعيد ابن العاص الكتاب دعا الناس الى البيعة ليزيد واظهر الغلظة وأخذهم بالعزم والشدة وسطا بكل من ابطأ عن ذلك فأبطأ الناس عنها الا اليسير لاسيما بنى هاشم فانه لم يجبه منهم أحد وكان ابن الزبير من اشد الناس انكاراً لذلك ورداً له . فكتب سعيد ابن العاص الى معاوية : أما بعد فانك أمرتنى ان ادعو الناس لبيعة يزيد بن أمير المؤمنين وان اكتب اليك بمن سارع ممن أبطأ وانى اخبرك ان الناس عن ذلك بطاء لاسيما أهل البيت من بنى هاشم فانه لم يجبنى منهم أحد وبلغنى عنهم ما اكره ، واما الذى جاهر بعداوته وابائه لهذا الامر فعبد الله بن الزبير ولست اقوى عليهم الا بالخيل والرجال أو تقدم بنفسك فترى رأيك فى ذلك والسلام . فكتب معاوية الى عبد الله بن عباس والى عبد الله بن الزبير والى عبد الله بن جعفر والى الحسين بن على رضى الله عنهم كتباً وامر سعيد بن العاص ان يوصلها اليهم ويبعث بجواباتها . وكتب الى سعيد بن العاص : اما بعد فقد اتانى كتابك وفهمت ماذكرت فيه من ابطاء الناس عن البيعة ولاسيما بنى هاشم وماذكرابن الزبير وقد كتبت الى رؤسائهم كتبا فسلمها اليهم وتنجز جواباتها وابعث بها الى حتى أرى فى ذلك رأيى ولتشد عزيمتك ولتصلب شكيمتك وتحسن نيتك وعليك بالرفق واياك والخرق فان الرفق رشد والخرق نكد . وانظر حسينا خاصة فلا يناله منك مكروه فان له قرابة وحقا عظيما لا ينكره مسلم ولا مسلمة وهو ليث عرين ولست آمنك ان شاورته ان لا تقوى عليه ، فامامن يرد مع السباع اذا وردت ويكنس اذا كنست فذلك عبد الله بن الزبير فاحذره أشد الحذر ولاقوة الا بالله وأنا قادم عليك ان شاء الله والسلام . وكتب الى ابن عباس : أما بعد فقد بلغنى ابطاؤك عن البيعة ليزيد بن أمير المؤمنين وانى لو قتلتك بعثمان لكان ذلك الى لانك ممن ألب عليه واجلب وما منعك من امان فتطمئن به ولا عهد فتسكن اليه فاذا أتاك كتابى هذا فاخرج الى المسجد والعن قتلة عثمان وبايع عاملى فقد أعذر من أنذر وأنت بنفسك ابصر والسلام . وكتب

الى عبدالله بن جعفر : أما بعد فقد عرفت اثرتى اياك على من سواك وحسن رأيى فيك وفى أهل بيتك وقد أتانى عنك ما أكره فان بايعت تشكر وان تأب تجبر والسلام .
وكتب الى الحسين : أما بعد فقد انتهت الى منك أمور لم أكن أظنك بها رغبة عنها وان أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان مثلك فى خطرك وشرفك ومنزلتك التى أنزلك الله بها فلا تنازعنى قطيعتك واتق الله ولا تردن هذه الامة فى فتنة وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد ولا يستخفنك الذين لا يوقنون . وكتب الى عبد الله بن الزبير :

رأيت كرام الناس ان كف عنهم * بحلم رأوا فضلا لمن قد تحلما
ولا سيما ان كان عفوا بقدرة * فذلك أحرى ان يجل و يعظما
ولست بذى لؤم فتعذر بالذى * أتيته من أخلاق من كان ألوما
ولكن غشا لست تعرف غيره * وقد غش قبل اليوم ابليس آدما
فما غش الا نفسه فى فعاله * فاصبح ملعونا وقد كان مكرما
وانى لاخشى ان انالك بالذى * أردت فيجزى الله من كان أظلما

ما أجابه القوم به رضى الله عنهم

فكان أول من أجابه عبد الله بن عباس فكتب اليه : أما بعد فقد جاءنى كتابك وفهمت ما ذكرت وان ليس معى منك أمان وانه والله ما منك يطلب الامان يا معاوية وانما يطلب الامان من الله رب العالمين ، واما قولك فى قتلى فوالله لو فعلت للقيت الله ومحمد صلى الله عليه وسلم خصمك فما اخاله افلح ولا أنجح من كان رسول الله خصمه . وأما ما ذكرت من أنى ممن ألب فى عثمان واجلب فذلك أمر غبت عنه ولو حضرته ما نسبت الى شيأ من التأليب عليك وأيم الله ما أرى أحداً غضب لعثمان غضبى ولا أعظم أحداً قتله اعظامى ولو شهدته لنصرته أو أموت دونه ولقد قلت وتمنيت يوم قتل عثمان ليت الذى قتل عثمان لقينى فقتلنى معه ولا ابقى بعده ، وأما قولك لى العن قتلة عثمان فلعثمان ولد وخاصة وقرابة هم أحق بلعنهم منى فان شاؤا ان يلعنوا فليلعنوا وان شاؤا ان يمسكوا فليمسكوا والسلام . وكتب اليه عبد الله بن جعفر اما بعد فقد جاءنى كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من اثرتك اياى على من سواى فان تفعل فبحظك أصبت وان تأب فبنفسك قصرت وأما ما ذكرت من جبرك اياى على البيعة ليزيد فلعمرى لئن أجبرتنى عليها لقد اجبرناك

وأبائك على الاسلام حتى أدخلنا كما كارهين غيرطائعين والسلام . وكتب اليه عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما :

الا سمع الله الذى أنا عبده * فاخزى اله الناس من كان أظلما
واجرى على الله العظيم بحلمه * وأسرعهم فى الموبقات تقحما
أغرك ان قالوا حليم بعزة * وليس بذى حلم ولكن تحلما
ولورمت ان قد عزمت وجدتنى * هزبر عرين يترك النزن اكتما
واقسم لولا بيعة لك لم اكن * لانفضها لم تنج منى مسلما

وكتب اليه الحسين رضى الله عنه : أما بعد فقد جاءنى كتابك تذكر فيه انه انتهت اليك عنى امور لم تكن تظننى بها رغبة بى عنها وان الحسنات لايهدى لها ولا يسدد اليها الا الله تعالى وأما ماذكرت انه رقى اليك عنى فانما رقاه الملاقون المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الجمع وكذب العادون المارقون ماأردت حربا ولاخلافا واني لاخشى الله فى ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين حزب الظالم أعوان الشيطان الرجيم . ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ماأعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جراءة على الله واستخفافا بعهده أولست بناتل عمرو بن الحمق الذى أخلقت وأبلت وجهه العبادة فقتلته من بعد ماأعطيته من العهود مالو فهمه الطير نزلت من سقف الجبال أولست المدعى زيادا فى الاسلام فزعمت انه ابن ابى سفيان وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم ويقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل سبحان الله يامعاوية لكأنك لست من هذه الامة وليسوا منك . اولست قاتل الحضرمى الذى كتب اليك فيه زيادانه على دين على كرم الله وجهه ودين على هو دين ابن عمه صلى الله عليه وسلم الذى أجلسك مجلسك الذى انت فيه ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم وقلت فيما قلت لاترد هذه الامة فى فتنة واني لاأعلم لها فتنة أعظم من امارتك عليها وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولامة محمد واني والله ما أعرف

أفضل من جهادك فان أفعل فانه قربة الى ربي وان لم أفعله فأستغفر الله لدينى واساله التوفيق لما يحب و يرضى وقلت فيما قلت متى تكدنى أكدك فكدنى يامعاوية فيما بدالك فلعمرى لقديما يكاد الصالحون وانى لارجو ان لاتضر الا نفسك ولا تمحق الا عملك فكدنى ما بدالك واتق الله يامعاوية واعلم ان لله كتابا لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها واعلم ان الله ليس بناسر لك قبلك بالظنة وأخذك بالتهمة وامارتك صبياً يشرب الشراب و يلعب بالكلاب ما اراك الا وقد اوبقت نفسك وأهلكت دينك وأوضعت الرعية والسلام

﴿ قدوم معاوية المدينة على هؤلاء القوم وما كان بينهم من المنازعة ﴾

قال وذكروا انه لما جاوب القوم معاوية بما جاوبوه من الخلاف لامره والكراهية لبيعته ليزيد كتب الى سعيد بن العاص يأمره ان ياخذ اهل المدينة بالبيعة ليزيد أخذاً بغلظة وشدة ولايدع احداً من المهاجرين والانصار وابنائهم حتى يبايعوا وامره ان لايحرك هؤلاء النفر ولا يهيجهم فلما قدم كتاب معاوية اخذهم بالبيعة اعنف ما يكون من الاخذ وأغلظه فلم يبايعه احد منهم . فكتب الى معاوية انه لم يبايعني احد وانما الناس تبع لهؤلاء النفر فلو بايعوك بايعك الناس جميعاً ولم يتخلف عنك احد فكتب اليه معاوية يأمره ان لايحركهم الى ان يقدم فقدم معاوية المدينة حاجاً فلما ان دنى من المدينة خرج اليه الناس يتلقونه ما بين راكب وماش وخرج النساء والصبيان فلقيه الناس على حال طاقتهم وماتسارعوا به في النوت والقرب فلان لمن كالفحه وفاوض العامة بمحادثته وتألفهم جهده مقاربة ومصانعة ليستميلهم الى ما دخل فيه الناس حتي قال في بعض ما يجتلبهم به : اهل المدينة مازلت اطوى الحزن من وعثاء السفر بالحب لمطالعتكم حتي انطوى البعيد ولان الخشن وحق لجار رسول الله ان يتاق اليه . فرد عليه القوم بنفسك ودارك ومهاجرك اما ان لك منهم كاشفاق الحميم البر والحفي قال حتى اذا كان بالجرف لقيه الحسين بن علي وعبدالله بن عباس فقال معاوية مرحباً يابن بنت رسول الله وابن صنو ابيه ثم انحرف الى الناس فقال هذان شيخا بني عبد مناف وأقبل عليهما بوجهه وحديثه فرحب وقرب وجعل يواجه هذا مرة و يضاحك هذا اخرى حتي ورد المدينة فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان يسلمون عليه

ويسايرونه الى أن نزل فانصرفا عنه . فمال الحسين الى منزله ومضى عبدالله ابن عباس الى المسجد فدخله واقبل معاوية ومعه خلق كثير من اهل الشام حتى اتى عائشة ام المؤمنين فاستأذن عليها فأذنت له وحده لم يدخل عليها معه احد وعندها مولاها ذكوان فقالت عائشة يامعاوية اكنت تأمن ان اقعد لك رجلا فأقتلك كما قتلت اخي محمد بن ابي بكر فقال معاوية ما كنت لتفعلين ذلك قالت لم قال لانى فى بيت آمن بيت رسول الله . ثم ان عائشة حمدت الله وأثنت عليه وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت ابا بكر وعمر وحصنته على الاقتداء بهما والاتباع لأثرهما ثم صمتت قال فلم يخطب معاوية وخاف ان لا يبلغ ما بلغت فارتجل الحديث ارتجالا . ثم قال انت والله ياام المؤمنين العالمة بالله وبرسوله دللتنا على الحق وحضضتنا على حظ انفسنا وانت اهل لان يطاع امرك ويسمع قولك وان امر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من امرهم وقد اكد الناس بيعتهم فى اعناقهم واعطوا عهودهم على ذلك ومواثيقهم افترى ان ينقضوا عهودهم ومواثيقهم فلما سمعت ذلك عائشة علمت انه سيمضى على امره فقالت : اما ماذكرت من عهود ومواثيق فاتق الله فى هؤلاء الرهط ولا تعجل فيهم فلعلهم لا يصنعون الا ما احببت . ثم قام معاوية فلما قام قالت عائشة يامعاوية قلت حجراً واصحابه العابدين المجتهدين فقال معاوية دعى هذا كيف انا فى الذى بينى وبينك وفى حوائجك ؟ قالت صالح قال فدعينا واياهم حتى نلوى رئتنا ثم خرج ومعه ذكوان فاتكأ على يد ذكوان وهو يمشى ويقول تالله ان رأيت كاليوم قط خطيباً ابلغ من عائشة بعد رسول الله ثم مضى حتى اتى منزله فأرسل الى الحسين بن على فخلا به فقال له يابن أخى قد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر من قريش انت تقودهم يابن اخى فما رأيك الى الخلاف قال الحسين ارسل اليهم فان بايعوك كنت رجلا منهم ولا تكن عجلت على بأمر قال نعم قال فأخذ عليه ان لا يخبر بحديثهما احداً فخرج وقد أقعد له ابن الزبير رجلا بالطريق فقال يقول لك اخوك ابن الزبير ما كان فلم يزل به حتى استخرج منه شيئاً قال ثم ارسل معاوية بعده الى ابن الزبير فخلا به فقال له قد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر من قريش انت تقودهم

يابن اخي فما أربك الى الخلاف قال فارسل اليهم فان بايعوك كنت رجلا منهم والا تكن عجلت على بامر قال وتفعل قال نعم فاخذ عليه ان لايخبر بحديثهما أحداً ، قال فارسل بعده الى ابن عمر فاتاه وخلا به فكلمه بكلام هو ألين من صاحبيه وقال انى كرهت ان ادع امة محمد بعدى كالضأن لاراعى لها وقد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر انت تقودهم فما أربك الى الخلاف قال ابن عمر : هل لك فى امر تحقن به الدماء وتدرك به حاجتك فقال معاوية وددت ذلك فقال ابن عمر تبرز سريرك ثم اجئ فايابعك على انى ادخل فيما اجتمعت عليه الامة فوالله لوان الامة اجتمعت على عبد حبشى لدخلت فيما تدخل فيه الامة ، قال وتفعل قال نعم ثم خرج وأرسل الى عبد الرحمن بن ابى بكر فخلا به قال باى يد او رجل تقدم على معصيتى فقال عبد الرحمن ارجو ان يكون ذلك خيراً لى فقال معاوية والله لتدهممت ان اقتلك فقال لو فعلت لاتبعك الله فى الدنيا ولا دخلك فى الآخرة النار ، قال ثم خرج عبد الرحمن بن ابى بكر وبقى معاوية يومه ذلك يعطى الخواص ويدنى بذمة الناس فلما كان صبيحة اليوم الثانى أمر بفراش فوضع له وسويت مقاعد الخاصة حوله وتاقماءه من أهله ثم خرج وعليه حلة يمانية وعمامة دكناء وقد اسبل طرفها بين كتفيه وقد تغلف وتعطر فقعد على سريره واجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يامر به وأمر حاجبه ان لا يأذن لاحد من الناس وان قرب . ثم ارسل الى الحسين بن على وعبدالله بن عباس فسبق ابن عباس فلما دخل وسلم عليه اقعده فى الفراش على يساره فحادثه ملياً ثم قال : يابن عباس لقد وفر الله حظكم من مجاورة هذا القبر الشريف ودار الرسول عليه السلام فقال ابن عباس نعم اصلح الله أمير المؤمنين وحظنا من القناعة بالبعض والتجافى عن الكل اوفر فجعل معاوية يحدثه ويحيد به عن طريق المجادلة ويعدل الى ذكر الاعمار على اختلاف الغرائز والطبائع حتى اقبل الحسين بن على فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه فدخل الحسين وسلم فاشار اليه فاجلسه عن يمينه مكان الوسادة فسأله معاوية عن حال بنى اخيه الحسن واسنانهم فاخبره ثم سكت قال ثم ابتدأ معاوية فقال : أما بعد فالحمد لله ولى النعم ومنزل النقم واشهد ان لااله الا الله المتعالى عما يقول الملحدون علواً كبيراً وان محمداً عبده المختص المبعوث الى

الجن والانس كافة لينذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فادى عن الله وصدع بامره وصبر عن الاذى فى جنبه حتى أوضح دين الله وأعز اولياءه وقمع المشركين وظهر أمر الله وهم كارهون فمضى صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا مابذل له واختار منها الترك لما سخر له زهادة واختياراً لله وانفة واقتداراً على الصبر بغيا لما يدوم ويبقى فهذه صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك وبين ذلك خوض طال ماعالجناه مشاهدة ومكافحة ومعاينة وسماعا وما أعلم منه فوق ماتعلمان وقد كان من أمر يزيد ماسبقتم اليه والى تجويزه وقد علم الله ماأحاول به من أمر الرعية من سد الخلل ولم الصدع بولاية يزيد بما ايتظ العين واحمد الفعل هذا معناى فى يزيد وفيكما فضل القرابه وحظوة العلم وكمال المروءة وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ماعيانى مثله عندكما وعند غيركما مع علمه بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذى يرجح بالصم الصلات وقد علمتما ان الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدم على الصديق والفاروق ومن دونهما من اكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل من لم يقارب القوم ولم يعاندهم برتبة فى قرابة موصولة ولا سنة مذكورة فقادهم الرجل بامره وجمع بهم صلاتهم وحفظ عليهم فيئهم وقال ولم يقل معه وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فمهلا بنى عبد المطلب فانا وانتم شعبا نفع وجد ومازلت ارجو الانصاف فى اجتماعكما فما يقول القائل الا بفضل قولكما فردا على ذى رحم مستعتب ما يحمد به البصيرة فى عتابكما واستغفر الله لى ولكما . قال فتيسر ابن عباس للكلام ونصب يده للمخاطبة فاشار اليه الحسين وقال على رسلك فانا المراد ونصيبى فى التهمة اوفر فامسك ابن عباس فقام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول ثم قال أما بعد يامعاوية فلن يؤدى القائل وان اطنب فى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع جزءاً وقد فهمت مالبست به الخلف بعد رسول الله من ايجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة وهيهات هيهات يامعاوية فضح الصبح لهمة الدجى وبهرت الشمس انوار السرج ولقد فضلت حتي افرطت واستأثرت حتي اجحفت ومنعت حتي بخلت وجرت حتي جاوزت مابذلت لذى حق من اتم حقه بنصيب حتى

أخذ الشيطان حظه الاوفر ونصيبه الاكمل وفهمت ماذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لامة محمد تريد ان توهم الناس فى يزيد كأنك تصف محجوبا اوتنعت غائبا اوتخبر عما كان احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما اخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش والحمام السبق لاترابهن والقينات ذوات المعارف وضروب اللاهى تجده ناصرا ودع عنك ماتحاول ، فما أغناك ان تلقى الله بوزر هذا الخلق باكثر مما أنت لاقيه فوالله مابرحت تقدم باطلا فى جور وحنقا فى ظلم حتى ملأت الاسقية وما بينك و بين الموت الاغمضة فتقدم على عمل محفوظ فى يوم مشهود ولات حين مناص ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الامر ومنعتنا عن آبائنا تراثا ولقد لعمر الله أورثنا الرسول عليه السلام ولادة وجئت لنا بها ماحججتم به القائم عند موت الرسول فاذعن للحجة بذلك ورده الايمان الى النصف فركبتم الاعاليل وفعلتم الافاعيل وقالتم كان و يكون حتى اتاك الامر يامعاوية من طريق كان قصدها لغيرك فهناك فاعتبروا ياأولى الابصار . وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأميره له وقد كان ذلك ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول و بيعته له وما صار لعمرو يومئذ حتى انف القوم آمرته وكرهوا تقديمه وعدوا عليه افعاله فقال صلى الله عليه وسلم : لاجرم معشر المهاجرين لايعمل عليكم بعد اليوم غيرى . فكيف يحتج بالمنسوخ من فعل الرسول فى أوكد الاحوال واولاها بالمجتمع عليه من الصواب ام كيف صاحبت بصاحب تابعا وحولك من لايؤمن فى صحبته ولا يعتمد فى دينه وقرابته وتتخطاهم الى مسرف مفتون تريد ان تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقى فى دنياه وتشقى بها فى آخرتك أن هذا لهو الخسران المبين واستغفر الله لى ولكم ، قال فنظر معاوية الى ابن عباس فقال ماهذا يابن عباس ولما عندك ادهى وامر فقال ابن عباس لعمر الله انها لذرية الرسول واحد اصحاب الكساء ومن البيت المطهر فاله عما تريد فان لك فى الناس مقنعا حتى يحكم الله بامره وهو خير الحاكمين فقال معاوية : اعود الحلم التحلم وخيره التحلم عن الاهل انصرفا فى حفظ الله ، ثم ارسل معاوية الى عبد الرحمن بن ابى بكر والى عبدالله بن عمر والى عبدالله

ابن الزبير فجلسوا فحمدالله واثنى عليه معاوية ثم قال ياعبدالله بن عمر قد كنت تحدثنا انك لاتحب ان تبيت ليلة وليس فى عنقك بيعة جماعة وان لك الدنيا وما فيها وانى احذرك ان تشق عصا المسلمين وتسعى فى تفريق ملائهم وان تسفك دماءهم وان امر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من امرهم وقد وكد الناس بيعتهم فى اعناقهم واعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم ثم سكت . فتكلم عبدالله بن عمر فحمدالله واثنى عليه ثم قال : اما بعد يامعاوية لقد كانت قبلك خلفاء وكان لهم بنون ليس ابنك بخير من ابنائهم فلم يروا فى ابنائهم مارأيت فى ابنك فلم يحابوا فى هذا الأمر أحدا ولكن اختاروا لهذه الامة حيث علموهم وان تحذرنى ان اشق عصا المسلمين وافرق ملأهم واسفك دماءهم ولم اكن لافعل ذلك ان شاء الله ولكن ان استقام الناس فسأدخل فى صالح ماتدخل فيه أمة محمد فقال معاوية يرحمك الله ليس عندك خلاف ثم قال معاوية لعبد الرحمن بن أبى بكر نحو ماقاله لعبدالله بن عمر فقال له عبدالرحمن انك والله لوددنا ان تكلمك الى الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد والذى نفسى بيده لتجعلنها شورى اولاعيدها جذعة . ثم قام ليخرج فتعلق معاوية بطرف ردائه ثم قال على رسلك اللهم اكفنيه بما شئت لاتظهرن لاهل الشام فانى اخشى عليك منهم ثم قال لابن الزبير نحو ماقاله لابن عمر ثم قال له انت ثعلب رواغ كلما خرجت من جحر انحجرت فى آخر أنت ألبت هذين الرجلين وأخرجتهما الى ماخرجا اليه فقال ابن الزبير أتريد أن تبايع ليزيد أرأيت ان بايعناه ايكما نطيع أنطيعك ام نطيعه ان كنت مالت الخلافة فاخرج منها وبايع ليزيد فنحن نبايعه فكثر كلامه وكلام ابن الزبير حتى قال له معاوية فى بعض كلامه والله ماأراك الا قاتلا نفسك ولكأنى بك قد تخبطت فى الحبالة ثم أمرهم بالانصراف واحتجب عن الناس ثلاثة ايام لايخرج ثم خرج فامر المنادى ان ينادى فى الناس ان يجمعوا لامر جامع فاجتمع الناس فى المسجد وقعد هؤلاء حول المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر يزيد وفضله وقراءته القرآن ثم قال : ياأهل المدينة لقد هممت ببيعة يزيد وما تركت قرية ولامدرة الا بعثت اليها ببيعته فبايع الناس جميعا وسلموا واخرت المدينة

بيعته وقلت بيضته وأصله ومن لا اخافهم عليه وكان الذين ابوا البيعة منهم من كان اجدر ان يصله ووالله لو علمت مكان احد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له ، فقام الحسين فقال : والله لو تركت من هو خير منه أباً وأماً ونفساً فقال معاوية كأنك تريد نفسك فقال الحسين نعم اصلحك الله فقال معاوية اذاً اخبرك أما قولك خير منه أماً فلعمري أمك خير من امه ولو لم يكن الا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش أفضلهن فكيف وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فاطمة في دينها وسابقتها فأمك لعمر الله خير من أمه واما أبوك فقد حاكم أباه الى الله فقضى لابيه على أبيك فقال الحسين حسبك جهلك آثرت العاجل على الآجل فقال معاوية وأما ماذكرت من انك خير من يزيد نفساً فيزيد والله خير لامة محمد منك فقال الحسين هذا هو الافك والزور يزيد شارب الخمر ومشتري اللهو خير مني فقال معاوية مهلاً عن شتم ابن عمك فانك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك ثم التفت معاوية الى الناس وقال ايها الناس قد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف احداً فرأى المسلمون ان يستخلفوا أبا بكر وكانت بيعته بيعة هدى فعمل بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى ان يستخلف عمر فعمل بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين فصنع أبو بكر مالم يصنعه رسول الله وصنع عمر مالم يصنعه أبو بكر كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين فلذلك رأيت ان ابايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف ونظراً لهم بعين الانصاف

﴿ ماقال عبد الله بن الزبير لمعاوية ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن الزبير قام الى معاوية فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فترك الناس الى كتاب الله فرأى المسلمون ان يستخلفوا ابا بكر ثم رأى ان يستخلف عمر وهو اقصى قريش منه نسباً ورأى عمر ان يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين وفي المسلمين ابنه عبد الله وهو خير من ابنك فان شئت ان تدع الناس على ماتركهم رسول الله فيختارون لانفسهم وان شئت ان تستخلف من قريش كما استخلف أبو بكر خير من يعلم وان شئت ان تصنع

مثل ماصنع عمر تختار رهطاً من المسلمين وتزويها عن ابنك فافعل ، فنزل معاوية عن المنبر وانصرف ذاهبا الى منزله وامر من حرسه وشرطته قوما ان يحضروا هؤلاء النفر الذين أبوا البيعة وهم الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر واوصاهم معاوية قال اني خارج العشية الى أهل الشام فاخبرهم ان هؤلاء النفر قد بايعوا وسلموا فان تكلم أحد منهم بكلام يصدقني أو يكذبني فيه فلا ينقضي كلامه حتى يطير رأسه فحذر القوم ذلك فلما كان العشي خرج معاوية وخرج معه هؤلاء النفر وهو يضاحكهم ويحدثهم وقد البسهم الحلل فالبس ابن عمر حلة حمراء والبس الحسين حلة صفراء والبس عبدالله ابن عباس حلة خضراء والبس ابن الزبير حلة يمانية ، ثم خرج بينهم واظهر لاهل الشام الرضا عنهم أي القوم وانهم بايعوا فقال ياأهل الشام ان هؤلاء النفر دعاهم أمير المؤمنين فوجدهم واصلين مطيعين وقد بايعوا وسلموا قال ذلك والقوم سكوت لم يتكلموا شيأ حذر القتل فوثب الناس من اهل الشام فقالوا ياأمير المؤمنين ان كان رابك منهم ريب فخل بيننا وبينهم حتي نضرب اعناقهم فقال معاوية سبحان الله ما احل دماء قريش عندكم ياأهل الشام لا اسمع لهم ذكرا بسوء فانهم قد بايعوا وسلموا وارتضوني فرضيت عنهم رضي الله عنهم ، ثم ارتحل معاوية راجعا الى مكة وقد أعطى الناس اعطياتهم واجزل العطاء واخرج الى كل قبيلة جوائزها واعطياتها ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء فخرج عبدالله بن عباس في اثره حتى لحقه بالروحاء فجلس ببابه فجعل معاوية يقول من بالباب فيقال عبدالله بن عباس فلم يأذن لاحد فلما استيقظ قال من بالباب فقيل عبدالله بن عباس فدعا بدابته فادخلت اليه ثم خرج راكبا فوثب اليه عبد الله بن عباس فأخذ بلجام البغلة ثم قال اين تذهب قال الى مكة قال فاين جوائزنا كما اجزت غيرنا فأومأ اليه معاوية فقال والله مالكم عندي جائزة ولا عطاء حتى يبايع صاحبكم قال ابن عباس فقد أبى ابن الزبير فاخرجت جائزة بني أسد وابى عبدالله بن عمر فاخرجت جائزة بني عدي فمالنا ان أبى صاحبنا وقد أبى صاحب غيرنا فقال معاوية لستم كغيركم لا والله لا أعطيكم درهما حتى يبايع صاحبكم فقال ابن عباس أما والله لئن لم تفعل لالحقن بساحل من سواحل الشام ثم لاقولن ماتعلم والله لاتركتهم عليك خوارج فقال معاوية لا بل اعطيكم جوائزكم فبعث

بها من الروحاء ومضى راجعا الى الشام . فلم يلبث الا قليلا حتي توفى عبد الرحمن ابن أبى بكر فى نومة نامها رحمه الله

﴿ ماقال سعيد بن عثمان بن عفان لمعاوية ﴾

فلما قدم معاوية الشام اتاه سعيد بن عثمان بن عفان وكان شيطان قريش ولسانها قال يا أمير المؤمنين على م تبايع ليزيد وتتركنى فوالله لتعلم ان ابى خير من أبيه وأمى خير من أمه وانك انما نلت ما أنت فيه بابى فضحك معاوية وقال يابن أخى أما قولك ان اباك خير من ابيه فيوم من عثمان خير من معاوية واما قولك ان امك خير من امه ففضل قرشية على كلبية فضل بين واما ان اكون نلت ما انا فيه بابيك فانما هو الملك يؤتيه الله من يشاء قتل ابوك رحمه الله فتوا كلته بنو العاصى وقامت فيه بنو حرب فنحن أعظم بذلك منة عليك ، واما ان تكون خيرا من يزيد فوالله ما أحب ان دارى مملوءة رجالا مثلك بيزيد ولكن دعنى من هذا القول وسلنى اعطك ، فقال سعيد ابن عثمان بن عفان : يا أمير المؤمنين لا يعدم يزيد منك ما دمت له وما كنت لارضى ببعض حقى دون بعض فاذا أبيت فاعطنى مما أعطاك الله فقال معاوية لك خراسان قال سعيد وما خراسان قال انها لك طعمة وصلة رحم ، فخرج راضيا وهو يقول :

ذكرت أمير المؤمنين وفضله * فقلت جزاه الله خيرا بما وصل
وقد سبقت منى اليه بوادر * من القول فيه آفة العقل والزلل
فعاد أمير المؤمنين بفضله * وقد كان فيه قبل عودته ميل
وقال خراسان لك اليوم طعمة * فجوزى أمير المؤمنين بما فعل
فلو كان عثمان الغداة مكانه * لما نالنى من ملكه فوق مابذل

فلما انتهى قوله الى معاوية امر يزيد ان يزوده وامر اليه بخلعة وشيعه فرسخا

﴿ قدوم أبى الطفيل على معاوية ﴾

قال وذكروا أنه لم يكن أحد احب الى معاوية أن يلقاه من أبى الطفيل الكنانى وهو عامر بن واثلة وكان فارس أهل صفين وشاعرهم وكان من اخص الناس بعلى كرم الله وجهه فقدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية فاخبر معاوية بقدومه فأرسل اليه فأتاه وهو شيخ كبير فلما دخل عليه قال له معاوية أنت أبو الطفيل عامر بن واثلة قال نعم قال معاوية اكنت ممن قتل عثمان أمير المؤمنين قال لا ولكن ممن

شهده فلم ينصره قال ولم قال لم ينصره المهاجرون والانصار فقال معاوية : أما والله ان نصرته كانت عليهم وعليك حتماً واجباً وفرضا لازما فاذا ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما انتم اهله واصاركم الى ما رأيتم ، فقال أبو الطفيل فما منعك يا أمير المؤمنين اذ تربصت به ريب المنون ان لا تنصره ومعك أهل الشام ، قال معاوية أو ترى طلبي لدمه فضحك أبو الطفيل وقال : بلى ولكني واياك كما قال عبيد بن الابرص :

لا عرفنك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادي

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحكم فلما جلسوا نظر اليهم معاوية ثم قال اتعرفون هذا الشيخ قالوا لا فقال معاوية : هذا خليل علي بن أبي طالب وفارس صفين وشاعر أهل العراق هذا أبو الطفيل ، قال سعيد ابن العاص قد عرفناه يا أمير المؤمنين فما يمنعك منه وشتمه القوم فزجرهم معاوية قال مهلا فرب يوم ارتفع عن الاسباب قد ضقتم به ذرعا ثم قال اتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل قال : ما انكرهم من سوء ولا أعرفهم بخير ، وانشد شعرا

فان تكن العداوة قد اكنت * فشر عداوة المرء السباب

فقال معاوية يا أبا الطفيل ما بقي لك الدهر من حب علي قال حب أم موسى واشكوا الى الله التقصير فضحك معاوية قال ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عني ما قالوا هذا فقال مروان أجل والله لا نقول الباطل قال ثم جهزه معاوية والحقه بالكوفة

﴿ ما حاول معاوية من ترويج يزيد ﴾

قال وذكروا أن يزيد بن معاوية سهر ليلة من الليالي وعنده وصيف لمعاوية يقال له رقيق فقال يزيد يستديم الله بقاء امير المؤمنين وعافيته اياه وارغب اليه في تولية امره فقد كنت اعرف من جميل رأي أمير المؤمنين في وحسن نظره في جميع الاشياء ما الثقة في ذلك والتوكل عليه منعني من البوح بما جمجمت في صدري له وطلابه اليه فاضاع وترك من النظر في شأني وقد كان في حلمه وعلمه ورضائه ومعرفته بما يحق لمثله النظر فيه غير غافل عنه ولا تارك له مع ما يعلم من هيبتي له وخشيتي منه فالله يجزيه عني باحسانه ويغفر له ما اجترح من عهده ونسيانه ، فقال الوصيف وما ذلك جعلت فداك لا تلم على تضييعه اياك

فانك تعرف تفضيله وحرصه عليك وما يخامره من حبك وان ليس شئ احب اليه ولا آثر عنده منك لديه . فاذكر بلاءه واشكر حياءه فانك لا تبلغ من شكره الا بعون من الله . قال فاطرق يزيد اطراقا عرف الوصيف منه ندامته على مابدا منه وباح به ، فلما آب من عنده توجه نحو سدة معاوية ليلا وكان غير محجوب عنه ولا محبوس دونه فعلم معاوية انه ماجاء به ليلا الا خبر اراد اعلامه به . فقال له معاوية ماوراءك وما جاء بك فقال اصلح الله أمير المؤمنين كنت عند يزيد ابنك فقال فيما استجر من الكلام كذا وكذا فوثب معاوية وقال ويحك ماا ضعنا منه رحمة له وكراهية لما شجاه وخالف هواه وكان معاوية لا يعدل بما يرضيه شيئا فقال على به وكان معاوية اذا اتته الامور المشكلة المعضلة بعث الى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاتها واستسهال معضلاتها فلما جاءه الرسول قال أجب أمير المؤمنين فحسب يزيد انه انما دعاه الى تلك الامور التى يفزع اليه منها ويستعين برأيه عليها فاقبل حتى دخل عليه ثم جلس فقال معاوية : يايزيد مالذى اضعنا من امرك وتركنا من الحيطة عليك وحسن النظر لك حيث قلت ماقلت وقد تعرف رحمتي بك ونظرى فى الاشياء التى تصلحك قبل ان تخطر على وهمك فكنت اظنك على تلك النعماء شاكراً فاصبحت بها كافراً اذ فرطت من قولك ما الزمتنى فيه اضاعتي اياك واوجبت على منه بالتقصير ، لم يزجرك عن ذلك تخوف سخطى ولم يحجزك دون ذكره سالف نعمتى ولم يردعك عنه حق ابوتى فاى ولد اعق منك او اكيد وقد علمت انى تخطأت الناس كلهم فى تقديمك ونزلتهم لتوليتي اياك ونصبتك اماما على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم من عرفت وحاولت منهم ماعلمت . قال فتكلم يزيد وقد خنقه من شدة الحياء الشرق واخضله من اليم الوجد العرق . قال : لاتلزمني كفر نعمتك ولا تنزل بى عقابك وقد عرفت نعمة مواصلتك ببرك وحظوتى الى كل مايسرك فى سرى وجهرى فليسكن سخطك فان الذى أرثى له من أعباء حمله وثقله اكثر مما ارثى لنفسى من اليم مابها وشدته وسوف أنبئك واعلمك امرى . كنت قد عرفت من أمير المؤمنين استكمل الله بقاءه نظراً فى خيار الامور لى وحرصا على سياقها الى . وأفضل ماعسيت استعده مبعد اسلامى

المرأة الصالحة وقد كان ماتحدث به من فضل جمال أرينب بنت اسحاق وكمال اديها ماقد سطع وشاع فى الناس فوقع منى بموقع الهوى فيها والرغبة فى نكاحها فرجوت ألا تدع حسن النظر لى فى امرها فتركت ذلك حتى استنكحها بعلها فلم يزل ماوقع فى خلدى ينمو ويعظم فى صدرى حتى عيل صبرى فبحت بسرى فكان مما ذكرت تقصيرك فى امرى فالله يجزيك افضل من سؤالى وذكرى . فقال له معاوية . مهلا يايزيد فقال على م تأمرنى بالمهل وقد انقطع منها الامل فقال له معاوية فاين حجاك ومروءتك وتقاك فقال يزيد : قد يغلب الهوى على الصبر والحجا ولوكان احد ينتفع فيما يبتلى به من الهوى بتقاه او يدفع ماقصده بحجاه لكان اولى الناس بالصبر داود عليه السلام وقد خبرك القرآن بأمره ، فقال معاوية فما منعك قبل الفوت من ذكره قال ما كنت اعرفه واثق به من جميل نظرك قال صدقت ولكن اكتم يابنى أمرك بحلمك واستعن بالله على غلبة هواك بصبرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ امره ولابد مما هو كائن وكانت ارينب بنت اسحاق مثلا فى اهل زمانها فى جمالها وتمام كمالها وشرفها وكثرة مالها فتزوجها رجل من بنى عمها يقال له عبدالله بن سلام من قريش وكان من معاوية بالمنزلة الرفيعة فى الفضل ووقع امر يزيد من معاوية موقعا ملأ دهما واوسعه غما فأخذ فى الحيلة والنظر ان يصل اليها وكيف يجمع بينه وبينها حتى يبالغ رضا يزيد فيها . فكتب معاوية الى عبدالله بن سلام وكان قد استعمله على العراق ان اقبل حين تنظر فى كتابى هذا لامر حظك فيه كامل ولا تتأخر عنه فأغذ المسير والاقبال وكان عند معاوية بالشام ابو هريرة وابو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عبدالله بن سلام الشام أمر معاوية ان ينزل منزلا قد هيء له واعد له فيه نزله ثم قال لابى هريرة وصاحبه : ان الله قسم بين عباده قسما ووهبهم نعما اوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها وأمره برعاية حقها وسلطان طريقها بجميل النظر وحسن التفقد لمن طوقهم الله امره كما فوضه اليهم حتى يؤدوا الى الله الحق فيهم كما اوجبه عليهم فحبانى عز وجل بأعز الشرف وسمو السلف وافضل الذكر وأغدق اليسر وأوسع على فى رزقه وجعلنى راعى خلقه وامينه فى بلاده والحاكم فى امر عباده ليبلونى اشكر الاءه أم أكفرها فاياه اسأله اداء شكره وبلوغ ماارجو بلوغه من عظيم

أجره واول ما ينبغي للمرء ان يتفقده وينظر فيه فيمن استرعاه الله امره من أهله ومن لا غنى به عنه . وقد بلغت لى ابنة أردت انكاحها والنظر فى تبعل من يريد ان يباعلها لعل من يكون بعدى يهتدى منه بهدى وتتبع فيه أثرى فانى قد تخوفت ان يدعو من يلى هذا الامر من بعدى زهوة السلطان وسرفه الى عضل نسائهم والايرون لهن فيمن ملكهن امره كفؤا ولا نظيراً وقد رضيت لها عبدالله بن سلام لدينه وفضله ومروءته وأدبه . فقال ابو هريرة وأبو الدرداء ان اولى الناس برعاية أنعم الله وشكرها وطاب مرضاته فيها فيما خصه به منها أنت صاحب رسول الله وكاتبه . فقال معاوية اذ كراله ذلك عنى وقد كنت جعلت لها فى نفسها شورى غير انى ارجو انها لا تخرج من رأيى ان شاء الله . فلما خرجا من عنده متوجهين الى منزل عبدالله بن سلام بالذى قال لهما قال ودخل معاوية الى ابنته فقال لها اذا دخل عليك ابو هريرة وابو الدرداء فعرضا عليك امر عبدالله بن سلام وانكاحى اياك منه ودعواك الى مباعلته وحضاك على ملائمة رأيى والمسارعة الى هواى فقولى لهما عبدالله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم غير انه نحته ارينب بنت اسحاق وانا خائفة ان يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء فانولى منه ما اسخط الله فيه فيعذبنى عليه فافارق الرجاء واستشعر الاذى ولست بفاعلة حتى يفارقها . فذكر ذلك ابو هريرة وابو الدرداء لعبدالله بن سلام واعلماه بالذى أمرهما معاوية فلما اخبراه سر به وفرح وحمد الله عليه ثم قال : نستمتع الله بأمير المؤمنين لقد والى على من نعمه وأسدى الى من منه فاطول ما أقول فيه قصير واعظم الوصف لها يسير ثم اراد اخلاطى بنفسه والحاقى بأهله اتماما لنعمته واكمالا لاحسانه فالله استعين على شكره وبه اعوذ من كيده ومكره ، ثم بعثهما اليه خاطبين عليه فلما قدما قال لهما معاوية قد تعلمان رضائى به وتنخلى اياه وحرصى عليه وقد كنت اعلمتكما بالذى جعلت لها فى نفسها من الشورى فادخلا اليها واعرضا عليها الذى رأيت لها فدخلا عليها وعلماها بالذى ارتضاها لها أبوها لما رجا من ثواب الله عليه فقالت لهما كالذى قال لها ابوها فاعلماه بذلك فلما ظن انه لا يمنعها منها الا امرها فارق زوجته واشهدهما على طلاقها وبعثهما خاطبين اليه ايضاً فخطبا واعلما معاوية بالذى كان من فراق عبدالله ابن سلام امرأته طلاقا لما يرضيها وخروجا عما يشجيها فاظهر معاوية كراهة لفعله

وقال : ما أستحسن له طلاق امرأته ولا احببته ولو صبر ولم يعجل لكان امره الى مصيره فان كون ماهو كائن لابد منه ولامحيص عنه ولا خيرة فيه للعباد والاقدار تالية وما سبق فى علم الله لابد جار فيه فانصرفا فى عافية ثم تعودان الينا فيه وتأخذان ان شاء الله رضانا. ثم كتب الى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق اريب بنت اسحاق عبدالله بن سلام فلما عادا بوهريرة وابو الدرداء الى معاوية امرهما بالدخول عليها وسألاها عن رضاها تبريا من الامر ونظراً فى القول والعذر فيقول لم يكن لى ان اكرهها وقد جعلت لها الشورى فى نفسها فدخلا عليها واعلماها بالذى رضيه ان رضيت هى و بطلاق عبدالله بن سلام امرأته اريب طلاقا لمسرتها وذكرا من فضله وكمال مروءته وكريم محتده ما القول يقصر عن ذكره . فقالت لهما جنب القلم ما هو كائن والله فى فرش رفيع غير ان الله عز وجل يتولى تدبير الامور فى خلقه وقسمها بين عباده حتى ينزلها منازلها فيهم ويضعها على ماسبق فى اقدارها واسنى خيرى لاحد على مايهوى ولو كان لبلغ منها غاية ماشاء . وقد يعرفان ان الفراغ هزله جد وجده ندم النادم عليه يدوم والعثور فيه لا يكاد يقوم والاناة فى الامور اوفق لما يخاف فيها من المحذور ، فان الامور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأنى فيها كان المرأ بحسن العزاء خليقاً وبالصبر عليها حقيقاً ، وعلمت ان الله ولى الاجر فيهم فلم النفس على التقصير وانى بالله استعين سائله عنه حتى اعرف دخيلة خيرة يصح لى الذى اريد عنه من امره ومستخيرة وان كنت اعلم انه لاخيرة لامرء فيما هو كائن ومعلمنكما الذى يريانيه الله فى امره ولاقوة الا بالله . فقالا وفقك الله ويسر لك ثم انصرفا عنها فلما اعلماه بقولها تمثل وقال :

فان يك صدر هذا اليوم ولى * فان غداً لناظره قريب

وتحدث الناس بالذى كان من طلاق عبدالله امرأته قبل ان يفرغ من طلبته وقبل ان يوجد له الذى كان من بغيته ولم يشكوا فى غدر معاوية اياه فاستحث عبدالله ابن سلام ابا هريرة وابا الدرداء وسألهما الفراغ من أمره فأتياها فقالا لها قد اتيناك لما أنت صانعة فى امرك وان تستخيرى الله يخرلك فيما تختارين فانه يهدى من استهداه ويعطى من اجتداه وهو اقدر القادرين قالت : الحمد لله أرجوا ان يكون الله قد خار لى فانه لا يكل الى غيره من توكل عليه . وقد استبرأت امره وسألت

عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما اريد لنفسي مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهي عنه ومنهم الآمر به واختلافهم اول ما كرهت من الله فعلم عبد الله انه خدع فهلع ساعة واشتد عليه الهم . ثم انتبه فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال متعزيا ليس لامر الله راد ولا لما لابد ان يكون منه صاد ، أمور في علم الله سبقت فجرت بها اسبابها حتى امتلأت منها اقرابها وان امرؤ انال له حلمه واجتمع له عقله واستد له رأيه ليس بدافع عن نفسه قدراً ولا كيداً ولا انحرافاً عنه ولا حيداً ولا آل ما سروا به واستجذلوا له لا يدوم لهم سروره ، ولا يصرف عنهم محذوره . قال وذاع امره في الناس وشاع ، ونقله الى الامصار وتحدثوا به في الاسمار ، وفي الليل والنهار وشاع في ذلك قولهم وعظم لمعاوية عليه لومهم وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته وانما أرادها لابنه فبئس ما استرد الله أمر عباده ومكنه في بلاده واشركه في سلطانه يطلب أمراً بخدعة من جعل الله اليه أمره ويحيده ويصرعه جرأة على الله فلما بلغ معاوية ذلك من قول الناس قال لعمري ماخدعته . قال فلما انقضت أقراؤها وجه معاوية ابا الدرداء الى العراق خاطباً لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي وهو سيد اهل العراق فنها وحالا وجودا وبذلا فقال ابو الدرداء اذ قدم العراق . ماينبغي لذوي الحجا والمعرفة والتقى ان يبدأ به ويؤثره على مهم أمره مما يلزمه حبه ويجب عليه حفظه وهذا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب اهل الجنة يوم القيامة فلست بناظر في شيء قبل الالمام به والدخول عليه والنظر الى وجهه الكريم واداء حقه والتسليم عليه ثم أستقبل بعد ان شاء الله ماجئت له و بعثت اليه فقصد حتى اتى الحسين فلما رآه الحسين قام اليه فصافحه اجلالا له ومعرفته لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعه من الاسلام . ثم قال الحسين : مرحباً بصاحب رسول الله وجليسه ياأبا الدرداء حدثت لي رؤيتك شوقاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوقدت مطلقات احزاني عليه فاني لم أر منذ فارقته احداً كان له جليساً واليه حبيباً الاهملت عيناي واحرقت كبدي اسى عليه وصبابة اليه . ففاضت عينا أبي الدرداء لذكر رسول الله وقال : جزى الله لبانة اقدمتنا عليك وجمعتنا بك خيراً . فقال الحسين والله اني لذو حرص عليك ولقد كنت بالاشتياق اليك فقال

ابو الدرداء : وجهني معاوية خاطباً على ابنه يزيد ارينب بنت اسحاق فرايت ان لاأبدأ بشيء قبل احداث العهد بك والتسليم عليك . فشكر له الحسين ذلك واثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها بعد انقضاء اقرائها فلم يمنعني من ذلك الا تخيير مثلك فقد أتى الله بك فاخطب رحمك الله على وعليه فلتختر من اختاره الله لها وانها أمانة في عنقك حتى تؤديها اليها وأعطاها من المهر مثل مابذل لها معاوية عن ابنه فقال ابو الدرداء أفعل ان شاء الله . فلما دخل عليها قال لها : ايتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته فجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مستحاص ولا عن الخروج عن علمه مستناص ، فكان مما سبق لك وقدر عليك الذي كان من فراق عبد الله بن سلام اياك ولعل ذلك لا يضرك وان يجعل الله لك فيه خيراً كثيراً وقد خطبك أمير هذه الامة وابن الملك وولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن اول من آمن به من امته وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما وجئتك خاطباً عليهما فاختار ايهما شئت . فسكتت طويلا ثم قالت ياأبا الدرداء : لوأن هذا الامر جاءني وأنت غائب عني أشخصت فيه الرسل اليك وابعث فيه رأيك ولم اقطعه دونك على بعد مكانك ونأي دارك فاما اذا كنت المرسل فيه فقد فوضت أمري بعد الله اليك وبرئت منه اليك وجعلته في يدك فاختر لي ارضاهما لديك والله شهيد عليك واقض فيه قضاء ذي التحري المتقي ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى فليس امرهما عليك خفياً وما أنت عما طوقتك عمياً . فقال أبو الدرداء : ايتها المرأة انما على اعلامك وعليك الاختيار لنفسك قالت : عفا الله عنك انما انا بنت أخيك ومن لاغنى بها عنك فلا يمنعك رهبة احد من قول الحق فيما طوقتك فقد وجب عليك اداء الامانة فيما حملتك والله خير من روعي وخيف انه بناخبير لطيف . فلما لم يجد بدا من القول والاشارة عليها قال اي بنيه ابن بنت رسول الله أحب الي وارضاهما عندي والله اعلم بخيرهما لك وقد كنت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتك حيث وضعها رسول الله ، قالت قد اخترته ورضيته فاستنكحها الحسين بن علي وساق اليها مهراً عظيما وقال الناس . وبلغ معاوية الذي كان من

فعل ابى الدرداء فى ذكره حاجة احد مع حاجته وما بعثه هوله ونكاح الحسين اياها فتعاظمه ذلك جداً ولامه لوماً شديداً وقال : من يرسل ذا بلاهة وعماً يركب فى امره خلاف مايهوى ورأيى كان من رأيه أسوأ ولقد كنا بالملامة منه أولى حين بعثناه لحاجتنا انتحلناه . وكان عبدالله بن سلام قد استودعها قبل فراقه اياها بدرات مملوءة درّاً كان ذلك الدر اعظم ماله واحبه اليه وكان معاوية قد اطرحه وقطع جميع رواقده عنه لسوء قوله فيه وتهمته اياه على الخديعة فلم يزل يجفوه و يغضبه و يكدى به عنه ما كان يجديه حتى عيل صبره وطال امره وقل مافى يديه ولام نفسه على المقام لديه فخرج من عنده راجعاً الى العراق وهو يذكر ماله الذى كان استودعها ولا يدرى كيف يصنع وأتى يصل اليه و يتوقع جحودها عليه لسوء فعله بها وطلاقه اياها على غير شئ انكره منها ولا نقمة عليها فلما قدم العراق لقى الحسين فسلم عليه . ثم قال قد علمت جعلت فداك الذى كان من قضاء الله فى طلاق أريب بنت اسحاق وكنت قبل فراقى اياها قد استودعتها مالا عظيماً درّاً وكان الذى كان ولم أقبضه ووالله ما انكرت منها فى طول ماصحبتها فتيلا ولا اظن بها الا جميلا فذاكرها امرى واحضضها على الرد على فان الله يحسن عليك ذكرك و يجزل به اجرك . فسكت عنه فلما انصرف الحسين الى اهله قال لها قدم عبدالله بن سلام فيحسن الثناء عليك و يجمل النشر عنك فى حسن صحبتك وما آنسه قديماً من امانتك فسرنى ذلك واعجبنى ، وذكر انه كان استودعك مالا قبل فراقه اياك فأدى اليه امانته وردى عليه ماله فانه لم يقل الا صدقا ولم يطلب الا حقاً . قالت صدق قد والله استودعنى مالا لا ادرى ماهو وانه لمطبوع عليه بطابعه ما أخذ منه شيئاً الى يومه هذا فاثنى عليها الحسين خيراً وقال بل ادخله عليك حتى تبرئى اليه منه كما دفعه اليك . ثم لقى عبدالله بن سلام فقال له ما انكرت مالك وزعمت انه لك دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا عليها وتوف مالك منها فقال عبدالله بن سلام أنا أدفعه الى جعلت فداك قال لا حتى تقبضه منها كما دفعته اليها وتبرئها منه اذا قبضه . فلما دخلا عليها قال لها الحسين هذا عبدالله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فادفعيها اليه كما قبضتيها منه فاخرجت البدرات فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر لها واثنى عليها وخرج الحسين فقبض عبدالله خاتم بدرة فخالها من ذلك الدر حثوات

وقال خذى فهذا قليل منى لك واستعبرا جميعاً حتى تعالت اصواتهما بالبكاء اسفاً على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما للذى سمع منهما . فقال : اشهد الله انها طالق ثلاثا اللهم انك تعلم انى لم استنكحها رغبة فى مالها ولا جمالها ولكنى اردت احلالها لبعلها وثوابها على ما عالجته فى امرها فأوجب لى بذلك الاجر واجزل لى عليه الذخر انك على كل شئ قدير . ولم يأخذ مما ساق اليها فى مهرها قليلا ولا كثيراً . وكان عبدالله بن سلام سال ذلك أرينب أى التعويض على الحسين فأجابته الى رد ماله عليه شكراً لما صنعه بهما فلم يقبله وقال الذى ارجو عليه من الثواب خير لى منه . فتزوجها عبدالله بن سلام وعاشا متحابين متصافيين حتى قبضهما الله وحرمها الله على يزيد . والحمدلله رب العالمين

وفاة معاوية رحمه الله

قال وذكروا ان عتبة بن مسعود قال مر بنا نعى معاوية بن أبى سفيان ونحن بالمسجد الحرام قال فقمنا فاتينا ابن عباس فوجدناه جالساً قد وضع له الخوان وعنده نفر فقلنا أما علمت بهذا الخبر يا ابن عباس قال وما هو قلنا هلك معاوية فقال ارفع الخوان ياغلام وسكت ساعة : ثم قال : جبل تزعزع ثم مال بكلكله أما والله ما كان كمن كان قبله ولما يكن بعده مثله . اللهم انت اوسع لمعاوية فينا وفى بنى عمنا هؤلاء الذى لب معتبر اشتجرنا بيننا فقتل صاحبهم غيرنا وقتل صاحبنا غيرهم وما اغراهم بنا الا انهم لا يجدون مثلنا وما اغرانا بهم الا انا لا نجد مثلهم . كما قال القائل مالك تظلمنى قال لا أجد من أظلم غيرك . ووالله ان ابنه لخير أهله أعد طعامك ياغلام قال فارفع الخوان حتى جاء رسول خالد بن الحكم الى ابن عباس ان انطلق فبايع فقال للرسول اقرئ الامير السلام وقل له والله ما بقى فى ما نخافون فاقض من امرك ما أنت قاض فاذا سهل الممشى وذهبت حطمة الناس جئتك فعلت ما أحببت . قال ثم اقبل علينا فقال : مهلا معشر قريش ان تقولوا عند موت معاوية ذهب جد بنى معاوية وانقطع ملكهم ذهب لعمر الله جدهم وبقى ملكهم وشرها بقية هى أطول مما مضى الزموا مجالسكم وأعطوا بيعتكم قال فما برحنا حتى جاء رسول خالد فقال يقول لك الامير لابد لك ان تأتينا قال فان كان لابد فلا بد مما لابد منه . يانوار هلمى ثيابى ثم قال وما ينفعكم اتيان رجل ان جلس لم يضركم

قال فقلت له أتبايع لزيد وهو يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهتر بالفواحش قال مه فاين ماقلت لكم وكم بعده من آت ممن يشرب الخمر اوهو شر من شار بها أنتم الى بيعته سراع أما والله انى لانهاكم وأنا اعلم انكم فاعلون ما أنتم فاعلون حتى يصلب مصلوب قريش بمكة يعنى عبدالله بن الزبير

﴿ كتاب يزيد بالبيعة الى اهل المدينة ﴾

قال وذكروا ان نافع بن حبير قال انى بالشام يوم موت معاوية وكان يزيد غائبا واستخلف معاوية الضحاك بن قيس بعده حتى يقدم يزيد فلما مات معاوية خرج الضحاك على الناس فقال لايحملن اليوم نعش أمير المؤمنين الاقرشى قال فحملته قريش ساعة ثم قال اهل الشام اصلح الله الامير اجعل لنا من امير المؤمنين نصيباً فى موته كما كان لنا فى حياته قال فاحملوه فحملوه وازدحموا عليه حتى شقوا البرد الذى كان عليه صدعين قال فلما قدم يزيد دمشق بعد موت ابيه الى عشرة ايام كتب الى خالد ابن الحكم وهو عامل المدينة : أما بعد فان معاوية بن أبى سفيان كان عبداً استخلفه الله على العباد ومكن له فى البلاد وكان من حادث قضاء الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه فيه ماسبق فى الاولين والآخرين لم يدفع عنه ملك مقرب ولا نبى مرسل فعاش حميداً ومات سعيداً وقد قدرنا الله عز وجل ما كان اليه فيالها مصيبة ما أجلها ونعمة ما أعظمها نقل الخلافة وفقد الخليفة فنستوزعه الشكر ونستلهمه الحمد ونسأله الخيرة فى الدارين معاً ومحمود العقبى فى الآخرة والاولى انه ولى ذلك وكل شئ بيده لاشريك له . وان أهل المدينة قومنا ورجالنا ومن لم نزل على حسن الرأى فيهم والاستعداد بهم واتباع أثر الخليفة فيهم والاحتذاء على مثاله لديهم من الاقبال عليهم والتقبل من محسنهم والتجاوز عن مسيئهم فبايع لنا قومنا ومن قبلك من رجالنا بيعة منشرحة بها صدوركم طيبة عليها انفسكم . وليكن اول من يبايعك من قومنا واهلنا الحسين وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن جعفر ويحلفون على ذلك بجميع الايمان اللازمة ويحلفون بصدقة اموالهم غير عشرها وجزية رقيقهم وطلاق نسائهم بالثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم ولا قوة الا بالله والسلام

﴿ اباية القوم المتمنعين عن البيعة ﴾

قال وذكروا ان خالد بن الحكم لما اتاه الكتاب من يزيد قطع به فدعا مروان بن

الحكم وكان على المدينة قبله فلما دخل عليه مروان وذلك فى اول الليل فقال له خالد احتسب صاحبك يامروان فقال له مروان اكتم ما بلغك انا لله وانا اليه راجعون ثم اقرأ الكتاب وقال له ما الرأى فقال ارسل الساعة الى هؤلاء النفر فخذ بيعتهم فانهم ان بايعوا لم يختلف على يزيد أحد من اهل الاسلام فعجل عليهم قبل ان يفشى الخبر فيمتنعوا فارسل الى الحسين بن على وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر فلما أتاهم الرسول قال عبدالله بن الزبير للحسين : ظن يأأبا عبدالله فيما ارسل الينا فقال الحسين لم يرسل الينا الا للبيعة فما ترى قال آتيه فان اراد تلك امتنعت عليه . فدعا الحسين مواليه وأهل بيته وأقعدهم على الباب وقال لهم ان ارتفع صوتى فاقتحموا الدار على والا فمكانكم حتى اخرج اليكم . ثم دخل على خالد فاقرأه الكتاب فقال الحسين رحم الله معاوية فقال له بايع فقال الحسين : لا اخير فى بيعة سر والظاهر خير فاذا حضر الناس كان امراً واحداً ثم وثب الى اهله . فقال مروان لخالد اشدد يدك بالرجل فلا يخرج حتى يبايعك فان ابى فاضرب عنقه . فقال له ابن الزبير : قد علمت انا كنا أبينا البيعة اذ دعانا اليها معاوية وفى نفسه علينا من ذلك مالا نجهله ومتى ما نبايعك ليلا على هذه الحال نرى انك أغضبتنا على أنفسنا دعنا حتى نصبح وندعو الناس الى البيعة فنأتيك نبايعك بيعة سليمة صحيحة فلم يزالا به حتى خلا عنهما وخرجا : فقال مروان لخالد : تركتهما والله لا تظفر بمثلها منهما ابداً فقال ويحك أتشير على ان اقتل الحسين فوالله ما يسرنى ان لى الدنيا ومافيها وما أحسب ان قاتله يلقى الله بدمه الا خفيف الميزان يوم القيامة فقال له مروان مستهزءاً ان كنت انما تركت ذلك لذلك فقد اصبت

﴿ خلع اهل المدينة يزيد ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن معاوية عزل خالد بن الحكم عن المدينة وولاها عثمان بن محمد ابن أبى سفيان الثقفى وخرج الحسين بن على وعبد الله بن الزبير الى مكة واقبل عثمان بن محمد من الشام واليا على المدينة ومكة وعلى الموسم فى رمضان فلما استوى على المنبر بمكة رعف فقال رجل مستقبله جئت والله بالدم فتلقاه رجل آخر بعمامته فقال مه والله عم الناس . ثم قام يخطب فتناول عصاها شعبتان فقال مه شعب والله أمر الناس ثم نزل فقال الناس للحسين ياأبا عبدالله لو تقدمت فصليت بالناس فانه

ليهم بذلك اذ جاء المؤذن فاقام الصلاة فتقدم عثمان فكبر فقيل للحسين يا أبا عبد الله اذا ابيت ان تتقدم فاخرج فقال الصلاة فى الجماعة أفضل قال فصلى ثم خرج فلما انصرف عثمان بن محمد من الصلاة بلغه ان الحسين خرج قال : اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه فطلبوه فلم يدركه . قال ثم قدم المدينة فاقبل ابن ميثاء بسراح له من الحرة يريد الاموال التى كانت لمعاوية فمنع منها وازاحه أهل المدينة عنها وكانت اموالا اكتسبها معاوية ونخيلا يجد منها مائة الف وست وستين الفاً ودخل نفر من قريش والانصار على عثمان فكلموه فيها فقالوا قد علمت ان هذه الاموال كلها لنا وان معاوية آثرعلينا فى عطائنا ولم يعطنا قط درهما فما فوقه حتى مضى الزمان ونالتنا الجاعة فاشتراها منا بجزء من مئة من ثمنها فاغلظ لهم عثمان فى القول واغلظوا له فقال لهم لا كتبن الى امير المؤمنين بسوء رأيكم وما أنتم عليه من كمون الاضغان القديمة والاحقاد التى لم تزل فى صدوركم فافترقوا على موجدة ثم اجتمع رأيهم على منع ابن ميثاء القيم عليها فكف عثمان بن محمد عنهم وكتب بأمرهم الى يزيد بن معاوية قال عبد الله بن جعفر جاء كتاب عثمان بن محمد بعد هدأة من الليل وقد كنت انصرفت من عند يزيد فلم ألبث ان جاءنى رسوله فدخلت عليه والشمعة بين يديه وهو مغضب قد حسر عن ذراعيه والكتاب بين يديه فقال دونك يا أبا جعفر هذا الكتاب فاقرأه فرايت كتابا قبيحا فيه تعريض لاهل المدينة وتحريش ثم قال : والله لأطأنهم وطأة آتى منها على انفسهم قال ابن جعفر فقلت له ان الله لم يزل يعرف أباك فى الرفق خيراً فان رأيت ان ترفق بهم وتتجاوز عنهم فعلت فانما هم أهلك وعشيرتك وانما تقتل بهم نفسك اذا قتلتهم . قال اقتل واشفى نفسى فلم ازل الح عليه فيهم وارفقه عليهم وكان لى سامعا ومطيعا . فقال لى : ان ابن الزبير حيث علمت من مكة وهو زعم انه قد نصب الحرب فانا ابعث اليه الجيوش وآمر صاحب أول جيش ابعثه ان يتخذ المدينة طريقا وان لا يتاتل فان أقروا بالطاعة ونزعوا من غيهم وضلالهم فلهم على عهد الله وميثاقه ان لهم عطاءين فى كل عام مالا افعله باحد من الناس طول حياتى عطاء فى الشتاء وعطاء فى الصيف ولهم على عهدان اجعل الحنطة عندهم كسعر الحنطة عندنا والحنطة عندهم سبع آصع والعطاء الذى يذكرون انه اجتبس عنهم فى زمان معاوية فهو على ان اخرجه لهم

وافراً كاملا فان انابوا وقبلوا ذلك جاوزوا الى ابن الزبير وان ابوا قاتلهم ثم ان ظفر بها انهبها ثلاثا هذا عهدى الى صاحب جيشى لمكانك ولطلبتك فيهم ولما زعمت انهم قومى وعشيرتى . قال عبدالله بن جعفر فرأيت هذا لهم فرجاً فرجعت الى منزلى فكتبت اليهم من ليلتى كتاباً الى اهل المدينة اعلمهم فيه قول يزيد واحضهم على الطاعة والتسليم والرضا والقبول لما بذل لهم وانهاهم ان يتعرضوا لجيوشه وقلت لرسولى اجهد السير فدخلها فى عشر فما ارادوا ذلك ولا قبلوه وقالوا والله لا يدخلها عنوة أبداً

﴿ كتاب يزيد الى أهل المدينة ﴾

قال وكتب يزيد الى المدينة كتاباً وأمر عثمان بن محمد يقرأه عليهم فقدم بالكتاب الى المدينة وعثمان خائف فقرأه عليهم فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد فانى قد نفستكم حتى اخلفتكم ورفعتكم حتى أخرتكم ورفعتكم على رأسى ثم وضعتكم وايم الله لئن اشرت ان أضعكم تحت قدمى لأطأنكم وطأة أقل منها عددكم واتركنكم احاديث تتناسخ كاحاديث عاد وثمود وأيم الله ليأتينكم منى أولى من عقوبتى فلا أفلح من ندم

﴿ ما أجمع عليه أهل المدينة ورأوه من اخراج بنى أمية ﴾

قال وذكروا انه لما قرئ الكتاب تكلم عبد الله بن مطيع ورجال معه كلاما قبيحاً فلما استبان لهم ان يزيداً باعث الجيوش اليهم أجمعوا على خلافهم واختلفوا فى الرئاسة أيهم يقوم بهذا الامر . فقال قائل ابن مطيع وقال قائل ابراهيم بن نعيم ثم اجتمع رأيهم ان يقوم بامرهم ابن حنظلة وهرب عثمان بن محمد منهم ليلا فلحق بالشام ثم اخذ مروان بن الحكم وكبراء بنى أمية فاخرجوهم عن المدينة فقالوا الشقة بعيدة ولا بد لنا مما يصلحنا ولنا عيال وصبية ونحن نريد الشام قال فاستنظروا عشرة أيام فانظروا ثم اجتمع رأى أهل المدينة ان يحلفوا كبراء بنى أمية عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لقوا جيش يزيد ليردونهم عنهم ان استطاعوا فان لم يستطيعوا مضوا الى الشام ولم يرجعوا معهم فحلفوا لهم على ذلك وشرطوا عليهم ان يقيموا بذى خشب عشرة ايام فخرجوا من المدينة وتبعهم الصبيان وسفهاء الناس يرمونهم بالحجارة حتى انتهوا الى ذى خشب ولم يتحرك احد من آل عثمان بن محمد ولم يخرج من المدينة فلما رأت بنو امية ما صنع بهم أهل المدينة من اخراجهم منها اجتمعوا الى مروان فقالوا يا أبا عبد الملك ما الرأى

قال من قدر منكم ان يغيب حريمه فليفعل فانما الخوف على الحرمة فغيبوا حرمهم فأتى مروان عبدالله بن عمر فقال ياأبا عبدالرحمن بلغني انك تريد الخروج الى مكة وتغيب عن هذا الامر فاحب ان اوجه عيالى معك فقال ابن عمر انى لا أقدر على مصاحبة النساء قال فتجعلهم فى منزلك مع حرمك قال لا آمن ان يدخل على حريمى من أجل مكانكم . فكلم مروان على بن الحسين فقال نعم فضمهم على اليه وبعث بهم مع عياله ، قال ثم ارتحل القوم من ذى خشب على اقبح اخراج يكون واجتثاث منهم خوفا ان يبدو للقوم فى حبسهم وجعل مروان يقول لابنه عبد الملك يابنى ان هؤلاء القوم لم يدروا ولم يستشيروا فقال ابنه وكيف ذلك قال اذ لم يقتلونا او يحبسونا فان بعث اليهم بعثاً كنا فى ايديهم وما أخوفنى ان يفطنوا لهذا الامر فيبعثوا فى طلبنا فالوحا الوحا والنجا النجا

﴿ ارسال يزيد الجيوش اليهم ﴾

قال فلما اجمع رأى يزيد على ارسال الجيوش صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد ياأهل الشام فان أهل المدينة اخرجوا قومنا منها والله لئن تفع الخضراء على الغبراء احب الى من ذلك ، وكان معاوية قد اوصى يزيد فقال له ان رابك منهم ريب او انتقض عليك منهم أحد فعليك باعور بنى مرة مسلم بن عقبة فدعا به فقال سر الى هذه المدينة بهذه الجيوش وان شئت اعفيتك فانى اراك مدنفا منهوكا فقال نشدتك الله ان لا تحرمنى اجرا ساقه الله الى او تبعث غيرى فانى رأيت فى النوم شجرة غرقد تصيح اغصانها ياثارات عثمان فاقبلت اليها وجعلت الشجرة تقول الى يامسلم ابن عقبة فاتيت فاخذتها فعبرت ذلك ان أكون أنا القائم بأمر عثمان ووالله ماصنعوا الذى صنعوا الا أن الله أراد بهم الهلاك . فقال يزيد فسر على بركة الله فانت صاحبهم فخرج مسلم فعسكر وعرض الاجناد فلم يخرج معه أصغر من ابن عشرين ولا أكبر من ابن خمسين على خيل عراب وسلاح شاك واداة كاملة ووجه معه عشرة آلاف بعير تحمل الزاد حتى خرج فخرج معه يزيد فودعه وقال له ان حدث بك حدث فأمر الجيوش الى حصين بن نمير فانهض باسم الله الى ابن الزبير واتخذ المدينة طريقا اليه فان صدوك اوقاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وانهبها ثلاثا . فقال مسلم بن عقبة أصلح الله الامير لست با خذ من كل ماعهدت به الا بحرفين

قال يزيد وماهما ويحك قال اقبل من المقبل الطائع واقتل المدبر العاصي فقال يزيد : حسبك ولكن البيان لا يضرك والتأكيد ينفعك فاذا قدمت المدينة فمن عاقك عن دخولها او نصب لك الحرب فالسيف السيف اجهز على جريحهم واقبل على مدبرهم واياك ان تبقي عليهم وان لم يتعرضوا لك فامض الى ابن الزبير . فمضت الجيوش فلما نزلوا بوادي القرى لقيتهم بنو امية خارجين من المدينة فرجعوا معهم واستخبرهم مسلمة بن عقبة عما خلفهم وعما لقوا وعن عددهم فقال مروان عددهم كثيراً أكثر مما جئت به من الجيوش ولكن عامتهم ليس لهم نيات ولا بصائر وفيهم قوم قليل لهم نية وبصيرة ولكن لا بقاء لهم مع السيف وليس لهم كراع ولا سلاح وقد خندقوا عليهم وحصنوا . قال مسلم هذه اشد ها علينا ولكنا نقطع عنهم مشربهم ونردم عليهم خندقهم فقال مروان عليه رجل لا يسلمونه ولكن عندي فيه وجه سأخبرك به قال هاته فقال اطوه ودعه حتى يحضر ذلك فاذا فعل فدعه اذاً . ثم قال لهم مسلم تريدون ان تسيروا الى أمير المؤمنين او تقيموا موضعكم هذا او تسيروا معنا فقال بعضهم نسير الى امير المؤمنين ونحدث به عهداً ، فقال مروان أما أنا فراجع فقال بعضهم لبعض قد حلفنا لهم عند المنبر لئن استطعنا ان نرد الجيش عنهم نردهم فكيف بالرجوع اليهم فقال مروان أما أنا فراجع اليهم فقال لقوم ما نرى ان تفعل فانما تقتلون بهؤلاء انفسكم والله لا أكثرنا عليهم لمسلم جمعا أبداً فقال مروان انا والله ماض مع مسلم الى المدينة فمدرك ثاري من عدي وممن اخرجني من بيتي وفرق بيني وبين أهلي وان قتلت بهم نفسي فلم يرجع مع مسلم من بني امية غير مروان وابنه عبد الملك وكان مجدوراً فجعله بذي خشب . فلما ايقن اهل المدينة بقدوم الجيوش اليهم تشاوروا في الخندق وقالوا قد خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخندقوا المدينة من كل نواحيها . ثم جمع عبد الله بن حنظلة أهل المدينة غير المنبر فقال تبايعوني على الموت والا فلا حاجة في بيعتكم فبايعوه على الموت ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انما خرجتم غضباً لدينكم فابلوا الى الله بلاء حسناً ليوجب لكم به الجنة ومغفرته ويحل بكم رضوانه واستعدوا باحسن عدتكم وتأهبوا باكمل اهبتكم فقد اخبرت بان القوم نزلوا بذي خشب ومعهم مروان بن الحكم والله ان شاء مهلكه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله صلى الله عليه

وسلم فتصابح الناس وجعلوا ينالون منه ويسبونه فقال لهم ان الشم ليس بشئ ولكن نصدقهم اللقاء والله ما صدق قوم قط الا نصروا ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم انا بك واثقون وعليك متوكلون واليك الجأنا ظهورنا ثم نزل وكان عبد الله بن حنظلة لا يبيت الا فى المسجد الشريف وكان لا يزيد على شربة من سويق يفطر عليها الى مثلها من الغد

﴿ قدوم الجيوش الى المدينة ﴾

قال وذكروا ان أهل الشام لما انتهوا الى المدينة عسكروا بالجرف ومشوا رجالا من رجالهم فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية لا يجدون مدخلا لانهم قد خندقوها عليهم والناس متأسون السلاح فدقاموا على أفواه الخنادق وقد حرسوا ان لا يتكلم منهم متكلم وجعل أهل الشام يطوفون بها والناس يرمونهم بالحجارة والنبل من فوق الاكام والبيوت حتى خرجوا فيهم وفى خيلهم فقال مسلم لمروان أين ما قلت لى بوادى القرى . فخرج مروان حتى جاء بنى حارثة فكلم رجالا منهم ورغبه فى الصنيعة وقال افتح الناطريقاً فانا أكتب بذلك الى أمير المؤمنين ومتضمن لك عنه شطر ما كان يبذل لاهل المدينة من العطاء وتضعيفه ففتح له طريقاً ورغب فيما بذل له وتبل ما تضمن له عن يزيد فاقتحمت الخيل فجاء الخبر الى عبد الله بن حنظلة فاقبل وكان من ناحية الطوريين وأقبل عبد الله بن مقطع وكان من ناحية ذناب واقبل ابن أبى ربيعة فاجتمعوا جميعاً بين معهم بحيث اقتحم عليهم اهل الشام فاقتتلوا حتى عاينوا الموت ثم تفرقوا

﴿ غلبة أهل الشام على اهل المدينة ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن أبى سفيان قال وقعت مع قوم عند مسجد بنى عبد الاشهل منهم عبد الله بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل مسيلمة الكذاب ومعه عبد الله بن حنظلة ومحمد بن سعد بن أبى وقاص وابراهيم بن فارط وابراهيم بن نعيم بن النجار فهم يقاتلون ويقولون للناس أين الفرار والله لئن يقتل الرجل مقبلا خير له من ان يقتل مدبراً قال فاقتتلوا ساعة والنساء والصبيان يصيحون على قتالهم حتى جاءهم ما لا طاقة لهم به وجعل مسلم يقول من جاء برأس رجل فله كذا وكذا وجعل يغرى قوما لا دين لهم فقتلوا وظهروا على

اكثر المدينة قال وكان على بشر بن حنظلة يومئذ درعان فلما هزم القوم طرحهما ثم جعل يقاتلهم وهو حاسر حتى قتلوه ضربه رجل من اهل الشام ضربة بالسيف قطع منكبه فوقع ميتا فلما مات ابن حنظلة صار أهل المدينة كالنعم بلا راع شرود يقتلونهم أهل الشام من كل وجه فاقبل محمد بن عمرو بن حزم الانصارى وان جراحه لتنفث دماً وهو يقاتل ويحمل على الكردوس منهم فيفض جماعتهم وكان فارسا فحمل عليه أهل الشام حملة واحدة حتى ظلموه بالرماح فمال ميتا فلما قتل انهزم من بقى من الناس فى كل وجه ودخل القوم المدينة فجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون قال وخرج يومئذ عبدالله بن زيد بن عاصم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيل تسرع فى كل وجه قتلا ونهبا فقيل له لو علم القوم باسمك وصحبتك لم يهيجوك فلو اعلنتهم بمكانك . فقال والله لا أقبل لهم أماناً ولا أبرح حتى اقتل لا أفلح من ندم وكان رجلا ابيض طويلا اصلع فاقبل عليه رجل من اهل الشام وهو يقول والله لا أبرح حتى اضرب صلعتك وهو حينئذ يقول عبد الله شريك خير لى فضربه بالسيف فى يده فرأيت نوراً ساطعا فى السماء فسقط ميتا وكان يومه ذلك صائما رحمه الله . قال فجعل مسلم يطوف على فرس له ومعه مروان بن الحكم على القتلى فمر على عبدالله بن حنظلة وهو ملقى صريعا فقال مروان اما والله لئن نصبتها ميتا فطالما نصبتها حيا داعيا الى الله ومر على ابراهيم بن نعيم ويده على فرجه فقال اما والله لئن حفظته فى الممات لقد حفظته فى الحياة ومر على محمد بن عمرو بن حزم وهو على وجهه واضعاً جبهته بالارض فقال اما والله لئن كنت على وجهك فى الممات لطال ما افترشته حيا ساجداً لله فقال مسلم والله ما أرى هؤلاء الا من أهل الجنة ومر على عبد الله بن زيد وبين عينيه أثر السجود فلما نظر اليه مروان عرفه وكره ان يعرفه لمسلم فيحز رأسه فقال له مسلم من هذا فقال بعض هذه الموالى وجاوزه فقال لمسلم كلا وبيت الله لقد سكبت عنه لشيء فقال له مروان هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن زيد فقال ذاك أخزى ناكث بيعته حزوا راسه . وكان قصر بنى حارثة أماناً لمن أراد أهل الشام ان يؤمنوه وكان بنو حارثة آمنين ما قتل منهم احد وكان كل من نادى باسم الامان الى احد من قبيلة أمنوه رجلا كان او امرأة ثم ذبوا عنه حتى يبلغوه قصر بنى حارثة

فاجير يومئذ رجال كثيرة ونساء كثيرة فلم يزالوا فى قصر بنى حارثة حتى انقضت الثلاث قال واول دورا انتهبت والحرب قائمة دور بنى عبد الاشهل فاتركوا فى المنازل من اثاث ولا حلى ولا فراش الا انتض صوفه حتى الحمام والدجاج كانوا يذبحونها فدخلوا دار محمد بن مسلمة فصاح النساء فاقبل زيد بن محمد بن مسلمة الى الصوت فوجد عشرة ينهبون فقاتلهم ومعه رجلان من أهله حتى قتل الشاميون جميعا وخلصوا ما أخذ منهم فالفوا متاعهم فى بئر لا ماء فيها والقى عليها التراب ثم اقبل نفر من أهل الشام فقاتلوهم ايضا حتى قتل زيد بن محمد ار بعة عشر رجلا فضربه بالسيف منهم ار بعة فى وجهه ، ولزم أبو سعيد الخدرى فى بيته فدخل عليه نفر من اهل الشام فقالوا ايها الشيخ من انت فقال انا أبو سعيد الخدرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما زلنا نسمع عنك فبحظك اخذت فى ركك قتالنا وكفك عنا ولزوم بيتك ولكن اخرج الينا ما عندك قال والله ما عندى مال فنتفوا لحيته وضربوه ضربات ثم اخذوا كل ما وجدوه فى بيته حتى الثوم وحتى زوج حمام كان له . وكان جابر بن عبد الله يومئذ قد ذهب بصره فجعل يمشى فى بعض ازقة المدينة وهو يقول تعس من أخاف الله ورسوله فقال له رجل ومن أخاف الله ورسوله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جبلى . فحمل عليه رجل بالسيف ليقتله فترامى عليه مروان فاجاره وأمر ان يدخله منزله و يغلق عليه بابه . وكان سعيد بن المسيب رحمه الله لم يبرح من المسجد . ولم يكن يخرج الا من الليل الى الليل وكان يسمع اذا جاء وقت الاذان اذانا يخرج من قبل القبر الشريف حتى أمن الناس فكان سعيد يقول ما رأيت خيراً من الحرة ثم امر مسلم بالاسارى فعلوا بالحديد ثم دعا الى بيعة يزيد . فكان اول من بايع مروان بن الحكم ثم أكابر بنى امية حتى أتى على آخرهم ثم دعا بنى اسد وكان عليهم حنقاً فقال اتبايعون لعبد الله يزيد بن امير المؤمنين ولمن استخلف عليكم بعده على ان أموالكم ودمائكم وانفسكم خول له يقضى فيها ما شاء . فقال يزيد بن عبد الله بن زمعة : انما نحن نفر من المسلمين لنا مالهم وعلينا ما عليهم فقال مسلم والله لا أقيلك ولا تشرب البارد بعدها ابداً فامر به فضربت عنقه . ثم أتى بمعقل بن سنان وكان معقل حاملا لواء قومه التحم مع رسول الله فلما دخل عليه قال أعطشت يا معقل قال

أصلح الله الامير قال له حوصوا له شربة من سويق اللوز الذى زودنا به أمير المؤمنين فلما شربها قال له رويت قال نعم فقال مسلم أما والله لا تبولها من مثانتك أبداً فقدم فضربت عنقه ثم قال ما كنت لادعك بعد كلام سمعته منك تطعن به على امامك وكان معقل قد طعن بعض الطعن على يزيد قبل ذلك فيما بينه وبين مسلم على الاستراحة بذلك ثم امر بمحمد بن أبى الجهم وجماعة من وجوه قريش والانصار وخيار الناس والصحابة والتابعين ثم أتى بعبد الله بن الحارث مغلولا فقال مسلم انت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلا من بنى امية لا نروا شراً ابداً قال قد قلتها ولكن لا يسمع من اسير امر ارسل يدى وقد برئت منى الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه وايم الله لو اطاعونى ما اشرت به عليهم ما تحكمت فيهم ابداً . فقال مسلم والله لاقدمنك الى نار تلظى ثم امر به فضربت عنقه فقال مروان قد والله سقيتنى من دماء هؤلاء القوم الا ما كان من قريش فانك انحنتها وافنيتها فقال مسلم والله لا أعلم عند احد غشا لامير المؤمنين الا سألت الله ان يسقينى دمه فقال ان عند امير المؤمنين عفواً لهم وحلما عنهم ليس عندك . وجعل مروان يعتذر الى قريش ويقول والله لقد ساءنى قتل من قتل منكم فقالت له قريش انت والله الذى قتلتنا ما عذرك الله ولا الناس لقد خرجت من عندنا وحلفت لنا عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لترد نهم عنا فان لم تستطع لتمضين ولا ترجع معهم فرجعت ودللت على العورة وأعنت على الهلكة فالله لك بالجزاء . قال فبلغ عدة قتلى الحرة يومئذ من قريش والانصار والمهاجرين ووجوه الناس الف وسبعمائة وسائرهم من الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان . قال ابو معشر دخل رجل من اهل الشام على امرأة نفساء من نساء الانصار ومعها صبى لها فقال لها : هل من مال قالت لا والله ما تركوا لى شيئا فقال والله لتخرجن الى شيئا اولا قتلنك وصبيك هذا فقالت له ويحك انه ولد ابن أبى كبشة الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم معه يوم بيعة الشجرة على ان لا أزنى ولا اسرق ولا اقتل ولدى ولا آتى ببهتان افتريه فما اتيت شيئا فاتق الله . ثم قالت لابنها يابنى والله لو كان عندى شئ لافتديتك به قال فاخذ برجل الصبى والتدى فى فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتثر دماغه فى الارض قال فلم يخرج من البيت

حتى اسود نصف وجهه وصار مثلا . قال ابو معشر قال لى رجل بينا انا فى بعض اسواق الشام فاذا برجل ضخم فقال لى ممن انت قلت رجل من اهل المدينة قال من أهل الخبيثة قال فقلت له سبحان الله رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طيبة وسميتها خبيثة قال فبكى فقلت له ما يبكيك قال العجب والله : كنت اغزو الصائفة كل عام زمن معاوية فأتيت فى المنام فقيل لى انك تغزو المدينة وتقتل فيها رجلا يقال له محمد بن عمرو بن حزم وتكون بقتله من اهل النار . قال فقلت ما هذا من شأن المدينة ولا يقع فى نفس مدينة الرسول قال فقلت لعلها بعض مدائن الروم فكنت اغزو ولا أسل فيها سيفاً حتى مات معاوية وولى يزيد فضرب بعث المدينة فاصابتنى القرعة قال فقلت هى هذه والله فاردت ان يأخذوا منى بديلا فابوا فقلت فى نفسى أما اذا ابوا فانى لا أسل فيها سيفا . قال فحضرت الحرة فخرج اصحابى يقاتلون وجلست فى فسطاطى فلما فرغوا من القتال جاءنا اصحابنا فقالوا دخلنا وفرغنا من الناس . فقال بعض اصحابى لبعض تعالوا حتى ننظر الى القتلى فتقلدت سيفى وخرجت فجعلنا ننظر الى القتلى ونقول هذا فلان وهذا فلان فاذا رجل فى بعض تلك الدارات فى يده سيف وقد ازبد شدقاه وحوله صرعى من أهل الشام فلما ابصرنى قال يا كلب احقن عنى دمك قال فنسيت والله كل شئ فحملت عليه فقاتلته فقتلته فسطع نور بين عينيه وسقط فى يدى قلت من هذا فقيل لى هذا محمد بن عمرو بن حزم فجعلت ادور مع اصحابى فيقولون هذا فلان وهذا فلان فمر انسان لا يعرف فقال من قتل هذا ويحكم يريد محمد بن عمرو ابن حزم قتله الله والله لا يرى الجنة بعينه أبداً

﴿ عدة من قتل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم ﴾

قال وذكروا انه قتل يوم الحرة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بدرى بعد ذلك ومن قريش والانصار سبعمائة ومن سائر الناس من الموالى والعرب والتابعين عشرة آلاف وكانت الوقعة فى ذى الحجة لثلاث بقين منها سنة ثلاث وستين . قالوا وكان الناس يعجبون من ذلك ان ابن الزبير لم يصلوا اليه الا بعد ستة اشهر ولم يكن مع ابن الزبير الا نفر قليل وكان بالمدينة أكثر من عشرة لاف رجل والله ما استطاعوا ان يناهضوهم يوما الى الليل

﴿ كتاب مسلم بن عقبة الى يزيد ﴾

قال وذكروا ان مسلماً لما فرغ من قتال أهل المدينة ونهبها كتب الى يزيد ابن معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين من مسلم بن عقبة سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فاني أحمد الله اليك الذى لا اله الا هو أما بعد تولى الله حفظ أمير المؤمنين والكفاية له فاني أخبر أمير المؤمنين أبقاه الله انى خرجت من دمشق ونحن على التعبئة التي رأى أمير المؤمنين يوم فراقنا بوادى القرى فرجع معنا مروان بن الحكم وكان لنا عوناً على عدونا وانا انتهينا الى المدينة فاذا أهلها قد خندقوا عليها الخنادق وأقاموا على ابوابها الرجال بالسلاح وأدخلوا ماشيتهم وما يحتاجون لحصارهم سنة فيما يقولون وانا اعذرنا اليهم وأخبرناهم عهد أمير المؤمنين وما بذل لهم فأبوا ففرقت اصحابى على افواه الخنادق وليت الحصين بن نمير ناحية ذناب وما والاها عليها الموالى ووجهت حبيش بن دجلة الى ناحية بنى سلمة ووجهت عبد الله بن مسعدة الى ناحية بقيع الغرقد وكنت ومن معى من قواد أمير المؤمنين ورجاله فى وجوه بنى حارثة فادخلنا الخيل عليهم حين ارتفع النهار من ناحية عبد الاشهل بطريق فتحه لنا رجل منهم بما دعاه اليه مروان بن الحكم الى صنيع أمير المؤمنين وقد تضمن له عنه من قرب المكان وجزيل العطاء وايجاب الحق وفضاء الذمام وقد بعثت به الى أمير المؤمنين وارجو من الله عز وجل ان يلهم خليفته وعبده عرفان ما أولى من الصنع وأسدى من الفضل وكان اكرم الله امير المؤمنين من محمود مقام مروان بن الحكم وجميل مشهده وشديد بأسه وعظيم نكايته لعدو أمير المؤمنين مالا اخال ذلك ضائعاً عند امام المسلمين وخليفة رب العالمين ان شاء الله . وسلم الله رجال أمير المؤمنين فلم يصب احد منهم بمكروه ولم يقم لهم عدوهم ساعة من ساعات نهارهم فما صليت الظهر اصلح الله أمير المؤمنين الا فى مسجدهم بعد القتل الزريع والانتهاب العظيم واوقعنا بهم السيوف وقتلنا من اشرف لنا منهم واتبعنا مدبرهم واجهزنا على جريحهم وانتهبناهم ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين أعز الله نصره وجعلت دور بنى الشهيد المظلوم عثمان بن عفان فى حرز وأمان فالحمد لله الذى شفا صدرى من قتل اهل الخلاف القديم والنفاق العظيم فطالما عتوا وقديماً طغوا وكتب الى أمير المؤمنين وأنا فى منزل سعيد

ابن العاص مد نفاس مريضاً ما أراني الا لماني فما كنت ابالي متي مت بعد يومي هذا وكتب لهلال المحرم سنة ثلاث وستين . فلما جاء الكتاب أرسل الى عبدالله ابن جعفر والى ابنه معاوية بن يزيد فأقرأهما الكتاب فاسترجع عبد الله بن جعفر وأكثر وبكى معاوية بن يزيد حتي كادت نفسه ان تخرج وطال بكاؤه فقال يزيد لعبدالله بن جعفر الم أجبك الى ماطلبت واسعفتك فيما سالت فبذلت لهم العطاء واجزلت لهم الاحسان واعطيت العهود والمواثيق على ذلك . فقال عبد الله بن جعفر فمن هنالك استرجعت وتأسفت عليهم اذ اختاروا البلاء على العافية والفاقة على النعمة ورضوا بالحرمان دون العطاء ثم قال يزيد لابنه معاوية : فما بكاؤك انت يابني قال أبكي على قتل من قتل بهم وانما قتلنا بهم انفسنا فقال يزيد هوذاك قتلت بهم نفسي وشفيتها . قال وسأل مسلم بن عقبة قبل ان يرتحل عن المدينة عن على بن الحسين احاضر هو فقيل له نعم فأتاه على بن الحسين ومعه ابناه فرحب بهما وسهل وقرب وقال ان أمير المؤمنين اوصاني بك فقال على بن الحسين وصل الله أمير المؤمنين وأحسن جزاءه ثم انصرف عنه . ولم يكن احد نصب للحرب من بني هاشم ولزموا بيوتهم فسلموا الا ثلاثة منهم تعرضوا للقتال فاصيبوا

﴿ موت مسلم بن عقبة ونبشه ﴾

قال وذكروا ان مسلم بن عقبة ارتحل عن المدينة وهو يجود بنفسه يريد ابن الزبير بمكة فنزل في بعض الطريق فدعا الحصين بن نمير فقال له يابرذعة الحمار انه كان من عهد امير المؤمنين ان حدث بي حدث الموت ان اعهد اليك فاسمع فاني بك عالم لا تمكن قريشا من اذنك اذا قدمت مكة فانما هو الوقاف ثم النقاف ثم الانصراف . ثم مات فدفن في ثنية المشلل فلما تفرق النوم عنه اتته ام ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة وكانت من وراء العسكر تترقب موته فنبشت عنه فلما انتهت الى لحده وجدت اسود من الاساود منطويا في رقبته فاتحا فاه فتهيبته ثم لم تزل به حتي تنحى عنها فصلبته على المشلل . قال الضحاك : فحدثني من رآه يرمى كما يرمى قبر ابى رغال

﴿ فضائل قتلى اهل الحرة رحمهم الله ﴾

قال وذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في سفر من اسفاره فلما سر بحرة بني زهرة وقف فاسترجع فقالوا ماهو يارسول الله قال : يقتل في هذه

الحرة خيار امتي بعد اصحابي . قال وذكروا ان عبدالله بن سلام وقف بالحرة زمان معاوية بن ابي سفيان فقال اجد في كتاب يهود الذي لم يبدل ولا يغير انه يكون ههنا مقتلة قوم يحشرون يوم القيامة واضعي سيوفهم على رقابهم حتي يأتوا الرحمن تبارك وتعالى فيقفون بين يديه فيقولون قتلنا فيك . قال وذكروا عن داود بن الحصين قال عندنا قبور قوم من قتلى الحرة فتل ما حركت الافاح منها وريح المسك . وقال بعضهم عن عبدالله بن ابي سفيان عن ابيه قال رأيت عبدالله بن حنظلة في منامي باحسن صورة معه لواؤه فقلت يا ابا عبد الرحمن أقتلت قال بلى فلقيت ربي فادخلني الجنة فانا اسرح في ثمارها حيث شئت قلت فاصحابك فما صنع بهم قال هم معي وحول لوائي هذا الذي ترى لم يحل عقده بعد . وقال الاعرج كان الناس لا يلبسون المصبوغ من الثياب قبل الحرة فلما قتل الناس بالحرة استحبوا ان يلبسوها وقد مكث النوح في الدور على اهل الحرة سنة لا يهدؤن . وقال عبدالله بن ابي بكر كان اهل المدينة اعز الناس واهيبهم حتي كانت الحرة فاجترأ الناس عليهم فهانوا . قال الزهري بلغ القتلى يوم الحرة من قريش والانصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس سبعمائة وسائر الناس عشرة آلاف من اخلاط الناس والموالي والعبيد وأصيب نساء وصبيان وكان . قدوم أهل الشام المدينة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين فانتهبوها ثلاثا حتى رأوا هلال المحرم ثم امسكوا بعد ان لم يبقوا احداً به رمق . وقتل بها من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بعد ذلك بدري . وقالوا قال عيسى بن طلحة : قلت لعبد الله بن مطيع كيف نجوت يوم الحرة ؟ قال : رأيت ما رأيت من غلبة أهل الشام وصنع بني حارثة الذي صنعوا من ادخالهم علينا اهل الشام فذكرت قول الحارث بن هشام يوم بدر وعلمت اني لا يضر عدوي مشهدي ولا ينفع وليي فتواريت ثم لحقت بابن الزبير وكنت اعجب كل العجب ان ابن الزبير لم يصلوا اليه ستة اشهر ولم يكن معه الا نفر يسير قوم من قريش من الخوارج وكان معنا يوم الحرة الفا رجل كلهم ذو وحفاظ فما استطعنا ان نحبسهم يوما الى آخر الليل .

(تم الجزء الاول من كتاب الامامة والسياسة ويليه الجزء الثاني)

كتاب

تأليف

(الامام الفقيه ابى محمد عبد الله بن مسلم)
(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ ﻫ رحمه الله)

﴿ الجزء الثاني ﴾

طبعت على نفقة
منصور عبد المتعال
(صاحب المكتبه المصريه بشارع محمد على)
(وسوق عكاظ بشارع الحلوجى بجهة الازهر)

﴿ طبع بمطبعة الأمه بدرب شغلان جهة الدرب الاحمر بمصر سنة ١٣٢٨ ﻫ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ ذكر اختلاف الرواة فى وقعة الحرة وخبر يزيد ﴾

قال وذكروا انه لما بويع يزيد بن معاوية خرج الحسين حتى قدم المدينة فأقام هو وابن الزبير . قال وقدم عمرو بن سعيد بن العاص فى رمضان أميراً على المدينة وعلى الموسم وعزل الوليد بن عقبة فلما استوى على المنبر رعف فقال اعرابى مستقبله مه جاءنا والله بالدم فتلقاه بعمامته فقال مه عم والله الناس . ثم قام يخطب فناوله عصاها شعبتان فقال مه شعب والله الناس ثم خرج الى مكة فتقدمها يوم التروية فصلى الحسين ثم خرج . فلما انصرف عمر بلغه ان الحسين خرج فقال : اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه . قال فكان الناس يعجبون من قوله هذا قال فطلبوه فلم يدركوه فارسل عبد الله بن جعفر ابنيه عوناً ومحمداً ليرد الحسين فابى ان يرجع وخرج الحسين بابنى عبد الله بن جعفر معه ورجع عمر بن سعيد بن العاص الى المدينة فارسل الى ابن الزبير فابى ان يأتيه وامتنع برجال معه من قريش وغيرهم قال فبعث عمرو بن سعيد جيشاً من المدينة يقاتلون ابن الزبير قال فضرب على أهل الديوان البعث الى مكة وهم كارهون للخروج فقال لهم اما ان تأتوا ببدل واما ان تخرجوا . قال فجاء الحارث بن مالك بن البرصاء برجل استأجره بخمسمائة درهم الى عمرو بن سعيد فقال قد جئت برجل بدلى فقال الحارث للرجل الذى استأجره هل لك ان ازيدك خمسمائة أخرى وتنكح أمك فقال له أما تستحى فقال انما حرمت عليك أمك فى مكان واحد وحرمت عليك الكعبة فى كذا وكذا مكان من القرآن قال فجاء به الى عمرو بن سعيد قال قد جئتك برجل لو أمرته ان ينكح أمه لنكحها

فقال عمرو لعنك الله من شيخ قال فبعثهم الى مكة يقاتلون ابن الزبير فهزم عمرو بن الزبير و بعث يزيد بن معاوية عبدالله بن مسعدة الفزارى يخطب الناس بالمدينة فقال فى خطبته : أهل الشام جند الله الاعظم وأهل الشام خير الخلق فقال الحارث بن مالك ائذن لى اتكلم فقال اجلس لا أجسلك الله قال فتشهد الحارث وقال : لعمر الله لنحن خير من أهل الشام ما تمت من أهل المدينة الا لانهم قتلوا اباك وهو يسرق لقاح النبى صلى الله عليه وسلم أنسيت طعنة ابى قيادة أست أبيك بالرمح فخرج منه جعموص مثل هذا وأشار الى ساعده ثم جلس .

﴿ ولاية الوليد المدينة وخروج الحسين بن على ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن معاوية عزل عمرو بن سعيد وأمر الوليد بن عقبة وخرج الحسين بن على الى مكة فمال الناس اليه وكثروا عنده واختلفوا اليه وكان عبدالله بن الزبير فيمن يأتيه . قال فأتاه كتاب أهل الكوفة فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : للحسين بن على من سليمان بن صرد والمسيب ورفاعة بن شداد وشيعته من المؤمنين المسلمين من أهل الكوفة أما بعد فالحمد لله الذى قصم عدوك الجبار العنيد الذى اعتدى على هذه الامة فانتزعها حقوقها واغتصبها امورها وغلبها على فيئها ونأمر عليها على غير رضى منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها فبعداً له كما بعدت ثمود انه ليس علينا امام فاقدم علينا لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى فان النعمان بن بشير فى قصر الامارة ولسنا نجتمع معه فى جمعة ولا نخرج معه الى عيد ولو قد بلغنا مخرجك اخرجناه من الكوفة والحقناه بالشام . قال فبعث الحسين بن على مسلم بن عقيل الى الكوفة يبايعهم له وكان على الكوفة النعمان بن بشير فقال : لا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من ابن بحدل قال فبلغ ذلك يزيد فاراد ان يعزله فقال لاهل الشام اشيروا على من استعمل على الكوفة فقالوا أترضى برأى معاوية قال نعم قالوا فان الصق بامرة عبدالله بن زياد على العراقين قد كتبه فى الديوان قال فاستعمله على الكوفة فقدم الكوفة قبل ان يقدم الحسين و بايع له مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين الفا من أهل الكوفة فنهضوا معه يريدون عبد الله بن زياد فجعلوا كلما أشرفوا على زقاق انسل منهم ناس حتى بقى مسلم فى شرذمة قليلة قال فجعل أناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت فلما راى ذلك دخل دار هانئ بن عروة

المرادى وكان له فيهم رأى فقال له هانئ بن عروة ان لى من ابن زياد مكانا وسوف اتمارض له فاذا جاء يعودنى فاضرب عنقه فقيل لابن زياد ان هانئ شاك يقئ الدم قال وشرب المغرة فجعل يقيؤها قال فجاء ابن زياد يعوده وقال هانئ اذا قلت اسقونى فاخرج اليه فاضرب عنقه فابطؤا عليه فقال ويحكم اسقونى ولو كان فيه ذهاب نفسى قال فخرج عبيدالله بن زياد ولم يصنع الآخر شيئا وكان من اشجع الناس ولكنه أخذته كبوة فقيل لابن زياد والله ان فى البيت رجلا متسلحا قال فارسل ابن زياد الى هانئ فقال انى شاك لا أستطيع النهوض فقال ائتونى به وان كان شاكيا قال فأخرج له دابة فركب ومعه عصا وكان اعرج فجعل يسير قليلا ويقف ويقول مالى اذهب الى ابن زياد فمازال كذلك حتى دخل عليه فقال له عبيد الله بن زياد ياهانئ اما كانت يد زياد عندك بيضاء قال بلى قال ويدى قال بلى فقال ياهانئ قد كانت لكم عندى يد بيضاء وقد أمنتك على نفسك ومالك فتناول العصا التى كانت فى يد هانئ فضرب بها وجهه حتى كسرها ثم قدمه فضرب عنقه قال وأرسل جماعة الى مسلم بن عقيل فخرج عليهم بسيفه فمازال يقاتلهم حتى اخرج وأسر . فلما اسر بعث الرجال فقال اسقونى ماء قال ومعه رجل من بنى معيط ورجل من بنى سليم يقال له شهر بن حوشب فقال شهر بن حوشب لا أسقيك الا من البئر فقال المعيطى والله لا نسقيه الا من الفرات قال فأمر غلاما له فأتاه بابريق من ماء وقدح قوارير ومنديل قال فسقاه فتمضمض فخرج الدم فمازال يمسح الدم ولا يسيغ شيئا حتى قال اخروه عنى . قال فلما أصبح دعا به عبيدالله بن زياد وهو قصير فقدمه لنضرب عنقه فقال دعنى حتى اوصى فنظر فى وجوه الناس فقال لعمرو بن سعيد ما أرى ها هنا من قريش غيرك فادن منى حتى أكلمك فدنا منه فقال له هل لك ان تكون سيد قريش ما كانت قريش ان الحسين ومن معه وهم تسعون بين رجل وامرأة فى الطريق فارددهم واكتب اليهم بما أصابنى . قال فضرب عنقه والقاه فقال عمرو هو اعظم من ذلك فاى شئ هو قال اخبرنى ان الحسين ومن معه قد اقبل وهم تسعون انسانا بين رجل وامرأة فقالوا أما والله اذ دللت عليه لا يقاتلهم أحد غيرك

﴿ قتال عمرو بن سعيد الحسين وقتله ﴾

قال وذكروا ان عبيدالله بن زياد بعث جيشا عليهم عمرو بن سعيد وقد جاء

الحسين الخبر فهم ان يرجع ومعه خمسة من بني عقيل فقالوا له اترجع وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتب ما نثق به فقال لبعض أصحابه والله مالي عن هؤلاء من صبر قال فلقيه الحسين على خيولهم بوادي السباع فلقوهم وليس معهم ماء فقالوا يا ابن بنت رسول الله اسقنا فاخرج لكل فارس صحفة من ماء فسقاهم بقدر ما يمسك برمقهم قالوا يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فازالوا يرجونه واخذوا به على الجرف حتى نزلوا بكربلاء فقال الحسين اى أرض هذه قالوا كربلاء قال : هذا كرب و بلاء قال فنزلوا و بينهم و بين الماء ربوة فاراد الحسين وأصحابه الماء فحالوا بينهم و بينه فقال له شهر بن حوشب لا تشربوا منه حتى تشربوا من الحميم فقال عباس بن علي يا أبا عبدالله نحن على الحق فنقاتل قال نعم فركب فرسه وحمل بعض أصحابه على الخيول ثم حمل عليهم فكشفهم عن الماء حتى شربوا واستقوا ثم بعث عبيدالله بن زياد عمرو بن سعيد يقاتلهم . قال الحسين يا عمرو اختر مني ثلاث خصال اما ان تتركني ارجع كما جئت فان ابيت هذه فاخرى سيرني الى الترك اقاتلهم حتى أموت او تسيرني الى يزيد فأضع يدي في يده فيحكم في بما يريد . فأرسل الى ابن زياد بذلك فهم ان يسيره الى يزيد فقال له شهر بن حوشب قد امكنك الله من عدوك فسيره الى يزيد والله لئن سار الى يزيد لا رأى مكروها وليكونن من يزيد بالمكان الذي لا تناله انت منه ولا غيرك من اهل الارض لا تسيره ولا تبلعه ريقه حتى ينزل على حكمك فارسل اليه لا الا ان تنزل على حكمي فقال الحسين انزل على حكم من رأيته لا والله لا أفعل الموت دون ذلك وأحلى . قال وأبطأ عمرو بن سعيد عن قتاله فارسل عبيد الله بن زياد الى شهر بن حوشب ان تقدم عمرو يقاتل والا فاقتله وكن انت مكانه قال وكان مع عمرو بن سعيد من قريش ثلاثون رجلا من أهل الكوفة فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لا تقبلون واحدة منها فتحولوا مع الحسين فقاتلوا قال فرأى رجل من أهل الكوفة عبدالله بن الحسين بن علي على فرس وكان من اجمل الناس قال لا قتلن هذا الفتى فقيل له ويحك ما تصنع بقتله دعه قال لحمل عليه فضربه فقطع يده ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ثم اقتتلوا جميعا فقتل يومئذ الحسين بن علي وعباس بن علي وعثمان بن علي وابو بكر بن علي وجعفر بن علي وأمهم أم البنين بنت حرام الكلابية

وابراهيم بن علي وأمه أم ولد وعبدالله بن علي وخمسة من بني عقيل وابنان لعبدالله ابن جعفر عون ومحمد وثلاثة من بني هاشم ونساء من نسائهم وفيهم فاطمة بنت الحسين بن علي وفيهم محمد بن علي وابناء جعفر ومحمد بن الحسين بن علي .

﴿ قدوم من أسر من آل علي على يزيد ﴾

قال وذكروا ان ابا معشر قال : حدثني محمد بن الحسين بن علي قال دخلنا على يزيد ونحن اثنا عشر غلاما مغلين في الحديد وعلينا قميص فقال يزيد اخلصم انفسكم بعبيد اهل العراق وما علمت بخروج ابي عبد الله حين خرج ولا بقتله حين قتل . قال فقال علي بن الحسين : ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور . قال فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته وقال : وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير . يا أهل الشام ماترون في هؤلاء فقال رجل من اهل الشام لا تتخذون من كلب سوء جرواً . فقال النعمان بن بشير يا أمير المؤمنين اصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم بهذه الحال فقالت فاطمة بنت الحسين يا يزيد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى يزيد حتى كادت نفسه تفيض ويبكي أهل الشام حتى علت اصواتهم ثم قال حلوا عنهم واذهبوا بهم الى الحمام واغسلوهم واضربوا عليهم القباب ففعلوا وأمال عليهم المطبخ وكساهم وأخرج لهم الجوائز الكثيرة من الاموال والكسوة ثم قال لو كان بينهم وبين عاض بطن أمه نسب ماقتلهم ارجعوا الى المدينة قال فبعث بهم .

﴿ اخراج بني أمية عن المدينة وذكر قتال أهل الحرة ﴾

قال وذكروا في قصة اخراج بني أمية عن المدينة قال بعث عثمان بن محمد أمير المدينة الى يزيد بقميصه مشقوقا وكتب اليه : واغوثاه ان أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة قال أبو معشر فخرج يزيد بعد العتمة ومعه شمعتان شمعة عن يمينه وشمعة عن يساره وعليه معصفرتان وقد نقش جبهته كأنما تدهن فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أهل الشام فانه كتب الى عثمان بن محمد ان أهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينة ووالله لأن تقع الخضراء على الغبراء أحب

الى من هذا الخبر . قال وكان معاوية أوصى يزيد فقال له : ان رابك من قومك ريب او تنقص عليك منهم احد فعليك باعور بني مرة فاستشره يعني مسلم بن عقبة فلما كانت تلك الليلة قال يزيد أين مسلم بن عقبة فقام فقال ها انا ذا قال عيّ ثلاثين الفا من الخيل قال وكان معقل بن سنان الاشجعي نازلا على مسلم بن عقبة فقال له مسلم بن عقبة ان أمير المؤمنين امرني ان اتوجه الى المدينة في ثلاثين الفا فقال له استعفه قال لا قال : فاركب فيلا او فيلة وتكون أبا يكسوم فمرض مسلم قبل خروجه من الشام فادنف فدخل عليه يزيد بن معاوية يعوده قال له قد كنت وجهتك لهذا البعث وكان أمير المؤمنين معاوية قد أوصاني بك وأراك مدنفا ليس فيك مسفر . فقال : يا أمير المؤمنين أشدك الله ان لا تحرمني أحراً ساقه الله الى انما أنا امرؤ وليس بي بأس قال فلم يطق من الرجع ان يركب بعيرا ولا دابة فوضع على سرير وحمله الرجال على أعناقهم حتى جاؤا مكانا يقال له البتراء فارادوا النزول به فقال لهم ما اسم هذا المكان فقيل له البتراء فقال لا تنزلوا به ثم سار حتى حاجزة فنزل به فارسل الى اهل المدينة ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم انتم الاصل والعشيرة والاهل فاتقوا الله واسمعوا واطيعوا فان لكم عندي في عهد الله وميثاقه عطاءين في كل سنة عطاء في الصيف وعطاء في الشتاء ولكم عندي عهد الله وميثاقه ان اجعل سعر الحنطة عندكم كسعر الحنطة عندنا والحنطة يومئذ سبع اصبع بدرهم واما العطاء الذي ذهب به عنكم عمرو بن سعيد فعلي ان اخرجه لكم وكان عمرو بن سعيد قد اخذ اعطياتهم فاشترى بها عبيداً لنفسه فقالوا لمسلم نخلعه كما نخلع عمائمنا يعنون يزيد وكما نخلع نعالنا قال فقاتلوهم فهزم الناس اهل المدينة .

قال ابو معشر حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال قتل بضعة وسبعون رجلا من قريش وبضعة وسبعون رجلا من الانصار وقتل من الناس نحواً من اربعة آلاف وقتل ابنان لعبدالله بن جعفر وقتل اربعة او خمسة من ولد زيد بن ثابت لصلبه فقال مسلم بن عقبة لاهل الشام كفوا ايديكم فخرج محمد بن سعد بن ابي وقاص يريد القتال فقاتلهم فقال مسلم بن عقبة انهبها ثلاثا قال فقتل الناس وفضحت النساء ونهبت الاموال فلما فرغ مسلم بن عقبة من القتال انتقل من منزله ذلك الى قصر بني عامر بدومة فدعا أهل المدينة من بقي منهم للبيعة قال فجاء عمرو بن عثمان بن عفان

يزيد بن عبدالله بن زمعة وجدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمرو قال لام سلمة أرسلي معي ابن بنتك فجاء به الى مسلم فلما تقدم يزيد قال له تبايع لعبد الله يزيد أمير المؤمنين على انكم خول له مما أفاء الله عليه باسياف المسلمين ان شاء وهب وان شاء أعتق وان شاء استرق قال يزيد لا انا أقرب الى أمير المؤمنين منك قال والله لا تستقبلها أبداً فقال عمرو بن عثمان أنشدك الله فاني أخذته من أم سلمة بعهده وميثاقه ان أردته اليها قال فركضه برجله فرماه من فوق السرير فقتل يزيد بن عبد الله . ثم أتى محمد بن أبي جهم مغلولا فقال له مسلم أنت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلا من بني أمية لا تروا شراً أبداً . قال : قد قلتها ولكن لا يسمع لتصير أمر . فارسل يدي وقد برئت مني الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه قال لا والله حتى أقدمك الى النار قال فضرب عنقه وجاء معقل بن سنان الاشجعي وكان جالساً في بيته فأتاه مائة رجل من قومه فقالوا له اذهب بنا الى الامير حتى نبايعه فقال لهم اني قد قلت له قولا وانا اتخوف فقالوا لا والله لا يصل اليك ابداً فلما بلغوا الباب ادخلوا معقل وحبسوا الآخرين واغلقوا الباب فلما نظر اليه مسلم بن عقبة قال اني أرى شيخاً قد تعب وعطش اسقوه من البلح الذي زودني به أمير المؤمنين قال فخاضوا له بلحاً بعسل فشربه قال له اشربت قال نعم قال والله لا تبولها من مثانتك أبداً أنت القائل اركب فيلا أو فيلة وتكون أبا يكسوم فقال معقل أما والله لقد خوفت ذلك منك وانما غلبتني عشيرتي قال فجعل يفري جبة كانت عليه وقال اكره ان يلبسوها فضرب عنقه ثم سار الى مكة حتى اذا بلغ قفا المشلل أدنف فدعا الحصين بن نمير فقال له يا ابن بردعة الحمار والله ما خلق الله أحداً أبغض الي منك ولولا ان امير المؤمنين أمرني ان استخلفك ما استخلفتك اتسمع قال نعم قال لا تكونن الا على الرقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ولا تمكن قريشا من اذنك . ثم مات مسلم بن عقبة فدفن بقفا المشلل وكانت أم ولد ليزيد بن عبدالله بن زمعة على اثره فخرجت اليه فنبشته من قبره ثم احرقت عليه النار واخذت اكفانه وشقتها وعلقتها بالشجرة فكل من مر عليه يرميه بالحجارة وسار الحصين حتى جاء مكة فدعاهم الى الطاعة وعبدالله ابن الزبير يومئذ بمكة فلم يجبه فقاتله فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلا من اخوته ومعصب بن عبد الرحمن والمسور بن مخرمة

﴿ حرب ابن الزبير رضى الله عنهما ﴾

قال وذكروا ان مسلم بن عقبة لما فرغ من قتال أهل المدينة يوم الحرة مضى الى مكة المشرفة يريد ابن الزبير حتى اذا كان بقديد حضرته الوفاة فدعا الحصين بن نمير فقال له : أمير المؤمنين عصانى فيك فأبى الا استخلافك بعدى فلا ترسلن بينك وبين قريش رسولا تمكنه من اذنبك انما هو الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف . وهلك مسلم بن عقبة فدفن بالمشلل وسمع بهم عبدالله بن الزبير فأحكم مراصد مكة فجعل عليه المقاتلة وجاءه جند أهل المدينة وأقبل بن نمير حتى نزل على مكة وأرسل خيلا فأخذت أسفلها ونصب عليها العرادات والمجانيق وعرض على أصحابه عشرة آلاف صخرة فى كل يوم يرمونها بها فقال الناس انظروه لئلا يصيبه ما أصاب أصحاب الفيل قال عبدالله بن عمرو بن العاص وكان بمكة معتمرا قدم من الطائف لا تظن ذلك لو كان كافرا بها لعوقب دونها فاما اذا كان مؤمنا بها فسيبلى فيها فكان كما قال وحاصروهم لعشر ليال بقين من المحرم سنة اربع وستين فحاصروهم بقية المحرم وصفر وشهرى ربيع يغدون على القتال ويروحون حتى جاءهم موت يزيد بن معاوية فارسل الحصين بن نمير الى ابن الزبير ان ائذن لنا نطوف بالبيت وننصرف عنكم فقد مات صاحبنا وقال ابن الزبير وهل تركتم من البيت الا مدرة وكانت المجانيق قد اصابت ناحية البيت فهدمته مع الحريق الذى اصابه فمنعهم ان يطوفوا بالبيت . فارتحل الحصين حتى اذا كان بعسفان تفرقوا وتبعهم الناس يأخذونهم ان كانت الراعية فى غنمها لتأتى بالرجل منهم مربوطا فيبعث بهم الى المدينة واصاب منهم أهل المدينة حين مروا بهم ناسا كثيرا فحبسوا بالمدينة حتى قدم معصب بن الزبير عليهم من عند عبدالله بن الزبير فاخرجهم الى الحرة فضرب اعناقهم وكانوا اربع مائة واكثر وانصرف ذلك الجيش الى الشام مفلولا وبايع اهل المدينة لابن الزبير بالخلافة وكان ابن عباس بمكة يومئذ فخرج الى الطائف فهلك بها سنة سبعين وهو يومئذ ابن اربع وسبعين سنة رضى الله عنه

﴿ خلافة معاوية يزيد ﴾

قال فلما مات يزيد بن معاوية استخلف ابنه معاوية بن يزيد وهو يومئذ ابن ثمانى عشرة سنة فلبث واليا شهرين وليالى محجويا لا يرى ثم خرج بعد

ذلك فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انى نظرت فيما صار الى امركم وقلدته من ولايتكم فوجدت ذلك لا يسعنى فيما بينى و بين ربى ان اتقدم على قوم وفيهم من هو خير منى واحقهم بذلك وأقوى على ماقلدته فاختاروا منى احدى خصلتين اما ان اخرج منها واستخلف عليكم من أرادلكم رضى ومقنعا ولكم الله على لا آلوكم نصحاً فى الدين والدنيا واما أن تختاروا لانفسكم وتخرجونى منها . قال فانف الناس لذلك من قوله وابوا من ذلك وخافت بنو أمية ان تزول الخلافة منهم فقالوا ننظر فى ذلك ياأمير المؤمنين و نستخير الله فامهلنا قال لكم ذلك وعجلوا على قال فلم يلبثوا بعدها الا اياما حتى طعن فدخلوا عليه فقالوا له استخلف على الناس من تراه لهم رضى فقال لهم عند الموت تريدون ذلك لا والله لا أتزودها ما سعدت بحلاوتها فكيف اشقى بمرارتها ثم هلك رحمه الله ولم يستخلف أحداً فقالوا لعثمان بن عنبسة تقدم فصل بالناس فأبى وقال لا أما أنا فلا احق بخالى عبدالله بن الزبير فقال له ابن زياد ان هذا ليس بزمان خالك ولا عمك فلما دفن معاوية بن يزيد وسوى عليه و بنو أمية حول قبره قال مروان أما والله يابنى أمية انه لابو ليلى ثم قال : * الملك بعدانى ليلى لمن غلبا * وماج أمر بنى أمية واختلفوا

غلبة ابن الزبير رضى الله عنهما وظهوره

قال وذكروا ان أبامعشر قال حدثنا بعض المشيخة الذين حضروا قتال ابن الزبير قال : لما نزل الحصين بمكة وغلب عليها كلها الا المسجد الحرام قال فانه لجالس مع ابن الزبير ومعه من القرشيين عبدالله بن مطيع والمختار بن أبى عبيد والمسور بن مخرمة والمنذر بن الزبير ومعصب بن عبد الرحمن بن عوف فى نفر من قريش قال فقال المختار بن عبيد وهبت رويحة والله انى لاجد النصر فى هذه الرويحة فاحملوا عليهم قال فحملوا عليهم حتى اخرجوهم من مكة وقتل المختار رجلا وقتل ابن مطيع رجلا قال فجاءه رجل من أهل الشام فى طرف سنان رمحه نار قال وكان بين موت يزيد بن معاوية و بين حرق الكعبة احدى عشر ليلة ثم التحمت الحرب عند باب بنى شيبة فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلان من اخوته ومعصب بن عبد الرحمن بن عوف والمسور بن مخرمة وكان الحصين قد نصب المجانيق على جبل أبى قبيس وعلى قيقعان فلم يقدر أحد ان يطوف بالبيت

واسند ابن الزبير الواحا من الساج الى البيت والقى عليها القطائف والفرش فكان اذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت فكانوا يطوفون تحت تلك الالواح فاذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطائف كبروا وكان طول الكعبة فى السماء ثمانية عشر ذراعا . وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطا فى ناحية من المسجد فكلما جرح أحد من الصحابة ادخله ذلك الفسطاط

﴿ حريق الكعبة ﴾

قال فجاء رجل فى طرف سنان رمحه نار فاستعملها فى الفسطاط فوقعت النار على الكعبة فاحترق الخشب وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت الى الارض قال ثم قتل اهل الشام اياما بعد حريق الكعبة واحترقت فى ربيع الاول سنة اربع وستين . قال فما احترقت جلس أهل مكة فى ناحية الحجر ومعهم ابن الزبير وأهل الشام يرمونهم بالنبل قال فوقعت بين يديه نبلة قال : فى هذه خير فأخذوها فوجدوا بها مكتوبا : مات يزيد بن معاوية يوم الخميس رابع عشر ليلة خلت من ربيع . فلما قرأ ذلك ابن الزبير قال يا أهل الشام يا محرق بيت الله يا مستحل حرم الله على م تقاتلون وقد مات طاغيتكم يزيد بن معاوية فناداه الحصين ابن نمير فقال له موعدك بالبطحاء الليلة يا أبا بكر فلما كان الليل خرج ابن الزبير باصحابه وخرج الحصين باصحابه الى البطحاء فتنحى كل واحد منهما عن اصحابه وانفرادا فقال الحصين يا أبا بكر قد علمت انى سيد أهل الشام لا أدفع عن ذلك وان أعنة خيلهم بيدى فاذا أهل الحجاز قد رضوا بك فابايعك الساعة على ان تهدر كل شئ اصبناه يوم الحرة وتخرج معى الى الشام فانى لا أحب ان يكون الملك فى الحجاز . قال لا والله لا أفعل لا ومن من أخاف الناس وأحرق بيته وانتهك حرمة الله فقال الحصين بلى فافعل فعلى الا يختلف عليك اثنان فأبى ابن الزبير فقال له الحصين لعنك الله ولعن من زعم انك سيد والله لا تفلح ابداً اركبوا يا أهل الشام فركبوا وانصرفوا . قال فحدثنى من شهد انصرافهم قال والله لقد كانت الوليدة لتخرج فتأخذ الفارس ما يمتنع . قال أبو معشر : وذلك ان المنهزم لا فؤاد له . قال فبايع أهل الشام كلهم ابن الزبير الا أهل الاردن وبايع أهل مصر ابن الزبير وغلب على أهل العراق والحجاز واليمن وغلظ أمره وعظم

شأنه واستخلف ابن الزبير الضحاك بن قيس على أهل الشام

﴿ اختلاف أهل الشام على ابن الزبير ﴾

قال وذكروا ان ابن الزبير لما استخلف الضحاك على أهل الشام قام اناس من أهل الشام من رؤوس قريش بني أمية واشرافهم وفيهم روح بن زنباع الجذامي فقال بعضهم ان الملك كان فينا أهل الشام أفينتقل ذلك الى أهل الحجاز لانرضى بذلك هل لكم أن أخذوا رجلا منا فينظر في هذا الامر قالوا نعم فجاؤا الى خالد بن يزيد بن معاوية وهو غلام حدث السن فقيل له ارفع رأسك لهذا الامر فقال استخير الله وانظر فرأى القوم انه ذو ورع عن القيام في ذلك فخرجوا فأتو عمرو بن سعيد فقالوا له ياأبا أمية ارفع رأسك لهذا الامر فجعل يسب ويقول والله لافعلن لافعلن فلما خرجوا من عنده قالوا هذا حديد علق فأتوا مروان بن الحكم فاذا عنده مصباح واذا هم يسمعون صوته بالقرآن فاستأذنوا ودخلوا عليه فقالوا له ياأبا عبد الملك ارفع رأسك لهذا الامر فقال استخير الله وأسأله أن يختار لامة محمد خيرها وأعدلها ما شاء الله

﴿ بيعة أهل الشام مروان بن الحكم ﴾

قال وذكروا ان روح بن زنباع قال لمروان بن الحكم ان معي أربعمائة رجل من جذام وسآمرهم ان يبتدروا في المسجد غداً فمر انت عبد العزيز ان يخطب ويدعوهم اليك وأنا آمرهم ان يقولوا صدقت فيظن الناس ان أمرهم واحد قال فلما أصبح عبد العزيز خرج على الناس وهم مجتمعون فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ما أحد أولى بهذا الامر من مروان بن الحكم انه لكبير قريش وشيخها وأفرطها عقلا وكمالا ودينا وفضلا والذي نفسي بيده لقد شاب شعر ذراعيه من الكبر فقال الجذاميون صدقت فقال خالد بن يزيد : أمر قضى بليل . فبايعوا مروان بن الحكم فقال عمرو بن سعيد للضحاك بن قيس أرضيت ان تكون بريداً لابن الزبير وأنت اكبر قريش وسيدها تعال نبايعك فخرج به الى مرج راهط فلما دعاه الى البيعة اقتتلوا فقتل الضحاك بن قيس فقال عمرو بن سعيد لاهل الشام ماصارت أيديكم الا مناديل من جاءكم مسح يده بها ان مروان سيد قريش واكبرهم سنا فبايعوا مروان بن الحكم وقتل

الضحاك بن قيس وهزم أصحابه وكانت قيس مع الضحاك وكان اليمن مع عمرو ابن سعيد فمكث مروان ماشاء الله ان يمكث ثم قال له أصحابه والله ما نتخوف الا خالد بن يزيد بن معاوية وانك ان تزوجت أمه كسرته وامه ابنة بني هاشم بن عقبة بن ربيعة فخطبها مروان بن الحكم فتزوجها وأقام بالشام ثم أراد ان يخرج الى مصر قال لخالد اعرني سلاحا ان كان عندك قال فاعاره سلاحا وخرج الى مصر فقاتل اهل مصر وسباناسا كثيرا فافتدوا معه ثم قدم الشام

﴿ موت مروان بن الحكم ﴾

قال وذكروا ان مروان بن الحكم لما قدم الشام من مصر قال لخالد بن يزيد بن معاوية اردد الى سلاحي فابى عليه مروان فالح عليه وكان مروان فاحشا سبابا وقال له يا ابن الربوخ يا أهل الشام أن أم هذا ربوخ يا ابن الرطبة قال فجاء ابنها اليها قال هذا ماصنعت بي سبني مروان على رؤس أهل الشام وقال هذا ابن الربوخ . قال وكان مروان استخلف حين خرج الى مصر ابنه عبد الملك وعبد العزيز انهما يكونا بعده وبايع لهما أهل الشام فلبث مروان بعد ذلك ليالي بعد ماقال لخالد بن يزيد ماقال ثم جاء الى أم خالد فرقد عندها فأمرت جواريها فطوين عليه الشوادك ثم غطته حتى قتلته ثم خرجن يصحن ويشققن جيوبهن يا أمير المؤمنين قال فقام عبد الملك فبايع لنفسه ووعد عمرو ابن سعيد ان يستخلفه فبايعه وأقاموا بالشام

﴿ بيعة عبد الملك بن مروان وولايته ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك بن مروان بايع لنفسه ووعد الناس خيراً ودعاهم الى احياء الكتاب والسنة واقامة العدل والحق وكان معروفا بالصدق مشهوراً بالفضل والعلم لايختلف في دينه ولا ينازع في ورعه فقبلوا ذلك منه ولم يختلف عليه من قريش أحد ولا من أهل الشام فلما تمت بيعته خالفه عمرو بن سعيد الاشدق فوعده عبد الملك ان يستخلفه بعده فبايعه على ذلك وشرط عليه ان لايقطع شيئاً دونه ولاينفذ أمراً الا بمحضره فاعطاه ذلك ثم ان عبد الملك بعث حبيش بن دجلة الى المدينة في سبعة آلاف رجل فدخل المدينة وجلس على المنبر الشريف فدعى بخبز ولحم فأكل على المنبر ثم أوتي بماء فتوضأ على المنبر قال أبو

معشر فحدثني رجل من أهل المدينة يقال له أبو سلمة قال شهدت حبيش بن دجلة يومئذ وقد ارسل الى جابر بن عبدالله الانصاري فدعاه فقال تبايع لعبدالملك أمير المؤمنين بالخلافة عليك بذلك عهدالله وميثاقه وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء فان خالفت فأهرق الله دمك على الضلالة فقال له جابر بن عبد الله انك أطوق على ذلك مني ولكني أبايعك على ما بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على السمع والطاعة قال ثم ارسل الى عبدالله بن عمر فقال له تبايع لعبدالله عبدالملك أمير المؤمنين على السمع والطاعة فقال ابن عمر اذا اجتمع الناس عليه بايعت له ان شاء الله ثم خرج ابن دجلة من يومه ذلك نحو الربذة وقام في أثره رجلان أحدهما على أثر الآخر مع كل واحد منهما جيش وكل واحد منهما يصعد المنبر و يخطب ثم خرجوا جميعاً الى الربذة وذلك في رمضان سنة خمس وستين فاجتمعوا بها واميرهم ابن دجلة وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدي بالمدينة ان اسر الى حبيش بن دجلة واصحابه في ناس فصار حتى لقيهم بالربذة في شهر رمضان و بعث الحارث بن عبدالله بن ابي ربيعة من البصرة معدا الى ابن الزبير حنيف بن السجف في تسعمائة رجل فساروا حتى انتهوا الى الربذة فبات اهل البصرة يقرأون القرآن و يصلون ليلتهم حتى أصبحوا و بات الآخرون في المعازف والخمور فلما اصبحوا قال لهم حبيش بن دجلة اهريقوا ماءكم حتى تشربوا من سويقكم المعتد فاهرقوا الماء وغدوا الى القتال فقتل حبيش ومن معه من أهل الشام وتحصن من اهل الشام خمسمائة رجل على عمود الربذة وهو الجبل الذي بها . قال وكان يوسف ابو الحجاج مع ابن دجلة قال واحاط بهم عباس بن سهل فقال انزلوا على حكمي فنزلوا على حكمه فضرب اعناقهم

﴿ غلبة ابن الزبير على العراقين و بيعتهم ﴾

قال وذكروا ان عباس بن سهل لما فرغ من قتال أهل الشام رجع المدينة فجدد البيعة لابن الزبير فسارعوا اليها ولم يتثبطوا وقدم أهل البصرة على ابن الزبير بمكة فكانوا معه وكان عبد الله بن الزبير استعمل الحارث بن عبدالله أبي ربيعة على البصرة فلما قدمها قيل له ان الناس يقطعون الدراهم حتى يجعلونها كأنها أصفار فقال لهم هلم بسبعة فقالا فأتوه بسبعة فقال هذه

بعشرة فزنوا كيف شئتم ، قال وأتوا بالمكيال الذى يكيلون به فقال هذا قريب صالح ثم قيل له ان أهل البصرة لا يصلحهم الا القتل . فقال : لان تفسد البصرة أحب الى من ان يفسد الحرث والنسل قال فبعث ابن الزبير حمزة بن عبدالله ابن الزبير الى البصرة عاملا فاستحقره أهل البصرة فبعث معصب ابن الزبير فقدم عليهم فقال : أهل البصرة لا يقدم عليكم أحد الا لقبتموه وأنا القب لكم نفسى انا القصاب ثم صار الى المختار فقتله

﴿ بيعة أهل الكوفة لابن الزبير وخروج ابن زياد عنها ﴾

قال وذكروا عن بعض المشيخة من أهل العلم بذلك قالوا كان ابن زياد اول من ضم اليه الكوفة والبصرة وكان ابوه زياد كذلك قبله فلم يزل عبيد الله يتبع الخوارج ويقتلهم ويأخذ على ذلك الناس بالظن ويقتلهم بالشبهة واستعمد الى عامتهم وكان بعضهم له على مايحب . قال فلما اختلف أمر الناس ومات يزيد واستعمد سلطان ابن الزبير وغلظ شأنه وعظم أمره وخلع أهل البصرة طاعة بنى أمية وبايعوا ابن الزبير خرج عبيدالله بن زياد الى المسجد فقام خطيباً فحمدالله وأثنى عليه وقال : ايها الناس ان الذى كنا نقاتل على طاعته قد مات واختلف أمر الناس وتشتت كلمتهم وانشقت عصاهم فان أمرتمونى عليكم حببت فيكم وقاتلت عدوكم وحكمت بينكم وأنصفت مظلومكم وأخذت على يد ظالمكم حتى يجتمع الناس على خليفة . فقام يزيد بن الحارث بن رويم اليشكرى وقال الحمدلله الذى أراحنا من بنى أمية وأخرى من ابن سمية لا والله ولا كرامة فأمر به عبيد الله فلبب ثم انطلق به الى السجن فقامت بكر بن وائل فحالت بينه وبين ذلك ثم خرج الثانية عبيدالله بن زياد الى المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه وقام قوم فدنوا منه فنزل فاجتمع الناس فى المسجد فقال نؤمر رجلا حتى تجتمع الناس على خليفة فاجتمع رأيهم على ان يؤمروا عمرو بن سعد بن أبى وقاص وكان الذين قاموا بأمره هذا الحى الذى من كندة فبينماهم على ذلك اذ أقبل النساء يبكين وينعين الحسين واقبلت همدان حتى ملؤا المسجد فأطافوا بالمنبر متقلدين بالسيوف واجمع رأى أهل البصرة والكوفة على عامر بن مسعود بن أمية بن خلف فأمروه عليهم حتى يجتمع الناس وكتبوا الى عبدالله بن الزبير يبايعونه

بالخلافة فأقر عبد الله بن الزبير عاملا عليهم نحواً من سنة واستعمل العمال فى الامصار فبلغ اهل البصرة ماصنع اهل الكوفة فاجتمعوا واخرجوا الرايات فلم يبق احد الاخرج وذلك لسوء آثار عبيدالله بن زياد فيهم يطلبون قتله . ثم قام ابن ابى ذؤيب فقال : ياهؤلاء من ينصر الله ينصر الكعبة من يغار على ابن سمية سارعوا ايها الناس الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض واجتنبوا هذه الدعوة واقيموا اودهذه البيعة فانها بيعة هدى فانه من قد علمتم عبدالله بن الزبير خوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وابن اسماء بنت ابى بكر الصديق اما والله لو ان ابا بكر علم انه بقى على الارض من هو خير منه واولى بهذه البيعة مامديده ولا نازعته اليها نفسه اما والله لقد علمتم ما احد على وجه الارض خير ولا احق بها الا هذا الشيخ عبد الله بن عمر المترئ من الدنيا المعتزل عن الناس الكاره لهذا الامر ثم خرجت الخوارج من سجون عبيد الله ابن زياد واجتمعوا على حدة والقبائل كل قبيلة فى المسجد معتزلة على حدة وعبيد الله بن زياد فى القصر وقد اخذ بابوابه وقد تمنع ان يدخل القصر احد وقد أخذت العرب بافواه السكك والدروب وكان عبيدالله أول من جفا العرب وأخذ منهم المحاربة اثنى عشر الفا ليعتز بهم فوالله مازادوه الا ذلا فلما رأى ذلك عبيدالله ابن زياد لم يدر كيف يصنع وخاف تميما وبكر بن وائل ان يستجير بهم ولم يأمن غدرهم فارسل الى الحارث بن قيس الجهنى من الازد فدخل عليه الحارث فقال ياحارث قد اكرمتم زياداً وحفظتم منه ما كنتم أهله وقد استجرت بكم فانشدكم الله فى قال الحارث أخاف ان لاتقدر على الخروج الينا لما ارى من سوء رأى العامة فيك مع سوء آثارك فى الازد قال فهيا عبيد الله والبس لبس امرأة فى خمرتها وعتيصتها فاردفه الحارث خلفه فخرج به على الناس فقالوا ياحارث ماهذه قال تنحوا رحمكم الله هذه امرأة من أهلى كانت زائرة لاهل ابن زياد أتيت اذهب بها فقال عبيد الله للحارث اين نحن قال فى بنى سليم فقال سلمنا الله قال ثم سار قليلا ثم قال اين نحن قال فى بنى ناجية من الازد قال نجونا ان شاء الله قال فأتى به مسعود بن عمرو وهو يومئذ سيد الازد فقال ياأبا قبيس قد جئتك بعبيد الله مستجيراً قال ولم جئتنى بالعبد قال انشدتك الله فقد

اختارك على غيرك فلما رآهم عبيدالله يتراضون ويتناشدون قال قد بلغني الجهد والجوع فقال مسعود ياغلام ائت البقال فأتنا من خبزه وتمره قال فجاءبه الغلام فوضع قال فاكل وانما اراد بن زياد ان يتحرم بطعامه ثم قال أدخل فدخل ومنارات الناس يومئذ من القصب وكان منزل مسعود يومئذ قاصية قال فكان عبيدالله خاف فقال ياغلام اصعد الى السطح بحزمة من قصب فاشعل اعلاه ناراً ففعل ذلك فى جوف الليل فاقبلت الازد على الخيل وعلى أرجلها حتى شحنوا السكك وملؤها فقالوا ما لسيدنا قال شئ حدث فى الدار قال فعرف عبيدالله عزته ورفعته وماهو عليه قال هذا والله العز والشرف فاقام عنده اياما وعنده امرأتان امرأة من الازد وامرأة من عبد قيس فكانت العبدية تقول اخرجوا العبد وكانت الازدية تقول استجار بك على بغضه ايك وجفوته لك وتحدث الناس انه لجأ الى مسعود بن عمرو فاجتمعت القبائل فى المسجد والخوارج وهم فى اربعة آلاف فقال بن مسعود ما أظنني الا خارجا الى البصرة معتذراً اليهم من أمر عبيدالله ثم قال وكيف آمن عليه وهو فى منزلى ولكنى أبلغه مأمنه ثم اعتذر اليهم قال وكان مسعود قد أجار عنده ابن زياد أربعين ليلة . قال فاقبل مسعود يوما على برذون له وحوله عدة من الازد عليهم السيوف وقد عصب رأسه بسير أحمر قال الهيثم فقلت لابن عباس لم عصب رأسه بسير أحمر قال قد سألت عن ذلك قبلك شيخ من الازد كان ضخم الهامة وكانت له صفيرتان فعصب لذلك بالسير . قال ابن عباس فذكرت ذلك لعمرو بن هرم وكان معنا بواسط فقال : حدثك من لا يعرف ، هذا شئ كانت العرب تصنعه اذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب السير ليعلموا انه معتذر . قال فاقبل مسعود حتى انتهى الى باب المسجد ومعه أصحابه رجالة بين يديه وخلفه وكان كبيراً فلم يستطع النزول والقبائل فى المسجد باجمعها فدخل المسجد بدابته فبصرت به الخوارج فظنوا انه عبيدالله فأقبلوا نحوه متقلدين السيوف وجال الناس جولة فضربوه باسيافهم حتى مات . قتله نفر من بنى حنيفة من الخوارج وجال الناس ونهضوا من مجالسهم وبلغ ذلك الازد فاقبلوا على كل صعب وذلول وأقبل عباد بن الحصين لينظر الى عبيدالله فاذا هو بمسعود فقال : مسعود ورب الكعبة انا لله وانا اليه راجعون ابا قيس قد وفيت ما كان اغنى أهل مصرك بما صنعت من ذلك فجعتهم بنفسك ثم التى

عليه كساءه ثم اقبلت الازد فكان بينهما و بين مضر ماوقع ذكره فى غير هذا الكتاب حتى اصطلحوا وتراضوا على بيعة ابن الزبير قال الهيثم قال ابن عباس حدثنى عوكل اليشكرى قال : انامع عبيدالله ابن زياد فى ليلة مظلمة فاذا نحن بنار من بعد فقال عبيدالله ياعوكل كيف الطريف قال اجعل النار على حاجبك فقال بل على حاجبك . قال عوكل : فوالله انا لنسير بالسمارة اذ قال عبيدالله قد كرهت البعير فابغوا لى ذا حافر قال فاذا نحن باعرابى من كلب معه حمار أقمر ضخم فقلت تبيعه بكم فقال بار بعمائة درهم لا انقصكم درهما فاشار الينا عبيدالله ان خذوه قال فجعلنا ننقده الدراهم قال لست أدرى ماهذا ولكن بينى و بينكم هذا المولى يعنى عبيدالله بن زياد وكان عبيدالله أحمر أقمر شبيها بالموالى قال فأخذناه منه فقال عبيد الله ارحلوا لى عليه فرحلنا له عليه فلما قدم ليركب قال الاعرابى أنا أقسم بالله ان لكم شأناً وما أظن صاحبكم الا والى العراق فاستقفاه عبيدالله بالعصا فضربه بها فوقع ثم شدوه وثاقا قال وجعلوا يتجنبون المياه . قال عوكل ثم ان عبيدالله بينا هو على راحلته اذ هجعت عينه فقلت له اراك نائما فقال ما كنت بنائم فقلت لعما أعلمنى بما كنت تحدث به نفسك قال و باى شئ كنت احدث به نفسى قال قلت : ليتنى لم أبن البيضاء ولم استعمل الدهاقين وليتنى لم اتخذ المحاربة . قال ماخطر لى هذا على بال اماقولك ليتنى لم أبن البيضاء فما كان على منها ثم بناها اليزيد من ماله واما استعمال الدهاقين فقد استعملهم ابى ومن كان قبله واما المحاربة فوالله ما اتخذتهم الاوقاية لانى كنت أقتل بهم أهل المعصية فلو أمرت عشائرهم بهم لم يقتلوهم ولشق ذلك عليهم فجعلت ذلك بينى و بينهم من لا ألى بينه و بينهم ولكنى كنت احدث نفسى انى ندمت على تركى اربعة آلاف فى السجن من الخوارج فوددت انى كنت أضرمت البيضاء عليهم حتى أتى على آخرهم ووددت انى جمعت آل بيتى وموالى ونابذت أهل المصر على سواء حتى يموت الا عجل ووددت انى قدمت الشام ولم يبايع اهلها بعد .

﴿ قتل المختار عمرو بن سعد ﴾

قال وذكروا ان المختار بن أبى عبيد كتب الى عبدالله بن الزبير من الكوفة وقال لرسوله : اذا جئت مكة فدفعت كتابى الى عبدالله بن الزبير فأت المهدى

محمد بن علي وهو ابن الحنفية فاقرئ عليه مني السلام وقل له يقول لك اخوك أبو اسحاق اني أحبك وأحب أهل بيتك قال فأتاه الرسول فقال له ذلك فقال كذبت وكذب أبو اسحاق معك كيف يحبني ويحب أهل بيتي وهو يجالس عمرو بن سعد بن أبي وقاص على وسادة وقد قتل الحسين بن علي اخي . قال فلما قدم عليه رسوله اخبره بما قال محمد بن علي ، فقال المختار لابن عمرة صاحب حرسه استأجر لي نوائح يبكين الحسين على باب عمرو بن سعد بن أبي وقاص قال ففعل فلما جئن يبكين الحسين قال عمرو لابنه حفص يابني قل له ما شأن النوائح يبكين الحسين . قال فأتاه فقال له ذلك فقال له هل لك ان تبكي عليه فقال اصلحك الله انهين عن ذلك قال نعم . ثم دعا أبا عمرة فقال اذهب الى عمرو بن سعد فأتني برأسه قال فاتاه فقال قم الى ابا حفص فقام اليه وهو ملتحف بجلله بالسيف ثم جاء برأسه الى المختار وحفص جالس عنده على الكرسي . فقال هل تعرف هذا الرأس قال نعم رحمة الله عليه قال اتحب ان ألحقك به قال وما خير الحياة بعده . قال فضرب رأسه فقتله قال ثم ارسل عبدالله بن الزبير يزيد بن زياد على العراق فكان بالكوفة حتى مات يزيد وأحرقت الكعبة ورجع الحسين هاربا الى الشام . قال ثم ارسل عبدالله بن مطيع الى الكوفة ثم بعث المختار بن أبي عبيد على الكوفة وعزل عبدالله بن مطيع وسيره الى المدينه وسار عبيد الله بن زياد بعد ذلك الى المختار . وجهه عبد الملك بن مروان اميراً على العراق وندب معه جيشاً عظيماً من اهل الشام فاقبل الى الكوفة يريد المختار فالتقو بجازر فاقتتلوا فقتل المختار عبيد الله بن زياد ومن معه وكان معه الحصين بن نمير وذ الكلاع وغلبة من كان معه ممن شهد وقعة الحرة من رؤوسهم

﴿ قتل معصب بن الزبير المختار بن أبي عبيدالله ﴾

قال وذكروا ان أبا معشر قال لما قتل عبيدالله بن زياد ومن معه ارتضى أهل البصرة عبدالله بن الحارث بن نوفل فأمروه على انفسهم ثم اتى عبدالله بن الزبير وام عبدالله بن الحارث هند بنت ابي سفيان وكانت امه تنبذه وهو صغير ببيه فلقب ببيه ثم بعث عبدالله بن الزبير الحارث بن عبيد الله بن ابي ربيعة عاملا على البصره ثم بعث حمزة بن الزبير بعده ثم بعث معصب بن الزبير اخاه وضم اليه العراقين

جميعا الكوفة والبصرة فلما ضم اليه الكوفة وعزل المختار عبد الله بن الزبير بالكوفة ودعا الى آل الرسول واراد ان يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية ويخلع عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله الى اخيه مصعب ان سر الى المختار بمن معك ثم لا تبلغه ريقه ولا تمهله حتى يموت الاعجل منكما فأتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة ايام حتى هزمه وقتله و بعث مصعب برأس المختار الى اخيه وقتل مصعب اصحاب المختار . قتل منهم ثمانية آلاف صبراً ثم قدم حاجا فى سنة احدى وسبعين فقدم عبد الله بن الزبير ومعه رؤساء اهل العرق ووجوههم واشرافهم فقال . ياأمير المؤمنين قد جئتك برؤساء اهل العراق واشرافهم كل مطاع فى قومه وهم الذين سارعوا الى بيعتك وقاموا باحياء دعوتك ونابذوا اهل معصيتك وسعوا فى قطع عدوك فاعطهم من هذا المال . فقال له عبد الله بن الزبير : جئتنى بعبيد اهل العراق وتامرنى ان اعطيهم مال الله لا أفعل ، وايم الله لوددت انى اصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من أهل الشام . فقال رجل منهم علقناك وعلقت اهل الشام ثم انصرفوا عنه وقد يئسوا مما عنده لا يرجون رفده ، ولا يطمعون فيما عنده فاجتمعوا واجمعوا على خلعه فكتبوا الى عبد الملك بن مروان ان أقبل الينا .

﴿ خلع بن الزبير ﴾

قال وذكروا ان أبا معشر قال لما اجمع القوم على خلع ابن الزبير وكتبوا الى عبد الملك ابن مروان أن سر الينا فلما أراد عبد الملك ان يسير اليهم وخرج من دمشق فاعلق عمرو ابن سعيد باب دمشق فقيل لعبد الملك ما تصنع أتذهب الى أهل العراق وتدع دمشق ، أهل الشام اشد عليك من اهل العراق فاقام مكانه فحاصر أهل دمشق اشهرا حتى صالح عمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده ففتح دمشق ثم أرسل عبد الملك الى عمرو وكان بيت المال فى يد عمرو ان اخرج للحرس ارزاقهم فقال عمرو ان كان لك حرس فان لنا حرسا فقال عبد الملك أخرج لحرسك ارزاقهم ايضا

﴿ قتل عبد الملك عمرو بن سعيد ﴾

قال وذكروا ان ابا معشر قال : لما اصطلح عبد الملك وعمرو بن سعيد على انه الخليفة بعده ارسل عبد الملك الى عمرو بن سعيد نصف الليل ائتنى ابا امية قال فخرج اليه فقالت

له امرأته لا تذهب اليه فاني اتخوفه عليك واني لاجد ريح دم مسفوح قال فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها فتركته فأخرج معه اربعة آلاف رجل من اهل دولته لا يقدر على مثلهم متسلحين فأحدقوا بالخضراء دمشق وفيها عبد الملك بن مروان فقالوا لعمرو واذا دخلت على عبد الملك يا اباامية ورايك منه شيء فاسمعنا صوتك فقال لهم ان خفي عليكم صوتي ولم تسمعوه فالزول بيني وبينكم ميعاد . ان زالت الشمس ولم اخرج اليكم فاعلموا اني مقتول او مغلوب فضعوا اسيافكم ورماحكم حيث شئتم ولا تغمدوا اسيافكم حتى تأخذوا بثاري من عدوي . قال فدخل وجعلوا يصيحون يا اباامية اسمعنا صوتك وكان معه غلام اسحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه بأس ليسمع عبد الملك ان وراءه ناس فقال له عبد الملك اتمكر يا اباامية عند الموت خذوه فأخذوه فقيل له ان امير المؤمنين قد اقسم ليجعلن في عنقك جامعة منه ثم نشروه الى الارض نشرة فكسرت ثنيته قال فجعل عبد الملك ينظر اليه فقال عمرو لا عليك يا أمير المؤمنين عظم اكسر فقال عبد الملك لاخيه عبد العزيز اقتله حتى ارجع اليك قال فلما اراد عبد العزيز ضرب عنقه قال له عمرو تمسك بالرحم يا عبد العزيز انت تقتلني من بينهم فتركه فجاء عبد الملك فرآه جالساً فقال له لم لا تقتله لعنه الله ولعن اما ولدته قال فانه قال تمسك بالرحم فتركته قال فأمر رجلا عنده يقال له ابن الزويدع فضرب عنقه ثم أدرجه في بساط وادخله تحت السرير فدخل عليه قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وكان احد الفقهاء وكان رضيع عبد الملك بن مروان وصاحب خاتمه ومشورته فقال له عبد الملك كيف رأيك في عمرو بن سعيد فانصر فبيصة رجل عمرو تحت السرير فقال اضرب عنقه يا امير المؤمنين فقال له عبد الملك جزاك الله خيراً فما علمتك الا ناصحا امينا مرافقا قال له فما ترى في هؤلاء الذين احدقوا بنا واحاطوا بقصرنا قال قبيصة: اطرح رأسه اليهم يا امير المؤمنين ثم اطرح عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها فأمر عبد الملك برأس عمرو ان تطرح اليهم من اعلى القصر فطرحت اليهم وطرحت الدنانير ونشرت الدراهم ثم هتف عليهم الهاتف ينادي : ان امير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والامر النافذ ولكم على امير المؤمنين عهد الله وميثاقه ان يحمل راجلكم ويكسوا عاريكم ويغني فقيركم ويبلغكم الى اكمل ما يكون من العطاء والرزق ويبلغكم الى المائتين في الديوان فاعترضوا على ديوانكم

واقبلوا امره واسكنوا الى عهده يسلم لكم دينك ودنياكم . قال فصاحوا نعم نعم سمعا وطاعة لأمير المؤمنين . قال فلما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان بالشام أراد ان يخرج الى مصعب فجعل يستفز اهل الشام فيبطؤن عليه فقال له الحجاج ابن يوسف وكان يومئذ فى حرس أبان بن مروان : ياأمير المؤمنين سلطنى عليهم فاعطاه ذلك فقال له عبد الملك اذهب قد سلطتك عليهم قال فكان لا يمر على بيت رجل من أهل الشام تخلف الا احرق عليه بيته فلما رأى ذلك اهل الشام خرجوا قال فاصابهم من ذلك غلاء فى الاسعار وشدة من الحال وصعوبة من الزمان قال وكانوا يصنعون لعبد الملك بن مروان الارز . فسار باهل الشام الى العراق ومعه الحجاج بن يوسف

﴿ مسير عبد الملك الى العراق وقتله ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك لما سار باهل الشام ومعه الحجاج بن يوسف الى العراق خرج مصعب بن الزبير باهل البصرة والكوفة فالتقيا بين الشام والعراق وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافين وصديقين متحابين لا يعلم بين اثنين من الناس ما بينهما من الاخاء والصداقة فبعث اليه عبد الملك ان ادن منى اكلمك قال فدنى كل واحد من صاحبه وتنحى الناس عنهما فسلم عبد الملك عليه وقال له يامصعب قد علمت ما اجرى الله بينى وبينك منذ ثلاثين سنة وما اعتقدته من اخائى ومحبتي والله أنا خير لك من عبد الله وانفع منه لدينك ودنياك فثق بذلك منى وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذ لى بيعة هذين المصريين والامر أمرك لا تعصى ولا تخالف وان شئت اتخذتك صاحبا لا تخفى ووزيراً لا تعصى . فقال له مصعب : اما ماذكرت فى من ثقتى بك ومودتى واخائى فذلك كما ذكرته ولكنه بعد قتلك عمرو بن سعيد لا يطمأن اليك وهو أقرب رحما منى اليك وأولى بما عندك فقتلته غدراً ، ووالله لو قتلته فى ضرب ومحاربة لمسك عاره ولما سلمت من اثمه . وأما ماذكرت من انك خير لى من اخى فدع عنك ابا بكر واياك واياه لا تتعرض له واتركه ماتركك وارج عاجل عاقبته ، وارج الله فى السلامة من عافيته فقال له عبد الملك : لا تخوفنى به فوالله انى لا علم منه مثل ما تعلم ان فيه لثلاث خصال لا يسود بها ابداً : عجبه قدملاه واستغناء برأيه وبخل التزمه فلا يسود بها ابداً

﴿ قتل مصعب بن الزبير ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك لما ايس من معصب كتب الى أناس من رؤساء أهل العراق يدعوهم الى نفسه ويجعل لهم اموالا عامة وشروطاً وعهوداً ومواثيق وعقوداً وكتب الى ابراهيم بن الاشتر يجعل له وحده مثل جميع ماجعل لاصحابه على ان يخلعوا عبدالله بن الزبير اذا التقوا . فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب ان عبد الملك قد كتب الى هذا الكتاب وكتب الى اصحابه وكلهم فلان وفلان بذلك فادع بهم فى هذه الساعة فاضرب اعناقهم واضرب عنقى معهم فقال مصعب : ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لى ذلك من أمرهم قال ابراهيم فأخرى قال وماهى قال احبسهم فى السجن حتى يتبين ذلك فأبى فقال له ابراهيم بن الاشتر عليك السلام ورحمة الله وبركاته ولا ترانى والله بعد فى مجلسك هذا ابداً وقد كان قال له قبل ذلك دعنى ادعو اهل الكوفة بدعوة لايخلعونها ابداً وهى ماشرطه الله فقال له مصعب لا والله لا افعل لا اكون قتلتهم بالامس واستنصر بهم اليوم قال فماهو الا ان التقوا فحولوا برؤسهم ومالوا الى عبد الملك بن مروان قال فبقى مصعب فى شرذمة قليلة قال فجاءه عبيد الله بن ظبيان فقال اين الناس ايها الامير فقال غدركم يا اهل العراق قال فرفع عبيد الله سيفه ليضربه فبدره مصعب بالسيف على البيضة فنشب فيها فجعل يتقلب السيف ولا ينتزع من البيضة قال فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعب بالسيف فقتله ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك يدعى انه قتله . فطرح رأسه وقال :

نطيع ملوك الارض ماقسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فوقع عبد الملك ساجداً فتحامل عبيد الله على ركابه ليضرب عبد الملك بالسيف . فرفع عبد الملك رأسه وقال والله يا عبيد الله لولا منتك لالحقتك سريعا به . قال فبايعه الناس ودخل الكوفة فبايعه اهلها

﴿ ذكر حرب ابن الزبير وقتله ﴾

قال وذكروا انه لما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان من اهل العراق واتاه الحجاج بن يوسف فقال . ياامير المؤمنين انى رايت فى المنام كأنى اسلخ عبدالله ابن الزبير . فقال له عبد الملك انت له فاخرج اليه فخرج اليه الحجاج فى الف

وخمسمائة رجل من رجال اهل الشام حتى نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش رسلا حتى توافى الناس عنده قدر ما يظن انه يقدر على قتال عبدالله ابن الزبير وكان ذلك فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فثار الحجاج من الطائف حتى نزل منى فحج بالناس وعبد الله بن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق على ابى قبيس ونواحى مكة كلها فرمى اهل مكة بالحجارة . فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها جمع عبدالله بن الزبير القرشيين فقال لهم ماترون فقال رجل منهم من بنى مخزوم والله لقد قاتلنا معك حتى ما نجد مقاتلا والله لئن صبرنا معك ماتريد على ان نموت معك انما هو احدى خصلتين أما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لانفسنا ولك واما ان تأذن لنا فنخرج فقال عبد الله قد كنت عاهدت الله ان لا يبايعنى احد فأقيله بيعته الا ابن صفوان قال ابن صفوان والله انا لنقاتل معك وما وفيت لنا بما قلت ولكن تأخرى الحفيظة ان ادعت عند مثل هذه حتى أموت معك . فقال رجل آخر اكتب الى عبد الملك فقال له عبدالله وكنت اكتب اليه من عبدالله أبى بكر أمير المؤمنين فوالله لا يقبل هذا منى ابداً او اكتب اليه لعبد الملك أمير المؤمنين من عبدالله بن الزبير فوالله لا أن تسع الخضراء على الغبراء احب الى من ذلك قال عروة اخوه : ياأمير المؤمنين قد جعل الله لك أسوة فقال له عبدالله من هو أسوتى قال الحسن بن على بن أبى طالب خلع نفسه وبايع معاوية فرفع عبدالله رجله وضرب عروة حتى القاه ثم قال ياعروه قلبى اذاً مثل قلبك والله لو قبلت ماتقولون ما عشت الا قليلا وقد اخذت الدية وما ضربة بسيف الا مثل ضربة بسوط لا أقبل شيئاً مما تقولون قال فلما اصبح دخل على بعض نسائه فقال اصنعى لى طعاما فصنعت له كبداً وسناما قال فأخذ منها لقمة فلاكها ساعة فلم يسغها فرماها وقال اسقونى لبنا فأتى بلبن فشرب ثم قال صبوا على غسلا قال فاغتسل ثم تحنط وتطيب ثم تقلد سيفه وخرج وهو يقول :

ولا الين لغير الحق اسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دخل على امه اسماء بنت ابى بكر الصديق وهى عمياء من الكبر قد بلغت من السن مائة سنة فقال لها : ياأماه ماترين قد خذلنى الناس وخذلنى اهل بيتى . فقالت يابنى لا يلعبن بك صبيان بنى أمية عش كريما ومت كريما فخرج واسند ظهره

الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم اهل الشام فيهزمهم وهو يقول ويل امه فتح لوكان له رجال . قال فجعل الحجاج يناديه قد كان لك رجال ولكن ضعيتهم قال فجاءه حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشي فأصاب قفاه فسقط فما درى اهل الشام انه هو حتى سمعوا جارية تبكي وتقول : وا امير المؤمنين فاحتزوا رأسه فجاؤا به الى الحجاج وقتل معه عبد الله بن صفوان بن أمية وعمارة بن عمرو بن حزم ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك وقتل لسبع عشرة ليلة مضين من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين . قال ابو معشر : ثم اقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها وعلى مكة واتاه قتل ابن الزبير بعد ثلاث سنين يسير بسيره فيما يقولون . قال فلما مات بشر بن مروان وكان على الكوفة والبصرة كتب اليه عبد الملك ان سر الى العراقين واحتل لسبهم فانه قد بلغني عنهم ما اكره . واستعمل عبد الملك على المدينة يحيى بن حكيم بن ابى العاص

﴿ ولاية الحجاج على العراقين ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك لما كتب الى الحجاج يأمره بالمسير الى العراقين ويحتال لبتلهم توجه ومعه من الرجال من مقاتلة اهل الشام وحماتهم واربعة آلاف من اخلاط الناس وتقدم الى رجل وتجرى دخول البصرة يوم الجمعة في حين اوان الصلاة فلما دنى من البصرة امرهم ان يتفرقوا على ابواب المسجد على كل باب مائة رجل باسيافهم تحت ارديتهم . وعهد اليهم ان اذا سمعتم الجلبة في داخل المسجد والوقيعة فيهم فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه راسه الى الارض وكان المسجد له ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه . فافترق القوم عن الحجاج فبدروا الى الابواب فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلات ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل رجل منهم مرتد بردائه وسيفه قد افضى به الى داخل ازاره . فقال لهم انى اذا دخلت فسأكلم القوم في خطبتي وسيحصبونني فاذا رايتموني قد وضعت عمامتي على ركبتي فضعوا اسيافكم واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين . فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ان امير المؤمنين عبد الملك امير استخلفه الله عز وجل في بلاده وارتضاه اماما على عباده وقد ولاني مصركم

وقسمة فيئكم وامرني بانصاف مظلومكم وامضاء الحكم على ظالمكم وصرف الثواب الى المحسن البرئ ، والعقاب الى العاصي المسئ ، وانا متبع فيكم امره ومنفذ عليكم عهده ، وارجوا بذلك من الله عز وجل المجازاة ومن خيفته المكافاة واخبركم انه قلدني بسيفين حين توليته اياي عليكم سيف رحمة وسيف عذاب ونقمة فاما سيف الرحمة فسقط مني في الطريق واما سيف النقمة فهو هذا ، فحصبه الناس فلما اكثروا عليه خلع عمامته فوضعها على ركبته فجعلت السيوف تبري الرقاب فلما سمع الخارجون الكائنون على الابواب وقيعة الداخلين ورأوا تسارع الناس الى الخروج تلقوهم بالسيوف فاردعوا الناس الى جوف المسجد ولم يتركوا خارجا يخرج فقتل منهم بضعاً وسبعين الفاً حتى سالت الدماء الى باب المسجد والى السكك . قال ابو معشر : لما قدم الحجاج البصرة صعد المنبر وهو معتجر بعمامته متقلد سيفه وقوسه قال فنعس على المنبر وكان قد احيي الليل ثم تكلم بكلام فحصبوه فرفع رأسه . ثم قال : اني أرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها . فهابوه وكفوا ثم كلمهم فحصبوه واكثروا فأمر بهم جنداً من اهل الشام وكانوا قد احاطوا به من حوله ومن حول ابواب المسجد فلما فرغ منهم واحكم شأنه فيهم بعث عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان عاملا ومعه جيش . فكتب اليه الحجاج ان يقاتل حصن كذا وكذا فكتب الى الحجاج : اني لا أرى ذلك صوابا ان الشاهد يرى مالا يرى الغائب . فكتب اليه الحجاج : أنا الشاهد وانت الغائب فانظر ما كتبت به اليك فامض له والسلام

﴿ خروج ابن الاشعث على الحجاج ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لما خرج على الحجاج جمع أصحابه فيهم عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل و بنو عون بن عبد الله وعمرو ابن موسى بن معمر بن عثمان بن عمرة وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال لهم ماترون قالوا نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله فان خلعه من افضل اعمال البر فخلعه واظهر خلعه فلما أظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له انا قد حبسنا انفسنا عليك فما الرأي قال الرأي ان تكفوا عما تريدون فان الخلع فيه الفتنة والفتنة فيها سفك الدماء واستباحة الحرم وذهاب الدين والدنيا فقالوا انه الحجاج وقد

فعل مافعل فذكروا اشياء ولم يزالوا به حتي صار معهم وهو كاره . قال واتهى الخبر الى الحجاج فقيل له ان عبد الرحمن قد خلعك ومن معه فقال ان معه سعيد بن جبير وانا أعلم ان سعيداً لا يخرج وان ارادوا ذلك سيكفهم عنه فقيل له انه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتي فتنوه وصار معهم . فبعث الحجاج الغضبان الشيبانى ليأتيه بخبر عبد الرحمن بن الاشعث بن كرمان وتقدم اليه ان لا يكتمه من أمره شيئاً فتوجه الغضبان الى عبد الرحمن قال له عبد الرحمن ماوراءك ياغضبان قال : شر طويل تغدى الحجاج قبل ان يتعشاك . ثم انصرف من عنده فنزل رملة كرمان وهى أرض شديدة الحر فضرب بها قبة وجلس فيها فبينا هو كذلك اذ ورد اعرابى من بكر بن وائل على قعود فوقف عليه وقال : السلام عليك . فقال : له الغضبان : السلام كثير وهى كلمة مقولة ، قال الاعرابى من أين أقبلت قال : من الارض الذلول قال وأين تريد قال : امشى فى مناكبها وآكل من رزق الله الذى أخرج لعباده منها ، قال الاعرابى فمن عرض اليوم قال الغضبان المنقول قال فمن سبق قال حزب الله الفائزون قال الاعرابى ومن حزب الله قال هم الغالبون . فعجب الاعرابى من منطقه وحضور جوابه . ثم قال أتقرض قال الغضبان انما تقرض الفأرة قال افتنشد قال انما تنشد الضالة قال أفتسجع قال انما تسجع الحمامة قال أفتنطق قال انما ينطق كتاب الله قال أفتقول قال انما يقول الامير ، قال الاعرابى تالله مارأيت مثلك قط ، قال الغضبان بلى ولكنك نسيت ، قال الاعرابى فكيف أقول قال أخذتك الغول فى العاقول وأنت فائم تبول ، قال الاعرابى اتأذن لى ان أدخل عليك قال الغضبان وراءك أوسع لك ، قال الاعرابى قد أحرقتنى الشمس قال الغضبان الآن يفيء عليك الفيء اذا غربت قال الاعرابى ان الرمضاء قد أحرقت قدمى قال الغضبان بل عليها يردان قال الاعرابى ان الوهج شديد قال الغضبان مالى عليه سلطان قال الاعرابى انى والله ماأريد طعامك ولا شرابك قال الغضبان لا تعرض بهما فوالله لا تذوقهما قال الاعرابى وما عليك لو ذقتهما قال الغضبان نأكل ونشبع فان فضل شيء من الاكرياء والغلمان ولكلب احق به منك قال الاعرابى سبحان الله قال الغضبان نعم من قبل ان يطلع أسك فاوأضراسك الى الدنيا قال الاعرابى ماعندك الا ماأرى قال الغضبان بلى

عندى هراوتان اضرب بهما رأسك حتى تنتثر دماغك قال الاعرابى انا لله وانا اليه راجعون قال الغضبان اظلمك احد قال الاعرابى ما أرى ثم قال الاعرابى يا آل حارث بن كعب فقال الغضبان بئس الشيخ ذكرت قال الاعرابى ولم ذلك قال الغضبان لان ابليس يسمى حارثاً قال الاعرابى انى لا أحسبك مجنوناً قال الغضبان اللهم اجعلنى من خيار الجن قال الاعرابى انى لا أظنك حرورياً قال الغضبان اللهم اجعلنى ممن يتحرى الخير قال الاعرابى انى لا اراك منكرا قال الغضبان انى لمعروف فما أوتى . فولى عنه وهو يقول : انك لبذخ أحمق وما انطق الله لسانك الا بما أنت لآق وعما قليل تلتف ساقك بالساق . فلما قدم الغضبان على الحجاج قال له أنت شاعر ؟ قال لست بشاعر ولكنى حائر قال أفعراف انت قال بل وصاف قال كيف وجدت أرض كرمان ؟ قال الغضبان : أرض ماؤها وشل وسهلها جبل ، وثمرها دقل ولصها بطل ، وان كثر الجيش بها جاعوا وان قل بها ضاعوا . قال صدقت أعلمت من كان الاعرابى ، قال لا قال كان ملك خاصمك فلم تقته عنه لبذخك اذهبوا به الى السجن فانه صاحب المقالة : تغدى الحجاج قبل ان يتعشاك وأنت يا غضبان قد أنذرك خصمك على نطق لسانك فما الذى به دهاك قال الغضبان جعلنى الله فداك يا أمير المؤمنين اما انها لا تنفع من قيلت له ولا تضر من قيلت فيه فقال الحجاج : اجل ولكن اتراك تنجو منى بهذا والله لأقطعن يديك ورجليك ولاضربن بلسانك عينيك . قال الغضبان . أصلح الله الامير قد آذانى الحديد واوهن ساقى القيود فما يخاف من عدلك البرئ ولا يقطع من رجائك المسئ ، قال الحجاج انك لسمين قال الغضبان القيد والرتعة ومن يك ضيف الامير يسمن قال انا حاملوك على الادهم قال الغضبان مثل الامير أصلحه الله يحمل على الاهم والاشقر ، قال الحجاج . انه لحديد قال الغضبان لأن يكون حديداً خير من ان يكون بليداً قال الحجاج اذهبوا به الى السجن ، قال الغضبان « فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون » فاستمر فى السجن الى ان بنى الحجاج خضراء واسط فقال لجلسائه كيف ترون هذه القبة قالوا ما رأينا مثلها قط قال الحجاج . اما ان لها عيباً فما هو ؟ قالوا ما نرى بها عيباً قال سأبعث الى من يخبرنى به فبعث فاقبل بالغضبان وهو يرسف فى قيوده فلما مثل بين يديه قال له يا غضبان كيف قبتى

هذه قال أصلح الله الامير نعمت القبة حسنة مستوية قال أخبرني بعيبها قال . بنيتها في غير بلدك لا يسكنها ولدك ومع ذلك فانه لا يبقى بناؤها ولا يدوم عمرانها ومالا يبقى ولا يدوم فكأنه لم يكن ، قال الحجاج صدق ردوه الى السجن فقال الغضبان أصلح الله الامير قد اكلني الحديد واوهن ساقي القيود وما أطيق المشي قال احملوه فلما حمل على الايدي قال . « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » قال انزلوه قال « رب انزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » قال الحجاج جروه قال الغضبان وهو يجر « بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم » قال الحجاج اضربوا به الارض فقال : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه ثم قال ويحكم قد غلبني والله هذا الخبيث اطلقوه الى صفحي عنه قال الغضبان « فاصفح عنهم وقل سلام » فنجا من شره باذن الله وكانت براءته فيما انطلق على لسانه .

﴿ حرب الحجاج بن الاشعث وقتله ﴾

قال وذكروا ان الحجاج لما قدم العراق أميراً زوج ابنه محمداً ميمونة بنت محمد ابن الاشعث بن قيس الكندي رغبة في شرفها مع ما كانت عليه من جمالها وفضلها في جميع حالاتها وأراد من ذلك استمالة جميع أهلها وقومها الى مصافاته ليكونوا له يداً على من ناوأه ، وكان له أخ يقال له عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندي له أبهة في نفسه وكان جميلا بهيا منطقيا مع ما كان له من التقدم والشرف فازهاه ذلك وملأه كبراً وفخراً وتطاولا فالزمه بنفسه والحقه بأفاضل أصحابه وخاصته وأهل سره وأجرى عليه العطايا الواسعة صلة لصهره وحباً لاتمام الصنيعة اليه والى جميع أهله فأقام عبد الرحمن كذلك حيناً مع الحجاج لا يزيده الحجاج الا اكراما ولا يظهر له الا قبولا وفي نفس الحجاج من عجبه ما فيها لتشمخه زاهياً بانفه حتى انه كان يقول اذا رآه مقبلا : أما والله يا عبد الرحمن انك لتقبل على بوجه فاجر وتدبر عني بقفاء غادر وأيم الله لتبتلين حقيقة أمرك على ذلك . فمكث بهذا القول منه دهراً حتى اذا عيل صبر الحجاج علي ما يتطلع من عبد الرحمن أراد أن يبتلي حقيقة ما يتفرس فيه من الغدر والفجور وأن يبدي منه ما يكتم من غائلته فكتب اليه عهده على سجستان فلما بلغ ذلك أهل بيت عبد الرحمن فزعوا من ذلك فزعا شديداً فأتوا الحجاج فقالوا

أصلح الله الامير انا أعلم به منك فانك به غير عالم ولقد أدبته بكل أدب فأبى ان ينتهى عجبه بنفسه ونحن نتخوف أن يفتق فتقاً أو يحدث حدثاً يصيبنا فيه منك ما بسؤنا فقال الحجاج القول كما قلتم والرأى كالذى رأيتم ولقد استعملته على بصيرة فان يستقم فلنفسه نظر وان يفترج سبيله عن بصائر الحق يهدى ان شاء الله فلما توجه عبد الرحمن الى عمله توجه وهو مصر لخلعان طاعة الحجاج وسار بذلك مسيره أجمع حتى نزل مدينة سجستان ثم مر على خلعانه عاما كاملا فلما أجمع عبد الرحمن على اظهار خلعان الحجاج كتب الى أيوب بن القرية التميمى وهو مع الحجاج فى عسكره خاص المنزلة منه وكان مفوها كلما يسأله أن يصدر اليه رسالة الى الحجاج يخلع فيها طاعة الحجاج فكتب له ابن القرية رسالة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى الحجاج بن يوسف سلام على أهل طاعة الله وأوليائه الذين يحكمون بعدله ، ويوفون بعهده ، ويجاهدون فى سبيله ويتورعون لذكره ولا يسفكون دما حراما ، ولا يعطلون للرب احكاما ولا يدرسون له اعلاما ولا يتكبرون النهج ولا يبرمون السىء ولا يسارعون فى الغى ، ولا يدللون الفجرة ولا يتراضون الجورة ، بل يتمكنون عند الاشتباه ويتراجعون عند الاساءة ، أما بعد فانى أحمد الله حمداً بالغاً فى رضاه منتهياً الى الحق فى الامور الحقيقية لله علينا . وبعد فان الله انهضنى لمصاولتك وبعثنى لمناضلتك حين تحرت أمورك وتهتكت ستورك فاصبحت عريان حيران مهينا لا توافق وفقاً ولا ترافق رفقاً ، ولا تلازم صدقا أؤمن من الله الذى الهمنى ذلك ان يصيرك فى حبالك وان يجىء بك فى القرن ويسحبك لمذقن وينتصف منك من لم تنصفه من نفسك ويكون هلاكك بيدى من انهمته وعاديته . فلعمرى لقد طال ما تطاولت وتمكنت وأخطيت وخلت أن لن تبور ، وأنت فى فلك الملك تدور ، وأظن مصداق ما أقول ستخبره عن قريب فسر لامرك ولاق عصابة خلقك من حيالها خلفها نعالها وتدرعت حلالها بدرعها مطالها لا يحذرون منك جهداً ولا يرهبون منك وعيداً يتاملون خزايتك ويتجرعون امارتك عطاشا الى دمك يستطمعون لله لحمك وأيم الله لينا قفنك منهم الابطال الذين بينهم فيما يحاولونك به على طاعة الله شروا انفسهم تقريبا الى الله فاعص عن ذلك يابن أم الحجاج فستحمل عليك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله والسلام على

أهل طاعة الله . فلما قدم الكتاب على الحجاج خرج موائلا قد أخذ بطرف ردائه والقى الطرف الآخر يجره من خلفه حتى صعد المنبر ونودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس . ثم قال :

تمنانلهم ولا نشتم عدواً * وشر عداوة المرء السباب

امرؤ وعظ نفسه بنفسه ، امرؤ تعاهد غفلة نفسه وتفقدها جهده ، امرؤ وعظ بغيره فاتعظ ، قد تبين لكم ماتأتون وماتبغون العجب العجب وماهو أعجب من العير الابتر انى وجهته ومن معه من المنافقين سبعمائة وزن سبعة سواء فانطلقوا فى نحور العدو ثم اقبلوا على راياتهم لقتال أهل الاسلام من اجل عير ابتر ومن كيده ماهو أعجب العجب على حين اننا قد أمنا الخوارج وأطفأنا الفتن وتتابعت بهم فكان من شكركم ياأهل العراق ليدالله فيكم ونعمته عليكم واحسانه اليكم جرأتكم على الله وانتهاككم حرمته واغتراركم بنعمة الله ألم يأتكم شبيب مهزوما ذليلا فهلا توجهت اليه منكم خمسة وعشرون أمير جيش ليس منهم من امير جيش الا وهو فى جنده بمنزلة العروس التى يزف بها الى خدرها فيقتل اميرهم وهم ينظرون اليه لا يرون له حرمة فى صحبة وذماما فى طاعة فقبحت تلك الوجوه يا هذا الذى يتخوف منكم ياأهل العراق أما هذا الذى يتقى والله لقد اكرمنا الله به واهانكم بكرامتنا فى مواطن شتى تعرفونها وتعرفون أشياء حرمكم الله اتخذ ما وما الله بظلام للعبيد ؟ ثم خذلانكم لهذه المعلوجاء المقصصة انحرافا أولهذه المعلوجاء واخلاطها من أهل العراق ، لقد هممت ان أترك بكل سكك منها جيفا منتنين شائلة أرجلهم تنهشهم الطير من كل جانب . ياأهل الشام احذروكم واحدوا سيوفكم ثم قال ،

قد جد اشياعكم فجدوا * والقوس فيها وتر عرد

* مثل ذراع البكر اواشد *

هيهات ترك الخداع من اجرى من المائة ، ومن لم يزد عن حوضه يهدم ، وارى الحزام قد بلغ الطبيين ، والتقت حلقتا البطان ، ليس سلامان كمهدان ، انا ابن العرفة وابن الشيخ الاغر ، كذبتم ورب الكعبة ماالرأى كما رأيتم ولا الحديث كما حدثتم فافطنوا لعيوبكم واياكم ان اكون اناوانتم كما قال القائل .

انك ان كلفتنى مالم اطق * ساءك ماسرك منى من خلق

والمخبر بالعلم ليس كالراجم بالظنون، فالتقدم قبل التندم، وأخو المرء نصيحته، ثم قال

لذى العلم قبل اليوم ماتقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

ثم قال . احمدوا ربكم وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم . ثم نزل وقال . اكتب يانافع وكان نافع مولاه وكاتبا يكتب بين يديه . بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن توسف الى عبد الرحمن بن الاشعث سلام على اهل النزوع من التزيغ واسباب الرداء لا الى معاهن السى والتقحم فى الغى فانى أحمد الله الذى خلاك فى حيرتك اذ بهتك فى السيرة . ووهلك للضرورة . حتى اقحمك أموراً أخرجك بها عن طاعته . وجانب ولايته ، وعسكرت بها فى الكفر ، وذهلت بها عن الشكر ، فلا تشكر فى السراء ، ولا تصبر فى الضراء ، أقبلت مستنابحريم الحرة وتستوقد الفتنة لتصلى بحرها وجلبت لغيرك ضرها وقلت وثاق الاحتجاج ، ومبارزة الحجاج ، الا بل لامك الهبل وعزة ربك لتكبن لنحرك ، ولتقلبن لظهرك ، ولتتخبطن فريصتك ، ولتدحضن حجتك ، ولتذمن مقامك ، ولتشغلن سهامك ، كأنى بك تصير الى غير مقبول منك الا السيف هوجا هوجا عند كشوف الحرب عن ساقها ومبارزة ابطالها والسلام على من أناب الى الله وسمع وأجاب . ثم قال . من هاهنا من فتية بنى الاشعث بن قيس ؟ قيل سعيد بن جبير قال فأتى به قال له انطلق بهذا الكتاب الى هذه الطاغية الذى قد فتن فاردعه عن قبيح مادخل فيه وعظيم ماأصر عليه من حق الله وحرمة ماانتهك عدو الله الى مافى ذلك من سفك الدماء واباحة الحريم وانفاق الاموال فانى لولا معرفتي بانك قد حويت علماً واصبت فقها اخاف ان يكون عليك لالك لاعهدت لك به عهداً تقفل به ولكن انطلق مرتك هذه قبل الكتاب اليه واحمله على البريد . فخرج سعيد به متوجها حتى انتهى اليه . فلما قرأ عبد الرحمن الكتاب تبينت رعشته جزعا منه وهيبة له وسمع بذلك من كان يبايعه وهوى كالذى هوى وضم سعيد بن جبير فلم يظهره للناس وكتم الكتاب وجعل يستخلى بابن جبير فى الليل فيسمر معه ويسأله عبد الرحمن الدخول معه فيما رأى هو من خلع الحجاج فابى سعيد ذلك عليه فمكث بذلك شهراً كريتاً فأسفه سعيد بن جبير بطلبته وسارع معه فى رغبته وخلعان طاعة الحجاج

ثم ان عبدالرحمن تجهز من سجستان مقبلا يقوده من أهل هواه وأهل رأيه وخرج الحجاج اليه بمن معه من اجناده من أهل الشام و بمن معه يومئذ من أهل الطاعة من أهل العراق حتى لقيه بدير من ادبار الاهواز يسمى بنيسابور فناصبه للقتال ستة أشهر كريتة لاله ولا عليه حتى اذا كان فى جوف ليلة من الليالى خلا الحجاج بعنبسة بن سعيد بن العاص ويزيد بن أبى مسلم مولاه وحاجبه على ماوراءبابه واما يحيى فوكله بالقيام خلف ظهره اذا هو نسى او غفل نخسه بمنخسة ثم قال اذكر الله ياحجاج فيذكر مابداله ان يذكر ، واما زياد فكان ذارأى ومشورة وأدب وفقه ونصيحة . واما عنبسة فكان بعيدالهمة طويل اللسان بديه الجواب فاصل الخطاب موفق الرأى فاستشارهم لما طال به و بعبد الرحمن القتال لا يظفر واحد منهما بصاحبه ومع عبدالرحمن سعيد بن جبير والشعبى فكان هذا فقيه اهل الكوفة وهذا فقيه اهل البصرة فى ان يبيته فكره ذلك مواليه واشار عنبسة ان يبيته فقال الحجاج اصبت اصاب الله بك الخير وما الامر الا النصيحة والرأى شعوب فمخطئ منها ومنها مصيب غداً الاثنين فصوموا ونصوم واستعينوا الله بالخيرة ونبيتهم الليلة المقبلة ليلة الثلاثاء فسوف أترجل ويترجل اهل مودتى ونصيحتى من ولدى وغيرهم ففعل . واصبح صائما و بيتهم ليلة الثلاثاء وهو يقول : اللهم ان كان الحق لهم فلا تمتنا على الضلالة وان كان الحق لنا فانصرنا عليهم . فحمل عليهم والنيران توقد فاصاب منهم وأصيب منه وانهزم ابن الاشعث فى سواد الليل واصاب الحجاج عسكره وأسر سعيد بن جبير وافلت عامر بن سعيد الشعبى مع ابن الاشعث فلما اتى الحجاج بسعيد بن جبير قال له : ويحك ياسعيد اما تستحى منى ومدك الشيطان فى طغيانك ألا استحيت من المراقب لى ولك والحافظ على وعليك فقال : اصلح الله الامير وامتع به هى بلية وقعت وعذاب نزل والتول كما قال الامير وكما نسبه به واضافه اليه الا انى اتيت رجلا قد ازهى وطغى ولبسته الفتنة وركب الشيطان كتفيه ونفث فى صدره واملى على لسانه فخفقه واتقيته بالذى فعلت فان تعاقب فبذنب وان تعف فسجية منك فقال له الحجاج فانا قد عفونا عنك وسنردك اليه تارة أخرى . ثم كتب كتابا ووجهه مع سعيد بن جبير الى عبدالرحمن فلما كان سعيد ببعض الطريق خرق

الكتاب وقدم على عبدالرحمن فاخبره فنفر عبدالرحمن وخرج موائلا الى اهل البصرة وقد قدمت عليه كتبهم يستبطؤنه و يستعجلونه حتى قدم عليهم و بلغ ذلك الحجاج فسبقه الى البصرة فدخل الحجاج المسجد متنكباً قوساً فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وحرض الناس على قتال ابن الاشعث وحضهم على طاعة عبدالملك وتكلم رجل من اهل البصرة يقال له سلمة المنقرى من بني تميم وكان رجلا منطقياً وله هوى في الخوارج وكان الحجاج به خابراً فلما رآه عرف أنه يريد الكلام فقال ادن ياسلمة فدنى فقال له قل فقال : قد رضينا بالله رباً و بمحمد نبياً و بالاسلام ديناً و بالقرآن اماماً و بامير المؤمنين خليفة و بالحجاج بن يوسف والياً والله لوكنا زمعاً و بني زمع مارضينا ان نكون تبعاً لهذا الحائك ، امير المؤمنين اعزد الله واعز امره اقرب قرابة واوجب حقاً ونحن ألزم لطاعة الامير اكرمه من ان نسارع له في معصية او نبطئ عنه في طاعة . فأجابه الحجاج فقال ياسلمة هذا قول حسن لا أدخله صدري ولا أردنه في نحرك حتى نبتلي حقيقته ان شاء الله . وكان قوله هذا على المنبر وقد عسكر باجناده بالزاوية والزاوية في طرف من ناحية البصرة في طرف بني تميم . ثم انه خرج من المسجد وحشد الناس من كان في الطاعة يومئذ من أهل العراق وقد كان انهزم لابن الاشعث غير مامرة وقتل له ابن الاشعث خلقاً لا تحصى كثرة قبل هذه المرة حتى يئس من نفسه وقال أترون العجوز ابنة الرجل الصالح كذبتني يعني اسماء بنت ابي بكر الصديق لئن صدقت اسماء لا أقتل اليوم . وكان الحجاج لما فرغ من قتال عبدالله بن الزبير بعث الى امه اسماء بنت ابي بكر الصديق أن تأتيه فابت ان تأتيه فقال والله لئن لم تاتني لا بعثن اليها من يجر بقرون رأسها و يسحبها حتى تصل الى فقيل ذلك لها فقالت والله لا أسير اليه حتى يبعث الى من يجر بقرون رأسي . فأقبل الحجاج حتى وقف عليها فقال لها كيف رأيت ما فعل الله تعالى بابنك عدو الله الشاق لعصا المسلمين المفني لعباده والمشتت لكلمة أمة نبيه . فقالت : رأيته اختار فقتالك فاختار الله له ماعنده اذ كان اكرامه خيراً من اكرامك ولكن ياحجاج بلغني انك تنتقصني بنطاقي هذين اوتدري ما نطاقي أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر واما النطاق الآخر فاوثقت به خطام بعيره فقال لي

رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان لك به نطاقان فى الجنة ، فانتقص على بعد هذا اودع ولكن لا أخالك ياحجاج ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول منافق ثقيف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم يبيد الخلق و يقذف الكعبة باحجارها ألا لعنة الله عليه ، فالحم الحجاج ولم يجد جوابا قال وسار ابن الاشعث بعد ما هزم الحجاج مراراً الى الكوفة حتى نزل دير الجماجم فقتل للحجاج فيه خلق كثير وكتب الى عبد الملك بن مروان ان امدنى بالرجال فأمده بمحمد بن مروان فى أناس من بنى أمية كثير وجعل الحجاج اميرا عليهم فسار الحجاج الى ابن الاشعث فاقتتلوا اياما بدير الجماجم حتى كثر القتل فى الفريقين جميعاً ثم ان ابن الاشعث لما حشد والحجاج بالبصرة عسكر على مسير ثلاثة ايام من البصرة على نهر يقال له نهر ابن عمر فكتب ابن الاشعث يسأله ان يتنحى عنهم لما كرهوا ولايته حتى يستعمل عليهم أمير المؤمنين غيره من هو احب اليهم منه فلما انتهى اليه رسوله قال الحجاج ادخلوه فلما دخل سلم عليه بالامارة قال من أنت قال رجل من خزاعة قال من اهل البصرة انت ام من اهل الكوفة قال لا بل من اهل سجستان قال هل تأخذ لامير المؤمنين ديواناً قال لا قال أفمن وزراء ابن الاشعث أنت علينا فى هذه الفتنة يا اخا خزاعة قال والله ما هويتها ولقد جلبنى اليك مكرها قال فكيف تسليمك على صاحبك اذا انصرفت اليه قال بالامرة قال فهل ترى فى ذلك انك صادق قال الله اعلم بأى الامرين هو فى نفسك أعلى الصواب أم على الخطأ قال الله اعلم اى الامرين فى نفسى قال اما انك يا اخا خزاعة قد رددت الامر اليه وهو تعالى اعلم انطلق الى صاحبك بكتابك كما جئت به واعلمه بالذى كان من ردنا عليك فانه جوابه عندنا ونحن مناجزوه القتال ومحاكموه الى الله من يوم الاربعاء ان شاء الله . فليعد وليستعد لذلك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وذلك يوم الاحد. فلما انصرف رسوله اليه ناوله الكتاب فلما رآه بخاتمه (أى مثل ما فعله) كف فلم يسأله امام من حضر حتى ارتفع الناس ثم دعاه فاخبره الخبر قال وما وراء ظهرك الا هذا قال له فى دون ما جئتك به ما يكيفيك فقد رأيت أمراً صعباً ليس وراءه الا المناجزة ثم ان الحجاج هتف هتفة ان اجتمعوا للعطية ففرق العطية فى ثلاثة مواضع وكان قواده يومئذ ثلاثة : سفيان بن الابرد الكلبى على ميمنته وسعيد بن عمر والجرشى

على القلب وعبد الرحمن بن عبد الله العكي على ميسرته فاعطى الناس على هذا واقام في معسكره متربصاً ومنتظراً ليوم الاربعاء . فلما رأى ابن الاشعث انه لا يتقدم لقتاله وانه متربص ليوم الاربعاء بعث رجلا من معسكره حتى دنى من معسكر الحجاج فنزل قريباً منه على مقدار حضر الفرس رجاء ان يتحرش له احد من معسكر الحجاج فينشب القتال قبل يوم الاربعاء فراراً منه وتطيراً به فلما رأى الحجاج ذلك علم ما أراده والذي توقع فتقدم الى امراء اجناده وقواده والى اهل عسكره عامة الا يكلم أحد منهم احدا من عسكر ابن الاشعث ولا يعرضه نفسه وان امكنته الفرصة منه الى يوم الاربعاء . فلما كان صبيحة يوم الاربعاء وهو يوم يتطير به اهل العراق فلا يتناكحون ولا يسافرون فيه ولا يدخلون من سفر ولا يبايعون فيه بشيء ولا بالبغل الاغر الاشقر فدعا الحجاج ببغلة شقراء محجلة فركبها خلافا لرأيهم واستشعاراً بطيرتهم وتوكلا على الله ونادى مناديه في عسكره ان انهضوا الى قتال ابن الاشعث وأمر خاصته فركبوا معه وقدم رجالته وأخر خلفه مقاتلته حتى اذا كانوا من عسكر ابن الاشعث على مثال السهم وقف فصف أصحابه وعبأهم للقتال وفعل مثل ذلك ابن الاشعث وترجل الحجاج وخاصته ووضع له منبراً من حديد فجلس عليه وترامى الناس حتى اذا كاد القتال ينشب خرج رجل من اصحاب ابن الاشعث وهو ينادي ألا مبارز فقام اليه عنبسة بن سعيد القرشي وهو يمشي مشية كان قد لامه الحجاج عليها وكرهها له فلما رآه الحجاج وهو يمشي تلك المشية قال الحجاج ظلمتك يا عنبسة لو كنت تاركها يوماً من دهرك لتركتها يومك هذا فلما دنى من الرجل قال له عنبسة فمن أنت يا شيخي فقال له رجل من بني تميم ثم من بني دارم فحمل عليه عنبسة فبدره بالضربة فقتله ثم انصرف الى مجلسه فجلس وقد تبين للناس حسن صنعه ثم زحف الفريقان بعضهم الى بعض واشتد قتالهم وانتحى سفيان على مركزه لم يرم والجرشي على مركزه لم يرم وكانت ميلتهم على الميسرة فنحوا عبد الرحمن العكي فلما رأى الحجاج قد انكسرت ناحية وزال عنها بعث اليه ابن عمه الحكم بن ايوب في خيل فقال انطلق الى عدو الله فاضرب وجهه بالسيف حتى ترده الى مقامه ففعل وبعث الى سفيان بن الابرد يأمره بقتال القوم ومحاربتهم فحمل عليهم سفيان وهم مشغولون بالميسرة قد طمعوا فيها وكان باذن الله الفتح

والغلبة من ناحية سفيان وقد بعث اليه الجرشي يستاذنه للقتال فمنعه الحجاج وقال له لا الا ان ترى أمراً مقبلا وتمكنا من فرصة فاجتمع الامر وثاب العكى وانهزم ابن الاشعث واستحقت هزيمته فدعا الحجاج بدابته فركبها وركب من كان مرتحل معه بعد سجود ودعاء وشكر كان منه على ماصنع الله به ومن كان معه وحمدوا الله تعالى كثيراً وكبروه تكبيراً عالياً ثم انتهوا الى ربوة فأومأ اليها ثم استقبل ناحيتهم والسيوف تأخذهم وحسر بيضته عن رأسه فجعل يقرع رأسه بخيزران فى يده وهو يتمثل بهذه الابيات وهى من قول عبيد بن الابرص أو من قول البشكرى :

كيف ترجون سقوطى بعدما * جلل الرأس بياض وصلع
ساء ماظنوا وقد اوريتهم * عند غايات المدى كيف اقع
رب من انضجت غيظاً قلبه * قد تمنى لى موتا لم يطع
ويرانى كالشجى فى حلقه * عسراً مخرجه ما ينتزع
مزبد يهدر مالم يرنى * فاذا اسمعته صوتى اقمع
ويحيبنى اذا لاقيته * واذا يخلوا له لحمى رتع
ورث البغضاء عن والده * حافظاً منه الذى كان استمع
ولسانى صيرفى صارم * كذباب السيف مامس قطع

قال فلما فرغ الحجاج من هذه الابيات كبر ثم حمدالله بما هو أهله للذى كان من صنعه فينا هو كذلك اذ اتاه من يخبره ان ابن الاشعث قد انخذل من أصحابه فى نفر يسير متوجها الى ناحية خراسان فدعا الحجاج ابن عم له كان يعرفه بالنصيحة والهوى فتطلع معه ليلا وارسله فى طلب ابن الاشعث الى مواضع شتى وعهد اليهم ان لايدركوا أحداً الا أتوا به أو برأسه أو يموت فوقف طويلا فى مكانه ذلك المرتفع ينظر الى معسكر ابن الاشعث وأصحابه ينتهبونه ثم رجع الى معسكره فنزل ودخل فسطاطه فجلس وأذن لاصحابه فدخلوا عليه فقام كل واحد منهم يهنئه بالفتح وجعل ابن جبلة يأتيه بالاسرى فكلما أوتى بأسير أمر به فضربت عنقه فكان ذلك فعله يومه ذلك الى الليل فلما اصبح وتراجع اليه أكثر خيله أمر مناديه ينادى بالقفل فقفل وقفلت معه اجناده وجميع أصحابه الى

مدينة واسط فكان فيها وهو الذى بناها وضرب ابن الاشعث ظهراً لبطن ليلا ونهاراً حتي لحق بخراسان ورجا فى لحوقه بها النجاة من الحجاج والحذر لنفسه ولم يشعر بالخيل التى فى طلبه حتى غشيته فلم تزل تطلبه من موضع الى موضع حتى استغاث بقصر منيف فحصره ابن عم الحجاج فيه واحاطت به الخيل من كل جانب حتى ضيق عليه ودعا بالنار ليحرقه فى القصر فلما رأى ابن الاشعث انه لامحيص له ولا ملجأ وخاف النار فرمى بنفسه من بعض علالى القصر وطمع ان يسلم ولا يشعر به فيدخل فى غمار الناس فيخفى أمره ويكتم خبره فسقط فانكسرت ساقه وانخذل ظهره ووقع مغشياً عليه فشعر به اصحاب الحجاج فأخذوه وقد افاق بعض الافاقة ولا يقدر على النهوض فأتوا به الى ابن عم الحجاج فلما رآه بتلك الحال ايقن انه لا يقدر على ان يبلغ الحجاج حتى يموت فأمر به فضربت رقبته وانطلق برأسه الى الحجاج فلما قدم عليه احدث لله شكراً وحمداً فما كان من تمام الصنع وماهيأ له من التأييد والظفر وأقام كذلك لا يمر عليه يوم الا وهو يؤتى فيه باسرى فلما رأى كثرتهم ازداد حنقا وغيظا لمسارعتهم فى اتباع ابن الاشعث ومخالفتهم عن الحجاج فأمر بقتلهم حردا على الخوارج ورجاء ان يستأصلهم فلا يخرج عليه خارجى بعدها فلما رأى كثرة من يؤتى به من الاسرى تحرى فجعل اذا أوتى بأسير يقول له : أمؤمن أنت أم كافر ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم فمن باء على نفسه بالكفر والنفاق عفى عنه ومن قال انا مؤمن ضرب عنقه .

واسر عامر بن سعيد الشعبي فيمن اسر وكان مع ابن الاشعث فى جميع حروبه وكان خاص المنزلة منه ليس لاحد منه مثلها للذى كان عليه من حاله الا سعيد بن جبير ، وافلت سعيد بن جبير فلحق بمكة واوتى بالشعبي الى الحجاج فى سورة غضبه وهو يقتل الاسرى الاول فالاول الا من باء على نفسه بالكفر والنفاق فلما سار عامر بن سعيد الشعبي الى الدخول عليه لقيه رجل من صحابة الحجاج يقال له يزيد بن أبي مسلم وكان مولاه وحاجبه فقال : ياشعبي لهف بالعلم الذى بين دفتيك وليس بيوم شفاعة اذا دخلت على الامير فبوء له بالكفر والنفاق عسى ان تنجوا فلما دخل على الحجاج صادفه واضعاً رأسه لم يشعر فلما رفع رأسه رآه قال له وانت ايضاً ياشعبي فيمن اعان علينا والب قال : اصلح الله الامير انى

امرت باشياء اقولها لك ارضيك بها واسخط الرب ولست افعل ولكني اقول اصلح الله الامير واصدقك القول فان كان شئ يقع بين يديك فهو في الصدق ان شاء الله . احزن بنا المنزل واجدب الجناب واكتحلنا السهر واستجلسنا الخوف وضاق بنا البلد العريض فوقعنا في حرب لم يكن فيه برزة اتقياء ، ولا فجرة اقوياء ، فقال له الحجاج كذلك قال نعم اصلح الله الامير وامتع به قال فنظر الحجاج الى اهل الشام فقال صدق والله ياأهل الشام ما كانوا برزة اتقياء فيتورعوا عن قتالنا ولا فجرة أقوياء فيقووا علينا ثم قال . انطلق ياشعبي فقد عفونا عنك فأنت احق بالعفو ممن يأتينا وقد تلطخ بالدماء ثم يقول كان وكان . قال وكان قد أحضر بالباب رجلان احدهما من بكر بن وائل والآخر من تميم وكانا سمعا ماقيل للشعبي بالباب ان يقوله فلما ادخلا قال الحجاج للبكري امنافق أنت قال نعم اصلح الله الامير لكن أخو بني تميم لا يبؤ على نفسه بالنفاق . قال التميمي : انا على دمي أخدع اصلح الله الامير منافق مشرك . فتبسم الحجاج وأمر بتخلية سبيلهما . قال الشعبي فوالله ماأتى لذلك الامر الانحو من شهرين حتى رفعت اليه فريضة أشكلت عليه وهي أم وجد وأخت فقال من هاهنا نسأله عنها قال فدل على فارسل الي وقال ياشعبي ماعندك في هذه الفريضة أم وأخت وجد . فقلت : اصلح الله الامير قال فيها خمسة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال : من قال فيها ؟ قلت قال فيها علي بن ابي طالب وأمير المؤمنين عثمان بن عفان وعبدالله بن عباس وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت . قال : هات ماقال فيها علي فاخبرته قال فما قال فيها ابن مسعود فاخبرته قال فما قال فيها ابن عباس فوالله لقد كان مثقفاً فاخبرته قال فما قال فيها أمير المؤمنين عثمان فاخبرته قال فماقال زيد بن ثابت قلت أخذها من تسعة أسهم فاعطى الام ثلاثة أسهم وأعطى الجد أربعة أسهم وأعطى الاخت سهمين فلما سمع ما كان من قول كل واحد منهم وعرف رأيهم فيها قال ياغلام قل للقاضي يمضيها على ماقال أمير المؤمنين عثمان . قال الشعبي ودخلت عليه التركقد شدوا اوساطهم بعمائمهم وانتزعت السيوف من اعناقهم وأخذوا الطوامير بأيمانهم فدخل عليه رجل من قبل أمير المؤمنين عبدالملك فقال له الحجاج كيف تركت أمير المؤمنين وأهله وولده وحشمه فانبأه عنه وعنهم بصلاح فقال

ما كان وراءك من غيث قال نعم اصلح الله الامير اصابتنى سحابة فى موضع كذا فوادسائل وواد تارع ، فارض مدبرة وارض مقبلة حتى صدعت عن الكمأة اما كنها فما اتيتك الا فى مثل مجرى الضب فقال للحاجب ائذن للناس فدخل رجل أتاه من قبل نجد فقال له ما كان وراءك من غيث فقال كثير الاعصار وأغبر البلاد وأكل ما أشرف من الحشيشة فاستيقنا انه عام سنة . فقال بئس المخبر انت قال أخبرتك بالذى كان فقال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل اتاه من قبل اليمامة فقال هل كان وراءك من غيث قال نعم وسمعت الروايد عون الى رياضها وسمعت رائد يقول هلموا اطعمكم محلة تطفوا فيها النيران وتشتكى فيها النساء وتنافس فيها المعز فقال له ويحك انما تحدث اهل الشام فافهمهم فقال اصلح الله الامير اما تطفو النيران فيستكثر فيها الزبد واللبن والثمر فلا توقد ناراً واما ان يشتكى النساء فانه من جذبها على ابريق لبنها فتظل تمخض لبنها فتبيت ولها انين من عضديها واما تنافس المعز فانها ترأم من نوار النبات والوان الثمر ما يشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلأت اكراشها من الكظة شرة تنزل به الدرة . ثم قال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل من الموالى كان اشجع الناس فى زمانه يقال له عمرو ابن الصلت فقال له الحجاج هل كان وراءك من غيث قال نعم اصلح الله الامير أصابتنى سحابة بموضع كذا وكذا فلم ازل أطلب أثرها حتى دخلت على الامير فقال له الحجاج أما والله لئن كنت فى المطر اقصرهم خطبة انك بالسيف لاطولهم خطوة . ولما انهزم ابن الاشعث قام بعده عبد الرحمن بن عياش بن ربيعة فقاتل الحجاج ثلاثة ايام ثم انهزم فوقع بارض فارس ثم صار الى السند فمات هناك وتحصن ناس من اصحاب ابن الاشعث فى قلعة بأرض فارس منهم عبدالرحمن بن الحارث ابن نوفل والفضل بن عياش وعمرو بن موسى التميمى ومحمد بن سعد بن ابى وقاص وعبيدالله ومحمد واسحاق وعون بنو عبدالله بن الحارث فى ناس من قريش ولحق سعيد بن جبير بمكة فاشعر به الحجاج فغفل عنه ولم يهيجه فبعث الحجاج يزيد بن المهلب فحاصرهم بفارس . قال ابو معشر حدثنى عون قال كتب الينا يزيد بن المهلب ان اخبرونى بآية بينى و بينكم حتى اخرجكم فكتب اليه عبدالله بن الحارث كنت توم كذا وكذا فى دارنا قال فأخرجته و بنيه فسكناه عمان واسر من بقى وأسروا

اثنى عشر رجلا من وجوه الناس عامتهم من قريش منهم عمرو بن موسى التميمى ومحمد بن سعد بن ابى وقاص فبعث بهم الى الحجاج فحبسهم عنده وكتب الى عبد الملك يخبره بأمرهم وجعل يذكر فى كتابه ان سعيداً قد انكر الخروج مع هؤلاء القوم فكتب اليه عبد الملك يأمره بضرب أعناقهم و يقول فى كتابه لم ابعثك مشفعاً وانما بعثتك منفذاً مناجزاً لاهل الخلاف والمعصية . فابرزهم الحجاج فقال لعمرو ابن موسى ياعاتق قريش وكان شابا جميلا مالك أنت وللخروج انما أنت عاتق صاحب ثياب ولعب فقال عمرو ايها الرجل امض لما تريد فانما نزلت بعهد الله وميثاقه فان شئت فارسل يدى وقد برئت منى الذمة فقال له الحجاج كلا حتى اقدمك الى النار فضربت رقبته ثم جئ بمحمد بن سعد فقال له ياظل الشيطان وكان رجلا طويلا الست بصاحب كل موطن أنت صاحب الحرة وصاحب يوم الزاوية وصاحب الجماجم فقال له انما نزلت بعهد الله وميثاقه ارسل يدى وقد برئت منى الذمة قال لاحتى اقدمك الى النار ثم قال لرجل من اهل الشام اضرب لى مفرق رأسه فضرب فقال نصفه هاهنا ونصفه هاهنا ثم قتل الباقين

﴿ ذكر قتل سعيد بن جبير ﴾

قال وذكروا ان مسلمة بن عبد الملك كان والياً على أهل مكة فبينما هو يخطب على المنبر

اذ اقبل خالد بن عبد الله القسرى من الشام والياً عليها فدخل المسجد فلما قضى مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقى فى الدرجة الثالثة تحت مسلمة اخرج طوماراً مختوماً فقضه ثم قرأه على الناس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى اهل مكة اما بعد فانى وليت عليكم خالد بن عبد الله القسرى فاسمعوا له واطيعوا ولا يجعلن امرؤ على نفسه سبيلا فانما هو القتل لاغير وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير والسلام . ثم التفت اليهم خالد : وقال : والذى نحلف به ونحج اليه لا اجده فى دار احد الا قتلته وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمته وقد اجلت لكم فيه ثلاثة أيام . ثم نزل ودعا مسلمة برواحله ولحق بالشام . فأتى رجل الى خالد فقال له ان سعيد بن جبير بواد من اودية مكة مختفيا بمكان كذا فارسل خالد فى طلبه فاتاه الرسول فلما نظر اليه

الرسول قال انما أمرت باخذك وأتيت لاذهب بك اليه واعوذ بالله من ذلك فالحق باى بلد شئت وانا معك قال له سعيد بن جبير . ألك هاهنا أهل وولد قال نعم قال انهم يؤخذون ويناالهم من المكروه مثل الذى كان ينالنا قال الرسول فأنى أكلهم الى الله فقال سعيد لا يكون هذا . فاتى به الى خالد فشده وثاقا وبعث به الى الحجاج فقال لدرجل من اهل الشام . ان الحجاج قد انذر به وأشعر قبلك فما عرض له فلو جعلته فيما بينك و بين الله لكان ازكى من كل عمل يتقرب به الى الله . فقال خالد وقد كان ظهره الى الكعبة قد استند اليها . والله لو علمت ان عبد الملك لا يرضى عنى الا بنقض هذا البيت حجراً حجراً لنقضته فى مرضاته . فلما قدم سعيد على الحجاج قال له ما اسمك قال سعيد قال ابن من قال ابن جبير قال بل انت شقى ابن كسير قال سعيد أمى أعلم باسمى واسم ابى قال الحجاج شقيت وشقيت أمك قال سعيد الغيب يعلمه غيرك قال الحجاج لاردنك حياض الموت قال سعيد أصابت اذاً أمى اسمى فقال الحجاج لابدلنك بالدنيا نارا تلظى قال سعيد ولوانى اعلم ان ذلك بيدك لاتخذتك الهاً قال الحجاج فما قولك فى محمد قال سعيد نبى الرحمة ورسول رب العالمين الى الناس كافة بالموعظة الحسنة ، فقال الحجاج فما قولك فى الخلفاء قال سعيد . لست عليهم بوكيل كل امرئ بما كسب رهين قال الحجاج اشتمهم ام امدحهم قال سعيد لا اقول مالا اعلم انما استحفظت امر نفسى . قال الحجاج ايهم اعجب اليك قال . حالاتهم يفضل بعضهم على بعض قال الحجاج صف لى قولك فى على انى الجنة هو ام فى النار قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت اهلها علمت ولو رأيت من فى النار علمت فما مؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب ، قال الحجاج فاى رجل انا يوم القيامة ؟ فقال سعيد انا اهون على الله من ان يطلعنى على الغيب . قال الحاجج ايت ان تصدقنى قال سعيد بل لم ارد ان اكذبك فقال الحجاج فدع عنك هذا كله اخبرنى مالك لم تضحك قط قال . لم ار شيئاً يضحكنى وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبه الى الجزاء واليوم يصبح ويمسى فى الابتلاء ، قال الحجاج فانا أضحك فقال سعيد كذلك خلقنا الله اطواراً قال الحجاج هل رأيت شيئا من اللهو ؟ قال لا أعلمه . فدعا الحجاج بالعود والناى قال فلما ضرب بالعود ونفخ

فى الناى بكى سعيد قال الحجاج مايبكيك قال . ياحجاج ذكرتنى امراً عظيما والله لاشبعت ولارويت ولاكتسيت ولازلت حزينا لما رأيت قال الحجاج وماكنت رأيت هذا اللهو فقال سعيد . بل هذا والله الخرق اماهذه النفخة فذكرتنى يوم النفخ فى الصور واماهذا المصران فمن نفس ستحشر معك الى الحساب واماهذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق . فقال الحجاج ماقاتلك قال سعيد قد فرغ من تسبب موتى قال الحجاج انا احب الى الله منك قال سعيد لايتقدم احد على ربه حتى يعرف منزلته منه والله بالغيب اعلم . قال الحجاج كيف لاأقدم على ربى فى مقامى هذا وأنا معاملم الجماعة وأنت معه امام الرفقة والفتنة قال سعيد ما انا بخارج عن الجماعة ولا أنا براض عن الفتنة ولكن قضاء الرب نافذ لامرد له ، قال الحجاج كيف ترى مانجمع لاميرالمؤمنين قال سعيد لم أر فداء الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والحرير فوضع بين يديه قال سعيد : هذا حسن ان قمت بشرطه قال الحجاج وماشرطه قال : ان تشترى لنفسك بما تجمع الا من من الفزع الاكبر يوم القيامة والامان كل مرضعة تذهل عما أرضعت وتضع كل ذى حمل حمله ولاينفعه الامامطاب منه قال الحجاج فترى جمعا طيبا ؟ قال برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه قال الحجاج اطلب ان لك منه شيئاً قال لاأحب مالايحب الله قال الحجاج ويلك قال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة فادخل النار قال الحجاج اذهبوا به فاقتلوه قال انى أشهدك ياحجاج ان لااله الاالله وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله استحفظكهن ياحجاج حتى القاك فلما ادبر ضحك قال الحجاج مايضحكك ياسعيد قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك قال الحجاج انا انتقل من شئ عصمنا الجماعة ومال الى الفرقة التى نهى الله عنها اشربوا عنة قال سعيد حتى اصلى ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول : وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً مسلما وما أنا من المشركين . قال الحجاج : اصرفوه عن القبلة الى قبلة النصارى الذين تفرقوا واختلفوا بغياً بينهم فله من حزبهم ، فصرف عن القبلة فقال سعيد : فاينما تولوا فثم وجه الله الكافى بالسرائر ، قال الحجاج لم نوكل بالسرائر وانما وكلنا بالظواهر قال سعيد : اللهم لاتزك له ظلمى واطلبه بدمى واجعلنى آخر قتيل يقتل من أمة محمد فضربت عنقه . ثم قال الحجاج

هاتوا من بقي من الخوارج فقرب اليه جماعة فأمر بضرب أعناقهم وقال ما اخاف الادعاء من هو في ذمة الجماعة من المظلومين فاما امثال هؤلاء فانهم ظالمون حين خرجوا من جمهور المسلمين وقائد سبيل المتوسمين . وقال قائل ان الحجاج لم يفرغ من قتله حتى خولط في عقله وجعل يصيح : قيودنا قيودنا يعني القيود التي كانت في رجل سعيد بن جبير ويقال متى كان الحجاج يسأل عن القيود او يعبأ بها وهذا يمكن القول فيه لاهل الاهواء في الفتح والاغلاق

ذكر بيعة الوليد وسليمان ابني عبد الملك

قال وذكروا انه لما فرغ الحجاج من قتل الخوارج وتم له أمر العراق فاستقر ملك عبد الملك كتب اليه الحجاج ان يبايع للوليد ابنه ويكتب له عهده للناس فابى ذلك عبد الملك لان اخاه عبد العزيز كان حياً وكان قد استعمله عبد الملك على مصر وكتب اليه الحجاج يوبخه ويقول له ما لك انت والتكلم بهذه وكانت البيعة بالشام لهما جميعاً اذ مات مروان وكان عبد العزيز نظير عبد الملك في الحزم والرأي والعقل والزكاء وكان عبد الملك لا يفضل عبد العزيز في شيء الا باسم الخلافة حتى لربما كان عبد الملك يامر بالشيء فيريد عبد العزيز غيره ويرى خلافه فيرد الى رأيه ولا يمضيه وكان لا ينكر ذلك عبد الملك فلما كانت سنة احدى وثمانين عقد عبد الملك لموسى بن نصير على افريقية وما حولها ووجهه الى من بها من البربر يقاتلهم وضم اليه برقة فلما قدم موسى بن نصير متوجها انتهى ذلك الى عبد العزيز فرده من مصر الى الشام وبعث قرة بن حسان الثعلبي فانصرف موسى بن نصير الى الشام لعبد الملك وذكر امتهانا ناله من عبد العزيز وما استقبله الى كلام كثير فقال له عبد الملك ان عبد العزيز صنو أمير المؤمنين وقد امضينا فعله . فتوجه قرة بن حسان الى افريقية فهزم بها وقتل غالب اصحابه فلما كانت سنة اربع وثمانين توفي عبد العزيز بن مروان بمصر ثم ولي محمد بن مروان الى سنة ست وثمانين فلما توفي عبد العزيز اجمع عبد الملك على بيعة الوليد ثم من بعد الوليد سليمان فكتب الى الحجاج ببيعة الوليد وسليمان فبايع الحجاج لهما بالعراق فلم يختلف عليه احد وبويع لهما بالشام ومصر واليمن وكتب عبد الملك الى هشام بن اسماعيل وهو عامله على المدينة ان ياخذ بيعة اهل المدينة فلما أتت البيعة لهما كره ذلك سعيد بن

المسيب وقال : لم اكن لابايع بيعتين فى الاسلام بعد حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: « اذا كانتا بيعتين فى الاسلام فاقتلوا الاحدث منهما » فاتاه عبد الرحمن بن عبد القارى فقال انى مشير عليك بثلاث خصال اختر ايها شئت قال وما هى قال له انك تقدم حيث يراك هشام بن اسماعيل فلو غيرت مقامك قال ما كنت لاغير مقاما قمته منذ ار بعين سنة لهشام بن اسماعيل قال فثانية قال وما هى قال اخرج معتمراً قال سعيد ما كنت لاجهد نفسى وانفق مالى فى شئ ليس لى فيه نية قال له فثالثة قال وما هى قال تبايع للوليد ثم لسليمان قال سعيد ارأيت ان كان الله قد اعمى قلبك كما اعمى بصرك فأعلى قال وكان اعمى قال فدعاه هشام بن اسماعيل الى البيعة وكان ابن عم سعيد بن المسيب فلما علم بذلك القرشيون اتوا هشاما فقالوا له لاتعجل على ابن عمك حتى نكشفه ونخوفه القتل فعسى به ان يبايع ويجيب قال فاجتمع القرشيون فارسلوا الى سعيد مولى له كان فى الحرس فقالوا له اذهب اليه فخوفه القتل واخبره انه مقتول فلعله يدخل فيما دخل فيه الناس فجاء مولاه فوجده قائما يصلى فى مسجده فبكى مولاه بكاء شديداً قال له سعيد ما يبكيك ويحك قال ابكى مما يراد بك قال له سعيد وما يراد بى ويحك قال جاء كتاب من عبد الملك ابن مروان الى هشام بن اسماعيل ان لم تبايع والاقتلت فجئتك لتطهر وتلبس ثيابا طاهرة وتفرغ من عهدك ان كنت لاتريد ان تبايع فقال له سعيد لا أم لك قد وجدتنى أصلى فى مسجدى أفترانى كنت أصلى ولست بطاهر وثيابى غير طاهرة وأما ماذكرت من أن أفرغ من عهدى بعد ما حدثنى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه : قال : ماحق امرئ مسلم يبيت ليلة له شئ يوصى به الا ووصيته مكتوبة . فاذا شاؤا فليفعلوا فانى لم اكن لابايع بيعتين فى الاسلام قال فرجع اليهم المولى فأخبرهم بما ذكر فكتب صاحب المدينة هشام بن اسماعيل الى عبد الملك يخبره ان سعيد بن المسيب كره ان يبايع لهما (للوليد وسليمان) فكتب عبد الملك اليه : مالك ولسعيد وما كان علينا منه أمر نكرهه وما كان حاجتك ان تكشف عن سعيد وتأخذه ببيعة ما كنا نخاف من سعيد فأما اذ قد ظهر ذلك وانتشر فى امره للناس فادعه الى البيعة فان ابى فاجلده مائة سوط او احلق رأسه ولحيته وألبسه ثيابا من شعر واوقفه فى السوق على الناس

الكما لايجترئ علينا أحد غيره . قال فلما وصل الكتاب ارسل اليه هشام فانطلق سعيد اليه فلما أتاه دعاه الى البيعة فابى ان يجيبه فالبسه ثيابا من شعر وجرده وجلده مائة سوط وحلق رأسه ولحيته واوقفه فى السوق وقال لو اعلم انه ليس الا هذا ما نزعت ثيابى طائعاً ولا أجبت الى ذلك قال بعض الايليين الذين كانوا فى الشرط بالمدينة . لما علمنا انه لا يلبس الثياب طائعاً قلنا له يا أبا محمد انه القتل فاستر بها عورتك قال فلبس فلما تبين لها خدعناه قال : يامعاجة أهل ايلة لولا انى ظننت انه القتل ما لبسته قال فكان هشام بن اسماعيل بعد ذلك اذا خطب الناس يوم الجمعة تحول اليه سعيد بن المسيب ان يقبل عليه بوجهه مادام يذكر الله حتى اذا وقع فى مدح عبد الملك وغيره اعرض سعيد عنه بوجهه فلما فطن هشام لذلك أمر حرسيا يحصب وجه سعيد اذا تحول عنه ففعل ذلك به فقال سعيد انما هى ثلاث وأشار بيده قال فما مر به الا ثلاثة أشهر حتى عزل هشام

﴿ موت عبد الملك وبيعة الوليد ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة جمع بنيه قال لهم . اتقوا الله ربكم واصلحوا ذات بينكم وليجل صغيركم كبيركم وكبيركم صغيركم انظروا أخاكم مسلمة فاستوصوا به خيرا وانه شيخكم ومجنكم الذى به تستجنون وسيفكم الذى به تضربون ، اوصيكم بخيرا وانظروا الى ابن عمكم عمر بن عبد العزيز فاصدروا عن رأيه ولا تخلوا عن مشورته اتخذوه صاحباً لا تجفوه وزيرا لا تعصوه ، وانه ما علمتم فضله ودينه وذكاء عقله فاستعينوا به على كل مهم وشاوروه فى كل حادث . قال ثم دخل عليه خالد وعبد الرحمن ابنا يزيد بن معاوية ابن أبى سفيان فقال لهما اتحبان ان أسأل كما بيعة الوليد وسليمان فقالا يا أمير المؤمنين معاذ الله من ذلك قال فأومأ بيده الى مصلى كان مضطجعاً عليه فأخرج من تحته سيفاً مصلتاً فقال لهما والله لو قلتما غير ذلك لضربت أعناقكما بهذا السيف ثم خرجا من عنده ودخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال عبد الملك : يا أبا حفص استوص خيراً بأخويك الوليد وسليمان ان زلا فسلهما وان مالا فأقمهما وان غفلا فذكرهما . وان ناما فأيقظهما وقد اوصيتهما بك وعهدت اليهما ان لا يقطعا شيئاً دونك . فقال عمر بن عبد العزيز يا أمير المؤمنين أوصيتهما بكتاب الله فليتقياه

فى عباده و بلاده وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليجيباها و يحملا الناس عليها فقال عبد الملك قد فعلت وولي فيكم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . ثم قال وقد علمت يا عمر مكان فاطمة منى ومحلها من قلبي وانى آثرتك بها على جميع آل مروان لفضلك وورعك فكن عند ظني بك ورجائى فيك وقد علمت انك غير مقصر ولا مضيع حقها ولكن الله قد قضى ان الذكرى تنفع المؤمنين قوموا عصمكم الله وكفاكم ثم خرجوا من عنده . قال ثم دعا عبد الملك بالوليد وسليمان فدخلا عليه فقال للوليد : اسمع يا وليد حضر الوداع ، وذهب الخداع ، وحل القضاء . قال فبكى الوليد فقال له عبد الملك لا تعصر عينيك على كما تعصر الامة الوكساء ، اذا انا مت فاغسلني وكفني وصل على واسلمني الى عمر بن عبد العزيز يدليني فى حفرتى واخرج أنت الى الناس والبس لهم جلد نمر واقعد على المنبر وادع الناس الى بيعتك فمن مال بوجهه عنك كذا فتل له بالسيف كذا وتنكر للصديق والقريب واسمح للبعيد واوصيك بالحجاج خيراً فانه هو الذى وطأ لكم المنابر وكفاكم تقحم تلك الجرائم . قال فلما توفى عبد الملك ومات من يومه ذلك خرج الوليد الى الناس وقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : نعمة الله ما اجلها ومصيبة ما أعظمها وانا لله وانا اليه راجعون ثقل الخلافة وفقد الخليفة ثم دعا الناس الى البيعة فلم يختلف عليه احد ثم كان اول ماظهر من أمره وتبين من حكمه ان امر بهدم كل دار ومنزل من دار عبد الملك الى قبره فهدمت من ساعتها وسويت بالارض لئلا يعرج بسرير عبد الملك يميناً وشمالا وليكون النهوض به الى حفرته تلقاء منزله ثم كتب ببيعته الى الآفاق والامصار والى الحجاج بالعراق فبايع له الناس ولم يختلف عليه احد فدخل عليه سليمان بن عبد الملك فقال ياأمير المؤمنين اعزل الحجاج بن يوسف عن العراقين فان الذى افسد الله به اكثر مما اصلح فقال له الوليد ان عبد الملك قد اوصانى به خيراً فقال سليمان عزل الحجاج والانتقام منه من طاعة الله وتركه من معصية الله فقال الوليد سنرى فى هذا الامر وترون ان شاء الله . ثم كتب الحجاج الى الوليد : اما بعد فان الله تعالى استقبلك يا امير المؤمنين فى حداثة سنك بما لا اعلمه استقبل به خليفة قبلك من التمكين فى البلاد والملك للعباد والنصر على الاعداء فعليك بالاسلام فقوم اوده وشرائعه

وحدوده ودع عنك محبة الناس وبغضهم وسخطهم فانهم قل ما يؤتى الناس من خير وشر الا افشوه فى ثلاثة ايام والسلام .

﴿ تولية موسى بن نصير البصرة ﴾

قال وحدثنا يزيد بن سعيد مولى مسلم ان عبد الملك بن مروان لما اراد ان يولى اخاه بشر بن مروان على العراق كتب الى اخيه عبد العزيز بن مروان وهو بمصر و بشر معه يقود الجنود وكان يومئذ حديث السن : انى قد وليت اخاك بشر البصرة فاشخص معه موسى بن نصير وزيراً ومشيراً وقد بعثت اليك بديوان العراق فادفعه الى موسى وأعلمه انه المأخوذ بكل خلل وتقصير فشخص بشر من مصر الى العراق ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة فلما نزلها دفع الى موسى بن نصير خاتمه وتخلى عن جميع العمل فلبث موسى مع بشر ما لبث ثم ان رجلا من اهل العراق دخل على بشر بن مروان فقال له هل لك ان استقيك شرابا لا تشيب معه ابداً بعد ان اشترط عليك شروطا قال بشر وما هى قال : لا تغضب ولا تركب ولا تجامع امرأة فى ازار بعين ليلة ولا تدخل حماما فقبل ذلك بشر واجابه وشرب ما استقاه واحتجب عن قريب الناس و بعيدهم وخلا مع جواريه وخدامه فكان كذلك حتى اتته ولاية الكوفة وقد ضمت اليه مع البصرة فأتاه من ذلك ما لم يحمل فرحه ولا السرور به فدعا بركاب ليركبها فأتاه الرجل فناشده لا يخرج ولا يركب وان لا يتحرك بحركة من مكانه فلم يلتفت بشر الى كلامه ولم يقبل ما امره به فلما رأى الرجل عزمه قال له فاشهد لى على نفسك بانك قد عصيتنى ففعل بشر ذلك واشهد انه قد اباه فركب وهو يريد الكوفة فلم يسر الا ميالا حتى وضع يده على لحيته فاذا هو فى كفه قد سقطت من وجهه فلما رأى ذلك انصرف الى البصرة فلم يلبث الا قليلا حتى هلك فلما بلغ عبد الملك موته وجه الحجاج بن يوسف واليا عليها فقال له موسى بن نصير ما فاتك فلا يفوتك وكان عبد الملك قد أراده لامر عتب عليه منه . فكتب خالد بن أبان من الشام الى موسى بن نصير : انك معزول وقد وجه اليك الحجاج بن يوسف وقد امر فيك باغلظ أمر فالنجاة النجاة والوحا الوحا فاما ان تلحق بالفرس فتأمن واما ان تلحق بعبد العزيز بن مروان مستجيراً به ولا تمكن ملعون ثقيف من نفسك فيحكم فيك . فلما أتاه

الكتاب ركب النجائب ولحق بالشام و بها يومئذ عبد العزيز بن مروان قد وفد باموال مصر فكتب الحجاج من العراق يا أمير المؤمنين انه لا قدر لما اقتطعه موسى ابن نصير من أموال العراق وليس بالعراق فابعث به الى

﴿ دخول موسى بن نصير على عبد الملك بن مروان ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سالم حدثهم عن أبيه انه حضر يومئذ شأن موسى ودخوله على عبد الملك قال وكانت لموسى يد عظيمة عند عبد العزيز بن مروان يطول ذكرها قال سالم قال لى موسى لما قدمت الشام لقيت بها عبد العزيز وكان ذلك من صنع الله فادخلنى على عبد الملك فلما رآنى عبد الملك قلت موسى قال ما تزال تعرض لحيتك علينا قال قلت له يا أمير المؤمنين قال لجرأتك على واقتطاعك الفىء قال فعلت مافعلت يا أمير المؤمنين وما ألوتك نصحاً واجتهاداً واصلاحاً قال اقسم لتؤدين دينك خمسين مرة قال قلت له يا أمير المؤمنين قال فما تركنى أتنهسا حتى قال قم لتؤدينها مائة مرة فذهبت لاتكلم فأشار الى عبد العزيز ان قل نعم فقلت نعم يا أمير المؤمنين ثم خرجت فاعاننى عبد العزيز بخمسين الفاً واديت خمسين الفاً فى ثلاثة أشهر نجمها على

﴿ تولية موسى بن نصير على افريقية ﴾

قال وذكروا ان عبد العزيز لما رجع الى مصر سار موسى معه فكان من أشرف الناس عنده فأقام بها ما أقام حتى قدم حسان بن النعمان من أفريقية يريد الشام الى عبد الملك وقد فتح له بها فتحاً وقتل الكاهنة فاجازه عبد الملك وزاده برقة ورده اليها (الى افريقية) واليا فاقبل حتى نزل مصر و بعث معه بعثا من هناك فاخذوا اعطياتهم منه ثم ساروا حتى نزلوا ذات الجماجم قال فبلغ ذلك عبد العزيز ان حسان بن النعمان يطلب برقة من عند عبد الملك وانه قد ولاه اياها فبعث اليه فقال له أولاك أمير المؤمنين برقة قال نعم فقال له عبد العزيز لا تعرض وكان عليها مولى لعبد العزيز فقال حسان ما أنا فاعل فغضب عبد العزيز وقال له ائت بعهدك عليها ان كنت صادقا قال فأتى به حسان فلما اقرأه عبد العزيز وجدها فيه فالتفت الى حسان فقال ما انت بتاركها قال والله لا أنزل عما ولانيه أمير المؤمنين قال فاقعد فى بيتك فسيولى هذا الامر من هو خير منك وأولى به منك فى تجربته ومعرفته وسياسته و يغنى الله أمير

المؤمنين عنك ثم أخذ عبد العزيز عهده ومرقه ودعى بموسى بن نصير فعقد له على افريقية يوم الخميس فى صفر سنة تسع وسبعين فتجهز موسى بن نصير وحمل الاموال الى ذات الجاجم وبها الجيوش ينتظرون واليهم فقدم عليهم موسى بن نصير فلما صار على الجيش الاول أتى عصفور حتى وقع على صدره فأخذه موسى فدعا بسكين فذبحه موسى ولطخ بدمه صدره من فوق الثياب ونتف ريشه وطرحه على صدره وعلى نفسه ثم قال الفتح ورب الكعبة والظفر ان شاء الله .

﴿ خطبة موسى بن نصير رحمه الله ﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم ذات الجاجم وقد توافت الجيوش بها جمع الناس فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ايها الناس ان أمير المؤمنين أصلحه الله رأى رأيا فى حسان بن النعمان فولاه ثغركم ووجهه أميراً عليكم وانما الرجل فى الناس بما أظهر والرأى فيما أقبل وليس فيما أدبر فلما قدم حسان بن النعمان على عبد العزيز أكرمه الله كفر النعمة وضيع الشكر ونازع الامر أهله فغير الله ما به . وانما الامير أصلحه الله صنو أمير المؤمنين وشريكه ومن لا يتهم فى عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولانى مكانه عليكم ولم يأل ان أجهد نفسه فى الاختيار لكم وانما انا رجل كاحدكم فمن رأى منى حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ومن رأى منى سيئة فلينكرها فانى اخطئ كما تخطئون وأصيب كما تصيبون وقد أمر الامير اكرمه الله لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثاً فخذوها هنيئاً مريئاً ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها على ماعز وهان مع المواساة ان شاء الله ولاحول ولاقوة الا بالله .

﴿ دخول موسى بن نصير افريقية ﴾

قال وذكروا ان موسى لما سار متوجها الى المغرب بقية صفر ثم ربيع وربيع ودخل فى جمادى الاولى يوم الاثنين لخمس خلون منه سنة تسع وسبعين فأخذ سفيان بن مالك الفهرى وأبا صالح فغرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ووجههما الى عبد الملك فى الحديد. قال وكان قدوم موسى أفريقية وماحولها مخوف بحيث لا يقدر المسلمون ان يبرزوا فى العيدين لقرب العدو منهم وان عامة بيوتها الخصوص وأفضلها القباب وبناء المسجد يومئذ بالحظير غير

انه قد سقف ببعض الخشب وقد كان ابن النعمان بنى القبلة وما يليها بالمدر بنياناً ضعيفاً وكانت جبالها كلها محاربة لا ترام وعامة السهل

﴿ خطبة موسى بافريقية ﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم أفريقية ونظر الى جبالها والى ماحولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه : ثم قال : ايها الناس انما كان قبلى على افريقية أحد رجلين مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره ان يكلم ويحب ان يسلم أو رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهوينا . وليس اخو الحرب الا من اكتحل السهر واحسن النظر وخاض الغمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون أن يكلم أو يكلم ويبلغ النفس عذرها فى غير خرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلا فى حزمه جازما فى عزمه مستزيداً فى علمه مستشيراً لاهل الرأى فى أحكام رأيه متحنكا بتجاربه ليس بالمتجابن اقحاما، ولا بالمتخاذل احجاما، ان ظفر لم يزده الظفر الا حذراً ، وان نكب أظهر جلادة وصبراً راجيا من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياها لقول الله تعالى ان العاقبة للمتقين أى الحذرين . وبعد فان كل من كان قبلى كان يعمد الى العدو الاقصى ويترك عدواً منه أدنى ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العورة ويكون عونا عليه عند النكبة وأيم الله لاأريم هذه القلاع والجبال المتمنعة حتى يضع الله أرفعها ويذل أمنعها ويفتحها على المسلمين بعضها أو جمعها أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين

﴿ فتح زعوان ﴾

قال وذكروا انه كان بزعوان قوم من البربر يقال لهم عبدوه عليهم عظيم من عظمائهم يقال له ورقطان فكانوا يغيرون على سرح المسلمين ويرصدون غرتهم والذى بين زعوان وبين القيروان يوم الى الليل فوجه اليهم موسى خمسمائة فارس عليهم رجل من خشين يقال له عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان وفتحها الله على موسى فبلغ سبيهم يومئذ عشرة آلاف رأس وانه كان أول سبى دخل القيروان فى ولاية موسى ثم وجه ابنا له يقال له عبد الرحمن بن موسى الى بعض نواحيها فأتاه بمائة الف رأس ثم توجه ابنا له يقال له مروان فاتاه

بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين الف رأس

﴿ قدوم كتاب الفتح على عبد العزيز بن مروان ﴾

قال وذكروا ان موسى بن نصير كتب الى عبد العزيز بن مروان بمصر يخبره بالذى فتح الله عليه وأمكن له ويعلمه ان الخمس بلغ ثلاثين الفا وكان ذلك وهما من الكاتب فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا الكاتب قال له ويحك اقرأ هذا الكتاب فلما قراه قال هذا وهم من الكاتب فراجعه فكتب اليه عبد العزيز : انه بلغنى كتابك وتذكر فيه انه قد بلغ خمس ما أفاء الله عليك ثلاثين الف رأس فاستكثرت ذلك وظننت ان ذلك وهم من الكاتب فاكتب الى بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم ، فلما قدم الكتاب على موسى كتب اليه : بلغنى ان الامير ابقاه الله يذكر انه استكثر ما جاءه من العدة التى أفاء الله على وانه ظن ان ذلك وهم من الكاتب وقد كان ذلك وهماً على ما ظنه الامير والخمس ايها الامير ستون الفا حقاً ثابتا بلا وهم ، قال فلما أتى الكتاب الى عبد العزيز وقرأه ملأه سروراً

﴿ انكار عبد الملك تولية موسى بن نصير ﴾

وذكروا ان عبد العزيز لما ولى موسى وعزل حسان كما تقدم وفتح الله لموسى بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكره ذلك وانكره ثم كره رد رأى عبد العزيز ثم هم بعزل موسى لسوء رأيه فيه ثم رأى ان لا يرد ما صنع عبد العزيز فكتب عبد الملك الى عبد العزيز : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك فى عزل حسان وتوليتك موسى مكانه وعلم الامر الذى له عزلته وقد كنت انتظر منك مثلها فى موسى وقد امضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيت وولايتك من وليت فاستوص بحسان خيراً فانه ميمون الطائر والسلام .

﴿ جوابه ﴾

فلما قدم الكتاب على عبد العزيز كتب الى اخيه عبد الملك : اما بعد فقد بلغنى كتاب أمير المؤمنين فى عزل حسان وتوليتى موسى بن نصير وقد كان لمثلها منى منتظراً فى موسى ويعلمنى انه قد امضى لى من رأيى فيما امضيت وولايتى من وليت وقد علمت ان أمير المؤمنين يتفاءل بحسان للذى فتح الله على يديه ولم اعدمع نظرى لامير المؤمنين بان عزلت حسان وليت موسى فى يمن طائره وحسن اثره

فاما قول أمير المؤمنين قد كنت انتظرها منك في موسى فلعمري لقد كنت لها فيه مرصداً ولا مير المؤمنين ان يسبق بها اليه منتظراً حتى حضر أمر جهدت فيه نفسي لامير المؤمنين ولنفسي الرأى والنصيحة والسلام

﴿ كتاب عبد العزيز بالفتح الى عبد الملك ﴾

وذكروا ان عبد العزيز كتب الى عبد الملك : اما بعد فانى كنت وانت يا أمير المؤمنين فى موسى وحسان كالمتراهنين ارسلا فرسيهما الى غايتهما فاتيا معا وقد مدت الغاية لاحدهما ولك عنده مزيد ان شاء الله وقد جاءنى يا امير المؤمنين كتاب من موسى وقد وجهته اليك لتقرأه وتحمد الله عليه والسلام

﴿ جوابه ﴾

فكتب اليه عبد الملك : اما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك وفهم لمثل الذى مثلته فى حسان وموسى و يقول لك عند احدهما مزيد وكل قد عرف الله على يده خيراً ونصراً وقد اجريت وحدك وكل محر بالخلاء مسروراً والسلام . ثم وجه عبد الملك رجلا الى موسى ليقبض ذلك منه على ماذكر موسى وعلى ما كتب به فلما قدم الرسول على موسى دفع اليه ماذكر وزاده الفا للوفاء

﴿ فتح هوارة . وزناتة . وكتامة ﴾

قال وذكروا ان موسى ارسل عياش بن اخيل الى هوارة وزناتة فى الف فارس فأغار عليهم وقتلهم وسباهم فبلغ سبيهم خمسة آلاف رأس وكان عليهم رجل منهم يقال له كامون فبعث به موسى الى عبد العزيز فى وجوه الاسرى فقتله عند البركة التى عند قرية عقبة فسميت بركة كامون فلما اوجع عياش فيهم دعوا الى الصلح فقدم على موسى بوجههم فصالحوهم واخرجوهم وكانت كتامة قد قدمت على موسى فصالحته وولى عليهم رجلا منهم واخذ منهم رهونهم وكتب احدهم الى موسى انا نحن عبدانك قتل احدنا صاحبه وانا خير لك منه فلم يشك موسى ان ذلك انما كان عن ممالأة من كتامة وقد كانت رهون كتامة استأذنوا موسى قبل ذلك بيوم ليتصيدوا فاذن لهم فلما اتاه ما اتاه تحقق ظنه فيهم وانهم انما هربوا فوجه الخيول فى طلبهم فأتى بهم فأراد صلبهم فقالوا لا تعجل ايها الامير بقتلنا حتى يتبين امرنا فان آبائنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا فى خلاف ابداً ونحن فى يدك

وانت على البيان اقدر منك على استحيائنا بعد القتل فأوقرهم حديداً واخرجهم معه الى كتامة وخرج هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسى تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحيى رهوبهم .

﴿ فتح صنهاجة ﴾

قال وذكروا ان الجواسيس أتو موسى فقالوا له ان صنهاجة بغرة منهم وغفلة وان ابلهم تنتج ولا يستطيعون براحا فأغار عليهم موسى بأربعة آلاف من أهل الديوان والقين من المتطوعة ومن قبائل البربر وخلف عياشا على اثقال المسلمين وعيالهم بقلبية في الف فارس وعلى مقدمة موسى عياض بن عقبة وعلى ميمنته المغيرة بن ابى بردة وعلى ميسرته زرعة بن ابى مدرك فسار موسى حتى غشى صنهاجة ومن كان معها من قبائل البربر وهم لا يشعرون فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم مائة الف رأس ومن الابل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب مالا يحصى ثم انصرف قافلا الى القيروان وهذا كله في سنة ثمانين فلما سمعت الاجناد بما فتح الله على موسى وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا في الخروج الى الغرب فخرج نحو مما كان معه فالتقى المغيرة وصنهاجة فاقتتلوا قتالا شديداً ثم ان الله منحه اكتافهم وهزمهم فبلغ سبيهم ستين الف رأس ثم انصرف قافلا

﴿ فتح سجوما ﴾

قال وذكروا انه لما كانت سنة ثلاث وثمانين قدم على موسى نمدة بن موسى في طالعة أهل مصر فلما قدم عليه أمر الناس بالجهاد والتاهب ثم غزا يريد سجوما وما حولها واستخلف عبد الله بن موسى على القيروان ثم خرج وهو في عشرة آلاف من المسلمين وعلى مقدمته عياض بن عقبة وعلى ميمنته زرعة بن ابى مدرك وعلى ميسرته المغيرة بن ابى بردة القرسي وعلى ساقته نجدة بن مقسم فاعطى اللواء ابنه مروان فسار حتى اذا كان بمكان يقال له سجن الملوك خلف به الاثقال وتجرد في الخيول وخلف على الاثقال عمرو بن أوس في الف وسار بمن معه حتى انتهى الى نهر يقال له ملويه فوجده حاملا فكره طول المقام عليه خوفاً من نفاد الزاد وان يبلغ العدو مخرجه ومكانه فاحدث مخاضة غير مخاضة عقبة بن نافع وكره ان يجوز عليها فما اجاز وانتهى اليهم وجدهم قد انذروا به وتاهبوا وأعدوا

للحرب فاقتتلوا قتالا شديداً فى جبل منيع لا يوصل اليهم الا من أبواب معلومة فاقتتلوا يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت الى العصر فخرج اليهم رجل من ملوكهم فوقف والناس مصطفون فنادى بالمبارزة فلم يجبه احد فالتفت موسى الى مروان ابنه فقال له اخرج اليه اى بنى فخرج اليه مروان ودفع اللواء الى أخيه عبد العزيز بن موسى فلما رآه البربرى ضحك ثم قال له ارجع فانى أكره ان أعدم منك ابالك وكان حديث السن قال فحمل عليه مروان فكره حتى ألجأه الى جبله ثم انه زرق مروان بالمزراق فقتله مروان بيده وأخذه ثم حمل مروان عليه وزرقه به زرقة وقعت فى جنبه ثم لحنت حتى وصلت الى جرف برذونه قال فوقع به البرذون ثم التقى الناس عليه فاقتتلوا قتالا شديداً أنساهم ما كان قبله ثم ان الله هزمهم وفتح للمسلمين عليهم وقتل ملكهم كسيلة بن لمزم وبلغ سبيهم مائتي الف رأس فيها بنات كسيلة وبنات ملوكهم ربما لا يحصى من النساء السلسات اللاتى ليس لهن ثمن ولا قيمة قال فلما وقعت بنات الملوك بين يدى موسى قال على بمروان ابنى قال فأتى به قال له أى بنى اختر قال فاختار ابنة كسيلة فاستمرها فسمى أم عبد الملك بن مروان هذا. قال فقال يومئذ زرعة بن ابى مدرك قتالا شديداً ألى فيه حتى اندقت ساقه قال فأبى موسى ان لا يحمل الا على رقاب الرجال حتى يدخل القيروان وان يحمله خمسون رجلا كل يوم يتعاقبون بينهم ثم انصرف موسى وقد دانت له البلاد كلها وجعل يكتب الى عبد العزيز فتح بعد فتح وملأت سبايا الاجناد وقابل الناس اليه ورغبوا فيما هنالك لديه فكان عبد الملك بن مروان كثيرا ما يقول اذا جاءه فتوح موسى . لهنيئا للقلبة أبا الاصبغ ثم يقول وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وجعل الله فيه خيراً كثيراً . قال وبعث موسى الى عياض وعثمان والى عبيدة بن عقبة فقال اشتفوا وضعوا اسيافكم فى قتلة قال فقتل منهم عياض ستمائة رجل صبرا من خيارهم وكبارهم فارسل اليه موسى ان امسك فقال : أما والله لو تركتنى ما أمسكت عنهم ومنهم عين تطرف

﴿ قدوم الفتح على عبد الملك بن مروان ﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم وجه بذلك الفتح الى عبد العزيز بن مروان مع على بن رباح فسار حتى قدم على عبد العزيز بمصر فأجازه ووصله ووجهه الى

عبد الملك بن مروان أخيه فلما قدم عليه أجازه أيضاً وزاده فى عطائه عشرين فلما انصرف قال له عبد العزيز كم زادك أمير المؤمنين قال عشرين قال ولولا اكره ان افعل مثل ما فعل لزدتك مثلها ولكن تعد لها زيادة عشرة وكتب عبد الملك الى موسى يعلمه ان قد فرض لجميع ولده فى مائة و بلغ به هو الى المائتين وفرض فى مواليه وأهل الجزاء والبلاء ممن معه خمسمائة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب اليه ان أمير المؤمنين قد أمر لك بمائة الف التى اغرمها لك فخذها من قبلك من الاخماس قال فلما قدم على موسى كتاب عبد الملك بن مروان يأمر بأخذ المائة الف مما قبله قال فانى أشهدكم انه رد على المسلمين ومعونة لهم وفى الرقاب وكان موسى اذ أفاء الله عليه شيئاً اشترى من ظن منهم انه يقبل الاسلام و ينجب فيعرض عليه الاسلام فان رضى قبله من بعد ان يمحص عقله و يجرب فطنة فهمه فان وجده ماهراً أمضى عتقه وتولاه وان لم يجد فيه مهارة رده فى الخمس والسبا .

قال وكتب موسى الى عبد العزيز ببلاء زرعة بن أبى مدرك وما أوصله وانه لولا ذلك أوفد الى أمير المؤمنين ففرض له عبد العزيز فى مائة وفرض لثلاثين رجلا من قومه وانصرف موسى قافلا وذلك فى سنة اربع وثمانين

﴿ غزوة موسى فى البحر ﴾

قال وذكروا ان موسى اقام بالقيروان بعد قفله شهر رمضان وشوال فأمر بدار صناعة بتونس وجرى البحر اليها فعظم عليه الناس ذلك وقالوا له هذا أمر لا نطيقه فقام الى موسى رجل من مسالمة البربر ممن حسن اسلامه فقال له : أيها الامير قد مر على مائة وعشرون سنة وان ابى حدثنى ان صاحب قرطاجنة لما أراد بناء قناتها أتاه الناس يعظمون عليه ذلك فقام اليه رجل فقال له ايها الملك انك ان وضعت يدك بلغت منها حاجتك فان الملوك لا يعجزها شيئاً لقوتها وقدرتها فضع يدك ايها الامير فان الله تعالى سيعينك فيما نويت و يؤجرك فيما توليت . فسر بذلك موسى وأعجبه قول هذا الشيخ فوضع يده فبنى دار صناعة بتونس وجرى البحر اليها مسيرة اثنى عشر ميلا حتى اقحمه دار الصناعة فصارت مشتا للمراكب اذا هبت الانواء والارياح ثم أمر بصناعة مائة مركب فاقام بذلك بقية سنة أربع وثمانين وقدم عطاء بن أبى نافع الهذلى فى مراكب أهل مصر

وكان قد بعثه عبد العزيز يريد سردانية فأرسى بسوسة فاخرج اليه موسى الاسواق وكتب اليه ان ركوب البحر قدفات فى هذا الوقت وفى هذا العام فاقم لاتغرر بنفسك فانك فى تشرين الاخر فاقم بمكانك حتى يطيب ركوب البحر ، قال فلم يرفع عطاء لكتاب موسى رأساً وشحن مراكبه ثم رفع فسار حتى اتى جزيرة يقال لها سلسلة وافتتحها وأصاب فيها مغانم كثيرة واشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ثم انصرف قافلا فاصابته ريح عاصف فغرق عطاء واصحابه وأصيب الناس ووقعوا بسواحل افريقية فلما بلغ ذلك موسى وجه يزيد بن مسروق فى خيل الى سواحل البحر يفتش على مايلقى البحر من سفن عطاء واصحابه فاصاب تابوتاً منحوتاً قال فمنه كان أصل غناء يزيد بن مسروق . قال ولقد لقيت شيخاً متوكئاً على قصبة فذهبت لافتشه فنازعنى فاخذت القصبة من يده فضربت بها عنقه فانكسرت فتناثر منها اللؤلؤ والجواهر والدنانير . ثم ان موسى أمر بتلك المراكب ومن نجا من النوتية فادخلهم دار الصناعة بتونس . ثم لما كانت سنة خمس وثمانين أمر الناس بالتأهب لركوب البحر وأعلمهم انه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب حتى اذا ركبوا فى الفلك ولم يبق أحد الا ان يرفع دعا برمح فعقده لعبد الله بن موسى ابن نصير وولاه عليهم وأمره ثم أمره ان يرفع من ساعته وانما أراد موسى بما اشار من مسيره ان يركب أهل الجلد والنكاية والشرف فسميت غزوة الاشراف ، ثم سار عبد الله بن موسى فى مراكبه وكانت تلك اول غزوة غزيت فى بحر افريقية قال فاصاب فى غزوته تلك صقلية فافتتح مدينة فيها فاصاب مالا يدرى فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهبا وكان المسلمون مابين الالف الى التسعمائة ثم انصرف قافلا سالماً فأتت موسى وفاة عبد العزيز بن مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين فبعث اليه بالبيعة و يفتح عبد الله بن موسى وما أفاء الله على يده ثم ان موسى بعث زرعة بن أبى مدرك الى قبائل من البربر فلم يلق حرباً منهم ورغبوا فى الصلح فوجه رؤسهم الى موسى فأعطاهم الامان وقبض رهونهم وعقد لعياش بن اخيل على مراكب اهل افريقية فشتا فى البحر واصاب مدينة يقال لها سرقوسة ثم قفل فى ست وثمانين . ثم ان عبد الله بن مرة قام بطالعة اهل مصر على موسى فى سنة

تسع وثمانين فعقد له موسى على بحر افريقية فاصاب سردانية وافتتح مدائنها فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والفضة والحرث وغيره

﴿ غزوة السوس الاقصى ﴾

قال وذكروا ان موسى وجه مروان ابنه الى السوس الاقصى وملك السوس يومئذ مزدانة الاسوارى فسار فى خمسة آلاف من أهل الديوان ، فلما اجتمعوا ورأى مروان ان الناس قد تعجلوا الى قتال العدو وان فى يديه اليمنى القناة وفى يده اليسرى الترس وانه ليشير بيده الى الناس ان كما انتم . فلما التقى مروان ومزدانة اقتتل الناس اذ ذاك قتالا شديداً ثم انهزم مزدانه ومنح الله مروان اكتافهم فقتلوا قتلة القناء فكانت تلك الغزوة استئصال اهل السوس على ايدى مروان فبلغ السبى اربعين القاوعقد موسى على بحر افريقية حتى نزل بميزرقة فافتتحها

﴿ قدوم الفتوحات على الوليد بن عبد الملك ﴾

قال وذكروا ان خادما للوليد بن عبد الملك بن مروان اخبرهم قال : انى لاقرب من الوليد بن عبد الملك وبين يديه طشت من ذهب وهو يتوضأ منه اذ اتى رسول من قبل قتيبة بن مسلم من خراسان بفتح من فتوحاتها فاعلمه قال خذ الكتاب منه فاخذه فنزأده فأتى على آخره حتى اتى رسول آخر من قبل موسى بن نصير بفتح السوس من قبل مروان بن موسى . فاعلمه قال هاته فنزاه فحمد الله وخر ساجدا لله حامدا ثم التفت الى قال أمسك الباب لايدخل احد قال وكان عنده ابن له يحبوا بين يديه فلما خر الوليد ساجداً شاكرا لله جاء الصبى الى الطشت فاضطرب فيه وصاح فالتفت اليه قال وصرت لاأستطيع ان أغيثه لما أمرنى به من امساك الباب وأطال السجود حتى خفى صوت الصبى ثم رفع رأسه فصاح بى فدخلت وأخذت الصبى واذا به ميت

﴿ فتح قلعة ارساف ﴾

قال ثم ان صاحب ارساف اغار على بعض سواحل افريقية فقال منهم وبلغ موسى خبره فخرج اليه بنفسه فلم يدركه فاشتد ذلك على موسى قال فقال الله ان لم اقتله واما منتم هنا قال فاقام موسى ما اقام ثم انه دعا رجلا من اصحابه فقال له انى موجهك فى أمر وليس عليك فيه بأس وان عندى فيه حسن

الثواب خذهذين الاذنين فسر فيهما بمن معك حتى تأتى موضع كذا وكذا فى مكان كذا فانك تجد كنيسة وتجد الروم قد جعلوها لعيدهم فاذا كان الليل فادن من ساحلها ودع احدى هذين الاذنين بما فيها ثم انصرف الى بالاذن الاخرى وبعث معه موسى قبة من الخز والوشى ومن طرائف ارض العرب شيئاً مليحا وكتب كتابا بالرومية جوابا الكتاب كانه كان كتب به الى موسى يسأله الامان على ان يدله على عورة الروم وكتاب فيه امان من موسى مطبوع . فسار حتى انتهى الى الموضع الذى وصف له موسى فترك الاذن بما فيهما وصرف راجعاً فى الاذن الاخرى حتى قدم على موسى . وان الروم لما عثروا على اذن موسى استنكروها فارتفع أمرها الى بطريق تلك الناحية فأخذ ما فيها فلما رأى ما فيها من الكتب والهدية هم بذلك فعجل بها كلها الى الملك الاعظم . فلما أفضت اليه وقرأ الكتب تحقق ذلك عنده فبعث اليه ارسلان رجلا وملكه عليها وأمر ان يضرب عنق صاحبها الذى اشار على ساحل افرنية ففعل فعله الله بخيبة موسى

﴿ فتح الاندلس ﴾

قال وذكروا ان موسى وجد طارقا مولاه فى طنجه وما هنالك فافتتح مدائن البربر وقلاعها ثم كتب الى موسى انى قد اصبت ست سفن فكتب اليه موسى أن صيرها سبعا ثم سر به الى شاطئ البحر واستعد لشحنها واطلب قبلك رجلا يعرف شهور السريانيين فاذا كان يوم احد وعشرين من شهر اذار بالسريانى فاشحن على بركة الله ونصره فى ذلك اليوم فان لم يكن عندك من يعرف شهور السريان فشهور العجم فانها موافقة لشهور السريان وهو شهر يقال له بالاعجمية مارس فاذا كان يوم احد وعشرين منه فاشحن على بركة الله كما امرتك ان شاء الله فاذا اجريت قمر حتى يلقاك جبل احمر وتخرج منه عين شرقية الى جانبها صنم فيه تمثال صور فاكسر ذلك التمثال وانظر فى من معك الى رجل طويل اشقر بعينيه قبل وبيده شمال فاعقد له على مقدمتك ثم اقم مكانك حتى يغشاك ان شاء الله . فلما انتهى الكتاب الى طارق كتب الى موسى : انى منته الى ما أمر الامير ووصف غير انى لم اجد صفة الرجل الذى امرتنى به الا فى نفسى فسار طارق فى الف رجل وسبعمائة وذلك فى شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وقد كان لوذريق

ملك الاندلس قد غزا عدواً يقال له البشكيس واستخلف ملكا من ملوكهم يقال له تدمير فلما بلغ تدمير مكان طارق ومن معه من المسلمين كتب الى لوذريق : انه قد وقع بأرضنا قوم لا ندري أمن السماء نزلوا ام من الارض نبعوا . فلما بلغ لوذريق ذلك اقبل راجعا الى طارق في سبعين الف عنان ومعه العجل تحمل الاموال والزخرف وهو على سرير بين دابتين وعليه قبة مكللة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ومعه الحبال ولا يشك في اسرهم . فلما بلغ طارقا دنوه منهم قام في اصحابه فحمد الله ثم حض الناس على الجهاد ورغبهم في الشهادة وبسط لهم في آمالهم ثم قال . ايها الناس اين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس ثم والله الا الصدق والصبر فانهما لا يغلبان وهما جندان منصوران ولا تضر معهما قلة ، ولا تنفع مع الخور والكسل والفشل والاختلاف والعجب كثرة ، ايها الناس ما فعلت من شيء فافعلوا مثله ان حملت فاحملوا وان وقفت فقفوا ثم كونوا كهيئة رجل واحد في القتال الا واني عامد الى طاغيتهم بحيث لا أتهيبه حتى أخالطه واقتل دونه فان قتلت فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وتولوا الدبر لعدوكم فتبددوا بين قتيل واسير . واياكم ايا كم ان ترضوا بالدنية ولا تعطوا بايديكم وارغبوا فيما عجل لكم من الكرامة والراحة من المهنة والذلة وما قد احل لكم من ثواب الشهادة فانكم ان تفعلوا والله معكم ومعيذكم تبوؤن بالخسران المبين وسوء الحديث غداً بين من عرفكم من المسلمين . وها أنا ذا حامل حتى أغشاه فاحملوا بحملتي . فحمل وحملوا فلما غشيهم اقتتلوا قتالا شديداً ثم ان الطاغية قتل وانهزم جميع العدو فاحتز طارق رأس لوذريق وبعث به الى موسى بن نصير وبعث به موسى مع ابنه وجهز معه رجالا من اهل افريقية فقدم به على الوليد بن عبد الملك ففرض له في الشرف واجاز كل من كان معه ورده الى ابيه موسى . وان المسلمين قد اصابوا مما كان مع لوذريق ما لا يدري ما هو ولا ما قيمته . قال وكتب طارق الى مولاه موسى . ان الامم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث ، فلما اتاه الكتاب نادى في الناس وعسكر وذلك في صفر سنة ثلاث وتسعين وكان احب الخروج اليه يوم الخميس اول النهار فاستخلف عبدالله بن موسى على افريقية وطنجة والسوس وكتب ساعة قدم عليه كتاب طارق الى مروان يأمره بالمسير

فسار مروان بمن معه حتى اجاز الى طارق قبل دخول ابيه موسى وخرج موسى ابن نصير والناس معه حتى اتى المجاز فاجاز بمن زحف معه فى جموعه وعلى مقدمته طارق مولاه فوجد الجموع قد شردت اليه من كل مكان فسار حتى افتتح قرطبة وما يليها من حصونها وقلاعها ومدائنها فغل الناس يومئذ غلولا لم يسمع بمثله ولم يسلم من الغلول يومئذ الا ابو عبد الرحمن الجبلى . ثم ان موسى سار لا يرفع له شئ الا هده يفتتح له المدائن يميناً وشمالا حتى انتهى الى مدينة الملوك وهى طليطلة فوجد فيها بيتاً يقال له بيت الملوك وجد فيها اربعة وعشرين تاجا تاج كل ملك ولى الاندلس ممن كلما هلك ملك جعل تاجه فى ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وا كم هو ويوم مات ويوم ولى ووجد فى ذلك البيت ايضاً مائدة عليها اسم سليمان بن داود عليه السلام ومائدة من جزع فعمد موسى الى التيجان والآنية والموائد فقطع عليها الاغشية وجعل عليها الاماء ليس منها شئ يدرى ما قيمته من امر الذهب والفضة والمتاع فلم يكن يحصيه احد

﴿ اتهام الوليد موسى بالخلع ﴾

قال وذكروا ان الوليد بن عبد الملك بن مروان لما بلغه مسير موسى بن نصير الى الاندلس ظن انه يريد ان يخلع ويقيم فيها ويمتنع بها وقيل ذلك له وابطأت كتب موسى عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو وتوطئة لفتح البلاد فامر الوليد القاضى ان يدعو على موسى اذا قضى صلاته . وان موسى لما دخل طليطلة بعث على ابن رياح سبحها واوفد معه وفداً فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فالقى القاضى يدعو على موسى فقال : ايها الناس الله الله فى موسى والدعاء عليه والله منزع يداً من طاعة ولا فارق جماعة وانه لفى طاعة امير المؤمنين والذب عن حرماته المسلمين والجهاد للمشركين وانى لاحدثكم عهداً به وما قدمت الا من عنده وان عندى خبره وما افاء الله على يده لامير المؤمنين وما أيد به المسلمين مما قر به اعينكم ويسر به خليفتكم .

﴿ دخول وفد موسى على الوليد بن عبد الملك ﴾

قال وذكروا ان الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسى ارسل اليه فادخل عليه ثم قال له ما وراءك فقال كل ما تحب يا أمير المؤمنين تركت موسى

ابن نصير فى الاندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه مالم يفتح على يد احد وقد اوفدنى الى امير المؤمنين فى نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه فدفع اليه الكتاب من عند موسى فقرأه الوليد فلما أتى على آخره خر ساجداً فلما رفع رأسه اناه فتح آخر فخر ايضاً ساجداً ثم رفع رأسه . فأتاه آخر بفتح آخر وخر ساجداً حتى ظننت انه لا يرفع رأسه

﴿ ذكر ماوجد موسى فى البيت الذى وجد فيه المائدة مع صور العرب ﴾

قال وذكروا ان هرم بن عباض حدثهم عن رجل من اهل العلم انه كان مع موسى بالاندلس حين فتح البيت الذى كانت فيه المائدة التى ذكروا انها كانت لسليمان بن داود عليه السلام فقال : كان يتأتى عليه أربعة وعشرون فعلا كان كلما تولى ملك جعل عليه فعلا اقتداء منه بفعل من كان قبله حتى اذا كانت ولاية لوذريق القرطبى الذى افتتحت الاندلس على يديه وفى ملكه قال والله لا أموت نعم هذا البيت ولا فتحنه حتى أعلم مافيه فاجتمعت اليه النصرانية والاساقفه والشمامسة وكل منهم معظم له فقالوا له ماتريد بفتح هذا البيت فقال والله لا أموت بغمه ولا علمت مافيه فقالوا اصلحان الله انه لا خير فى مخالفة السلف الصالح وترك الاقتداء بالاولياء فاقتد بمن كان قبلك وضع عليه فعلا كما صنع غيرك ولا يحملك الحرص على مالم يحملهم عليه فانهم أولى بالصواب منا ومنك فأبى الا فتحه فقالوا له انظر ماظننت ان فيه من المال والجواهر وماخطر على قلبك فانا ندفعه اليك ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا فانهم كانوا اهل معرفة وعلم . فأبى الا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد كتابا فيه : اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد فملكوها . فكان دخول المسلمين من العرب اليه فى ذلك العام

﴿ ذكر ما أفاء الله عليهم ﴾

قال وذكروا عن الليث بن سعد ان موسى لما دخل الاندلس ضربوا الاوتاد لخيولهم فى جدار كنيسة من كنائسها فتلفت الاوتاد فلم تلج فنظروا فاذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام قال وذكروا ان رجلا كان مع موسى ببعض غزواته بالاندلس وانه رأى رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة

والجوهر والياقوت. فلما اثقلتهما انزلاها ثم حملا عليها الفأس فقطعاها نصفين فأخذا نصفا وتركا الآخر قال فلقد رأيت الناس يمرون يميناً وشمالا ما يلتفتون اليها استغناء عنها بما هو انفس منها وارفع قال واقبل رجل الى موسى فقال ابعث معي ادلكم على كنز . فبعث معه موسى رجالا فقال الذي دلهم انزعوا هاهنا فنزعوا فسال عليهم من الزبرجد والياقوت ما لم يروا مثله قط فلما رأوه بهتوا وقالوا لا يصدقنا موسى ارسلوا اليه . فارسلوا حتى جاء وظن قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب والفضة المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد قال وكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيضربا وسطها ويأخذا منها ما أمكنهما اشتغالا بغير ذلك مما هو انفس منه قال الليث وبلغني ان رجلا غل في غزوة عطاء بن رافع فحمل ماغل حتى جعله في مزفت بين كتفيه وصدره فحضره الموت فجعل يصيح المزفت المزفت وحدثنا ابن ابي ليلى النجيبي عن حميد عن ابيه انه قال لقد كانت الدابة تطلع في بعض غزوات موسى فينظر في حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة . قال وكتب موسى حين افتتح الاندلس الى امير المؤمنين . انها ليست كالفتوح يا أمير المؤمنين ولكنه الحشر . واخبرني عن عبد الحميد بن حميد عن ابيه انه قال قدمت الاندلس امرأة عطارد فخرجت بخمسمائة رأس ما بين الذهب والفضة والآنية والجوهر فذلك لا يحاط بعلمه قال وحدثني ياسين بن رجاء انه قدم عليهم رجل من اهل المدينة شيخ فجعل يحدثنا عن الاندلس وعن دخول موسى اياها فقلنا له فكيف علمت هذا قال اني والله من سبيه ولاخبركم بعجيب والله ما اشتراني الذي اشتراني الا بقبضة من فلفل لمطبخ موسى بن نصير فقلنا له ما اقدمك فقال ابي كان من وجوه الاندلس فلما سمع بموسى بن نصير عمد الى عين ماله من الذهب والفضة والجوهر وغير ذلك فدفنه في موضع قد عرفته فتقدمت انا للخروج الى ذلك الموضع لاستخراجه قلنا له وكم لك منذ فارقته قال سبعون سنة قلنا له افنسيته قال نعم فلم ندر بعد ما فعل

(غزوة موسى بن نصير البشكيس والافرنج)

قال وذكروا ان موسى خرج من طليطلة بالجموع غازيا يفتح المدائن جميعاً حتى دانت له الاندلس وجاءه وجوه جليقية فطلبوا الصلح فصالحهم وغزا البشكيس

فدخل فى بلادهم حتى اتى قوماً كالبهائم ثم مال الى افرنجة حتي انتهى الى سرقسطة فافتتحها وافتتح مادونها من البلاد الى الاندلس قال فاصاب فيها مالا يدرى ماهو ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة و بين سرقسطة وقرطبة شهراً أو اربعين ليلة قال وذكروا ان عبدالله بن المغيرة بن ابى بردة قال كنت ممن غزا مع موسى الاندلس حتي بلغنا سرقسطة وكانت من اقصى ما بلغنا مع موسى الا يسيراً من ورائها فأتينا مدينة على بحر ولها اربعة ابواب قال فبينا نحن محاصروها اذ اقبل عياش بن اخيل صاحب شرطة موسى قال ايها الاميراناقد فرقنا الجيش اربا عا على نواحى المدينة وقد بقى الباب الاقصى وعليه رتبة قال له موسى بن نصير دع ذلك الباب فانا سننظر فيه قال ثم ان موسى التفت الى قال لى كم معك من الزاد قلت ما بقى معى غير تليس قال فانت لم يبق معك غير تليس وانت فى أمراء الجيش فكيف غيرك اللهم اخرجهم من ذلك الباب قال المغيرة فاصبحنا من تلك الليلة وقد خرجوا من ذلك الباب فدخلها موسى منه ووجه ابنه مروان فى طلبهم فادركهم فاسرع القتل فيهم واصابوا مما كان معهم ومما فى المدينة شيئاً عظيماً قال وذكروا ان جعفر بن الاشتر قال كنت فيمن غزا الاندلس مع موسى فحاصرنا حصناً من حصونها عظيماً بضعا وعشرين ليلة ثم لم نقدر عليه فلما طال ذلك عليه نادى فينا ان اصبحوا على تعبئة وظننا انه قد بلغه مادة من العدو وقد دنت منا وانه يريد ان تحول عنهم فاصبحنا على تعبئة فقام فحمد الله ثم قال : أيها الناس انى متقدم امام الصفوف فاذا رأيتمونى قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا فقال الناس سبحان الله اترى فقد عقله ام عزب عنه رأيه يامرنا نحمل على الحجارة ومالا سبيل اليه : قال فتقدم بين يدى الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه واقبل على الدعاء والرغبة فأطال ونحن ركوب منتظرون تكبيره فاستعددنا ثم ان موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس فانهدت ناحية الحصن التى تلينا فدخل الناس منها وما راعنى الا خيل المسلمين تمرع فيها وفتحها الله علينا فاصبنا من السبي والجوهر مالا يحصى قال وحدثتنى مولاة لعبدالله بن موسى وكانت من اهل الصدق، والصلاح ان موسى حاصر حصنها الذى كانت من اهله وكان تلقاءه حصن آخر قالت فاقام لنا محاصرا حيناً ومعه أهله وولده وكان لا يغزو الا بهم لما يرجو فى ذلك من الثواب قالت

ثم ان اهل الحصن خرجوا الى موسى فقاتلوه قتالا شديداً ففتح الله عليه قالت فلما رأى ذلك اهل الحصن الآخر نزلوا على حكمه ففتحهما موسى في يوم واحد فلما كان في اليوم الثاني أتى حصناً ثالثا فالتقى الناس فاقتتلوا قتالا شديداً أيضا حتي حال المسلمون حوله قال فامر موسى بسرادقه فكشطه عن نسائه و بنانه حتي برزن قال فلقد كسرت بين يديه من اغماد السيوف مالا يحصى وحمى المسلمون واحتدم القتال ثم ان الله فتح عليه ونصره وجعل العاقبة له وقال عبد الرحمن بن سلام كنت فيمن غزا مع موسى في غزواته كلها فلم تردله رايه قط ولا هزم له جمع قط حتى مات وقال ابن صخر لما قدم موسى الاندلس قال أسقف من أساقفتها : انا نجدك في كتب الحدثان عن دانيال بصفتك صياداً تصيد بشبكتين رجل لك في البر ورجل في البحر تضرب بهما هاهنا وهاهنا فتصيد . قال فسر بذلك موسى واعجبه وقال عبد الحميد بن حميد عن ابيه ان موسى لما وغل وجاوز سرقسطة اشتد ذلك على الناس وقالوا أين تذهب بنا حسبنا ما في ايدينا وكان موسى قال حين دخل افريقية وذكر عقبة بن نافع : لقد كان غرر بنفسه حين وغل في بلاد العدو والعدو عن يمينه وعن شماله وامامه وخلفه اما كان معه رجل رشيد فسمعه حبيش الشيباني قال فلما بلغ موسى ذلك المبلغ قام حبيش فاخذ بعنانه ثم قال : ايها الامير اني سمعتك وانت تذكر عقبة بن نافع تقول لقد غرر بنفسه و بمن معه اما كان معه رجل رشيد وانا رشيدك اليوم اين تذهب تريد ان تخرج من الدنيا او تلتمس اكثر واعظم مما اتاك الله عز وجل وأعرض مما فتح الله عليك ودوخ لك اني سمعت من الناس ما لم تسمع وقد ملؤا ايديهم واحبوا الدعة . قال فضحك موسى ثم قال ارشدك الله وكثر في المسلمين مثلك ثم انصرف قافلا الى الاندلس فقال موسى يومئذ أما والله لو انقادوا الى لقدتهم الى رومية ثم يفتحها الله على يدي ان شاء الله .

(خروج موسى بن نصير من الاندلس)

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سلام أخبرهم وكان مع موسى بن نصير بالاندلس قال اقام موسى بقية سنته تلك واشهراً من سنة اربع وتسعين ثم خرج وافداً الى الوليد بن عبد الملك وكان ما أقام بها موسى عشرين شهرا

واستخلف عبدالعزيز بن موسى فجاز موسى البحر على الاندلس فغزا بالناس حتى بلغوا اربونة ومعه ابناء الملوك من الافرنج وبالتيجان والمائدة والآنية والذهب والفضه والوصفاء والوصائف وما لايحصى من الجوهر والطرائف وخرج معه بوجوه الناس قال وذكروا عن صفة المائدة عن عبدالحميد انه قال : كانت مائدة خوان ليست لها ارجل قاعدتها منها وكانت من ذهب وفضة خليطين فهى تتلون صفرة و بياضاً مطوقة بثلاثة اطواق طوق لؤلؤء وطوق ياقوت وطوق من زمرد قال قلت . فما عظمها قال . كنا نوضع والناس معسكرون اذ قلت بغل لرجل من موالى موسى يقال له صالح ابو ريشة على رمكة فكردها فى العسكر فقام الناس اليه باعمدة الاخبية وجال فى العسكر جولة فتطلع موسى قال ماهذا وتطلع الجوارى فاذا هو بالبغل يكرد الرمكة وقد أدلى فغار موسى وقال احملوا عليه المائدة فلم يبلغ بها الا منقلة حتي تفتحت قوائمه لكثرة ثقلها على هذا البغل القوى

(قدوم موسى افريقية)

قال وذكروا ان يزيد بن مسلم مولى موسى اخبرهم انه لما جاز موسى الحصن امرهم بصناعة العجل فعملت له ثلاثون ومائة عجلة ثم حمل عليها الذهب والفضة والجوهر واصناف الوشى الاندلسى حتى اتى افريقية فلما قدمها بقى بها سنة اربع وتسعين ثم قفل واستخلف ابنه عبدالله على افريقية وطنجة والسوس وخرج معه ولده مروان بن موسى وعبد الاعلى بن موسى وعبد الملك بن موسى وخرج معه مائة رجل من اشراف الناس من قريش والانصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبة وعبد الجبار بن ابى سلمة بن عبدالرحمن بن عوف والمغيرة بن ابى بردة وزرعة بن ابى مدرك وسليمان بن نجد ووجوه من وجوه الناس واخرج معه من وجوه البربر مائة رجل فيهم بنو كسيلة و بنو قصدر و بنو ملوك البربر وملك السوس مزدانة ملك قلعة ارساف وملك ميورقة وخرج بعشرين ملكا من ملوك جزائر الروم وخرج معه مائة من ملوك الاندلس ومن الافرنجيين ومن القرطبيين وغيرهم وخرج معه ايضا باصناف مافى كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرائفها ومالا يحصى فاقبل يجر الدنيا

وراءه جرا لم يسمع بمثله ولا بمثل ماقدم به

﴿ قدوم موسى الى مصر ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن سعيد بن مسلم اخبرهم قال لما اتى موسى مصر وانتهى ذلك الى الوليد بن عبدالملك كتب الى قرة بن شريك ان ادفع الى موسى من بيت مال مصر ما اراد فأقبل موسى حتى اذا كان فى بعض الطريق لقيه خبر موت قرة بن شريك ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين فدخل المسجد فصلى عند باب الصوال وكان قرة قد استخلف ابن رفاعة على الجند حتى توفى فلما سمع بموسى خرج مبادراً حتى لحقه حين استوى على دابته فلقيه فسلم عليه فقال له موسى من انت يابن اخى فانتسب له فقال مرحبا واهلا فسار معه حتى نزل منية عمرو بن مروان فعسكر بها موسى فكلمه حينئذ رفاعة فى المال الذى كان استخرجه من سفيان بن مالك النهرى وذلك بعد مهلك سفيان فقال هو لك قال فأمر بدفع عشرة آلاف دينار الى ولد سفيان بن مالك قال فأقام موسى ثلاثة ايام تأتيه اهل مصر فى كل يوم فلم يبق شريف الا وقد اوصل اليه موسى صلة ومعروفا كثيرا واهدى لولد عبدالعزيز بن مروان فاكثر لهم وجاءهم بنفسه فسلم عليهم ثم سار متوجها حتى اتى فلسطين فتلقاه آل روح بن زنباع فنزل بهم فبلغنى انهم نحروا له خمسين جزورا واقام عندهم يومين وخلف بعض اهله وصغار ولده عندهم واجاز آل مروان وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف وغير ذلك من الطرف

﴿ قدوم موسى على الوليد رحمهما الله تعالى ﴾

قال وذكروا ان محمد بن سليمان وغيره من مشائخ اهل مصر اخبروهم ان موسى لما قدم على الوليد وكان قدومه عليه وهو فى آخر شكايته التي توفى منها وقد كان سليمان بن عبدالملك بعث الى موسى من لقيه فى الطريق قبل قدومه على الوليد يأمره بالتثبط فى مسيره وان لا يعجل فان الوليد بآخر رمقه . فلما اتى موسى بالكتاب من سليمان وقرأه قال : حييت والله ماغدرت وماوفيت والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكنى اسير بمسيرى فان اوافيه حيا لم اتخلف عنه وان عجلت منيته فأمره الى الله فرجع الرسول الى سليمان فأعلمه فقال لئن ظفر بموسى ليصلبنه اولياتين على نفسه فلما قدم موسى على الوليد وكان

الوليد لما بلغه قدوم موسى واقترابه منه وجه اليه كتاباً يأمره اليه بالعجلة فى مسيره خوفا ان تعجل به منيته قبل قدوم موسى عليه وانه اراد ان يراه وان يحرم سليمان ماجاء به فلم يكن لموسى شئ يثبطه حين اتاه كتاب الوليد فأقبل حتي دخل عليه وقدم تلك الطرائف من الدر والياقوت والزبرجد والوصفاء والوصائف والوشى ومائدة سليمان بن داود عليه السلام ومائدة ثانية من جزع ملون والتيجان قال فقبض الوليد الجميع وامر بالمائدة فكسرت وعمد الى افخر مافيها والتيجان والجزع فجعله فى بيت الله الحرام وفرق غير ذلك ولم يلبث الوليد ان مات رحمه الله .

﴿ خلافة سليمان بن عبد الملك وماصنع بموسى بن نصير ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سلام اخبرهم ان سليمان بن عبد الملك لما افضت الخلافة اليه بعث الى موسى فأوتى به فعنفه بلسانه وكان فيما قال له يومئذ أعلى اجترأت وامرى خالفت والله لاقلن عددك ولافرقن جمعك ولابددن مالك ولاضعن منك ما كان يرفعه غيرى ممن كنت تمنيه امانى الغرور وتخدعه من آل ابى سفيان وآل مروان . فقال له موسى : والله ياأمير المؤمنين ماتعتل على بذنب سوى انى وفيت للخلفاء قبلك وحافظت على ولى النعمة عنده فيه فاما ماذكر امير المؤمنين من انه يقل عددى ويفرق جمعى ويبدد مالى ويخفض حالى فذلك بيد الله والى الله وهو الذى يتولى النعمة على الاحسان الى وبه استعين ويعيذ الله عز وجل امير المؤمنين ويعصمه ان يجرى على يديه شيئاً من المكروه لما استحقته ولم يبلغه ذنب اجترمته فأمر به سليمان فوقف فى يوم صائف شديد الحر على طريقة قال وكانت بموسى نسمة فلما اصابه حر الشمس واتعبه الوقوف هاجت عليه قال وجعلت قرب العرق تعتوره فمازال كذلك حتي سقط وعمر بن عبد العزيز حاضر الى ان نظر سليمان الى موسى وقد وقع مغشيا عليه قال عمر بن عبد العزيز : مامر بى يوم كان اعظم عندى ولا كنت فيه اكرب من ذلك اليوم لما رايت من الشيخ موسى وما كان عليه من بعد اثره فى سبيل الله ومافتح الله على يديه . قال فالتفت الى سليمان فقال ياأباحفص ماأظن الاقد خرجت من يميني قال عمر : فاغتنمت ذلك منه فقلت ياأمير المؤمنين شيخ كبير بادن وبه نسمة قد اهلكته وقد اتت على مافيه من السلامة لك من يمينك وهو موسى البعيد الاثر فى سبيل الله العظيم

الغناء عن المسلمين قال عمر والذى منعنى من الكلام فيه ما كنت اعلم من يمينه وحقده عليه فخشيت ان ابتدأته ان يلح عليه وهو لحوح قال فلما قال لى ماقال حمدت الله على ذلك وعلمت ان الله قد احسن اليه وان سليمان قد ندم فيه فقال سليمان من يضمه فقال يزيد بن المهلب انا اضمه يا أمير المؤمنين قال وكانت الحال بين يزيد وموسى لطيفة خاصة قال سليمان فضمه اليك يا يزيد ولا تضيق عليه قال فانصرف به يزيد وقد قدم اليه دابة ابنه مخلد فركبها موسى فاقام اياما قال ثم انه تقارب ما بين موسى وسليمان فى الصلح حتى افتدى منه موسى بثلاثة آلاف الف دينار

﴿ عدد موالى موسى بن نصير ﴾

قال وذكروا عن بعض البصريين ان رجلا منهم اخبرهم ان يزيد قال لموسى ذات ليلة وقد سهر سهراً طويلا يا أبا عبد الرحمن كم تعد موالى بيتك واهل بيتك فقال كثيرا قال يكونون الفا قال له موسى نعم والفا والفا حتى ينقطع النفس لقد خلفت من الموالى ما اظن ان احداً خلف مثلهم قال له يزيد انك لعلى مثل ما وصفت وتعطى بدك ألا أقمت بدار عزك وموضع سلطانك وبعثت بنا قد قدمت به فان اعطيت الرضا اعطيت الطاعة والا كنت على التخير من امرك فقال موسى والله لو اردت ذلك ما تناولوا طرفا من اطرافى الى ان تقوم الساعة ولكن آثرت حق الله ولم أر الخروج من الطاعة والجماعة ثم خرج يزيد من عنده فنظر اليه موسى قال لمن عنده والله ان فى رأس ابى خالد لنفرة ولياتين عليها

﴿ ذكر ما رآه موسى بالمغرب من العجائب ﴾

قال وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشائخ اهل مصر قال لما بعث موسى رحمه الله بالخمس الذى افاءه الله عليه وكان مائة الف رأس فنزلوا بالاسكندرية ونزل بعضهم كنيسة فيها فسميت كنيسة الرقيق الى اليوم ونزلوا موضعا بالقسطاط فتسوقوا فيه فسمى سوق البربر الى اليوم قال محمد بن سليمان ومحمد ابن عبد الملك ان موسى اتخذ لنفسه داراً وسكنا حتى كان من امر سليمان ما قد ذكر وهو الذى اخرجه واهله من المغرب قال وحدثنا بعض اهل افريقية ان موسى ركب يوما حتى خرج من القيروان فوقف قريبا من افريقية على رأس اميال فأخذ بيده ترابا فشمه ثم امر بحفر بئر وابتنى دارا واتخذ فيها خيلا فسميت بئر منية

الخيل فليس يعلم بالمغرب بئر أعذب منها ، وحدثنا الكرير ابو بكر عبد الوهاب ابن عبد الغفار شيخ من مشائخ تونس قال ان موسى انتهى الى صنم يشير باصبعه خلفه ثم تقدم الى صنم امام الصنم الاول فاذا هو يشير باصبعه الى السماء ثم تقدم فاذا بصنم على نهر ماء جار يشير باصبعه تحت قدميه فلما انتهى موسى الى الصنم الثالث قال موسى اخفروا فاذا بحدث مختوم الرأس قد اخرج فأمر به موسى فكسر فخرجت ريح شديدة فقال موسى للجيش اتدرون ماهذا قالوا لا والله ايها الامير ماندرى قال ذلك شيطان من الشياطين التى سجنها نبى الله سليمان بن داود قال وحدثنا بعض مشائخ اهل المغرب ان موسى ارسل ناسا فى مراكب فامرهم ان يسيروا حتى ينتهوا الى صنم يشير باصبعه امامه فى جزيرة فى البحر ثم يسيروا حتى ياتوا صنما آخر فى جزيرة يشير باصبعه امامه ثم يسيروا الليالى والايام ويجدوا فى السير حتى يأتوا صنما آخر فى جزيرة فى البحر فيها اناس لا يعرفوا كلامهم قال فاذا بلغتم ذلك فارجعوا وذلك فى اقصى المغرب ليس وراءه احد من الناس الا البحر المحيط وهو اقصى المغرب فى البر والبحر . قال وحدثنا بعض المشائخ من اهل المغرب ان موسى بلغ نهراً من اقصى المغرب فاذا عليه فى الشق الايمن اصنام ذكور وفى الايسر اصنام اناث وان موسى لما انتهى الى ذلك الموضع خف الناس فلما رأى ذلك منهم رجع بالناس ثم مضى فى وجهه ذلك حتى انتهى الى ارض تميد باهلها فقزع الناس وخافوا فرجع بهم قالوا وحدثنا عبد الله بن قيس قال بلغنى ان موسى لما جاوز الاندلس اتى موضعا فاذا فيه قباب من نحاس فامر بقبة منها فكسرت فخرج منها شيطان نفخ ومضى فعرف موسى انه شيطان من الشياطين التى سجنها سليمان بن داود فامر بموسى بالقباب فتركت على حالها وسار بالناس قال وحدثنا عمارة بن راشد قال بلغنا ان موسى كان يسير فى بعض غزواته وهو باقصى المغرب اذ غشى الناس ظلمة شديدة فعجب الناس منها وخافوا وسار بهم موسى فى ذلك اذ هجم على مدينة عليها حصن من نحاس فلما اتاها اقام عليها وطاف بها فلم يقدر على دخولها فامر بنيل ورماح وندب الناس فجعل يقول من يصعد هذه وله خمسمائة دينار فصعد رجل فلما استوى على سورها تردى فيه ثم ندب الناس موسى ثانية وقال من يصعد وله الف دينار فصعد آخر ففعل به مثل

ذلك ثم ندب الناس ثالثة قال من يصعد وله الف وخمسمائة دينار فصعد رجل ثالث فاصابه ما أصاب صاحبيه فكلم الناس موسى فقالوا هذا امر عظيم اصيب اخواننا وغررت بهم حتى هلكوا فقال لهم على رسلكم يأتيكم الامر على ما تحبون ان شاء الله ثم امر موسى بالمنجنيق فوضعت على حصن المدينة ثم امر ان يرمى الحصن فلما علم من فى الحصن ما عمل موسى ضجوا وصاحوا وقالوا يا ايها الملك لسنا بغيتك ولا نحن ممن تريد نحن قوم من الحن فانصرف عنا فقال لهم موسى اين اصحابى وما فعلوا قالوا هم عندنا على حالهم فقال اخرجوهم الينا قالوا نعم فاخرج الثلاثة نفر فسألهم موسى عن امرهم وما صنع بهم فقالوا ما ندرينا ما كنا فيه وما اصابتنا شوكة حتى اخرجنا اليك فقال موسى الحمد لله كثيرا ثم تقدم بالناس سائراً يفتح كل ما مر به . ثم نرجع الى حديث سليمان بن عبد الملك

﴿ تولية سليمان بن عبد الملك اخاه مسلمة وما أشار به موسى عليه ﴾

قال وذكروا ان سعيد بن عبد الله اخبرهم قال ان سليمان بن عبد الملك بعث مسلمة الى ارض الروم ووجه معه خمسمائة وثلاثين الف رجل وخمسمائة رجل ممن قد ضمه الديوان واكتتب العطاء وتقلب فى الارزاق ثم دعا سليمان بموسى بعد ان رضى عنه على يد عمر بن عبد العزيز فقال له سليمان أشر على يا موسى فلم يزل مبارك الغزوة فى سبيل الله بعيد الاثر طويل الجهاد فقال له موسى : ارى يا أمير المؤمنين ان توجهه بمن معه فلا يمر بحصن الا صير عليه عشرة آلاف رجل حتى يفرق نصف جيشه ثم يمضى بالباقى من جيشه حتى يأتى القسطنطينية فانه يظفر بما يريد يا أمير المؤمنين . قال فدعا سليمان مسلمة فمر ذلك من مشورة موسى واوعز اليه فلما علم مسلمة بالمشورة فكانه كره ذلك وكان فى مسلمة بعض الاباية ثم رجع الى قول موسى فيما صنع بارض الروم حين ظفر ببطريق ليس فوقه الا ملك الروم فقال البطريق لمسلمة آمنى على نفسى واهلى ومالى وولدى وانا آتيك بالملك فامنه ومضى البطريق الى الملك الاعظم فاعلمه بما فعل مسلمة وما ظفر به منه ومن حصون الروم فلما رأى ذلك ملك الروم اعظم ذلك وسقط فى يديه فقال البطريق له عند ذلك ما لى عليك ان صرفت مسلمة عنك وجميع من معه فقال الملك اجعل تاجى على رأسك وأقعدك مكانى فقال البطريق انا اكفيك ذلك

فرجع البطريق الى مسلمة فقال اخرني ثلاثا حتى آتيك بالملك فبعث البطريق الى جميع الحصون فامرهم بالتقلع الى الجبال وحمل ماقدروا عليه من الطعام وامر باحراق الزرع وغير ذلك مما يؤكل وينتفع به مما كان خلفه مسلمة وجنده وما بين المسلمين وملك الروم فلما فعلوا ما امروا به وعلم انه احكم امره بعث الى مسلمة فقال له : لو كنت امرأة لفعلت بك كما يفعل الرجل بامرأته . قال فتغيظ مسلمة وآلى ألا يبرح حتى يظفر بملك الروم

﴿ سؤال سليمان موسى عن المغرب ﴾

قال وذكروا ان محمد بن سليمان اخبرهم ان سليمان بن عبد الملك قال لموسى من خلفت على الاندلس قال له عبد العزيز بن موسى قال ومن خلفت على افريقية وطنجة والسوس قال عبد الله ابني فقال له سليمان لقد انجبت يا موسى فقال موسى ومن انجب مني يا أمير المؤمنين ان ابني مروان اتى بملك الاندلس وابني عبد الله اتى بملك ميورقة وصقلية وسردانية وان ابني مروان اتى بملك السوس الاقصى فهم متفرقون في الامصار وغيرهم يغيرون فيأتون من السبي بما لا يحصى فمن انجب مني يا امير المؤمنين قال فغضب سليمان فقال ولا امير المؤمنين ليس بانجب منك فقال موسى شأن امير المؤمنين شأن ليس فوقه شأن وكل شأن وان عظم دونه لانه به ومنه وعلى يديه وامره . قالوا وحدثنا عبد الله بن شريح قال بلغني ان موسى لما نزل الحيرة عند قدومه من المغرب اتاه رجل من بني امية فقال له يا موسى انت ملك المغرب واعلم الناس تخرج الى الوليد وتعلم من سليمان فقال له موسى : يابن اخي حسبك من قريش ثم من بني أمية ما تعلم الا ترى يا ابن اخي ان الصبي يأخذ العظم فيعقفه بحبل ثم ينصبه ويهيئ ويضع فيه حبة براو ذرة فينصب للهدهد العالم بما تحت الارض ثم تدفعه المقادير الى الوقوع فيه فاحذر يابن اخي ان ترالك الشام اوتراها . فخرج موسى الى الوليد بدمشق فمات الوليد واستخلف سليمان اخاه فلقي منه موسى ماذكرنا واخرج القرشي الى الشام فضربت عنقه .

﴿ ذكر قدوم موسى على الوليد ﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم على الوليد وذلك يوم الجمعة في حين جلوس الوليد ابن عبد الملك على المنبر وكان موسى قال لبعض من وفد معه بان يلبس كل رجل

من الاسرى تاجا وثياب ملك ذلك التاج ثم يدخلوا معه المسجد قال فالبس ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا وهياهم هيئة الملوك وامر بابناء ملوك البربر فهيئوا وامر بابناء ملوك الجزائر والروم فهيئوا كذلك ولبسوا التيجان وامر بابناء ملوك الاشبان فهيئوا بمثل ذلك وامر بالاموال والجوهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والجزع والوطاء والكساء المنسوج بالذهب والفضة المحرش باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فوقف الجميع بباب الوليد وابناء ملوك افرنجة واقبل موسى بالذين البسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق والوليد على المنبر يحمد الله وهو موهون قد ائرت فيه العلة وانهكه المرض وانما كان متحملا لاجل قدوم موسى ومن معه فلما رآهم بهت اليهم وقال الناس موسى موسى ثم اقبل حتى سلم على الوليد ووقف الثلاثون بالتيجان عن يمين المنبر وشماله ثم ان الوليد اخذ فى حمد الله تعالى والثناء عليه والشكر لما ابداه الله ونصره فتكلم بكلام لم يسمع منه واطال حتى فات وقت الجمعة ثم صلى بالناس فلما فرغ جلس ثم دعا بموسى فنصب عليه الوليد الخلع ثلاث مرات واجازه بخمسين الف دينار وفرض لولده جميعاً فى الشرف وفرض لخمسمائة من مواليه ثم ادخل عليه موسى ملوك البربر وملوك الروم وملوك الاشبان وملوك افرنجة ثم ادخل عليه رؤوس اهل البلاد ممن كان معه من قريش والعرب فاحسن جوائزهم وفرض لهم فى الشرف ثم اقام موسى عند الوليد اربعين يوما ثم ان الوليد هلك .

﴿ ذكر اختلاف الناقلين فى صنع سليمان بموسى ﴾

قالوا لما استخلف سليمان بعد اخيه الوليد فكان احنق الناس على الحجاج وموسى بن نصير وكان يحلف لئن ظفر بهما ليصلبنهما وكان حنقه عليهما لامر يطول ذكره. قال فارسل سليمان الى عمر بن عبد العزيز فاتاه فقال انى صالب غداً موسى بن نصير فبعث عمر الى موسى فاتاه فقال له: يابن نصير انى احبك لاربع الواحدة بعد اثرك فى سبيل الله وجهادك لعدو الله والثانية حبك لآل محمد صلى الله عليه وسلم والثالثة حبك عياض بن عقبة لما تعلم من حسن رأيى فيه وكان من عباد الله الصالحين والرابعة ان لابى عندك يداً وصنيعة وانا احب ان تتم يده وصنيعته حيث كانت وقد سمعت امير المؤمنين يذكر انه صالبك غداً فاحدث عهدك وانظر فيما انت

فيه ناظر من امرك فقال له موسى قد فعلت واسندت ذلك اليك فقال له عمر لو قبلت ذلك من احد قبلت منك ولكن اسند الى من احببت فانصرف فلما اصبح اغتسل وتحنط وراح ولم يشك فى الصلب فلما انتصف النهار واشتد الحر وذلك فى حمارة الصيف دعا سليمان موسى فادخل عليه متعبا وكان بادنا جسيما به نسمة لا تزال تعرض له فلما وقف بين يديه شتمه وخوفه وتواعده فقال له موسى : اما والله يا أمير المؤمنين ما هذا بلائى ولا قدر جزائى انى البعيد الاثر فى سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين مع قدمة آبائى مع آبائك ونصيحتى لهم . قال فيقول له سليمان كذبت قتلنى الله ان لم اقتلك فلما اكثر على موسى قال له اما والله لمن فى بطن الارض احب الى ممن على ظهرها فقال سليمان ومن اولئك واستطير فقال له موسى مروان وعبد الملك والوليد اخوك وعبد العزيز عمك قال فسكت سليمان ينكسر ثم يقول قتلنى الله ان لم اقتلك فيقول له موسى ما انت بفاعل يا امير المؤمنين فيقول ولا أم لك فيقول له موسى انى لارجو ان لا يكرم موسى بهوان امير المؤمنين وموسى حينئذ قائم فى الشمس قد ارتفع نفسه وعظم بهره ثم التفت سليمان الى عمر بن عبد العزيز فقال ما أرى يمينى الا قد برئت يا عمر قال عمر فاغتنمتها منه ولم ابال ان يحنث باحياء رجل من المسلمين فقلت اجل يا امير المؤمنين امرؤ كبرت سنه وكثر لحمه وبه نسمة وبهر وستم فما اراه الا ميتا قال ثم التفت سليمان الى جلسائه فقال من يأخذ هذا الشيخ فيستخرج منه هذه الاموال فقال يزيد بن المهلب انا يا امير المؤمنين قال فخذه ولا تمسه وضع العذاب على ابيه مروان وعبد الاعلى فخرج به يزيد فحمله على دابة ابنه ثم انصرف به الى منزله فاكرمه وبره وقال له : أطع امرى واجب امير المؤمنين الى مقاضاته عن نفسك وعن ابيك وحمانى كلما قاضيته عليه . فقال له موسى اما اذا كنت انت صاحب هذا الشأن فانا غير مخبرك فما ضمنت لامير المؤمنين وايم الله لو امر سواك بى وامره بالبسط على لكان احب الى ان القى الله عز وجل واقرب الى من ان يأخذ منى دينارا واحدا ولكن أديا يا بنى عن انفسكما وعن ابيكما فقالا نعم فغدا يزيد بن المهلب الى سليمان فاعلمه بذلك و برضا موسى بمقاضاته فادخله سليمان عليه فقال موسى أرأيت لو لم اقاضك ما كنت فاعلا فقال سليمان اضع العذاب عليك وعلى ابنيك

حتي ابلغ ما اريد او آتي على انفسكم فقال موسى الآن طابت نفسك يا امير المؤمنين فاعطني اربع خصال ولك ما دعوتك اليه من هذا المال فقال وما هن قال لا تعزل عبدالله بن موسى عن افريقية وجميع عمله سنتين وان كل ما جباه عبدالله بافريقية وعبدالعزيز بالاندلس فهو لي فما قاضيت عليه امير المؤمنين وان تدفع الى طارقا مولاي واكون اعلا به عينا وبماله فقال لسليمان اما ما سألت من اقرار عبدالعزيز وعبدالله على مكانهما فذلك لك واما ما سألت من دفع طارق اليك فتكون اعلا عينا به وبماله فليس هذا جزاء اهل النصيحة لامير المؤمنين فلست بفاعل ولا مخل بينك وبين عقوبته ولا آخذ ماله فقضاه موسى على مال فاجله في ذلك وخلى سبيله

﴿ نسخة القضية ﴾ هذا ما قاضى عليه عبدالله سليمان امير المؤمنين موسى ابن نصير فاضاه على اربعة آلاف الف دينار وثلاثين الف دينار وخمسين دينارا ذهباً طيبة يؤديها الى امير المؤمنين وقد قبض منها امير المؤمنين مائة الف وبقي على موسى سائر ذلك اجله امير المؤمنين الى سير رسول امير المؤمنين الى ابن موسى الذي بالاندلس يمكث شهرا بالاندلس وليس لهان يمكث وراءه ذلك يوما واحدا حتى يقبل راجعا بالمال الا ما كان من افريقية ومادنها وليس لموسى ان يتكثر شيء مما كان عليه من العمل منذ استخلف الله امير المؤمنين من ذمة اوفى او امانة فهو لامير المؤمنين يأخذه ويقتضيه ولا يحسبه موسى من غرامته فما ادى موسى الذي سمى امير المؤمنين في كتابه هذا من المال الى ما قد سمى امير المؤمنين من الاجل فقد برئ موسى وبنوه واهله ومواليه وليست عليهم تبعة ولا طلبة في المال ولا في العمل يقرون حيث شاؤا وما كان قبض موسى او بنوه من عمال موسى الى قدوم رسول امير المؤمنين افريقية فهو من الذي على موسى من المال يحسب له من الذي عليه ما لم يقبض قبل وصول رسول امير المؤمنين فليس منه في شي وقد خلى امير المؤمنين بين موسى وبين اهله ومواليه ليس له ظلم احد منهم غير ان امير المؤمنين لا يدفع اليه طارقا مولاه ولا شيئاً من الذي قد اباه عليه اول يوم شهد ايوب بن امير المؤمنين وداود بن امير المؤمنين وعمر بن عبدالعزيز وعبدالعزيز بن الوليد وسعيد بن خالد ويعيش بن سلامة وخالد بن الريان وعمر ابن عبدالله ويحيى بن سعيد وعبدالله بن سعيد وكتبه جعفر بن عثمان في جمادى

سنة تسع وتسعين : فلما تقاضيا امر سليمان يزيد بن المهلب بتخلية موسى وابنيه والكف عنه فاعانه يزيد بن المهلب بمائة الف دينار فاهدى اليه موسى حقاً فيه ثلاث خرزات فبعث بهن الى ابن المهلب فقومهن فقوبلن بثلاثمائة الف دينار فقال ابن المهلب لموسى اتدرى لم قلت لامير المؤمنين انا اضمه قال لا قال خفت ان يحيبه قبلى من لا يرى فيك ما انا عليه لك وكانت لك يد عند المهلب رحمه الله فاحببت ان اجزيك بها عنه وبالله لو لم تفعل وابيت عن المقاضاة ماشاكتك عندى شوكة حتي لا يبقى لآل المهلب مال ولا ثوب . قال فجزاه موسى خيرا

﴿ ذكر يد موسي الى المهلب ﴾

قال وذكروا ان مخبراً اخبرهم من شيوخ الشام ممن ادرك القوم وصحبتهم قال كانت اليد التي اسداها موسى الى المهلب ان عبد الملك بن مروان لما ولى العراق بشراً اخاه جعل معه موسى بن نصير وزيرا ومديرا لامره وقد كانت الازارقة افسدت ماهنالك فامر عبد الملك بشر بن مروان ان يولى المهلب قتالهم وكان بشر للمهلب مسيئا فلما قدم بشر العراق وعلم المهلب برأيه اعتزل بشرا فلم يأته فولى بشر بن مروان قتال الازارقة الوليد بن خالد فانهزم وافتضح ثم ولى بشر رجلا آخر فلم يصنع شيئاً فكتب عبد الملك الى بشر اخيه يفند رايه فيما صنع ويوبخه لما خالف رايه فصمم بشر على رأيه فلما استغلظ امر الازارقة استشار بشر بن مروان اسماء بن خارجة وعكرمة بن ربعي وموسي بن نصير في امر المهلب فاما عكرمة واسماء فوافقا هواه فيه واما موسى فقال له ان امير المؤمنين لا يحتملك على المعصية وليس مثل المهلب في فضله وسرفه وقدره في قومه ومعرفته اقصيت اوجفوت فان كان ما بلغك امر يقال انه اناه فاكشفه عنه حتى تعلم عذره فيه او ذنبه فلم يزل موسى يردد امر المهلب على بشر ويعطفه عليه بعد ان كان هم بقتله ان ظفر به حتى ارسل اليه بشر فجاءه المهلب فتنصل اليه المهلب فقبل منه بشر وولاه ما كان يلى فبعث اليه موسي بخمسين فرسا وبمائة بعير وقال له استعن بها على حربك ثم لم يزل موسي قائما بامره عند بشر حتى هلك بشر . قالوا واخبرنا محمد ابن عبد الملك ان المهلب في الايام التي كان يخاف فيها بشر بن مروان على نفسه خرج الى مال له فكان فيه وحده فأتى رجل الى بشر وعنده موسي فقال له

ان كان لك ايها الامير بالمهلب حاجة فابعث خيلا الى موضع كذا وكذا فانه فيه في غار وحده وليس معه فيه رجل من قومه . فبعث بشر خيلا قال فنهض من مجلسه موسى فوجه اليه غلاما له ثم قال له انت حر لوجه الله ان انت سقت هذه الخيل حتى تنتهي الى موضع كذا وكذا فأتى المهلب فتقول له ان موسى يقول لك النجاة بنفسك فخرج غلام موسى حتى انتهى الى المهلب فاعلمه فاستوى على فرسه فذهب واتت الخيل فلم تجد احدا هناك فانصرفوا راجعين الى بشر فاعلموه بذلك

﴿ ذكر قتل عبد العزيز بن موسى بالاندلس ﴾

وذكروا ان محمد بن عبد الملك اخبرهم قال اقام موسى بن نصير مع سليمان ابن عبد الملك يطلب رضاه حتى رضي عنه وابنه عبد الله بن موسى على افريقية وطنجه والسوس وابنه عبد العزيز على الاندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذي فعل سليمان بابيه موسى تكلم بكلام خفيف حملته عليه حمية لما صنع بابيه على حسن بلائه فنميت الى سليمان فخاف سليمان ان يخلع فكتب الى حبيب بن عبيد وابن وعلة التيمي وسعد بن عثمان بن يأمر وعمرو بن زياد اليحصبي وعمر ابن كثير وعمرو بن شرحبيل كتب الى كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذي بلغه عن عبد العزيز بن موسى وما هم به من الخلع وانه قد كتب لعبد الله بن موسى يأمره باشخاصهم الى عبد العزيز واعلمه انما دعاه الى ذلك الذي احب من مكانفتكم لانه بازاء العدو واعطاهم اليهود ان من قتله منهم فهو امير مكانه . وكتب الى عبد الله ابن موسى اني نظرت فاذا عبد العزيز بازاء عدو يحتاج فيه الى الغناء والبلاء فسأل امير المؤمنين فاحبر ان معك رجالا منهم فلان وفلان فاشخصهم الى عبد العزيز ابن موسى . وكتب سليمان الى عبد العزيز اما بعد فان امير المؤمنين علم ما انت بسبيله من العدو وحاجتك الى الرجال اهل النكاية والغناء فذكر له ان بافريقية رجالا منهم فكتب امير المؤمنين الى عبد الله بن موسى يأمره باشخاصهم اليك فولهم اطرافك وثغورك واجعلهم اهل خاصتك وكتب اليهم سليمان اني قد بعثت لكم بكتاب الى اهل الاندلس بالسمع والطاعة لكم والغدر في قتله فاذا ولاكم اطرافه فاقروا عهدي على من قبلكم من المسلمين ثم ارجعوا اليه حتى تقتلوه . فلما قدم الكتاب على عبد الله بن موسى بافريقية اشخص القوم فخرجوا حتى

قدموا على عبد العزيز بالاندلس بكتاب سليمان فى الطافهم واكرامهم فقربهم عبد العزيز واكرمهم وحياهم وقال لهم اختاروا اى نواحى وثغورى شئتم فضربوا الرأى فقالوا انكم ان فعلتم ما انتم فاعلون ثم رجعتم اليه من اطرافه لم نأمن ان يميل معه عظيم الناس فاد فى يديه الاموال والقوة من مواليه وغيرهم ولكن اعملوا رايكم فى الفتك به قالوا فان هاهنا رجلا ان دخل معنا استقام لنا الامر ووصلنا الى ماردنا وهو ايوب بن حبيب بن اخت موسى قال فلقوه ودعوه الى انه ان قتله فهو مكانه فقبل وبايعوه على ذلك ثم انهم اتوا عبدالله بن عبدالرحمن الغافقى وكان سيد اهل الاندلس صلاحا وفضلا فاعلموه ثم اقرأوه كتاب سليمان فقال لهم : قد علمتم بدموسى عمد جميعكم صغيركم وكبيركم وانما بلغ امير المؤمنين امر كذب عليه فيه والرجل لم ينزع يدا من الطاعة ولم يخالف فيستوجب القتل وانتم ترون وامير المؤمنين لا يرى فأطيعونى ودعوا هذا الامر فأبوا ومضوا على رأيهم فاجمعوا على قتله فوقفوا له فلما خرج لصلاة الصبح ودخل القبلة واحرم وقرأ بام القرآن الكريم واستفتح (اذا وقعت الواقعة) ضربه حبيب بن ابى عبيدة ضربة فدهش ولم يصنع شيئا فقطع عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله ابن وعلة الحميرى واصبح الناس فاعظموا ذلك فاخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم يقبله اهل الاندلس وولوا عليهم عبدالله بن عبدالرحمن الغافقى ووفد حبيب بن أبى عبيدة برأس عبد العزيز بن موسى رحمهما الله

﴿ قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان ﴾

وذكروا ان سليمان لما ظن ان القوم قد دخلوا الاندلس وفعلوا ما كتب به اليهم عزل عبد الله بن موسى عن أفريقية وطنجه والسوس فى آخر سنة ثمان وتسعين فى ذى الحجة واقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى ابن نصير لا يشعر بقتل عبد العزيز ابنه فلما دخلوا على سليمان ووضع الرأس بين يديه بعث الى موسى فأتاه فلما جلس وراء القوم قال له سليمان اتعرف هذا الرأس يا موسى فقال نعم هذا رأس عبد العزيز بن موسى فقام الوفد فتكلموا بما تكلموا به . ثم ان موسى قام فحمد الله ثم قال : وهذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله تعالى عليه فلعمر الله ما علمته

نهاره الا صواما وليله الا قواما شديد الحب لله ولرسوله بعيد الاثر فى سبيله حسن الطاعة لامير المؤمنين شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين فان يك عبد العزيز قضى نحبه فغفر الله له ذنبه فوالله ما كان بالحياة شحيحاً ولا من الموت هائبا وليعز على عبد الملك وعبد العزيز والوليد أن يصرعوه هذا المصرع ويفعلوا به ما أراك تفعل ولهو كان أعظم رغبة فيه وأعلم بنصيحة أبيه أن يسمعوا فيه كاذبات الاقاويل ويفعلوا به هذه الافاعيل . فرد سليمان عليه قال بل ابنك المارق من الدين والشاق عصا المسلمين المنابذ لامير المؤمنين فمهلا أيها الشيخ الخرف فقال موسى . والله مابى من خرف ولا أنا عن الحق بذى جنف ولن ترد محاورة الكلام مواضع الحمام وأنا أقول كما قال العبد الصالح « فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون » فأذن فى رأسه ياأمير المؤمنين واغرورقتا عيناه . فقال له سليمان نعم فخذه فنام موسى فاخذه وجعله فى طرف قميصه الذى كان عليه ثم أدبر فى السماطين فوق الطرف الآخر عن منكبيه وهو يجر لايحفل به ولا يرفعه فقال له خالد بن الريان ارفع ثوبك يابن نصير فالتفت موسى وقال ما أنت وذاك ياخالد قال سليمان دعه حسبه ما فعلنا به فلما توارى موسى قال سليمان ان فى الشيخ لبقية بعد . ثم ان موسى التفت الى حبيب بن أبى عبيدة فكلمه بكلام غليظ حتى ذكر أمراً خفيا من نسبه فافحمه ثم ان سليمان كشف عن أمر عبد العزيز فالفى ذلك باطلا وان عبد العزيز لم يزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل ما رفع اليه عن عبد العزيز ندم وأمر بالوفد فاخرجوا ولم ينظر فى شىء من حوائجهم واهدر عن موسى بقية القضية التى كان سليمان قاضاها عليها وكان سليمان قد آلى قبل خلافته ان ظفر بالحجاج بن يوسف وموسى بن نصير ليعزلنهما ثم لايليان معه من أمور الناس شيئا فلما رضى عن موسى جعل يقول ما ندمت على شىء ندامتى ان لاكنت خلوا من اليمين على موسى فى ان لا اوليه شيئاً ما مثل موسى استغنى عنه . قال وان موسى دخل على سليمان فى آخر يوم من شعبان عند المغرب وهو مستشرف على سطح وعنده الناس فلما رآه سليمان قال عندكم والله من

ان سألتموه عن الهلال ليخبرنكم انه قد رآه وقد غمي يومئذ عن سليمان والناس فلما دنى موسى وسلم قال له سليمان أرأيت الهلال بعد يا موسى قال نعم يا أمير المؤمنين هاهو ذاك وأشار بأصبعه الى ناحية وهو مقبل على سليمان بوجهه فرمى الناس بابصارهم حيث أشار موسى فأبصروا الهلال فلما جلس موسى قال انى والله لست باحدكم بصراً ولكنى أعلمكم بمطالعه ومناسقه قال فخرج فلقيه يزيد بن المهلب فقال له : يا أبا عبد الرحمن بينا أنت ادهى الناس وأعلمهم أقبلت تسوق نفسك حتى تضعها فى يد سليمان فقال له موشى أما علمت يا أبا خالد ان الهدهد يهندس الماء ويعرفه من الارض القضاء ومن الجزونة والسهل ويبصر القريب منه والبعيد ثم ينصب له الصبي الفخ بالدوجة وما أشبهها فلا يبصر ذلك حتى يقع فيه فيؤخذ وذلك انه لا حذر ينجي من قدر ولا رأى ولا بصر وكذلك كنت وسليمان بن عبد الملك . قال وذكروا ان سليمان خرج يوما الى بعض أمواله متنزها فخرج معه موسى بن نصير فعرضت عليهم غنم حلب نحو من ألف راس فاعجب سليمان ما رأى منها والتفت الى موسى قال له هل رأيت مثلها قط قال نعم فرددها سليمان كالمغضب عليه قال موسى نعم يا أمير المؤمنين وما هذا فيما افاء الله عز وجل على يدى لقد كانت الالف تباع بعشرة دراهم أو دونها ولقد كانت فى بعض المواطن وما لها قيمة ولا يلتفت اليها أحد يا أمير المؤمنين ولغير ذلك مما أفاء الله عليهم ولقد رأيت العلج العتل والوصيف القاره والجارية الحسناء وان اكثر ما تبلغ خمسين درهما لكثرة ذلك من صنوفه كلها ولقد رأيت الذود من الابل لا تبلغ قيمته عشرين درهما اكثير يا أمير المؤمنين ما أعلمتك فيما تسمع قال سليمان لا وحمد الله . وذكروا ان موسى دخل على سليمان يوما وعنده الناس فلما رآه سليمان قال ذهب سلطان الشيخ وأبصره موسى حين تكلم فلم يفهم ما قال فلما سلم قال يا أمير المؤمنين رأيتك لما نظرتنى داخلا تكلمت بكلام ظننتك عنيتنى به قال نعم قلت ذهب سلطان الشيخ قال له موسى ، اما والله لئن ذهب سلطان الشيخ لقد أثر الله فى دينه أثرا حسناً ولقد كنت طويل الجهاد فى الله حريصاً فى اظهار دين الله حتى أظهره الله وكنت ممن تم الله به موعده

لتنبيه ولئن أدبر معك لقد كان مع آبائك ناضر الغصن ميمون الطائر . فقال سليمان هو ذاك فقال موسى وهو ذاك فلم يزل يرددها سليمان ويرددها موسى حتى سكت سليمان

﴿ سؤال سليمان بن عبد الملك موسى عن أخباره وأفعاله ﴾

وذكروا ان سليمان قال لموسى . ما الذى كنت تفزع اليه فى مكان حربك من أمور عدوك ؟ قال التوكل والدعاء الى الله ياأمير المؤمنين . قال له سليمان هل كنت تمتنع فى الحصون والخنادق أو كنت تخندق حولك قال كل هذا لم أفعله قال فما كنت تفعل قال كنت أنزل السهل واستشعر الخوف والصبر واتحصن بالسيف والمغفر واستعين بالله وارغب اليه فى النصر قال له سليمان فمن كان من العرب فرسانك قال حمير قال فأى الخيل رأيت فى تلك البلاد اصبر قال شقرها قال فاى الامم كانوا أشد قتالا قال انهم ياأمير المؤمنين كثير مما اصفهم قال له اخبرنى عن الروم قال . اسود فى حصونهم عقبان على خيولهم نساء فى مواكبهم ان رأوا فرصة انتهزوها وان خافوا غلبة فاوعال ترقل فى اجبال لايرون عاراً فى هزيمة تكون لهم منجاة . قال فاخبرنى عن البربر قال هم ياأمير المؤمنين اشبه العجم بالعرب اتاء ونجدة وصبراً وفروسية وسماحة وبادية غير انهم ياأمير المؤمنين غدر ، قال فاخبرنى عن الاشبان قال . ملوك مترفون وفرسان لا يحبنون قال فاخبرنى عن الافرنج قال . هناك يا أمير المؤمنين العدد والعدة والجلد والشدة وبين ذلك أمم كثير ومنهم العزيز ومنهم الذليل وكل قد لقيت بشكله فمنهم المصالح ومنهم المحارب المقهور والعزيز البذوخ . قال فاخبرنى كيف كانت الحرب بينك وبينهم أكانت عقباً قال لا يا أمير المؤمنين ماهزمت لى راية قط ولا فض لى جمع ولا نكب المسلمون معى نكبة مذ اقتحمت الاربعين الى ان شارفت الثمانين قال قال فضحك سليمان وقال فاين الراية التى حملتها يوم مرج راهط مع الضحاك قال تلك ياأمير المؤمنين زبيرية وانما عنيت المروانية فقال صدقت واعجبه قوله وذكروا ان محمد بن عبد الملك حدثهم عن ريان بن عبد العزيز بن مروان قال أنا لجلوس عند سليمان وهو على سطح فسيح والناس يدخلون

حتى دخل موسى من الباب فتحرك بنا سقف السطح من شدة وطئه فسلم ثم جلس فذكر سليمان بيت الذهب الذى فتحه قتيبة بن مسلم فجعل يردد فيه فقال له موسى وما هذا ياأمير المؤمنين بيت لا يكون فيه عشرة آلاف دينار والله لقد بعثت الى أخيك الوليد بثور من زمرد أخضر يصب فيه اللبن فيخضر وانه لمن أدنى ما بعثت به اليه . ولقد أصبت كذا وكذا واصاب المسلمون كذا وكذا وجعل يحدث سليمان بالعجائب قال ريان حتي والله ابهته فلم يزل موسى بباب سليمان عظيم المنزلة عنده فلما كانت سنة ثمان وتسعين تجهز سليمان للحج وأمر موسى بالشخوص والحج معه فذكر له انه ضعيف فامر له سليمان بثلاثين نجيبا موقورة جهازا و بحجرة من حجره وجائزة فحج سليمان وحج معه موسى فبينما هو يسير يوما اذ دعا بموسى فناداه خالد بن الريان وكان موسى يساير رجلا فلم يلتفت موسى الى ندائه ثم دعا به فناداه خالد أيضا فلم يلتفت اليه فقال له الرجل غفر الله لك ألم تسمع دعاء أمير المؤمنين انى أخافه وأخاف ان يغضب فقال موسى ذاك لو كان عبد الملك أو الوليد فاما هذا فانه يرضيه ما يرضى الصبي و يسخطه ما يسخطه وسترى ذلك ثم تقدم موسى حتى لحق ولصق بسليمان فقال له أين كنت يابن نصير فقال له ياأمير المؤمنين أين دوابنا من دوابك انى لمنذ دعانى أمير المؤمنين لفى كد حتى لحقت أمير المؤمنين فضحك سليمان وأمر له بدواب من مراكبه فساير وحادثه ثم انصرف عنه فلحق الرجل اليه فقال له موسى كيف رأيت قال أنت كنت اعلم به فسار سليمان حتى نزل المدينة فى دار يزيد بن رومان قال فحدثنى بعض أهل المدينة انّ موسى قال يوما لبعض من يثق به . ليموتن الى يومين رجل قد بلغ ذكره المشرق والمغرب فلم نظن الا انه يعنى الخليفة فلما كان اليوم الثانى لم أشعر وانا فى مسجد الرسول حتى سمعت الناس يقولون مات موسى بن نصير فاذا هو وصلى سليمان عليه ودفن رحمه الله .

وذكروا ان عبد الله بن صخر أخبرهم قال بينما موسى يسير يوما على دابة له وكان طويلا جسيما فمر به رجلان من قريش وقد تدلت رجلاه وانحنتا وهما لا يعرفانه فقالا ادبر والله الشيخ فسمعهما موسى فقال لهما من انتما

فانتسبا له فقال اما والله ان اميكما لما افاء الله على يدى هذا الشيخ فاهداهما الى أبويكما فقالا له ومن أنت يرحمك الله قال موسى بن نصير فقالا مرحبا واهلا صدقت وبررت والله ما عرفناك فقال لاعليكما قد والله أدبر عنى وبقى منى . وذكروا ان ابراهيم بن سليمان أخبرهم عن من حدثه عن موسى ان الناس قحطوا بافريقية عاما فخرج موسى بالناس فاستسقى فأمر رجلا فقص على الناس ورفقهم فجعل يذكر ثم انه انتحى فى الدعاء للوليد بن عبد الملك فأكثر فارسل اليه موسى . انا لم نأت هاهنا للدعاء للوليد فاقبل على ماله جئنا فعدنا . فلم يلتفت ورجا ان يبلغ الوليد فامر به فسحب حتى خرج من الناس ثم قام موسى ودعا بالناس فما برحنا حتى انصبت السماء بمثل القرب فأوتى موسى بدابة من دوابه فقال والله لاركبت ولكن أخوض الطين وانصرف ماشياً ومشى الناس فسمعته يومئذ يردد فى دعائه. اللهم الشهادة فى سبيلك أو موتاً فى مدينة رسولك . قال فذكروا ان عرفة بن عكرمة حدثهم عن مشائخ من مراد عن رجل منهم كان مع موسى بالاندلس قال . كنت أبصر من مجارى الشمس والقمر شيئاً فوقع فى عند موسى وقيل له عنده علم فوالله ماشعرت حتى أتيت فأخذت فادخلت عليه فاذا بين يديه عصفور مذبوح مشقوق البطن قال لى أدخل يدك فانظر قلت أصلح الله الامير طلقت امرأتى البتة ان كان يعلم قليلا أو كثيراً الا ما يعلم الناس من مجارى الشمس والقمر قال فأمر بى فنحيت ثم دعا برجل من الاعاجم قال ادخل يدك فانظر ماذا ترى وكان من الاسارى فادخل يده فى جوف العصفور فحركه طويلا ثم قلبه ثم قال للترجمان بلسانه انه ليس يموت هاهنا ولكنه يموت بالمشرق فى بلاد العرب فنظر اليه موسى ثم قال له قاتلك الله ما أعلمك قال ثم أمر به فقتل ثم دعانى فأخذ على الايمان ان لاأتكلم به ما بقى ففعلت وكان دخول موسى المغرب سنة تسع وسبعين فى جمادى الاولى وكان يومئذ ابن ستين سنة فاقام بافريقية ست عشرة سنة وقفل منها سنة خمس وتسعين ومات سنة ثمان وتسعين وولى عبد الله بن موسى بافريقية وطنجة والسوس بعد موسى أبيه سنتين وكان عزله عنها فى ذى الحجة سنة سبع وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين

﴿ ذكر ولاة الاندلس بعد موسى بن نصير ﴾

وذكروا ان عبدالعزيز بن موسى ولى الالس بعد ابيه سنة ثم قتل وولى بعده ايوب بن حبيب ستة اشهر ثم الحارث بن عبدالرحمن ثلاث سنين ونصف ثم عنبسة سنتين وتسعة اشهر ثم يحيى بن سلمة سنة وثلاثة اشهر ثم الهيثم بن عبيد سنة وشهرين ثم عبدالرحمن بن عبدالله الغافقى اربع سنين ثم عبدالملك ابن قطن الفرشى ايضا سنة ثم ابن بشر القسرى ستة اشهر ثم ثعلبة بن سلام العاملى خمسة اشهر ثم ابو الخطار بن ضرار الكلبى ثلاث سنين ثم ثوابة بن مسلمة سنة وشهرا فلما وهن سلطان بنى امية بالمشرق ولوا على انفسهم يوسف ابن عبد الرحمن القرشى الفهرى من غير عهد من الخليفة فملك الاندلس عشر سنين الى ان دخل عليه عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان وذكروا انه لما حج سليمان بن عبدالملك ومعه عمر بن عبدالعزيز وذلك فى سنة ثمان وتسعين فلما انتهى الى عقبة بن عسفان نظر سليمان الى السرادقات قد ضربت له ما بين احمر واخضر واصفر وكان يوسف بن عمر قد عمل له باليمن ثلاث سرادقات فكان الذى يلى منها للناس من خز اخضر والذى يليه من خز اصفر ثم الذى يكون هو فيه من وشى احمر محبر من حبرات اليمن مزرر بالذهب والفضة وفى داخله فسطاط فيه اربعة افرشة من خز احمر مرافقها من وشى اصفر وضربت حجب نسائه من وراء فسطاطه وحجر بنيه وكتابه وحشمه قرب ذلك فلما استوى سليمان فى قبة العتبة ونظر الى ما نصب له قال يا عمر كيف ترى هاهنا ؟ قال ارى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضاً انت المسؤول عنها والمأخوذ بها فبينما هما كذلك اذ طار غراب من سرادق سليمان فى منقاره كسرة فصاح الغراب فقال سليمان ما يقول هذا الغراب يا عمر قال عمر ما ادرى ولكن ان شئت اخبرتك بعلم قال سليمان اخبرنى فقال عمر . هذا غراب طار من سرادقك بكسرة هو يأكلها وانت المأخوذ بها والمسئول عنها من اين دخلت وأين اخرجت قال سليمان انك لتجئ بالعجائب يا أبا حفص فقال عمر أفلا أخبرك باعجب من هذا يا أمير المؤمنين قال أخبرنى قال . من عرف الله تعالى كيف يعصاه ومن عرف الشيطان كيف يطيعه ومن ايقن بالموت كيف يهنيه العيش ويسوغ له الطعام ومن

أيقن بالنار كيف يضحك . فقال سليمان نغصت علينا مانحن فيه ياأبا حفص ومن يطق ماتطيق أنت ياعمر أنت والله الموفق المطيع

﴿ ماقال طاووس اليماني لسليمان بمكة ﴾

قالوا ان ابراهيم بن مسلم أخبرهم عن رجاء بن حيوة انه نظر الى طاووس اليماني يصلي في المسجد الحرام فانصرف رجاء الى سليمان بن عبدالملك وهو يومئذ بمكة قد حج ذلك العام فقال اني رأيت طاووس في المسجد فهل لك ان ترسل اليه قال فارسل اليه سليمان فلما اتاه قال رجاء لسليمان ياأمير المؤمنين لا تسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يتكلم فلما قعد طاووس سكت طويلا ثم قال : ماأول شيء خلق فقلنا لاندري فقال أول شيء خلق القلم ثم قال أتدرون أول شيء كتب قلنا لا قال فان أول ما كتب : بسم الله الرحمن الرحيم ثم كتب القدر خيره وشره الى يوم القيامة ثم قال أتعلمون من أبغض الخلق الى الله قلنا لا فقال ان أبغض الخلق الى الله عبد أشركه الله في سلطانه فعمل فيه بمعاصيه ثم نهض . قال رجاء فاظلم على البيت فمازلت خائفاً عليه حتى توارى فرأيت سليمان يحك رأسه بيده حتى خشيت ان تخرج اظفاره لحم رأسه

﴿ ماقال أبو حازم لسليمان ﴾

قالوا وان يحيى بن المغيرة أخبرهم عن عبدالجبار بن عبدالعزيز بن أبي حازم قال لما حج سليمان ودخل المدينة زائراً لقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابن شهاب الزهري ورجاء بن حيوة فاقام بها ثلاثة ايام فقال اما ها هنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له بلى ها هنا رجل يقال له أبو حازم فبعث اليه فجاءه وهو أقور أعرج فدخل عليه فوقف منتظراً للاذن فلما طال عليه الاذن وضع عصيته ثم جلس . فلما نظر اليه سليمان ازدرته عينه فقال له ياأبا حازم ماهذا الجفاء الذي ظهر منك وأنت توصف برؤية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع فضل ودين تذكر به فقال أبو حازم وأي جفاء رأيت مني ياأمير المؤمنين فقال سليمان انه اتاني وجوه اهل المدينة وعلماؤها وخيارها وأنت معدود فيهم ولم تأتني فقال أبو حازم : أعيذك بالله أن تقول مالم يكن ماجرى بيني وبينك معرفة آتيك عليها قال سليمان صدق الشيخ فقال يا ابا حازم

مالنا نكره الموت فقال ابو حازم لانكم اخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال سليمان صدقت ياأبا حازم فكيف القدوم على الآخرة قال نعم : اما المحسن فانه يقدم على الاخرة كالغائب يقدم على أهله من سفر بعيد واما قدوم المسيء فكالعبد الآبق يؤخذ فيشد كتافه فيؤتى به الى سيد فظ غليظ فان شاء عفى وان شاء عذب فبكى سليمان بكاء شديداً وبكى من حوله ثم قال ليت شعرى مالنا عند الله ياابا حازم فقال اعرض نفسك على كتاب الله فانك تعلم مالك عند الله قال سليمان ياأبا حازم واين أصيب تلك المعرفة فى كتاب الله قال عند قوله تعالى « ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم » قال سليمان ياأباحازم فاين رحمة الله قال رحمة الله قريب من المحسنين قال سليمان ياأبا حازم من اعقل الناس قال أبو حازم اعقل الناس من تعلم العلم والحكمة وعلمها الناس قال سليمان فمن احمق الناس فقال من حط فى هوى رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال سليمان فما اسمع الدعاء قال ابو حازم دعاء المخبتين الخائفين فقال سليمان فما ازكى الصدقة عند الله قال جهد المقل قال فما تقول فيما ابتلينا به قال اعفنا عن هذا وعن الكلام فيه اصلحك الله قال سليمان نصيحة تلقيها فقال : ماأقول فى سلطان استولى عنوة بلا مشورة من المؤمنين ولا اجتماع من المسلمين فسفكت فيه الدماء الحرام وقطعت به الارحام وعطلت به الحدود ونكثت به العهود وكل ذلك على تنفيذ الطينة وجمع لمتاع الدنيا المشينة ثم لم يلبثوا ان ارتحلوا عنها فيا ليت شعرى ماتقولون وماذا يقال لكم . فقال بعض جلسائه بئس ماقلت ياأقور أمير المؤمنين يستقبل بهذا فقال أبو حازم أسكت ياكاذب فانما اهلك فرعون هامان وهامان فرعون ان الله قد أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه اى لا ينبذونه وراء ظهورهم قال سليمان ياأباحازم كيف لنا أن نصلح مافسد منا فقال المأخذ فى ذلك قريب يسير ياأمير المؤمنين فاستوى سليمان جالساً من اتكائه فقال كيف ذلك فقال . تأخذ المال من حله وتضعه فى أهله وتكف الاكف عما نهيت وتمضيها فيما أمرت به قال سليمان ومن يطيق ذلك فقال أبو حازم من هرب من النار الى الجنة ونبذ سوء العادة الى خير العبادة . فقال سليمان أصحبنا ياأباحازم وتوجه معنا تصب منا ونصب منك قال أبو حازم أعوذ بالله من ذلك قال

سليمان ولم ياأباحازم قال اخاف ان اركن الى الذين ظلموا فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات فقال سليمان فتزورنا قال أبو حازم . اناعهدنا الملوك ياتون الى العلماء ولم يكن العلماء يأتون الملوك فصار فى ذلك صلاح الفريقين ثم صرنا الآن فى زمان صار العلماء يأتون الملوك والملوك تقعد عن العلماء فصار فى ذلك فساد الفريقين جميعاً قال سليمان فاوصنا ياأبا حازم وأوجز . قال اتق الله ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك من حيث أمرك قال سليمان أدع لنا بخير فقال ابوحازم . اللهم ان كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ الى الخير بناصيته قال سليمان زدنى قال قد أوجزت فان كنت وليه فاغتبط وان كنت عدوه فاتعظ فان رحمته فى الدنيا مباحة ولا يكتبها فى الآخرة الا لمن اتقى فى الدنيا فلا تقع فى قوس يرمى بلاوتر فقال سليمان هات ياغلام الف دينار فأتاه بها فقال خذها ياأباحازم فقال لا حاجة لى بها لانى وغيرى فى هذا المال سواء فان سويت بيننا وعدلت أخذت والا فلا لانى أخاف أن يكون ثمنا لما سمعت من كلامى وان موسى بن عمران عليه السلام لما هرب من فرعون ورد ماء مدين وجد عليه الجاريتين تذودان فقال مالكما معين قالتا لا فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال . « رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » ولم يسأل الله أجراً فلما أعجل بالجاريتين الانصراف انكر ذلك أبوهما فقال لهما ما اعجلكما اليوم قالتا وجدنا رجلا صالحا قوياسقى لنا قال ماسمعتماه يقول قالتا تولى الى الظل وهو يقول « رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » فقال ينبغى لهذا ان يكون جائعاً تنطلق احداكما له فتقول له . ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فأتته احداهما تمشى على استحياء (أى على اجلال له) قالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فجزع موسى من ذلك وكان طريداً فى الفيافى والصحارى فقال لها . قولى لابيك ان الذى سقى يقول لا أقبل أجراً على معروف اصطنعته فانصرفت الى أبيها فاخبرته فقال اذهبى فقولى له أنت بالخيار من قبول مايعرض عليك أبى و بين تركه فاقبل فانه يحب أن يراك ويسمع منك فاقبل والجارية بين يديه فهبت الريح فوصفتها له وكانت ذات خلق كامل فقال لها كونى ورائى وأرينى سمت الطريق فلما بلغ الباب قال استأذنى لنا فدخلت على أبيها فقالت انه مع قوته لامين

فقال شعيب وبم علمت ذلك فأخبرته ما كان من قوله عند هبوب الريح عليها فقال ادخليه فدخل فاذا شعيب قد وضع الطعام فلما سلم رحب به وقال أصب من طعامنا يافتي فقال موسى أعوذ بالله قال شعيب لم قال لأني من بيت قوم لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا قال شعيب لا والله ماطعامي لما تظن ولكنه عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى فأكل . وهذه الدنانير ياأمير المؤمنين ان كانت ثمنا لما سمعت من كلامي فان أكل الميتة والدم في حال الضرورة أحب الى من ان آخذها فاعجب سليمان بامره عجباً شديداً فقال بعض جلسائه ياأمير المؤمنين ان الناس كلهم مثله قال لا قال الزهري انه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط فقال أبو حازم صدقت لانك نسيت الله ونسيتني ولو ذكرت الله لذكرتني قال الزهري اتشتمني قال له سليمان بل انت شتمت نفسك اوما علمت ان للجار على الجار حقاً : قال ابو حازم ان بني اسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الامراء تحتاج الى العلماء وكانت العلماء تعز بدينها من الامراء فلما رؤى قوم من اراذل الناس تعلموا العلم واتوا به الامراء استغنت الامراء عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وهلكوا ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم لكانت الامراء تهابهم وتعظمهم فقال الزهري كأنك اياي تريد وبي تعرض قال هو ما تسمع . قال سليمان ياأبا حازم : عظني واوجز قال حلال الدنيا حساب وحرامها عذاب والى الله المآب فاتق عذابك اودع . قال لقد أوجزت فاخبرني ما مالك قال الثقة بعدله والتوكل على كرمه وحسن الظن به والصبر الى اجله واليأس مما في ايدي الناس قال ياأبا حازم ارفع الينا حوائجك قال رفعتها الى من لا تخذل دونه فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني رضيت مع اني قد نظرت فوجدت امر الدنيا يؤول الى شيئين احدهما لي والآخر لغيري فأما ما كان لي فلو احتلت عليه بكل حيلة ماوصلت اليه قبل اوانه وحينه الذي قد قدر لي واما الذي لغيري فذلك لا أطمع فيه فكما منعني رزق غيري كذلك منع غيري رزقي فعلى م اقتل نفسي في الاقبال والادبار قال سليمان لابد ان ترفع الينا حاجة نأمر بقضائها قال فتقضيها قال نعم قال فلا تعطني شيئاً حتى أسألكه ولا ترسل الي حتى آتيك وان مرضت فلا تعدني

وان مت فلا تشهدني . قال سليمان ابيت يا ابا حازم أبيت قال اتأذن لي اصلحك الله في القيام فاني شيخ قد زمنت قال سليمان يا أبا حازم مسئلة ما تقول فيها قال ان كان عندي علم اخبرتك به والا فهذا الذي عن يسارك يزعم انه ليس شيء يسأل عنه الا وعنده علم يريد الزهري فقال له الزهري عائذا بالله من شرك ايها المرء قال امامن شري فقد عنيت وأما من لساني فلا قال سليمان : ما تقول في سلام الائمة من صلاتهم أواحدة ام اثنتان فان العلماء لدينا قد اختلفوا علينا في ذلك أشد الاختلاف قال على الخبير سقطت أرميك في هذا بخبر شاف : حدثني عامر بن سعد ابن ابي وقاص عن ابيه سعد انه شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم في الصلاة عن يمينه حتى يرى بياض خده الايمن ثم يسلم عن يساره حتى يرى بياض خده الايسر سلاما يجهر به قال عامر وكان ابي يفعل ذلك . واخبرني سهل بن سعد الساعدي انه رأى عمر بن الخطاب وابن عمر يسلمان من الصلاة كذلك فقال الزهري اعلم ما تحدث به ايها الرجل فان الحديث عن رسول الله صعب شديد الا بالتثبت واليقين قال ابو حازم قد علمته ورويته قبل ان تطلع اضراسك في رأسك فالتفت الزهري الى سليمان قال اصلحك الله ان هذا الحديث ما سمعت به من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فضحك أبو حازم ثم قال يا زهري احطت بحديث رسول الله كله قال لا قال فثلاثة ارباعه قال لا قال فثلثه فقال أراني ذلك قد رويت وبلغني فقال ابو حازم فهذا من الثلث الذي لم يبلغك وبقي عليك اسماعه فقال سليمان ما ظلمك من حاجك ثم قام مأذوناً له فأتبعه سليمان بصره ينظر اليه ويعجب به ثم التفت الى جلسائه فقال ما كنت اظنه بقي في الدنيا مثل هذا . قال ثم انصرف سليمان من الحج قافلا الى الشام . وذكروا ان غلمانا لسليمان نازعوا غلمانا لعمر بن عبد العزيز فتعدى غلمان عمر على غلمان سليمان فرفع ذلك الى سليمان واغرى بعمر فقال له سليمان الا تنصف غلماني وهو كالمغضب مما فعل بهم فقال عمر ما علمت هذا قبل هذا الوقت وما سمعت هذا الا في مقامي هذا فقال سليمان كذبت لقد علمته فقال عمر : كذبت والله ما كذبت ولا تعمدت كذبا منذ شددت مئزري على نفسي وان في الارض عن مجلسك لسعة . ثم خرج عمر فتجهز وهو يريد مصر ليسكنها فبلغ ذلك سليمان فندم على ما كان

من قوله وارسل اليه ان لا يبرح وامر رجلا يقول له لا تعتب امير المؤمنين على قوله ولا يذكر هذا فترك عمر الخروج وجلس واقل الاختلاف الى سليمان

﴿ ذكر وفاة سليمان واستخلافه عمر بن عبد العزيز ﴾

قال وذكرا ان خالد بن أبى عمران أخبرهم وكان قد أدرك القوم قال مرض سليمان مرضه الذى مات فيه وذلك فى شهر صفر سنة تسع وتسعين فدخل عليه عمر بن عبد العزيز عائداً فدعا سليمان بنين له صغاراً فقدمهم السيوف فوقعوا فى الارض فقال سليمان قد أفلح من كان له بنون كبار فقال عمر ليس هكذا قال الله فقال سليمان وكيف قال الله فقال عمر قال الله تعالى « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » فقال سليمان انى أريد ان اعهد اليك واوليك أمور الناس بعدى فقال عمر لا حاجة لى بذلك فقال سليمان ولم ذلك فقال لانى لا أريد آخذ أموالهم فاذا لم أرد أخذ أموالهم فما الذى يدعونى الى ضرب ظهورهم فقال سليمان لا بد من هذا فقال عمر ولم ذلك ولك فى ولد عبد الملك سعة فاعفنى من هذا يعفك الله عنك فقال له سليمان والله لا أوليها غيرك بعدى فقال عمر وما الذى يدعوك الى هذا فقال سليمان انى رأيت فى منامى قائلا لى يقول : ان عمر بن عبد العزيز لك جنة ووقاية وجسر تتخطاه فاولت ذلك ان شاء الله ان أوليك الامر من بعدى لتكون ولبتى لك جنة من النار وجسراً أركبه لانجو عليه من عذاب يوم القيامة ثم ليزيد بعدك فانه أرشد ولد عبد الملك فقال عمر ان هذا الامر لا يسعنى وبينى وبين الله عزوجل ان أتقدم على أمة محمد وفيهم خير منى فقال سليمان أما فى آل أمية وعبد شمس فلا أعلم خيراً منك فقال عمر ان لم يكن فى آل أمية وعبد شمس خير منى بقولك ففى آل عبد مناف وآل هاشم من هو خير منى فقال سليمان لا فقال عمر ففى آل تيم وعدى خير منى وملؤا الارض مثلى فقال سليمان انما تريد القاسم وسالما قال نعم اياهما أردت فقال سليمان رجلان صالحان ذكرت ولكنهما ليسا للملك ولا الملك لهما ولا من معدن الملك هما مع انه ليس بزمان خلافة ولا أيام يملك فيها مثل القاسم وسالم انما هو زمان ملك وسيف وانما هى زئاب تعد وليست على غنم تؤمن فقال عمر الله المعين

المصلح لمن أراده . فسكت سليمان وظن ان عمر رضى بما قال له . ثم دعا سليمان بصحيفة ثم كتب ويده ترعش من شدة العلة لا يعلم أحد بما يخط فكتب عهد عمر ثم من بعد عمر ليزيد ثم ختم عليه بيده متحاملا لذلك وعمر لا يشك ان الامر فيه قد صار لغيره ثم دعا سليمان برجاء بن حيوة فقال له خذ هذا الكتاب فانه عهدى فاجمع اليك قريشاً وأمراء الاجناد واعلمهم انه عهدى وان من كان اسمه فى كتابى هذا فهو الخليفة بعدى فمن نزع عن ذلك وأباه فالسيف السيف والقتل القتل . ثم رفع سليمان يديه الى السماء فقال اللهم ان ذنوبى قد عظمت وجلت وهى صغيرة يسيرة فى جانب عفوك فاعف عنى يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفر عنى ما بينى و بينك من الذنوب واجعل عفوك بينى و بين خلقك وارضهم بما شئت يا أرحم الراحمين اللهم ان كنت تعلم منى غير ما من ضميرى ان اما أردت بعهدى هذا وتوليتى من رأيت فيه وجهك ورضاك فاغفر لى وارحمنى ثم تحلحل لسانه فلم يتوصل الكلام من ثقل العلة ثم سكت وأغمى عليه . قال رجاء فخرجت وعمر معى فقلت له ما أراك الا صاحب الامر فقال عمر ما أحسب ذلك فقلت ومن عسى ان يكون فى آل مروان من يريد سليمان توليته غيرك فقال عمر ما أراه عهد الا لاحد ارجلين اما القاسم أو سالم قال رجاء فقلت له أسمعت ذلك منه فقال عمر ما سمعته ولكنه دار بينى و بينه كلام آنفا قبل دخلتك لا أشك انه أراد أحدهما قال رجاء فقلت والله هذا الاختلاف فى أمة محمد والفتن الظاهرة القاصمة للظهور الفانية للانفس فقال عمر وما ذلك فقال رجاء لان قريشاً ونحوها لا ترضى بهذا ولا تصير اليه ولا آل أمية وعبد شمس حيث كانت من الارض فقال عمر ان الامر لله من قبل ومن بعد يؤتى الملك من يشاء فقال رجاء فخرجت الى الناس واعلمتهم بعهد أمير المؤمنين فقالوا سمعا وطاعة ثم اعلمتهم بابتهاله ورغبته الى الله وما قال فلم يشك الناس ان عمر بن عبد العزيز صاحبهم فارادوا ان يسلموا عليه بالخلافة وذلك لما يتوا بهلاك سليمان فقلت لهم لا تعجلوا فان عمر قال لى أرى سليمان ما أراد الا القاسم أو سالماً وهذا أفطن منى بهذا الامر لانه كان حاضراً وسليمان يكتب العهد

بيده فضج الناس من ذلك واختلفوا . فقالت فرقة سمعنا واطعنا لمن استخلف عينا كان من كان وقالت فرقة لا والله لا نقر بهذا ولا نطيعه ولا يستخلف علينا الامر وانى ولا تبقى منا عين تطرف فى الدنيا . فقال رجاء لعمر كيف ترى قولى والله لئن كان هذا اله لهو البلاء المبين وانها الفتنة قد فتح بابها فقال عمر ارجو الله ان يغلقه ان شاء الله قال رجاء فقلت لعمر مانحن صانعون ان كان هذا فقال عمر لا أدرى ما اقول فى موقفى هذا قال رجاء ولم فقال عمر : لانى والله ماوقفت موقفاً قط لا رأى لى فيه ولا بصيرة الا موقفى هذا فانى قد أجدنى قد ذهب روعى وفقدت رأيى ولا أدرى ماأستقبل من أمرى ولا ماأستدبر ولو استطعت الفرار لفررت من موضعى هذا حيث لاأدرك ولا أرى . قال رجاء فلما قاولنى بهذا علمت انه الذى اريد من فقده لرأيه و بصيرته قال رجاء فقلت له يا أبا حفص فاين نحن من المفزع الى الله والرغبة فى اصلاح علينا وعلى المسلمين ويعزم لنا على مافيه الخير والخيرة فقال عمر بلى والله هذا الملجأ وهذا الحصن الحصين والمعقل الشديد قال رجاء فبتنا ليلتنا لا نألوا على أنفسنا فى الدعاء والاستخارة لله فلما اصبحنا قلت لعمر ماترى يا أبا حفص فقال أرى أن اسمع وأطيع لمن فى هذا الكتاب فان كان أحد الرجلين سمعت له وأطعت ورددت من أدبر عنه بمن أقبل عليه حتى أموت فبينما نحن كذلك اذ أقبل وصيف يسعى اليهما يقول قد قضى أمير المؤمنين نحبه فخرجا فاذا بالعويل والنوح فرجعا الى المسجد ترعد فرائصهما والناس يسلمون على عمر بالخلافة وهو يقول لست به لست به حتى دخل المسجد وقد اجتمع الناس وهم مستعدون للفتنة والقتال ان خالف العهد مايريدون فقام رجاء الى جانب المنبر فحمد الله وحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة واعلمهم بما فى الفرقة والاختلاف من ذهاب الدين والدنيا ثم أخرج العهد ففضه بمحضر منهم ثم قرأه عليه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عهد انه يشهد لله بالربوبية والوحدانية وان محمداً عبده ورسوله بعثه الى محسنى عباده بشيراً والى مذنبيهم نذيراً وان الجنة والنار مخلوقتان حق ، خلق الجنة رحمة لمن

أطاعه والنار عذاباً لمن عصاه وواجب العفو لمن عفى عنه وان سليمان مقر على نفسه بما يعلم الله من ذنوبه موجبا على نفسه استحقاق ما خلق من النقمه واجبا لنفسه ما خلق من الرحمة ووعد من المغفرة راج لما وعد من الرحمة وان المقادير كلها خيرها وشرها من الله وانه هو الهادى لم يستطع أحد لمن خلق الله لرحمته غواية ولا لمن خلق لعذابه هداية ، وان الفتنة فى القبور بالسؤال عن دينه ونبيه الذى أرسل الى امته لا منجى لمن خرج من الدنيا الى الآخرة من هذه المسألة وسليمان يسأل الله بواسع فضله وعظيم منه الثبات على الحق عند تلك المسألة والنجاة من هول تلك الفتنة وان الميزان حق يقين يضع الموازين القسط ليوم القيامة « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون » ومن خفت موازينه فاولئك هم الخاسرون . وان حوض محمد صلى الله عليه وسلم يوم الحشر والموقف حق عدد آنيته كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وسليمان يسأل الله برحمته ان لا يرده عنه عطشان . وان أبا بكر وعمر خير هذه الامة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم والله يعلم بعدهما حيث الخير وفيمن الخير من هذه الامة . وان هذه الشهادة المذكورة فى عهده هذا يعلمها من سره واعلانه وعقد ضميره وان بها عبد ربه فى سالف ايامه وماضى عمره وعليها اتاه يقين ربه وتوفاه اجله وعليها يبعث بعد الموت ان شاء الله وان سليمان كانت له بين هذه الشهادة بلايا وسبئات لم يكن له عنها محيص ولا دونها مقصر بالقدر السابق والعلم النافذ فى محكم الوحى فان يعف ويصفح فذلك ما عرف منه قديما ونسب اليه حديثاً وذلك الصفة التي وصف بها نفسه فى كتابه الصادق وكلامه الناطق وان يعاقب وينتقم فيما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد . وانى اخرج على من قرأ عهدى وسمع مافيه من حكمه ان ينتهى اليه فى أمره ونهيه بالله العظيم وبمحمد صلى الله عليه وسلم وان يدع الاحن ويأخذ بالمكارم ويرفع يديه الى السماء بالابتهال الصحيح والدعاء الصريح يسأله العفو عنى والمغفرة لى والنجاة من فزعى والمسألة فى قبرى لعل الودود أن يجعل منكم مجاب الدعوة بما على من صفحه يعود ان شاء الله . وان ولى عهدى فيكم وصاحب أمرى بعد موتى فى كل من استخلفنى الله عليه الرجل الصالح

عمر بن العزيز بن عمى لما بلوت من باطن أمره وظاهره ورجوت الله بذلك وأردت رضاه ورحمته ان شاء الله ثم ليزيد بن عبد الملك من بعده فانى ما رأيت منه الا خيراً ولا اطلعت له على مكروه وصغار ولدى وكبارهم الى عمر اذ رجوت الا يألوهم رشداً وصلاحاً والله خليفتى عليهم وهو أرحم الراحمين واقرأ عليكم السلام ورحمة الله ، ومن أبى عهدى هذا وخالف أمرى فالسيف، ورجوت ان لا يخالفه أحد ومن خالفه فهو ضال مضل يستعتب فان أعتب والا فالسيف « والله المستعان » ولا حول ولا قوة الا بالله التدبير الاحسان .

﴿ أيام عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا عن خالد بن أبى عمران انه قال : انى لحاضر يوم قرئ عهد سليمان فى المسجد بدمشق على الناس فما رأيت يوما اكثر باكياً ولا داعياله بالرحمة من ذلك اليوم فلم يبق محب ولا مبغض ولا خارجى ولا حرورى الا آخذ الله له بقلوبهم وابتهلوا بالدعاء واخلصوا له بالسؤال بالعفو من الله ورضى الناس اجمعون فعله . قال خالد ثم بايع الناس لعمر فى المسجد بيعة تامة جامعة طيبة بها النفوس لا يشوبها غش ولا يخالطها دنس . قال خالد وسمعت رجاء يقول لما تمت البيعة انى مهما شككت فى شئ فانى لم أشك يوم البيعة لعمر بالنجاة والرحمة لسليمان ان شاء الله واستفتح عمر ولايته ببيع أموال سليمان ورباعه وكسوته وجميع ما كان يملكه فبلغ ذلك أربعة وعشرين ألف دينار فجمع ذلك كله وجعله فى بيت المال ثم دخل على زوجته فاطمة ابنة عبد الملك فقال لها يافاطمة فقالت لبيك ياأمير المؤمنين فجعل يبكى وكان لها محباً وبها كلفا ثم استفاق من بكائه فقال لها اختاربنى أو اختارى الثوب الذى عمل لك أبوك وكان قد عمل لها ابوها عبد الملك ثوبا منسوجا بالذهب منظوما بالدر والياقوت انفق عليه مائة ألف دينار فقال لها ان اخترتينى فانى آخذ الثوب فاجعله فى بيت المال وان اخترت الثوب فلست لك بصاحب فقالت أعوذ بالله ياأمير المؤمنين من فراقك لاحاجة لى بالثوب فقال عمر وانا افعل بك خصلة اجعل الثوب فى آخر بيت المال وانفق مادونه فان وصلت اليه انفقته فى مصالح المسلمين وانما هو من أموال المسلمين انفقت فيه وان بقى الثوب ولم

احتج اليه فلعل ان يأتى بعدى من يرده اليك قالت افعل يا أمير المؤمنين ما بدالك ثم دخل عليه ابن له وعليه قميص قد تذعذع فقال له عمر رقع قميصك يابنى فوالله ما كنت قط باحوج اليه منك اليوم

﴿ ذكر قدوم جرير ابن الخطفى على عمر بن عبد العزيز ﴾

قال وذكروا عن عبد الاعلى بن ابى المشاور انه أخبرهم قال قدم جرير شاعر أهل العراق وأهل الحجاز على عمر أول ماستخلف فاطال المقام ببابه لا يصل اليه حتى قدم عليه عون بن عبد الله الهزلى وكان من عباد الناس وخيارهم وعليه جبة صوف وعمامة صوف قد أسداها خلفه فجعل يتخطى رقاب الناس من قريش بنى أمية وغيرهم لا يمنع ولا يحجب ومثله من أكابر الناس وخيارهم وفضلاء العباد وقريش لا يصلون ولا يدخلون فلما خرج عون ابن عبد الله اتبعه جرير ابن الخطفى . وهو يقول

يأيها الرجل المرخى عمامته ... هذا زمانك انى قد مضى زمنى
ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه ... انى لدى الباب كالمفقود فى قرن
فاحلل عن فؤادى فقد طال المقام به ... وشطت الدار عن أهلى وعن وطنى

قال فحسن له عون بن عبد الاعلى ان يدخله عليه فلما دخل على عمر قال ياأمير المؤمنين هذا جرير الخطفى بالباب يريد الاذن فقال عمر ما كنت ارى احدا يحجب عنى قال انه يريد اذنا خاصا . قال له عمر اله عن ذكره ثم حدثه طويلا ثم قال يا أمير المؤمنين ان جريراً بالباب فقال اله عن ذكره قال اذاً لا اسلم من لسانه فقال عمر اما اذ قد بلغ منك خوف لسانه ما أرى فأذن له فدخل جرير فلما كان قيد رمح أو رمحين وعمر منكس رأسه قال السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله ثم قال . ان الخلفاء كانت تتعاهدنى فيما مضى بجوائز وصلات وقد أصبحت الى ذلك منك محتاجا . ثم أنشا يقول .

قد طال قولى اذا ما قمت مبتهلا ... يارب اصلح قوام الدين والبشر
انا لنرجو اذا ماالغيث اخلفنا ... من الخليفة مانرجو من المطر
أأ ذكر الجهد والبلوى التى نزلت ... أم قد كفانى ما بلغت من خبر
ما زلت بعدك فى هم يؤرقنى ... قد طال فى الحى اصعادى ومنحدرى

لا ينفع الحاضر المجهود باديه ... ولا يعود لنا باد على حضر
كم بالتمامة من شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به ... خبلا من الجن أو مسا من البشر
فان تدعهم فمن يرجون بعدكم ... أو تنجح منها فقد انجبت من ضرر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
خليفة الله ماذا تأمرن بنا ... لسنا اليكم ولا فى دار منتظر
أنت المبارك والمهدى سيرته ... تعصى الهوى وتقوم الليل بالسور

قال فبكى عمر وهملت عيناه وقال ارفع حاجتك الينا ياجرير قال جرير ما عودتنى الخلفاء قبلك قال وما ذلك قال أربعة آلاف دينار وعوارها من الحملان والكسوة . قال عمر أمن ابناء المهاجرين أنت قال لا قال أفمن أبناء الانصار انت قال لا قال أفقير أنت من فقراء المسلمين قال نعم قال فاكتب لك الى عامل بلدك ان يجرى عليك مايجرى على فقير من فقرائهم . قال جرير أنا أرفع من هذه الطبقة يا أمير المؤمنين قال فانصرف جرير فنال عمر ردوه على فلما رجع قال له عمر قد بقيت خصلة أخرى عندى نفقة وكسوة أعطيك بعضها ثم وصله بأربعة دنانير فقال وأين نقع منى هذه ياأمير المؤمنين فقال عمر انها والله لمن خالص مالى ولقد أجهدت لك نفسى فقال جرير والله ياأمير المؤمنين انها لاحب مال كسبته . ثم خرج فلقيه الناس فقالوا لعمر وراءك قال : جئتكم من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانى عنه لراض

﴿ دخول الخوارج على عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا ان ابن حنظلة أخبرهم قال بعثنى وعون بن عبد الله عمر بن عبد العزيز الى خوارج خرجت عليه بالحيرة رأسهم رجل من بنى شيبان يقال له شوذب وكتب معنا كتابا اليهم فقدمنا عليهم فبعثوا معنا اليه رجلين أحدهما من العرب فاتينا بهما عمر فدخلنا عليه وتركناهما بالباب فقلنا له .انا قد بلغنا عنك وقد بعثوا معنا رجلين هما بالباب قال فتشوهما الا يكون معهما حديد او شىء ففعلنا ثم اننا ادخلناهما عليه . فلما دخلا قالا السلام عليكم قال وعليكم السلام أجلسا فلما جلسا قال لهما عمر ما الذى أخرجكم علينا

فقال العربي وكان أشدهما كلاماً وأنهما عقلا اما انا لم ننكر عليك عدلك ولا سيرتك ولكن بيننا و بينك أمر هو الذى يجمع و يفرق بيننا فان أعطيناه فنحن منك وأنت منا وان لم تعطناه فلسنا منك ولست منا . فقال عمر فما هو فقال . خالفت أهل بيتك وسميتهم الظلمة وسميت أعمالهم المظالم فان زعمت انك على الحق وانهم على الباطل فالعنهم وتبرأ منهم فقال عمر . انكم لم تتركوا الاهل والعشائر وتعرضتم للقتال الا وأنتم فى أنفسكم مصيبون ولكنكم اخطأتم وضللتم وتركتم الحق اخبرانى عن الدين اواحد أو اثنان قالا بل واحد قال افيسعكم فى دينكم شيء يعجز عنى قالا لا قال فاخبرانى عن أبى بكر وعمر ماحالهما عندكم قالا أفضل الناس أبو بكر وعمر قال . السنا تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفى ارتدت العرب فقاتلهم ابو بكر فقتل الرجال وسبى النساء والذرية قالا بلى قال عمر فلما توفى أبو بكر وقام عمر ورد تلك النساء والذرارى الى عشائرهما فهل تبرأ عمر من أبى بكر ولعنه بخلافه اياه قالا لا قال فتتولونهما على خلاف سيرتهما قالا نعم قال عمر فما تقولان فى بلال بن مرادس قالا من خير اسلافنا قال افليس قد علمتم انه لم يزل كافا عن الدماء والاموال وقد لطخ اصحابه أيديهم فيها فهل تبرأت منه احدى الطائفتين من الاخرى أو لعنت احداهما الاخرى قالا بلى قال فتتولونهما جميعا على خلاف سيرتهما قال نعم قال عمر فاخبرانى عن عبد الله بن وهب حين خرج باصحابه من البصرة يريدون أصحابهم فمروا بعبد الله بن خباب فقتلوه و بقروا بطن جاريته ثم عدوا على قوم من بنى قطيعة فقتلوا الرجال وأخذوا الاموال وغلوا الاطفال فى المراجل ثم قدموا على أصحابهم من الكوفة وهم كافون عن الدماء والفروج والاموال هل تبرأت احدى الطائفتين من الاخرى أو لعنت احداهما الاخرى قال لا قال فتتولونهما على خلاف سيرتهما قالا نعم . فقال عمر فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم فى السيرة والاحكام لم يتبرأ بعضهم من بعض ولا لعن بعضهم بعضا وأنتم تتلونهم على خلاف سيرتهم فهل وسعكم فى دينكم ذلك ولا يسعنى حين خالفت أهل بيتى فى الاحكام والسيرة حتى ألعنهم وأتبرأ منهم . اخبرانى عن اللعن فرض على العباد قالا نعم فقال عمر

متى عهدك بلعن فرعون قال ما بالى به من عهد منذ زمان قال عمر هذا رأس من رؤوس الكفار ليس لك عهد بلعنه منذ زمان وانا لا يسعنى ان العن من خالفتهم من أهل بيتي الستم انتم الذين تؤمنون من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفه وتخيفون من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمنه فقالا نبرأ الى الله تعالى من هذه الصفة . فقال بلى فأخبركما عن ذلك السما تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج والناس أهل كفر فدعاهم ان يقروا بالله ورسوله فمن أبى قاتله وخوفه ومن أقر بهما امنه وكف عنه ؟ وانتم اليوم من مر بكم مقر بهما قتلتموه ومن لم يقر بهما امنتموه وخليتم سبيله فقال العربى تالله ما رايت حجيجاً أقرب مأخذاً ولا أوضح منهاجا منك اشهد انك على الحق وانا على الباطل وقال الآخر : لقد قلت قولا حسنا وما كنت لافتات على أصحابى حتى القاهم فلحق باصحابه وأقام الآخر عند عمر فاجرى عليه العطاء والرزق حتى مات عنده

﴿ وفاة عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا ان عبد الرحمن بن يزيد أخبرهم قال كتب عمر بن عبد العزيز الى ابن أبى زكريا . أما بعد فاذا نظرت فى كتابى فاقدم فقدم عليه فقال مرحبا بابن أبى زكريا قال وبك يا أمير المؤمنين قال حاجة لى قبلك قال بين الانف والعين حاجتك ياأمير المؤمنين ان قدرت عليها قال لست اكلفك الا ما تقدر عليه قال نعم قال أحب ان تثنى على الله بمبلغ علمك حتى اذا فرغت سألت الله ان يقبض عمر فقال . « انا لله وانا اليه راجعون » بئس واغد أمة محمد انا هذا لا يحل لى قال فانى اعزم عليك بحق الله وبحق رسوله وبحق ان كان لى عليك حق الا ما فعلته فبكى ثم استرجع ثم اقبل يثنى على الله وانه ليبكى حتى اذا فرغ قال . اللهم ان عمر سألنى بحقك وبحق رسولك وبحقه على ان ادعوا فى قبضه اليك فاقبض عمر اليك كما سأل ولا تبقنى بعده وجاء حينئذ بنى لعمر فسقط فى حجره فقال وهذا أى ربى معنا فانى اخبه . قال فما كانوا الا كخرزات فى خيط فانقطع الخيط فاتبع بعضها بالسقوط بعضاً

﴿ ذكر رؤيا عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا ان مزاحم مولى عمر قال اخبرتني فاطمة ابنة عبد الملك امرأة عمر قالت كان لعمر بن عبد العزيز مكان يخلو فيه فأبطأ على ذات ليلة فقلت لآتينه فوجدته نائما فهبته ان ايقظه فما لبث الا قليلا حتى رفع رأسه فقال من هذا فقلت انا فاطمة فقال يا فاطمة لقد رأيت رؤيا ما رأيت احسن منها فقلت حدثني بها يا أمير المؤمنين قال . رأيت كاني في ارض خضراء لم أر أحسن منها ورأيت في تلك الارض قصراً من زبرجد ورأيت جميع الخلائق حول ذلك القصر فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فقال أين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقام النبي عليه السلام فدخل القصر فقلت سبحان الله انا في جمع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسلم عليه فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى أين ابو بكر بن ابي قحافة فقام ابو بكر فدخل فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى أين عمر بن الخطاب ابن الفاروق فقام عمر فدخل فقلت سبحان الله انا في ملا فيهم جدي لم اسلم عليه فما لبثت الا يسيرا حتى خرج المنادي فقال اين عثمان بن عفان فقام عثمان فدخل فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى اين علي ابن ابي طالب فقام فدخل فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادي فنادى اين عمر ابن عبد العزيز قال فقمت فدخلت فلما صرت في القصر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعثمان وعليا امامه فقلت اين اقعد لا اقعد الا الى جنب عمر قال فرأيت فيما بين النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر شابا حسن الوجه حسن الهيئة فقلت لعمر من هذا قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام فما لبثت الا قليلا حتى خرج عثمان بن عفان وهو يقول الحمد لله الذي نصرني ربي ثم خرج علي وهو يقول الحمد لله الذي غفر لي ربي ثم نودي لي اين عمر بن عبد العزيز فقمت فصرت بين يدي ربي فحاسبني فلقد سألني عن النقير والقتيل والقطمير حتى خفت ان لا انجو ثم قمت فخرجت فقيل لي اثبت وتمسك على ما انت عليه فبينما انا سائر فاذا بحيفة قد علا نتنها الخلائق فضربتها برجلي وقلت لمن معي لمن هذه الجيفة فقيل لي هذا الحجاج بن يوسف فضربته برجلي فقلت له ما فعل الله بك يا حجاج قال يا أمير المؤمنين والله لقد قتلت بكل قتيل

قتلته قتلة بسيف من نار ولقد قتلت بسعيد بن جبير اثنين وسبعين قتلة . فقلت فآخر امرك ماهو قال انا هاهنا انتظر ما ينتظر من وحدالله وآمن برسوله . قالت فاطمة فلم يبق عمر بعد هذه الرؤيا الا يسيرا حتى مرض مرضه الذى مات فيه فدخل عليه مسلمة بن عبدالملك فقال له يا امير المؤمنين انك لتترك ولدك عالة على الناس فاوص بهم الى اكفك امرهم فانك لم تمولهم شيئاً ولم تعطهم فقال عمر . يا أبا سعيد ان ولدى لهم الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثم دعاهم عمر وهم اربعة عشر غلاماً فنظر اليهم عمر وقد لبسوا الخشن من قباطى مصر فاغرورقت عيناه بالدموع . قال لهم اوصكم بتقوى الله العظيم وليجل صغيركم كبيركم وليرحم كبيركم صغيركم . ثم قال لمسلمة يا أبا سعد انما ولدى على احد امرين اما عامل بطاعة الله فلن يضيعه الله واما عامل بمعصيته فلا احب ان يعينه بالمال قوموا عصمكم الله ووفقكم . ثم دعا رجاء بن حيوة فخلا به فقال يا رجاء ان الموت قد نزل وانا اعهد اليك عهداً لا اعهده الى غيرك اذا انا مت فكن ممن يقبرنى فاذا سويت على اللبن فارفع لبنة ثم اكشف عن وجهى وانظر اليه فانى قبرت ثلاثة رجال بيدى وكشف عن وجوههم فنظرت وجوههم قد اسودت وعيونهم قد برزت من وجوههم فاكشف عن وجهى يا رجاء وانظر اليه فان رأيت شيئاً من هذا فاستر على ولا تعلم به أحداً وان رأيت غير ذلك فاحمدالله عليه قال رجاء ففعلت ذلك فلما سويت عليه اللبن رفعت لبنة وكشفت وجهه فاذا وجهه مثل القمر ليلة البدر واذا على صدره صك فيه خط ليس من كتابة الآدميين . بسم الله الرحمن الرحيم كتاب بالقلم الجليل من الله العزيز العليم براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الاليم .

﴿ ماعلم به موت عمر رحمه الله فى الامصار ﴾

وذكروا ان رجلا من أهل المدينة قال وفد قوم من اهل المدينه الى الشام فنزلوا برجل فى اوائل الشام موسعاً عليه ابل كثيرة وابقار واغنام فنظروا فى شىء لا يعلمونه غير مايعرفون من غضارة العيش اذ اقبل بعض رعاته فقال ان السبع عدا اليوم على غنمى فذهب منها بشارة فقال الرجل انا لله وانا اليه راجعون ثم جعل يأسف اسفا شديداً فقلنا بعضنا لبعض ماعند هذا خير يتاسف ويتوجع

من شاة اكلها السبع فكلمه بعض القوم قال له . ان الله تعالى قد وسع عليك فما هذا التوجع والتأسف قال انه ليس مما ترون ولكني اخشى ان يكون عمر ابن عبد العزيز قد توفى الليلة والله ما تعدى السبع على الشاة الا لموته فأثبتوا ذلك اليوم فاذا عمر قد توفى فى ذلك اليوم . وذكروا انهم سمعوا رجلا يحدث ويقول بينا رجل باليمن نائم على سطح له ذات ليلة اذ تسور عليه كلب فسمعه وهو يقول لهرة له أى جنة هل من شيء اصيبه فانى والله اكاد فقالت له الهرة ما ثم شيء لقد غطوا الاناء واكفئوا الصحفة فقال لها هل لك تدنيني من يد صبي او قدر لم تغسل اشمها لترتد لى روحى قالت الهرة ما كنت لاخونهم اما انى فمن اين اقبلت تشكو الكلل والجوع قال من الشام شهدت وفاة عمر بن عبد العزيز وحضرت جنازته قالت انا لله وانا اليه راجعون نور كان فى الدنيا فطمس ثم زالت عنه ونحت وفرت منه وهابته خوفا من ان يعدو عليها ثم انسل الكلب ذاهبا فلما اصبح الرجل جعل يقول للهرة أى جنة جزاك الله عنا خيراً قال فاستوبرت الهرة وذهبت فلم ترجع فكتب ذلك اليوم فجاءهم موت عمر فى ذلك اليوم . وذكروا ان زياد بن عبد الله اخبرهم قال كان رجل فى بعض كور الشام يعالج الذرأ ومعه زوجته وكان قد استشهد ابن لهما منذ زمان طويل فنظر الرجل الى فارس مقبل نحوهما فقال الرجل لزوجته يا فلانة هذا والله ابنى وابنك مقبل فنظرت المرأة فقالت . اخدعك الشيطان انك مفتون بابنك وابنك تشبه به الناس كلهم كيف يكون ابنك كيف وابنك استشهد منذ حين فاستعاذ الرجل بالله من الشيطان الرجيم ثم اقبل على الذره يعالجه ودنا منهما الفارس ثم نظر ثانية قال يا فلانة ابنى والله وابنك فنظرت ودنا منهما الفارس فلما وقف عليهما فاذا هو ابنهما قال فسلم عليهما وسلما عليه فقالا له يا بنى اما كنت استشهدت منذ حين قال نعم الا ان عمر بن عبد العزيز توفى الليلة فاستأذن الشهداء ربهم عز وجل فى شهود جنازته فاذن لهم وكنت فيهم فاستأذنت ربى فى زيارتكما والنظر فاذن لى ثم ودعاه وسلما عليه ودعا لهم ثم ذهب .

﴿ ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان ﴾

وذكروا ان الامر صار بعد عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك بعهد

سليمان أخيه اليه بذلك والى عمر وكان يزيد قبل ولايته محبوبا فى قريش بجميل مأخذه فى نفسه وهديه وتواضعه وقصده وكان الناس لا يشكون اذا صار اليه الامر ان يسير بسيرة عمر لما ظهر منه فلما صارت اليه الخلافة حال عما كان يظن به وسار بسيرة الوليد اخيه واحتذى على مثاله واخذ مأخذه حتى كان الوليد لم يمت فعظم ذلك على الناس وساروا من ذلك الى احوال يطول ذكرها حتى هموا بخلعه وجاءهم بذلك قوم من اشراف قريش وخيار بنى أمية وكانت قلوبهم قد سكنت الى هدى عمر واطمأنت الى عدله بعد النفار والانكار لسيرته وعاد ذلك من قلوبهم الى الرضا بأمره والقنوع بقصده عليهم وتقصيره فى ادراك المطامع والعطايا عليهم وانهم منهم فوربا الخلع والخروج فاخذهم عمه محمد بن مروان بن الحكم فاسكنهم السجن عشرين شهراً ثم دس لهم السم فماتوا جميعاً واقصى من سائر قريش ثلاثين رجلا بعد ان اغرمهم مائة الف الف رباع عقر اموالهم ورباعهم وحمل العذاب عليهم والنكال حتى اصارهم عالة يتكففون الناس متفرقين فى كور الشام وآفاق البلاد وصلب من الناس جملة ممن الف هؤلاء القوم وانهم بمصانعتهم ومصاحبتهم وكانت ولايته فى ربيع الاول سنة احدى ومائة ومات سنة ست ومائة

ولاية هشام بن عبد الملك

وذكروا ان عبد الملك بن مروان بينما هو يوما فى بعض بوادى الشام يتطوف اذ نظر الى ساع يسعى اليه فوقف منتظراً له فلما قارب قال له ما وراءك فقال ولدت المخزومية غلاما قال فما سمته قال هشاما قال هشم الله رأسها فقال له قبيصة بن ذؤيب ولم يا أمير المؤمنين قال اخبرنى ابى مروان انه سمع بشرة بنت صفوان تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . راحة اصحابى معاوية ولا راحة لهم بعد معاوية وراحة العرب هشام ولا راحة لهم بعد هشام . وذكروا ان هشاما صارت اليه الخلافة فى سنة ست ومائة فكان محمود السيرة ميمون النقيبة وكان الناس معه فى دعة وسكون وراحة لم يخرج عليه خارج ولم يقم عليه قائم الا ما كان من قيام زيد بن على بن الحسين فى بعض نواحى الكوفة فبعث اليه ابن هبيرة وكان عامل الكوفة فأخذ زيد فاتى به ابن هبيرة فامر بقتله دون رأى هشام فلما بلغ ذلك هشاما عظم عليه قتله وأعظم فعل ابن هبيرة واجترائه على قتل

قرشي دون مشورة حتى جعل يقول . مثل زيد بن علي في شرفه وفضله يقتله ابن هبيرة وما كان عليه من قيامه ان هذا لهو البلاء المبين مازال ابن هبيرة مبغضا لاهل هذا البيت من آل هاشم وآل عبد المطلب ووالله لازلت لهم محبا حتي أموت ثم عزل ابن هبيرة عن الكوفة واغرمه الف الف ولم يل له شيئاً حتى مات وكانت ايام هشام عشرين سنة وولى سنة ست ومائة وتوفى سنة ست وعشرين ومائة بعد ان حج احدى عشر حجة وهو خليفة

﴿ قدوم بن صفوان بن الاهتم على هشام ﴾

وذكروا ان شبيب بن شيبة أخبره عن خالد بن صفوان بن الاهتم قال اوفدني يوسف بن عمر الى هشام في وفد العراق فقدمت عليه وقد خرج منتدبا في قرابته وأهله وحشمه وحاشيته من أهله الى بعض ضياعه الرصافة فنزل في أرض قاع صحصح أفيح في يوم قد ذكر وسمه وقد لبست الارض أنواع زهرتها واخرجت الوان زينتها ، من نور ربيعها فهي في أحسن منظر وأجمل مخبر بصعيد كان تراه قطع الكافور فلو ان قطعة دينار القيت فيه لم تر . وقد ضرب له سرادقات من حبرات اليمن مزرورة بالفضة والذهب وضرب له فسطاطه في وسطه فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة خز أحمر وعمامة مثلها وضربت حجر نسائه من وراء سرادقه وعنده أشراف قريش وقد ضربت حجر بنيه وكتابه وحشمه بقرب فسطاطه ثم أمر الربيع حاجبه بأذن للناس اذنا عاما فدخلوا عليه وأخذ الناس مجالسهم قال خالد فدخلت راسي من ناحية السماط فاطرق ثم رفع رأسه ونظر الي شبه المستنكر وكنت قد حليت عنده ببلاغة وفهم وحكمة فقلت اقر الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وكرامته وسوغك شكره يا أمير المؤمنين ومدلك في المزيد فيها بفضله ثم وصلها بعد بطول العمر وتتابع الكرامة الباقية التي لا انقطاع لها ولا نفاد لشيء منها حتى يكون آجلي ذلك خيراً من عاجله وآخره أفضل من أوله وعاقبته خيراً من ابتدائه وجعل ما غلدك من هذا الامر رشداً وعاقبته تؤول الى احمد ودرك الرضا واخلص لك ذلك بالتقوى وكثره لك بالنماء ولا كدر عليك منك ماصفا ولا خالط سروره أذى . فقد أصبت للمسلمين ثقة وستراً يفزعون اليك في امورهم

ويقصدونك فى حوائجهم وما اجد ياأمير المؤمنين جعلنى الله فداك شيئاً أبلغ فى حقك وتوفير مجلسك اذ من الله على بمجالستك والنظر الى وجهك منى وما اجد فيما أظهر ذلك الا فى مذاكرتك نعم الله التي أنعم بها عليك واحسن فيها اليك ونبهك الى شكرها . ثم أنى لا أجد شيئاً هو ابلغ فى ذلك ولا أجمع من ذكر حديث لملك خلا من الملوك كان فى سالف الامم فان أذن أمير المؤمنين اكرمه الله حدثته قال وكان هشام متكئاً فاستوى جالسا وقال هات ياابن الاهتم . قال : قلت ياأمير المؤمنين ان ملكا كان فيما خلا مجتمعا له فيها فناء السن واعتدال الطبائع وتمام الحال وكثرة المال وتمكين الملك ، وكان له دلك الى البطر والمرح داعيا وعلى الغفلة والذهول معينا فخرج متنزها الى بعض منازله فقعد جوستا له فاشرف على ارض قداخضلها ربيع عامه كان شبيها بعامك هذا ياأمير المؤمنين فى خصبه وعشبه وكثرة زهره وحسن منظره ، فنظر فرجع اليه بصره كليلا عن بلوغ أقصى أمواله من الضياع والابل والخيل والنعم فقال لنفر من نادبه لمن هذا قيل له لك فاعجبته نفسه وما بسط له من ذلك حتى اظهر فرحه وزهوه ثم قال لجلسائه هل رايتم مثل ماأنا فيه أم هل أوتى أحد مثل ما أوتيت . وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والعلم والمضى على ادب الحق ومنهاج الصدق فى الضمير والمقالة . وقد قيل ان الله الجليل لم يخل الارض منذ أهبط آدم من قائم يقوم بحجة الله فيها وكان ذلك الرجل ممن يسامره قال : ايها الملك قد سالت عن امر افتأذن لى بالجواب فيه قال نعم قال : أرأيت هذا الذى اعجبك مما عليه اطلعك نظرك واستطال ملكك وسلطانك أشيء لم يزل لك ولم يزل عنك أم شيء كان لغيرك فزال عنه اليك ثم هو صائر الى غيرك كما صار اليك ؟ قال : الملك بل كما ظننت ومثلت قال : فانى أراك أعجبت بما يفنى وزهدت فيما يبقى وسررت بقليل وحسابه غداً طويل قال ويحك فكيف المطلب وأين المهرب وما الحيلة فى المخرج قال احدى خصلتين أما ان تقيم فى ملكك فتعمل فيه بطاعة ربك على ماسرك وساءك وأمضك واما ان تضع تاجك ونجادك وتذكر ذنوبك وتلحق فى الخلاء بمن يغفر لك فتعبد فيه ربك حتي يوافيك اجلك وتنقضى مدتك وانت عامل لربك فيما يعطيك قال فاذا فعلت ذلك فما لى فقال ملك خالد لا يفنى ونعيم

لا ينقضي ومزيد وكرامة وصحة لا تسقم أبداً وسرور لا ينصرم وشباب لا يشوبه هرم ، وقرار لا يخالطه هم . قال الملك سأنظر الى نفسي في الاختيار لها مما ذكرت لي فاذا كان وقت السحر فاقرع على بابي لتعرف رأيي فاني مختار احد المنزلتين فان اقمت في ملكي واخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا يعصى وان خلوت كنت رفيقا لا تجفى فلما كان السحر قرع عليه بابه فاذا هو قد وضع تاجه ولبس اطماره فلحق بالجبل فلم يزالا يعبدان الله فيه حتى بلغ أجلهما وانقضى عمرهما . فبكى هشام حتى بل لحيته ثم نكس رأسه طويلا ثم أمر بنزع ابيته وانتقاله واقبلت العامة من الموالي على ابن الاهتم فقالوا له ما أردت لامير المؤمنين افسدت عليه لذته ونغصت عليه شهوته وقد حرمتنا ما أملنا فيه . قال اليكم عني فاني عاهدت الله ربي أني لا أخلو بملك الا ذكرته الله وبهته ورشدته . ثم رجع خالد الى فسطاطه كئيباً حزينا مخوفا يظن انه هالك وكان للربيع صديقا فبينما هو كذلك اذ أتاه رسول الربيع فقال يا صفوان يقول لك اخوك الربيع : من كان في حاجة الله كان الله في حاجته . انك لما وليت أمير المؤمنين جعل يغوص في ذم ابن الاهتم أي رجل دنيا وأخرى مر ديار بيع فليرفع حوائجه وليغد اليها بغضها له فقال الربيع فاغدعليا بحوائجك رحمك الله واحمده على ما صنع واذهب من مخافتك . فغدا عليه بحوائجه فقضيت . وذكر انه لم يكن في بني أمية ملك اعظم من هشام ولا أعظم قدراً ولا اعلا صوتا منه دانت له البلاد وملك جميع العباد واديت اليه الجزية من جميع الجهات من الروم والفرس والترك والافرنج والزنج والسند والهند وكان قريبا من الضعفاء مهتما باصلاح الادواء لم يجترئ احد معه على ظلامة ولم يسلك احد معه الا سبيل الاستقامة وكان له موضع بالرصافة افيح من الارض يبرز فيه فتضرب له به السرادقات فيكون فيه ستين بارزاً للناس مباحا للخلق لا يفنى ايامه تلك الا برد المظالم والاخذ على يد الظالم من جميع الناس وأطراف البلاد و يصل الى مخاطبته بذلك الموضع داعي السوام والامة السوداء فمن دونهما . قد وكل رجالا ادباء عقلاء بادناء الضعفاء والنساء واليتامى منهم وأمرهم باقضاء أهل القوة والكفاية عنه حتى يأتي على آخرهما يكون من أمره فيما يرفع اليه لا ينضم اليه رجل يريد الوصول اليه فينظروا اوضع منه

الادانوا الاوضع وابعدوا الارفع حتى ينظر فى شانه ويعرف أمره وينفذ فيه مامر ولايرفع اليه ضعيف ولامرأة أمراً وظلامة على غطريف من الناس مرتفع القدر ولامستخدم به الامر باقتضاء يمينه واغداه بمطلبه لايتميل لهم حجة ولايسمع لهم من بينة حتى لربما تمر به المرأة والرجل او عابر سبيل لاحاجة له فيمامر به فيقال له ماحاجتك وماقصتك وماظلامتك فيقول انما سلكت اريد موضع كذا اروم بلد كذا فيقول له لعلك ظلمك احد من آل الخليفة تهاب أمره وتتوقع سطوته فذاك الذى منعك عن رفع ظلامتك الى أمير المؤمنين فيقول لاوالله لاانى الاماقلت فيقال له اذهب بسلام . حتى لربما أتت عليه تارات من الليل وساعات من النهار لاينظر فى شيء ولايأتيه أحد فى خصومة لاستغناء الناس عن المطالب وتعففا من المظالم ووقاية من سطواته وتحرزا من عقوبته وقد وسع العباد امنه واشعرهم عدله وصارت البلاد المسئية الشاسعة كدار واحدة ترجع الى حاكم قاضى يرقبه الناس فى المراضع النائية عنه كما يرقبه من معه وقد وضع العيون والجواسيس من خيار الناس وفضلاء العباد فى سائر الامصار والبلدان يحصون اقوال الولاة والعمال ويحفظون اعمال الاخيار والاشرار قد صار هؤلاء أعتابا يتعاقبون بنهض قوم باخبار ما بلوا فى المصر الذى كانوا فيه ويقبل آخرون يدخلون مسترقين ويخرجون متفرقين لايعلم منهم واحد ولايرى لهم عابر فلا خبر يكون ولا قصة تحدث من مشرق الارض ولامغربها الاوهو يتحدث به فى الشام وينظر فيه هشام ، وقد اقتصر نفسه على هذه الحال وحببت اليه هذه الافعال ، فكانت ايامه عند الناس احمد ايام مرت بهم واعفاها وارجاها قد لبس جلباب الهيبة على أهل العنود والكيود واردى برداء التواضع الى اهل الخشوع والسكون . وكان قد حبب اليه الكثائر من الدنيا والاستمتاع بالكساء لم يلبس ثوبا قط يوما فعاد اليه حتى لقد كان كساء ظهره وثياب مهنته لايستقل بها ولايحملها الا سبعة أئمة بعير من اجلد ما يكون من الابل واعظم مايحمل عليه من الجمال وكان مع ذلك يتقالها وطالت ايامه واستبطأ صاحب العهد بموته فناوأه وعاداه وانتقل عن الموضع الذى كان به هو والوليد بن يزيد بن عبد الملك فمات هشام والوليد غائب فاتاه موته فامر

بقفل الخزائن فلم يجدوا لهشام ما يكفنونه به واستؤذن الوليد فى اقباله فلم يدفن هشام حتى قدم الوليد وذلك فى ثلاثة ايام

﴿ بدء الفتن والدولة العباسية ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدى أخبرهم قال اختلفت روايات القوم الذين عنهم حملنا وروينا ذكر الدولة فيما ذكرناه عنهم مما اختلفوا فيه والفناد . فكان اول ما اختلفت فيه الرواية ولم تتلائم الحكاية اشياء سنذكرها فى موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله واقتصرنا على معانيها وقيد بعض الفاظها لطول اخبارها واجتنبنا الجزل السمين من اللفظ ورددنا هزيله لنزر فائدته وقلة عائدته وقد اختصرنا واشبعنا اذ لم نترك من المعانى المتقدمة شيئاً والله الموفق للصواب . فكان مما الفناه مبتدأ من ذكر الدولة ما اخبرنا عن الهيثم بن عدى عن الرجال الذين حدثوه قالوا : لما سلم الحسن بن على الامر الى معاوية بن ابى سفيان بايعت الشيعة من أهل المدينة واهل مكة وأهل الكوفة واليمن وأهل البصرة وارض خراسان فى ستر وكتمان فاجتمعوا الى محمد بن على وهو محمد بن الحنفية فبايعوه على طلب الخلافة ان امكنه ذلك وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقوها يوم الوثوب على فرصته فيما يحتاج من النفقة على مجاهديه فقبلها وولى على شيعة كل بلد رجلا منهم وأمره باستدعاء من قبله منهم فى سر وبوصية الهم الا يبوحوا بمكتومهم الا لمن وثق به حتى يرى للقيام موضعاً . فاقام محمد بن الحنفية امام الشيعة قابضاً لزكاتهم حتى مات . فلما حضرته الوفاة ولى عبدالله ابنه من بعده وأمره بطلب الخلافة ان وجد الى ذلك سبيلا واعلم الشيعة بتوليته اياه فاقام عبدالله بن محمد بن على وهو أمير الشيعة فبلغ ذلك سليمان بن عبدالملك فى أول خلافته ان الشيعة قد بايعت عبدالله بن محمد بن على بعد ابيه فبعث اليه وقد اعد له فى افواه الطرق رجالا معهم الشربة مسمومة وأمرهم انما خرج من عنده ان يعرضوا عليه الشراب . فلما دخل على سليمان اجلسه الى جانبه ثم قال له بلغنى ان الشيعة بايعتك على هذا الامر فجحده عبدالله وقال : بلغك الباطل ومازال لنا أعداء يبلغون الأئمة قبلك عنا مثل ما بلغك ليغروهم بنا فيدفع الله عنا كيد من ناوأنا وأنا بما يلزمنى من مؤنتى اشغل منى بطلب هذا الامر ثم خرج من عنده فى وقت شديد الحر . فكان لا يمر بموضع الا قام اليه الرجل

بعدالرجل يقول له هل لك فى شربة سويق اللوز وسويق كذا وكذا يابن بنت رسول الله ونفسه موجسة منهم فيقول بارك الله لكم حتى اذا خرج الى آخر الطريق خرج اليه رجل من خبائه وبيده عس فقال هل لك فى شربة من لبن يابن بنت رسول الله فوقع فى نفسه ان اللبن مما لا يسم فشرب منه ثم مضى فلم ينشب ان وجد للسم حساً فاستدل على الطريق الى الحميمة وبها جماعة آل عباس وقال لمن معه ان مت ففى أهلى ثم توجه فنزل على محمد بن على بن عبدالله بن عباس فأخبره الخبر وقال له اليك الامر والطلب للخلافة بعدى فولاه وأشهد له من الشيعة رجالا ثم مات . فاقام محمد بن على بن عبدالله بن عباس ودعوة الشيعة له حتى مات فلما حضرته الوفاة ولى محمد بن ابراهيم الامر فاقام وهو أمير الشيعة وصاحب الدعوة بعد أبيه .

﴿ دخول محمد بن على على هشام ﴾

وذكروا ان محمد بن على بن عبدالله بن عباس دخل وهو شيخ كبير قد غشى بصره على هشام بن عبدالملك متوكئاً على ولديه أبى العباس وأبى جعفر فسلم ثم قال له هشام ماحاجتك ولم يأذن له فى الجلوس فذكر قرابته وحاجة به ثم استجداه . فقال له هشام ماهذا الذى بلغنى عنكم يابنى العباس ثم يأتى أحدكم وهو يرى انه احق بما فى أيدينا منا والله لا أعطيتك شيئاً فخرج محمد بن على فقال هشام كالمستهزئ ان هذا الشيخ ليرى ان هذا الامر سيكون لولديه هذين اولاحدهما فرجع محمد نحوه فقال . أما والله أنى أرى ذلك على رغم من رغم . فضحك هشام وقال أغضبنا الشيخ ثم مضى محمد بن على

(ولاية الوليد بن يزيد وفتن الدولة)

وذكروا ان الوليد بن يزيد لما تولى الامر بعد هشام أساء السيرة وانتحى على أهله وجماعة قريش وأحدث الاحداث العظيمة وسفك الدماء وأباح الحريم وكانت ولايته فى ست وعشرين ومائة فلما استولى على الامر بعث الى أشراف الاجناد فقدموا عليه وقدم خالد فيمن قدم فلم يأذن لواحد منهم وكان مشتغلا بلهوه ولعبه ومرض خالد فاستؤذن له فى الانصراف فاذن له فانصرف الى دمشق فاقام بها شهراً . ثم كتب اليه الوليد ان أمير المؤمنين قد علم الخمسين الف الف

التي تعلم فاقدم بها على أمير المؤمنين مع رسوله فقد أمره ان لا يعجلك عن جهازك فبعث خالد الى عدة من ثقاته فيهم عمارة بن أبي كاثوم فاقرأهم كتاب الوليد وقال أشيروا على برأيكم . فقالوا ان الوليد ليس بأمون فالرأي ان تدخل مدينة دمشق فتأخذ بيوت الاموال وتدعو الى من أحببت والناس قومك ولن يختلف منا عليك اثنان فقال لهم وماذا قالوا تأخذ بيوت الاموال وتجمع اليك قومك حتى تتوثق لنفسك قال وماذا قالوا تتوارى . فقال اما قولكم ان ادعو الى من أحببت فاني اكره ان تكون الفرقة على يدي واما قولكم ان آخذ بيوت حتى الاموال اتوثق لنفسي فانتم لا تأمنوني عليها ولا اذنب لي فكيف لي ترجون وفاءتها يعطيني وقد فعلت ما فعلت واما قولكم في التواري فوالله ما قنعت رأسي خوفا من احد قط فالآن وقد بلغت من السن ما بلغت ولكني امضي واستعين بالله تعالى .

(قتل خالد بن عبدالله القسري)

وذكروا ان خالد بن عبدالله القسري شخص الى الوليد بن يزيد حتى قدم على معسكره فلم يدع به الوليد ولم يكلمه وهو يختلف اليه غدوة وعشية حتى قدم براس يحيى بن يزيد بن علي بن الحسين من خراسان فجمع الناس الاذن فحضر الاشراف وجلس الوليد وجاء خالد الى الحاجب فقال ان حالي كما ترى لا أقدر على المشي وانا أحمل في الكرسي قال الحاجب ما يدخل احد على أمير المؤمنين على هذه الحال ثم أذن له فحمل على كرسيه ثم دخل على الوليد وهو جالس في سريره والمائدة موضوعة فلما دخل عليه قال له الوليد أين ولدك يزيد بن خالد فقال قد اصابه من هشام ظفر فخلى سبيله ثم طلب فهرب فكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله فقال له الوليد لكنك خلفته طالبا للفتنة فقال خالد قد علم أمير المؤمنين انا أهل بيت طاعة أنا وابي وجدي فقال له الوليد لتأتيني بابنك او لازهقن نفسك فقال له خالد : هذا الذي تدور عليه وهو الذي تريد والله لو كان ابني تحت قدمي ما رفعتهما لك فاصنع ما بدا لك . فامر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه والاخذ له وقال له اسمعني صوته فذهب به غيلان الى رحله فعذبه بالسلاسل والحديد فلم يتكلم بكلمة فرجع غيلان الى الوليد فقال له والله لا أعذب انسانا لا يتكلم فقال له كف عنه واحتبسه ففعل فقام يوسف بن عمر فقال أنا

أشتريه بخمسين الف الف فارسل الوليد الى خالد ان يوسف بن عمر قد سأل ان يشتريك بخمسين الف الف فان ضمنتها لامير المؤمنين والا دفعتك اليه . قال خالد ما عهدنا العرب تباع فدفعه الى يوسف بن عمر فنزع ثيابه والبسه عباءة وألحقه أخرى وحمله على محمل ليس تحته وطاء فبسط عليه وعذبه وخالد لا يكلمه بكلمة ثم ارتحل حتى اذا كان ببعض الطريق عذبه يوما ثم وضع المضرسة على صدره فقتله في الليل فدفن في الحيرة وذلك في المحرم سنة سبع وعشرين ومائة .

﴿ وثوب أهل دمشق على الوليد بن يزيد وقتله ﴾

وذكروا ان يزيد بن خالد دب في أهله وتحمل في عشائره فاجتمع أمرهم على الوليد بن يزيد فبينما هم يدبرون أمرهم اذ انطلق ساع الى الوليد فقال له أدلك على يزيد بن خالد قال نعم فبعث الوليد مولى له وأمره ان يكمن النهار ويسير الليل حتى أتى دمشق ليلا ويزيد مختف بدمشق في منزل رجل عند باب السرق فاقتحم عليه المنزل فاخذه وشخص به من ساعته حتى قدم الوليد فأمر بالبعث به الى يوسف بن عمر بالعراق قال له يزيد يا أمير المؤمنين انا ادفع لك الخمسين الف الف التي طلبت من خالد في ثلاث سنين على ان تكتب الى الآفاق ومن من كانت لي عنده وديعة وأمان فيها ذمتي وموالي فقبل منه الوليد ذلك فأمر فكتب الى العراق والحجاز وكور الشام في ذلك واحتبس يزيد عنده وجعل عليه القيود والحرس ثم ارتحل الوليد ومعه خدمه وشرطته وتواعد اهل اليمن ان يثوروا اذا صلوا العتمة في المسجد وكانت العلامة بينهم ان يلتمس احدهم صاحبه . فلما تفرق اهل المسجد خرجوا فاستخرجوا يزيد بن الوليد من منزله ثم أتوا القصر وعلى دمشق يومئذ رجل من بني الحجاج وكان قد خرج من الطاعون واستخلف رجلا من قيس فدخلوا عليه فأوثقوه كتافا وأوثقوا كل من خافوا خلافه فتسلل رجل حتى أتى الوليد بن يزيد فأخبره الخبر فلما أصبحوا غدوا الى الوليد فبعث الوليد في طلب يزيد بن خالد وهو عنده في الحديد فقال له ان قومك قد خرجوا بين يدي الوليد فارددهم عن أمير المؤمنين ولك الله ان أوليك العراق وأدفع اليك يوسف فتقتله بابيك فقال له يزيد بن خالد وتوثقني يا أمير المؤمنين قال نعم فتوثق له وحلف قال فارسلني اليهم حتى أردهم عنك فقال له الوليد بل أكتب اليهم قال

ان كتابي لا يغني شيئاً وقد علموا ان في يديك واني سأكتب بما تريد فامر باطلاقه من الحديد ورده الى حبسه وأمر الحرس يتحفظون به ثم ارتحل الوليد بيزيد بن خالد معه فلما كان الفجر صبحته أوائل الخيل خيل أهل اليمن فارسل الوليد الى يزيد بن خالد فقال له يزيد دخل عني حتى أردهم عنك فبينما هم على ذلك اذ التقى القوم فشدت الميمنة وقد طلعت الشمس واختلط الناس وكثر القتل وتخاص يزيد بن خالد من الحرس فهرب فتوه بيرذون من براذين الوليد وأتى بسيف فتقلده ثم نادى مناديه من جاء برأس الوليد فله مائة الف دينار ونودي في العسكر من دخل رحله فهو آمن . فنادى الوليد يا أهل الشام ألم أحسن اليكم ألم أفعل كذا وعدد احسانه . فقال عبد السلام بلى قد فعلت ولكنك عمدت الى شيخنا وسيدنا خالد بن عبد الله قد عزله الخليفة قبلك وأخذ أمواله ثم خلى عنه فدفعته الى يوسف بن عمر بالبيع فدرعه ثم حمله على ثمل الاوطاء ثم انطلق به فعذبه حتى قتل شر قتل يكون فقال لهم الوليد فاخلعوني في قميصي هذا وولوا من شئتم فانصرفوا الى قومهم فاعلموهم بذلك فقالوا لا الا رأسه فدلى القوم الى القصر وانهى يزيد بن خالد الى الباب وعليه سلسلة فامرها فكسرت وكسر الباب وخرج الوليد يسعى حتى دخل بيتاً من بيوت القصر ودخل عليه نحو من ثلاثين رجلا وهو قائم بيده السيف منكسا رأسه لا ينظر اليهم وهو يذب عن نفسه فضربه رجل ضربة ثم صرعه ثم ركب عليه فاحتز راسه فخرج به وانصرف الناس الى دمشق . فبايع الناس ليزيد بن الوليد بن عبد الملك وذلك في ذي الحجة من سبع وعشرين ومائة فكان خليفة ستة أشهر ثم مات في جمادى الاولى ثم ولى ابراهيم بن الوليد فبويع له في جمادى الاولى فكث ثلاثة أشهر ثم خلع وهرب

﴿ ولاية مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ﴾

وذكروا انه لما خلع ابراهيم بن الوليد خرج مروان بن محمد في صفر سنة سبع وعشرين ومائة ومعه اهل الجزيرة واهل حمص فدعا الى نفسه بالبيعة ووعد الناس خيراً فرضي به أكثر الناس لشجاعة كانت فيه وسخاء يوصف به فملك الشام واستقل له الامر وغلظ شانه واستعلى سلطانه وبايع له أهل العراق

والحجاز وهابه الناس وخافوه واستعمل العمال فى الافاق والامصار وكانت الشيعة تتكاتب على الكتمان لذلك وتتلاقى على السر فلما كانت سنة ثمان اجتمعت الشيعة

﴿ خروج أبى مسلم الخراسانى ﴾

وذكروا ان الشيعة لما اجتمعت وغلظ امرهم بخراسان قدم منهم . سليمان ابن كثير وقحطبة بن شبيب فلقوا ابراهيم بمكة فقالوا قد قدمنا بمال قال وكم هو قالوا عشرين الف دينار ومائتى الف درهم و بمسك ومتاع قال ادفعوه الى عروة مولى محمد بن على ففعلوا فكان يحيى بن محمد يتبعهم ويسألهم فيقول ماقصتكم وفى أى شىء جئتم فلا يخبروه فذكروا ذلك لابراهيم فقال احذروه فانه قليل العقل ضعيف الرأى . فجاء الى ابراهيم فقال له ان على دينا و بالله لئن لم تعطنى قضاء دينى لارفعن امرك الى عبدالعزيز بن عمر وهم يومئذ على الموسم فاعطاه خمسة آلاف درهم وقدموا بابى مسلم معهم وقد خرج أصحابه من السجن فاعلموا ابراهيم انه مولاه فقال لسليمان قد بى امركم فانت على الناس فاخرج الى خراسان وقد كان ابومسلم قدم على ابراهيم قبل ان ينصرف اصحابه فرأى عقله وظرفه . فكتب الى اصحابه انى قد أمرته على خراسان وماغلب عليها فاتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة فاعلمهم أبومسلم انهم لم ينفذوا كتابه قال ابراهيم انه قد أجمع رأيه على هذا فاسمعوا له وأطيعوا ثم قال لابى مسلم ياأبا عبدالرحمن انك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتى : انظر هذا الحى من اليمن فاكرمهم فان الله لايتم هذا الامر الا بهم وانظر هذا الحى من ربيعة فانهم معهم وانظر هذا الحى من مضر فانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت فى امره ومن وقع فى نفسك منه تهمة . فقال ايها الامام فان وقع فى انفسنا من رجل هو على غير ذلك احبسه حتى نستبينه قال لا السيف السيف لاتقى العدو بطرف ثم قال للشيعة من اطاعنى فليطع هذا يعنى أبا مسلم ومن عصاه فقد عصانى ثم قال له : ان استطعت ان لاتدع بخراسان ارضا فيها عر بى فافعل وايما غلام بلغ خمسة اشبار فاتهمته فاقتله ولا تخالف هذا الشيخ يعنى سليمان بن كثير ولا تعصه فشخصوا الى خراسان ووقعت العصبية بخراسان بين نصر بن سيار وكان عامل مروان عليها و بين الكرمانى فدخل على نصر بن سيار

رجل فقال له ان مروان بن محمد قد خالف ماظن به الناس وقد كان رجى وامل وما أرى أمره الا وقد انتقض واجترأت عليه الخوارج وانتقضت عليه البلاد وخرج عليه ثابت بن نعيم ورأى الاشتغال بذاته اهم عليه فلو اجتمعت كلمتك مع الكرماني فاني خائف ان يوقعك هذا الخلاف فيما تكره وأنت شيخ العرب وسيدها وأرى والله في هذه الكور شيئاً واسمع أموراً أخاف ان تذهب او تذهل منها العقول فقال نصر بن سيار والله ما اتهم عقلك ولا نصيحتك ولكن اكفف عن هذا القول فلا يسمعن منك فالتحم ما بين الرجلين وهاجت الحرب وتقاتلوا وجعلت رجال الشيعة تجتمع في الكور الالف والالفان فيجتمعون في المساجد و يتعلمون أي يتعارفون بينهم فبلغ ذلك نصر واغتنم لذلك وخاف ان وجه اليهم من يقاتلهم ان يتجاوزوا الى الكرماني فلما استفحل امر القوم وقام بامرهم أبو مسلم الخراساني ثم اجتمعوا و أظهروا أمرهم . فكتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد .

أرى خلل الرماد وميض نار * ويوشك ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب أولها الكلام
اقول من التعجب ليت شعري * أأيقاظ أمية أم نيام
فان كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام
فقرى عن رحالك ثم قولي * على الاسلام والعرب السلام

فكتب اليه مروان : ان الشاهد يرى مالا يرى الغائب فقال نصر لما قرأ الكتاب : أما صاحبكم فقد اعلمكم ان لا نصر عنده وجعل أبو مسلم يكتب الكتب ثم يقول للرسل مروا بها على اليمانية فانهم يتعرضون لكم و يأخذون كتبكم فاذا رأوا فيها اني رأيت المضرية لا وفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثق بهم ولا تطمئن اليهم فاني ارجو ان يريك الله في اليمانية ما تحب و يرسل رسولا آخر بمثل ذلك على اليمانية فيقول مر على المضرية فكان الفريقان جميعاً معه . وجعل يكتب الى نصر بن سيار والى الكرماني : ان الامام قد أوصاني بكم ولست اعدو رأيه فيكم فجعل نصر يقول . ياعباد الله هذه والله الذلة رجل بين أظهرنا يكتب الينا بمثل هذا لا نقدر له على ضر ولا

نع فلما تبين القوم ان لا نصير لهم كتب أبو مسلم الى اصحابه فى الكور ان اظهروا أمركم فكان أول الناس من سود اسيد بن عبد الله فنادى يامحمد يامنصور فسود معه العكى ومقاتل بن حكم وعمر بن غزوان واقبل ابو مسلم حتى نزل الخندقين فرايه الفريقان جميعا فقال لست اعرض لواحد منكم انما ندعوالى آل محمد فمن تبعنا فهو منا ومن عصانا فالله حسيبه . فلما جعل اصحابه يكثرون عنده وهو يطمع الفريقين جميعاً فى نفسه كتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد يذكر استعلاء أمر أبى مسلم و يعلمه بحاله وخروجه وكثرة شيعته وانه قد خاف ان يستولى على خراسان وانه يدعو الى ابراهيم ابن محمد فاتى مروان الكتاب وقد اتاه رسول أبى مسلم بجواب ابراهيم فأخذ جواب ابراهيم وفيه لعن ابراهيم لابى مسلم حين ظفر بالرجلين الا يدع بخراسان عربيا الا قتله فانطلق الرسول بالكتاب الى مروان فوضعه فى يده . فكتب مروان الى الوليد بن معاوية وهو على دمشق : ان اكتب الى عاملك بالبلقاء فليأخذ ابراهيم بن محمد فليشده وثاقا ثم يبعث به الليل ثم وجه به الى فاتى اليه وهو جالس فى مسجد القرية فاخذ الى دمشق ودخل على مروان فاتبه وشتمه فاشتد لسان ابراهيم عليه ثم قال ياأمير المؤمنين ما أظن مايروى الناس عنك الا حقاً فى بعض بنى هاشم فقال : ادركك الله بأعمالك اذهب به فان الله لا يأخذ عبداً عند أول ذنب اذهب به الى السجن . فقال أبو عبيدة فكنت آتيه فى السجن ومعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فوالله انى ذات ليلة فى سفينة السجن بين النائم واليقظان اذا مولى لمروان قد استفتح ومعه عشرون رجلا من موالى مروان من الاعاجم ومعه صاحب السجن ففتح لهم فدخلوا واصبحنا فاذا عبد الله بن عمر وابراهيم بن محمد ميتان فانكسر لذلك أبو مسلم بخراسان اذ بلغه موت ابراهيم وانكسرت الشيعة واستعلى أمر الكرمانى فلما رأى أبو مسلم ذلك قال له انا معك ثم دارت الاحوال بين نصر والكرمانى حتي غدر نصر بالكرمانى فقتله وصلبه فخاف نصر على نفسه من أبى مسلم

﴿ ذكر ماأمال أصحاب الكرمانى الى أبى مسلم ﴾

وذكروا ان أبا مسلم كتب الى نصر : انه قد جاءنا من الامام كتاب فهلم بعرضه عليك فان فيه بعض ماتحب فدخل عليه رجل فقال . ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فقال نصر ادخل فالبس ثيابى فدخل بستاناً له وقد تقدم الى صاحب دوابه فاتاه بدواب فركب وهرب معه داود بن أبى داود وهرب معه بنوه وتفرق اصحابه وجاء القوم الى ابى مسلم فاعلموه انه قد خرج ولا يدرون اين توجه فاستولى ابو مسلم على خراسان فاستعمل عليها عماله ثم وجه ابا عون فى ثلاثين الفاً الى مروان فلما بلغ مروان الخبر خرج حتى اتى حران فتحمل بعياله و بنانه وأهله وقد كان يتعصب قبل فجفا أهل اليمن واهل الشام وغيرهم وقتل ثابت بن نعيم والسمط بن ثابت وهدم مدائن الشام ويحول الى الجزيرة . قال اسماعيل بن عبد الله القسرى . دعانى مروان فقال يابا هاشم وما كان تكسينى قبلها قد ترى ماحل من الامر وانت الموثوق به ولا عجباً بعد بؤس ما الرأى فقلت ياامير المؤمنين على ما اجمعت قال على ان ارتحل بنوالى وعيالى وأموالى ومن تبعنى من الناس حتى اقطع الدرب ثم اميل الى مدينة من مدائن الروم فانزلها واكاتب صاحب الروم واستوثق منه فما يزال يأتينى الخائف والهارب حتي يلتف امرى قال اسماعيل : وذلك والله الرأى فلما رايت ماجمع عليه ورأيت سوء آثاره فى قومى و بلائه القبيح عندهم قلت له اعيذك بالله ياامير المؤمنين من هذا الرأى ان تحكم فيك اهل الشرك وفى بنانك وحرمك وهم الروم لا وفاء لهم ولا تدرى ماتأتى به الايام فان انت حدث عليك حادث بالروم ولا يحدث الا خير ضاع اهلك من بعدك ولكن اقطع الفرات ثم استدعى الشام جنداً جنداً فانك فى كنف و جماعة وعزة ولك فى كل جند صارم يسيرون معك حتي تاتى مصر فانها اكثر ارض الله مالا ورجالا ثم الشام امامك وافريقية خلفك فان رايت ما تحب انصرفت الى الشام وان كانت الاخرى مضيت الى افريقية قال صدقت ثم استخار الله وقطع الفرات فمر بكور من كور الشام فوثبوا عليه فأخذوا مؤخر عسكره فانتهبوه ثم مر بحمص فصنعوا له مثل ذلك ثم مر باهل دمشق فوثبوا عليه ووثب به الوليد بن معاوية وكان عامل مروان على دمشق ثم مضى الى

الاردن فوثب به هاشم بن عمر ثم مر بفلسطين فوثب به الحكم ثم مضى الى مصر فاتبعه الحجاج بن زمل السكسكى فقيل له اتتبعه وقدعرفت بغضه لقومك فقال ويحكم انه اكرمنى لمثل هذا اليوم لا خذ له وتبعه ايضا ابو سلمة الخلال وثعلبة بن سلامة وكان عامله على الاردن وتبعه ايضاً الرماحس فقال انى لاسير مع مروان حيث جزنا فلسطين فقال يارماحس انفرجت عنى قيس انفراج الراس ما تبغى منهم احدوذلك اناوضعنا الامر فى غيرموضعه واخرجناه من قوم ايدنا الله بهم وخصصنا به قوما والله مارأينا لهم وفاء ولا شكراً .

﴿ تولية ابى مسلم قحطبة بن شبيب قتال مروان ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدى اخبرهم عن رجال ادركوا الدولة وصحبوا اهلها قالوا . لما استولى ابو مسلم على خراسان وولى قحطبة الطائى قتال مروان بن محمد وبعث معه ثلاثين الفاً من رجال اليمن واهل الشيعة وفرسان خراسان وخرج مروان وهو يريد ابا مسلم بخراسان ومعه مائة الف فارس سوى اصحاب الحمولة فهرب من بين يديه ابو العباس وابو جعفر وعيسى بن على بن عبد الله بن عباس فلحقوا بالكوفة فبعث ابو العباس الى أبى سلمة الخلال واسمه حفص بن سليمان وكان واليا لابراهيم بن محمد على الشيعة بالكوفة فامره ان بلغه امر فيه قوة لابى مسلم بخراسان ان يظهر امره بالكوفة ويدعو اليه ويناهض صاحب الكوفة ففعل ذلك ابو سلمة فلما اغلظ امر أبى مسلم بخراسان واستولى عليها وبعث الجيوش الى مروان اظهر امره بالكوفة وطرد عامل الكوفة فخرج هاربا .

﴿ ذكر البيعة لابى العباس بالكوفة ﴾

وذكروا ان أبا مسلم لما بلغه ان أبا سلمة قد أظهر امره بالكوفه ودعا الى محمد وجه رجلا من قواده الى الكوفه فى الفى فارس وأمره ان يسرع السير حتى ياتيها فأقبل ذلك القائد حتى دخل الكوفة فلقى غلاما اسود لابى العباس فقال له أين مولاك قال هو فى دار هاهنا قال دلنى عليه فدله على الدار فاستفتح الباب ثم دخل عليه فسلم عليه بالخلافة وكان ابو سلمة يريد صرف الخلافة الى ولد على بن أبى طالب وكان ينهى ابا العباس عن الخروج ويقول له ان

الامر لم يتم وان موالى بنى أمية قائمون بالحرب والامر اشد مما كان فقال أبو العباس ان أبا سلمة منعنى عن الخروج حتى يولى العمال و يعمل الخراج فقال القائد لعن الله ابا سلمة والله لا أجلس حتى تخرج الى الناس فخرج له مع رجاله الى المسجد ونودى الصلاة جامعة فصعد ابو العباس المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه ثم ذكر بنى أمية وسوء آثارهم وذكر العدل فحض عليه ووعد الناس خيراً ورجا لهم الاصلاح وقسمة الفىء على وجهه ثم دخل دار الامارة وجلس الناس فلما بلغ أبا سلمة خروجه اتاه يعتذر فقبل منه واراه المكانة منه والخاصة به وقد كان علم أبو العباس الذى اراده أبو سلمة من صرفه الخلافة الى ولد على بن ابى طالب .

﴿ حرب مروان بن محمد وقتله ﴾

وذكروا ان قحطبة بن شبيب لما انتهى الى بعض كور الشام التقى مروان فقاتله فانهزم مروان فاقحم قحطبة فى طلب مروان فرسه فى الفرات فحمله الماء فمات فيه وقد اصاب اهل عسكر قحطبة من اموال مروان وأمتعة عسكره مالا يحصى كثرة فتناول اللواء حميد بن قحطبة وعبر الفرات حتى اتى الشام فقيل له ان مروان ترك الطريق الى دمشق وذهب صالح بن على بن عبدالله ابن عباس وكان بناحية من الشام وقد اجتمع اليه الناس لما علموا من قرابته لامير المؤمنين فلما اجتمع مع حميد بن قحطبة سلم اليه الامر وقال الناس انه خرج باظهار الدعوة لابى العباس من غير امره فلما سلم الامر الى صالح بن على اتاه كتاب ابى مسلم ان يرجع ابن قحطبة ببعض عساكره الى العراق فيكون فيها حتي يأتيه امره فاتى صالح بن على كتابه بانه قد صير اليه الشام وما وراءها الى المغرب و يأمره فيه بمعنه الجيوش فى طلب مروان فولى صالح ابن على رجلا من الازد يقال له ابا عون على مصر وأمره بطلب مروان فى أرض المغرب و بعثه فى عشرين الفا وكان سليمان بن هشام قد نافر مروان وقاتله مراراً قبل ان يشتد امر ابى مسلم فسار اليه فى اربعة آلاف وذلك بعد خروج قحطبة من عند ابى مسلم فنزل به سليمان وكانت بينه و بين ابى العباس مودة قديمة فبايع ابا مسلم على طاعة ابى العباس فسر به ابو مسلم وشيعته

ثم سيره فى طلب قحطبة ممداً له وقد قاتل مروان قحطبة قبل قدوم سليمان بيومين فلما نظر مروان الى دخول سليمان بن هشام فى عسكر قحطبة وكثرة من جاء معه انهزم فمضى سليمان مع حميد بن قحطبة فى طلبه ولم يكن مروان انهزم عنه غلبة ولكنه كان نظر فى كتب الحدثان فوجد فيها ان طاعة المسودة لاتجاوز الزاب فقال ذلك لوزرائه فقال له ان بمصر زابا آخر قال فالبها نذهب اذاً والزاب الذى اراد علمه هو بارض المغرب فاقبل مروان وهو يريد مصر فالتقت الخيل فانهزم خيل ابى عون واسر القوم وصاحب ابراهيم فاتى مروان بالاسارى فقال مروان شدوا ايديكم بالاسرى فقد اجننا الليل وبات مسرورا فلما اصبح جعل يهيىء اصحابه للقاء القوم فاقبل سليمان بن هشام وابو عون وكان مروان قد ارخى حبال الجسر وتوسط اصحابه فبما هنالك وهم آمنون فقال ابو عون للنبط هل لهذا النهر من مخاضة فقالوا لاوالله ماعلمنا ذلك ولا بلغنا ان احداً خاضه قط فقطع عما قصد واراه . فكتب الى صالح ابن على بذلك و يسأله ان يبعث اليه بمراكب ساحل البحر عاجلا فبينما هو فى ذلك اذ اتاه رجل من النبط فقال له ان ابى كان يقرأ الكتاب وكان يحدثنا بأمور تكون بعده و يصف لنا موضعاً يجعله الله لكم تخوض فيه الخيل عند تلك الامور وقد اختبرت ذلك الليلة . فسر بذلك ابو عون ثم بعث معه الخيل الى ذلك الموضع بعد ان وصله ووعده خيراً وكان مروان نظر الى الرايات السود بناحية مصر ونظر الى الخيل تعدو النهر ولا يشك انهم لايجدون سبيلا الى عبوره فلم ينشب اهل عسكر مروان ان نظروا الى خيل ابى عون قد جاوزت النيل فعبأ مروان اصحابه واهل بيته ثم خطبهم وحضهم على الصبر وقال لهم . ان الجزع لا يزيد فى الاجل وان الصبر لا ينقص الاجل واقبل القوم فاقتتلوا من وقت صلاة الصبح الى ان مالت الشمس فأصيب عبد الله ومحمد ابنا مروان و بنو ابيه اكثرهم وولد عبد العزيز وصابر القوم فلما لم يبق حوله الا قدر الثلاثين حمل على القوم فاكردهم ورجع فجعل اصحابه يفترقون عنه . فلما راى ذلك نزل عن فرسه وانشأ يقول متمثلا

ذل الحياة وهو الممات وكلا اراه وخيما و بيلا

فان كان لابد من ميتة فسيرى الى الموت سيرا جميلا

فوثب رجل الى فرسه فاخذه فقال له مروان اكرمه فانه اشقر مروان ثم كسر غمد سيفه وقاتل قتالا شديداً ثم اصيب فنزل ابو عون فامر بضرب قبابه وامر سليمان بن هشام بطلب المنهزمين حتى اصيب عامتهم واستأثر منهم من استأسر وكان فيمن اسر منهم عبد الحميد كاتبه وحكم المكى مؤذنه فاستبقاهما ابو عون و بعث بهما الى صالح بن على ثم امر ابو عون بطلب جثة مروان على شاطىء النيل فلما كان من الغد ركب ابو عون وسليمان بن هشام لينظر مروان فنظر اليه ثم تحول ابو عون الى سليمان فقال . الحمد لله الذى شفى صدرك قبل الموت من مروان فهل لك يا ابا ايوب ان تذهب الى امير المؤمنين بكتابى و بما هيا الله على يديك وشفى به صدرك فيفعل بك خيراً و يعرف من قرابتك و صحبتك ما انت اهله فرضى بذلك سليمان فكتب وصار فلما قدم سليمان بن هشام على ابى العباس امير المؤمنين رحب به وقربه واستلطفه وانزله بعض دور الكوفة وفعل به مالم يفعل باحد سواه من البر والاكرام وكان سليمان يختلف الى مائدة ابى العباس فى كل يوم فيتغدى معه و يتعشى وكان كاحد وزرائه وفوقهم وكان يجلس ابا جعفر عن يمينه وسليمان عن يساره

قتل ابى سلمة الخلال

وذكروا ان ابا العباس لما تمت له الامور واستوثقت استشار وزراءه فى قتل ابى سلمة فاشار القوم الراى فيه وكان أبو سلمة يظهر الادلال والقدرة على أمير المؤمنين وكان يقيم عنده فى كل ليلة الى حين من الليل فاذا اراد الخروج والرجوع الى منزله قربت اليه دابته الى المجلس فيركب منه دون غيره ثم يخرج الى داره . فقالوا له انك ان قتلته ارتاب ابو مسلم ولكن الرأى ان تكتب اليه بأمره اليه فلما قدم الكتاب الى ابى مسلم كتب الى ابى العباس ان كان رابك منه ريب فاضرب عنقه فلما اتاه الكتاب قال له وزراءه لا تأمن ان يكون ذلك غدراً من ابى مسلم وان يكون انما يريد ان يجد السبيل الى ما تتخوف منه ولكن اكتب اليه ان يبعث اليك برجل من قواده يضرب عنقه فكتب اليه بذلك وذكر فى كتابه انى لا اقدم ولا أؤخر الا برأيك فبعث اليه برجل

يقال له مرار الضبي فلما قدم على ابى العباس امر ذلك الضبي أن يقعد له فى الظلمة فى داخل دار الامارة بالكوفة فاذا خرج ضربه بالسيف ثم يأتيه براسه، ففتله ثم امر بصلبه فلما اصبح الناس اذا هم بابى سلمة مصلوباً على دار الامارة.

﴿ قتل رجال بنى امية بالشام ﴾

وذكروا ان ابا العباس ولى عمه عبد الله بن على الذى يقال له السفاح وامره ان يسكن فلسطين وان يجد السير نحوها وهنأه بما اصاب من اموال بنى امية وكتب الى صالح بن على ان يلحق بمصر والياً عليها. فقدم السفاح فلسطين وتقدم صالح الى مصر فاتاها بعد قتل مروان بيومين وان السفاح بعث الى بنى امية واظهر للناس ان امير المؤمنين وصاه بهم وامره بصلبهم والحاقهم فى ديوانه ورد اموالهم عليهم فقدم عليه من اكابر بنى امية وخيارهم ثلاثة وثمانون رجلا وكان فيهم عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك وابان بن معاوية بن هشام وعبد الرحمن بن معاوية وغيرهم من صناديد بنى أمية. فاما عبد الرحمن بن معاوية فلقيه رجل كان صنع به براً واسداه خيراً وأولاه جميلا فقال له: اطعنى اليوم فى كلمة ثم اعصنى الى يوم القيامة. فقال له عبد الرحمن وما اطيعك فيه اليوم فقال له الرجل: ادرك موضع سلطانك وقاعدتك المغرب، النجا النجا فان هذا غدر من السفاح ويريد قتل من بقى من بنى أمية فقال له عبد الرحمن ويحك انه كتاب ابى العباس قدم عليه يامره فيه بصلتنا وردأمولنا الينا والحاقنا بالعطاء الكامل والرزق الوافر. فقال له الرجل ويحك اتغفل والله لا يستقر ملك بنى العباس ولا يستولون على سلطان ومنكم عين تطرف. فقال له عبد الرحمن ما انا بالذى يطيعك فى هذا فقال الرجل أفتأذن لى ان انظر الى ما تحت ظهرك مكشوفا فقال له وما تريد بهذا فقال له أنت والله صاحب الامر بالاندلس فاكشف لى فكشف عبد الرحمن عن ظهره فنظر الرجل فاذا العلامة التى كانت فى ظهره قد وجدت فى كتب الحدثان وكانت العلامة خالا اسوداً عظيما مرتفعاً على الظهر هابطا فلما نظر اليه الرجل قال له: النجا النجا والهرب الهرب فانك والله صاحب الامر فاخرج فانا معك ومالى لك ولى عشرون الف دينار مصرورة كنت اعددتها لهذا الوقت. فقال له عبد الرحمن وعمن أخذت هذا العلم فقال الرجل من عمك مسلمة بن عبد الملك

فقال له عبدالرحمن ذكرت والله عالما بهذا الامر امالئن قلت ذلك لتدوقفت بين يديه وأنا غلام يوم توفى ابى معاوية وهشام يومئذ خليفة فكشفت عن ظهرى فنظر الى ما نظرت اليه فقال لهشام جدى وهو يبكى : هذا اليتيم ياامير المؤمنين صاحب ملك المغرب فقال له هشام وما الذى أبكاك ياأبا سعيد لهذا تبكى فقال أبكى والله على نساء بنى أمية وصبيانهم كأنى بهم والله وقد ابدلوا بعد اساورة الذهب والفضة الاغلال والحديد و بعد الطيب والدهن البقل والعثار و بعد العز الذل والصغار . فقال هشام احان زوال ملك بنى أمية ياأبا سعيد فقال مسامة أى والله حان وان هذا الغلام يعمر منهم ثم يصير الى المغرب فيملكها فقال له الرجل فافبض منى هذا المال واخرج بمن تثق به من غلمانك فقال عبدالرحمن والله ان هذا الوقت مايوثق فيه باحد فولى ذاهبا وخرج لايدرى متى خرج فلحق بالمغرب واقبل القوم من بنى أمية وقداعد لهم السفاح مجلسا فيه أضعافهم من الرجال ومعهم السيوف والاجرزة فاخرجهم عليهم فقتلهم واخذ أموالهم واستعفى عبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك وكان عبد الواحد قدبذ العابدين فى زمانه وسبق المجتهدين فى عصره فركب السفاح الى اموال عبد الواحد وكان عبدالواحد قداتخذ اموالا معجبة تطرد فيها المياه والعيون فامره السفاح ان يصيرها اليه فابى عليه واختفى منه فاخذ رجالا من اهله فواعدهم السفاح وأمر بحبسهم حتى دلوه عليه فلما قبضه أمر بقتله ثم استقصى ماله فبلغ ذلك ابا العباس أمير المؤمنين وكان أبو العباس يعرفه قبل ذلك وكان عبدالواحد أفضل قرشى كان فى زمانه عبادة وفضلا . فقال أبو العباس رحم الله عبدالواحد اما والله كان يقاتل المقاتلة ولا ممن يشار اليه بفاحشة وماقتلته الا امواله ولولا ان السفاح عمى وذمامه ورعاية حقه على واجب لاقدت منه ولكن الله طالبه وقد كنت اعرف عبد الواحد برا تقيا صواما قواما . ثم كتب الى عمه السفاح الايقتل أحد من بنى أمية حتي يعلم به أمير المؤمنين فكان هذا أول مانقم أبو العباس على عمه السفاح

﴿ ذكر قتل سليمان بن هشام ﴾

وذكروا ان عيسى بن عبد البر اخبرهم قال كان سليمان بن هشام اكرم

الناس على ابى العباس امير المؤمنين لحسن بلائه مع قحطبة وقيامه معه على مروان بن عمه وكان هو الذى تولى كبره وقتل على يديه فكان لذلك أخص الناس بأبى العباس فبينما هما يوما وقد تضاحكا وتداعبا اذ اتى رجل من موالى ابى العباس يقال له سديف فناول ابا العباس كتابا فيه :

اصبح الملك ثابت الاساس * بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان و باس
لا تقيلن عبد شمس عثاراً * واقطعن كل نخلة وغراس
ذلها اظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسى
ولقد غاظنى وغاظ سوائى * قربهم من منابر وكراسى
واذكرن مقتل الحسين وزيداً * وقتيلا بجانب المهراس

فقراه ابو العباس ثم قال له نعم ونعما عين وكرامة سننظر فى حاجتك ثم ناول الكتاب ابا جعفر ثم سلم سليمان بن هشام ثم قام وخرج فتطلع رجل من موالى بنى امية كانت له خاصة وخدمة فى بنى العباس فعرف بعض ما فى الكتاب فلما خرج من عند امير المؤمنين مر بسليمان بن هشام فى غرفة له بالكوفة فسلم ثم قال لسليمان من عندك يا أبا أيوب فقال له ما عندى غير ولدى فقال له: ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين . فخرج سليمان من ليلته هاربا فلحق ببعض نواحى الجزيرة وكتب الى مواليه وصنائعه فاجتمع اليه منهم خلق كثير فبعث اليه ابو العباس جيشا قاتله فانهزم ذلك الجيش ثم بعث اليه بعثا آخر فهزمه ايضا قال فتنقل سليمان عن ذلك الموضع الى غيره ثم بعث اليه بعثا آخر فاسر سليمان وولده فاتى بهما اسيرين الى ابى العباس فامر فقطعت لهما خشبتان وقدمتا اليهما فامر بضرب رقابهما وصلبهما فقال سليمان لولده تقدم يابنى على مصيبتى بك فتقهقر الغلام ثم تقدم فقتل ثم قتل سليمان وصلبا على باب دار الامارة بالكوفة

﴿ خروج السفاح على ابى العباس وخلعه ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدى اخبرهم قال لما ولى السفاح الشام واستصفى أموال بنى أمية لنفسه اعجبته نفسه وحسد ابن اخيه على الخلافة فاظهر الطعن

على ابى العباس والتنقص له فلما بلغ ذلك ابا العباس كتب اليه يعاتبه على ما كان منه فزاده ذلك عجبا وحسدا بما فيه فحبس الخراج ودعا الى نفسه وخلع طاعته ثم قرب موالى بنى امية واطمعهم وسد ثغورهم وابدى العزم وأظهره على محاربة أبى العباس فلما انتهت اخباره الى ابى العباس كتب الى أبى مسلم يستغيثه ويذكر عظيم يده عنده ويسأله القدوم عليه لامر السفاح فقدم أبو مسلم فاقام عنده اياما ثم خرج الى السفاح ومعه اجناده وقواده فلقى السفاح على الفرات فهزمه واستباح عسكره وأخذه أسيراً فقدم به على أبى العباس فلما قدم اليه وأدخل عليه قال : ياعمى احسنا وواسينا فحسدت وبغيت وقد رايت تعطفا عليك وصلة لرحمتك ان أحبسك حبسا رقيقا حتى تؤدب نفسك ويبدو منك ثم أمر فبنى له بيت جعل أساسه قطع الملح فحبسه فيه فلما كان بعض أيام ارسل الماء حول البيت فذاب الملح وسقط البيت عليه فمات فيه ورد أبا مسلم الى عمله بخراسان فاقام فيها بقية عامه ثم أخرج ابو العباس أبى جعفر واليا على الموسم وخرج أبو مسلم أيضاً حاجا من خراسان

اختلاف أبى مسلم على ابى العباس

وذكروا ان ابا العباس وجه ابا جعفر فى ثلاثين رجلا الى ابى مسلم وكان فيهم الحجاج بن ارطاة الفقيه والحسن بن الفضل الهاشمى وعبد الله ابن الحسين فلما توجه ابو جعفر الى ابى مسلم بخراسان وقدم عليه استخف به بعض الاستخفاف ولم يزد الاجلال له وجعل يعظم فى كلامه وفعله الخليفة ولم يزل ابو مسلم يتخوف ان يصنع به مثل ما صنع بأبى سلمة الخلال وكان لا يظهر ذلك لاحد . فلما قدم ابو جعفر عليه ومعه الثلاثون رجلا وفيهم عبد الله بن الحسين قام اليه سليمان بن كثير فقال ياهذا انا كنا نرجو ان يتم أمركم فاذا شئتم فادعوا الى ماتريدون فظن انه دسيس من أبى مسلم فخاف ذلك فبلغ ابا مسلم ان سليمان بن كثير سار عبد الله بن الحسين بن على فقال لسليمان بلغنى انك سامرت هذا الفتى قال أجل له قرابة وحق علينا وحرمة فسكت فاتى عبد الله بن الحسين أبا مسلم فذكر له ذلك وظن انه ان لم يفعل اغتاله أبو مسلم فبعث أبو مسلم الى سليمان بن كثير فقال له أتحفظ قول الامام

من اتهمته فاقتله قال نعم قال قد اتهمتك فقال ناشدتك الله قال لاتناشدني وأنت منطوعلى غش الامام فأمر فضربت عنقه وكتب أبو مسلم الى محمد ابن الاشعث ان يأخذ عمال أبى سلمة فيضرب أعناقهم واستعمل أبوالعباس عيسى بن على على فارس فأخذه محمدفهم بقتله فقيل لمحمد ان هذا لا يسوغ لك قال أمرنى أبو مسلم ان لا يقدم على أحد الا ضربت عنقه فقال ما كان ابو مسلم ليفعل شيئاً الا بامر الامام فلما قدم ابو جعفر من عند ابى مسلم قال لابى العباس لست بخليفة ولا امرك بشيء ان لم تقتل ابا مسلم فقال أبوالعباس وكيف ذلك قال لا والله ما يعبأ بنا ولا يصنع الامايريد فقال له ابو العباس اسكت واكتمها

﴿ قتال بن هبيرة واخذه ﴾

وذكروا ان أبا العباس وجه أبا جعفر الى مدينة واسط فتقدم على الحسين ابن قحطبة وهو على الناس وكتب أبو العباس الى الحسين بن قحطبة ان العسكر عسكرك والقواد قوادك فان احببت ان يكون أخى حاضراً فاحسن موازرته ومكاتفته وكتب الى أبى نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك وذكروا ان ابن هبيرة كان قد نصب الجسور بين المدينتين فقال اليمانية الذين مع ابن هبيرة لا والله لا نقاتل على دعوة بنى امية ابداً لسوء رأيهم فينا وبغضهم لنا وقالت القيسية لا والله لا نقاتل حتي يقاتل اليمانية فلم يكن يقاتل مع ابن هبيرة الا صعاليك الناس وأهل العطاء . وكان كثيراً ما يتمثل ويقول :

الثوب ان انهج فيه البلى * اعياعلى ذى الحيلة الصانع
كنا نرقعها اذا مزقت * فاتسع الخرق على الراقع

وكان من رأى ابن هبيرة ان لا يعطى طاعة لبنى العباس وكان رأيه ان يدعو الى محمد بن عبد الله بن الحسين فاطلع على ذلك أبو العباس وخاف ان يثور اليمانية مع ابن هبيرة فى ذلك . فكاتبهم أبو جعفر وقال فى كتابه لهم السلطان سلطانكم والدولة دولتكم وكتب الى زياد بن صالح الحارثى بذلك وكان عامل ابن هبيرة فى المدينة وكان عامله قبل ذلك على الكوفة فاجاب زياد بن صالح وذلك لما خاف ان يدخل المدينة فيقتل بها فلما كان مغيب

الشمس قاموا اليه فلما صلى المغرب ركب فطاف فى مسالحه وايوابه فرجع عتمة فتعشى ثم صلى فاقبل على بن الهيثم فقال والله ما تخلف غصة اعظم ولا أهم الى منك لانك مع هؤلاء ولست أدرى ما يكون بعد اليوم وأرى الامر قد استتب لهؤلاء القوم فى المشرق والمغرب ولكن ان لفيت أبا العباس اعلمته من أمرى قال ما أخاف تقصيرك ثم قال لست أثق بولد ولا بغيره ثقتي بك فيما أريدان أوطده ، تأخذ مفاتيح هذه المدينة حتى تصبح فتأتى بها ابن هبيرة فقلت انظر ما تصنع فى خروجك اثتق بالقوم قال هم قد جرى بينى و بينهم ماائق به واتانى كتاب ابى العباس بكل ما احب وكتاب أبى جعفر فقلت ياأبا الربيع أخاف ان لا يوفى لك . فلما أدهم الليل وانتصف قام فصلى ركعات ثم أمر غلمانه فحملوا متاعه على أربعة بغال ثم أخرج أربعة غلمان له وابنه ثابت على بغال فقال لهم خرج واغلق الباب فلما انتهى الخبر الى ابن هبيرة بكى وقال ما يوثق باحد بعد زياد بن صالح بعد ايثارى اياه واكرامى وتفضيلى له وما صنعت به قلت هو هنالك والله خيرلك منه هاهنا . قال وترى ذلك ؟ قلت نعم قال ثم مشت الكتب والرسل بينهم أى بين أبى جعفر وابن هبيرة حتي صار أمرهم الى ان يلقاه ونهض ابن هبيرة لهم وتخلى مما بيده لهم .

﴿ كتاب الامان ﴾

وذكروا ان رجلا من قيس يقال له ابو بكر بن مصعب العقيلى سعى فى كتاب الصلح والامان عند أبى جعفر حتي تم له فاتى به ابن هبيرة . وفيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن على أبى جعفر ولى أمر المسلمين ليزيد بن هبيرة ومن معه من اهل الشام والعراق وغيرهم فى مدينة واسط وارضها من المسلمين والمعاهدين ومن معهم من وزراءهم . انى أمنتكم بامان الله الذى لا اله الا هو الذى يعلم سرائر العباد وضمائر قلوبهم و يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور واليه الامر كله ، أماناً صادقاً لا يشوبه غش ولا يخالطه باطل على أنفسكم وذراريكم وأموالكم واعطيت يزيد بن عمر ابن هبيرة ومن امنته فى أعلا كتابى هذا بالوفاء بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه الذى واثق به الامم الماضية من خلقه واخذ عليهم به امره عهداً

خالصاً مؤكداً وذمة الله وذمة محمد ومن مضى من خلقائه الصالحين واسلافه الطيبين التي لا يسع العباد نقضها ولا تعطيل شيء منها ولا الاحتقار بها ، و بها قامت السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها تعظيماً لها و بها حقنت الدماء ، وذمة روح الله وكلمته عيسى بن مريم وذمة ابراهيم واسماعيل واسحاق و يعقوب والاسباط وذمة جبريل وميكائيل واسرافيل واعطيتك ما جعلت لمن هذه البرد والمواثيق ولمن معك من المسلمين وأهل الذمة بعد استئماري فيما جعلت لك منه عبد الله بن محمد امير المؤمنين اعز الله نصره وأمر بانفاذه لكم ورضى به وجعله لكم وعلى نفسه وتسلم ذلك من قبله من وزرائه وقواده واصحاره ومن شيعته من أهل خراسان فانت وهم آمنون بامان الله ليس عليك حد ولا تؤاخذ بذنب اتيته وكنت عليه فى خلاف أو مناوأة أو قتل او ترة او جرم أو جناية او سفك دماء خطأ او عمداً او امر سلف منك او منهم صغير أو كبير فى سر اوعلانية ، ولا ناقض عليك ما جعلت لك من امانى هذا الكتاب اخنك فيه ولا ناكث عنه واذنت لك فى المقام فى المدينة الشرقية الى الاجل الذى سالت ثم أسالك حيث بدا لك من الارض آمناً مطمئناً ملؤ ثقتك ومن سالته ان يؤذن له فى المسير معك ومن تبعك واهل بيتك والخمسمائة رجل على ما سالت من دوابهم وسلاحهم ولباس البياض لايخافون غدراً ولا اخفاراً بك حيث احببت من بر او بحر وانزل حيث شئت من الارض الى ان تنتهى الى منزلك من ارض الشام فانت آمن بامان الله ممن مررت به من عمالنا ومسالحنا ومراصدنا ليس عليك شيء تكرهه فى سر ولا علانية بذمة الله الذى لا اله الا هو ولا ينالك من امر تكرهه فى ساعة من ساعات الليل والنهار ولا ادخل لك فى امانى الذى ذكرت لك غشاً ولا خديعة ولا مكراً ولا يكون منى فى ذلك دسيس بشيء مما تخافه على نفسك ولا خديعة فى مشرب ولا مطعم ولا لباس ولا اضمر لك عليه نفسى الى ارتحالك من مدينة واسط فى دخولك على عسكرى والغدو والرواح اذا بدالك والدخول الى سلطانى من ساعات الليل والنهار احببت فاطمئن الى ما جعلت لك من الامان والعهود والمواثيق وثق بالله و بامير المؤمنين فيما سلم

منه ورضى به وجعلته لك ولمن معك على نفسى ولك على الوفاء بهذه العهود والمواثيق والذمم أشد ما أخذ الله وحرمه وما انزل الله تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه جعله كتابا مبينا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونورا وحجة على العباد حتى التقى الله وانا عليه ، وانا اشهد الله وملائكته ورسله ومن قرىء عليه كتابى هذا من المسلمين والمعاهدين بقبول هذه العهود والمواثيق واقرارى بها على نفسى وتوكيدى فيها وعلى تسليمى لك ما سالت ولا يغادر منها شيء ولا ينكث عليك فيها ، وادخلت فى أمانك هذا جميع من قبلى من شيعة أمير المؤمنين من أهل خراسان ومن لا مير المؤمنين عليه طاعة من أهل الشام والحرب وأهل الذمة وجعلت لك ان لا ترى منى انقباضا ولا مجانبة ولا ازوراراً ولا شيئاً تكرهه فى دخولك على الى مفارقتك اياى ولا ينال أحداً معك امر يكرهه وادخلت لك ولهم فى المسير والمقام ، جعلت لهم أمانا صحيحا وعهداً وثيقا وان عبد الله بن محمد ان نقض ماجعل لكم فى أمانكم هذا فنكث أو غدر بكم أو خالف الى أمر تكرهه أو تابع على خلافه أحد من المخلوقين فى سر أو علانية أو أضمر لك فى نفسه غير ما اظهر لك او ادخل عليك شيئاً فى امانه وما ذكر لك من تسليم امير المؤمنين التماس الخديعة والمكر بك وادخال المكروه عليك او نوى غير ما جعل لك من الوفاء لك به فلا قبل الله منه صرفا ولا عدلا وهو برىء من محمد بن على وهو يخلع امير المؤمنين و يتبرأ من طاعته وعليه ثلاثون حجة يمشيها من موضعه الذى هو به من مدينة واسط الى بيت الله الحرام الذى بمكة حافيا راجلا ، وكل مملوك يملكه من اليوم الى ثلاثين حجة بتراء او هبة احرار لوجه الله وكل امرأة له طالق ثلاثا وكل ما يملكه من ذهب او فضة اومتاع او دابة او غير ذلك فهو صدقة على المساكين وهو يكفر بالله و بكتابه المنزل على نبيه والله عليه فيما وكد وجعل على نفسه فى هذه الايمان راع وكفيل وكفى بالله شهيداً . قالوا وكان من رأى ابى جعفر الوفاء لابن هبيرة واصحابه

﴿ قدوم ابن هبيرة على ابى العباس ﴾

وذكروا ان ابن هبيرة وأصحابه لما جاءهم الكتاب بالايمان ترددوا فيه أربعين

يوماً يتدبرونه ويستخيرون الله في الخروج اليهم ثم عزم الله له في القدوم على أبي العباس وابي جعفر وكان ابو مسلم كثيراً ما كتب لابي العباس . انه قل طريق سهل يلقى فيه حجارة الا ضر ذلك بأهله ولا والله يصلح طريق فيه ابن هبيرة وأصحابه . وكان أبو الجهم بن عطية عين ابي مسلم على ابي العباس فكان يكتب اليه بالاخبار وكان ابو العباس لا يقطع امراً دون رأى ابي مسلم وقد كان ابن هبيرة في تلك الاربعين ليلة يجمع لذلك الكتاب ممن يعبر الكلام والفته طرفي النهار فيترددون فيه حتى بلغوا فيه الغاية التي يريدون . ثم خرج ابن هبيرة الى ابي جعفر في الف وثلاثمائة فلما قدم اراد ان يدخل دار الامارة على دابته فقام الاذن فقال مرحبا بك ابا خالد انزل راشداً وقد طاف بالدار يومئذ نحو من عشرة آلاف رجل من أهل خراسان مستلئمين في السلاح أعينهم تزهو من تحت المغافر على عواتقهم السيوف مشهورة وعمد الحديد بايديهم . فأتى ابن هبيرة بوسادة فطرحت له فجلس عليها ثم دعا الحاجب بالقواد فدخلوا على ابي جعفر ثم خرج سلام بن سلام فقال ادخل اباخالد قال ومن معي ؟ قال انما استأذنت لك فدخل فوضعت له وسادة فجلس فحدثه ابو جعفر طويلا ثم نهض فركب فأتبعه ابو جعفر بصره حتى انصرف

﴿ قتل ابن هبيرة ﴾

وذكروا ان أبا العباس كتب الى أبي جعفر . ان اقتل ابن هبيرة فراوده ابو جعفر بالكتاب فكتب اليه أبو العباس . والله لتقتلنه او لا بعثن اليك من يخرجه من عندك ويتولى ذلك عليك . وكان ابن هبيرة اذا ركب الى ابي جعفر ركب في ثلاثمائة فارس وخمسمائة راجل فقدم يزيد بن حاتم على ابي جعفر فقال اصلح الله الامير ماذهب من سلطان ابن هبيرة شيء يأتينا فيتضعضع به العسكر فقال ابو جعفر ياسلام قل لابن هبيرة لا يركب في مثل تلك الجماعة وليأتنا في حاشيته . قال عدي فأصبحنا فخرج ابن هبيرة ايضاً في مثل تلك الجماعة الذين كانوا يركبون معه فخرج اليه سلام فقال يقول لك الامير ماهذه الجماعة لا تسير الا في حاشيتك فتغير وجه ابن هبيرة فلما اصبح أتى في نحو من ثلاثين رجلا قال له ابن سلام كانك انما تاتينا مباهياً فقال ابن هبيرة ان أحببتم ان نمشي اليكم

فعلنا فقال سلام ما تريد بذلك استخفافا بك ولكن اهل العسكر اذا رأوا جماعة من معك غمهم ذلك فكان هذا من الامير نظراً لك فمكث طويلا جالساً فى الرواق فقيل له ان الامير يحتجم فانصرف راشداً فلم يزل يركب يوماً ويقيم آخر لا يجىء الا فى رجلين اوغلامه وقد ختموا على الخزائن وبيوت الاموال وجعل القواد يدخلون على ابى جعفر فيقولون ما تنتظر به فيقول ما اريد الا الوفاء له حتى اذا اجتمع امرهم على قتله بعث الى الحسين بن قحطبة فاتاه فقال لو سرت الى هذا الرجل فأرحتنا منه فقال لا نريد ذلك ولكن ابعث اليه رجلا من قومه من مضر حتى يقتله فتتفرق كلمتهم عند ذلك فدعا حازم بن حزيمة والهيثم بن شعبة قال لهم ابو جعفر ائتوا الى ابن هبيرة فجددوا على بيوت المال الختم وعلى الخزائن وبعث معهما من المضرية والقيسية ان يحضروا الاذن وار يحونا من الرجل ففعلوا ثم دخلوا رحبة القصر فى مائة رجل فارسلوا الى ابن هبيرة انا نريد حمل ما فى الخزائن فقال ادخلوا فدخلوا الخزائن فطافوا بها ساعة وجعلوا يختمون عند كل باب عدة حتى دخلوا عليه فقالوا ارسل معنا من يدلنا على المواضع وبيوت الاموال فقال ياعثمان ارسل معهم من يريدون فطاف حازم وأصحابه فى القصر ساعة وابن هبيرة عليه قميص له مصرى وملاءة موردة وهو مسند ظهره الى حائط المسجد فى رحبة القصر ومعه ابنه داود وحاجبه وكاتبه عمر بن ايوب وعدة من مواليه وبنيه وفى حجر ابن هبيرة ولد صغير ، فلما توثقوا من كل شىء اقبلوا نحوه فلما رآهم قد اقبلوا اليه قال والله ان فى وجوه القوم لشراً . فلما دنوا منه قام ابو عثمان فقال ماوراءكم فنضحه الهيثم بالسيف فاصاب حبل عاتقه فصرعه وقام ابنه داود فقاتل فتفرقوا عليه فقتلوه ومواليه ثم مضوا نحو ابن هبيرة فخر ساجداً وقال ويحكم نحوا عنى هذا الصبى لا يرى مصرعى قال فضرب حتى مات ساجداً ثم أخذوا رؤسهم فأتوا بها ابا جعفر ونادى المنادى بواسط أمن الامير خلق الله جميعاً الا الحكم بن بشير وعمرو بن ذر قال فضاقت على والله الارض بما رحبت حتى خرجت على دابتى مالى هجير الا آية الكرسى اتلوها والله ما عرض لى احد حتى توارت فلم أزل خائفاً حتى استأمن لى زياد بن عبدالله بن العباس فامنه وهرب الحكم بن عبدالله بن بشير الى عسكره وضاقت بخالد بن

مسلمة الارض حتى أتى ابا جعفر فاستأذن عليه فامنه . و بلغ ذلك أبا العباس فكتب الى أبى جعفر والله لوكانت له الف نفس لاتيت عليها اضرب عنقه فهرب أبو علاقة الفزارى وهشام بن هبيرة وصفوان بن يزيد فلحقتهم سعد بن شعيب فقتلهم وقبض على أصحاب ابن هبيرة فقتل من وجوههم نحوا من خمسين ثم أمن الناس جميعاً ونادى منادى أبى جعفر من أراد ان يقيم فليقم بالجابية ومن احب ان يشخص فليشخص وهرب القعقاع بن ضرار وحميد وعدة حتى اتوا زياد بن عبدالله فاستامن لهم فامنوا جميعاً وقوى ملك بنى العباس واستقرت قواعده فلما قتل ابن هبيرة ونودى فى أهل الشام الحقوا شامكم فلاحاجة لنابكم فسار أهل الشام حتى قدموا الكوفة منهم من قدم ومنهم من أخذ على عين التمر ومنهم من أخذ على طريق المدائن ثم لحقوا بالشام على طريق الفرات واستعمل ابو جعفر على واسط ومن فيها الهيثم بن زياد وخلف معه خيلا ثم انصرف أبو جعفر الى أبى العباس وهو يومئذ بالحيرة ثم وجه داود بن على الى الحجاز فقتل من ظفر به من بنى أمية وغيرهم فتوجه الى المثنى بن زياد بن عمر بن هبيرة باليمامة فقتله واصحابه ثم تبعهم محمد بن سمارة وكان على الطائف فقتلهم وتحول أبو العباس من الحيرة الى الانبار فامر أبو العباس برأس ابن هبيرة فوضع بالحيرة على خشبة ومعه غيره من عمال مروان و بهار فع رأس مروان بن محمد وعن يمينه رأس ثعلبة بن سلامة ورأس عثمان بن شعيب عن يساره وانقطعت شيعة بنى امية وطلبوا تحت كل حجر ومدر

﴿ اختلاف أبى مسلم على أبى العباس ﴾

وذكروا ان أبامسلم كتب الى أبى العباس يستأذنه فى القدوم عليه فقدم عليه فتلقاه الناس جميعاً ومعه القواد والجماعة والخيل والنجائب ثم استأذن أبا العباس فى الحج فقال لولا ان أبا جعفر يحج لاستعملتك على الموسم فقال أبو جعفر لابى العباس أطعنى واقتل أبا مسلم فوالله ان فى رأسه لغدرة . فقال له أى أخى قد عرفت بلائه وما كان منه فقال أبو جعفر هو أخطأ بذلك والله لو بعثت سنوراً مكانه لبلغ ما بلغ فى مثل الدولة . قال أبو العباس كيف تقتله قال اذا دخل عليك فحادثه فاذا اقبل عليك دخلت فاتيت من خلفه فضربته ضربة آتى منها على نفسه فقال أبو العباس أى أخى فكيف تصنع باصحابه الذين يؤثرونه على أنفسهم

ودينهم قال يؤل ذلك الى خير والى ماتريد . قال ياأخى انى أريد ان تكف عن هذا فقال أبو جعفر أخاف ان لم تنفذه يتعشاك . فقال أبو العباس فدونكه ياأخى قال وكان مع أبى مسلم من اهل خراسان عشرة آلاف قد قدم بهم يأخذون العطاء عند غرة كل شهر اوفرما يكون من الارزاق سوى الاعاجم فلما دخل أبو مسلم على أبى العباس دعا أبو العباس خصيا له فقال اذهب فاعرف مايصنع أبو جعفر فأتاه فوجده مختفياً بسيفه فقال أبو جعفر اجالس أمير المؤمنين فقال الوصيف قد تهيأ للجاوس ثم رجع الوصيف فذكر ذلك لابى العباس فرده أيضاً الى أبى جعفر وقال قل له عزمت عليك ان لا تنفذ الامر الذى عزمت عليه فكف عن ذلك فسار الى مكة حاجا وللموسم . وخرج أبو مسلم فكان اذا كتب الى أبى جعفر يبدأ بنفسه ثم يكتب اليه لا يهولنك مافى صدر الكتاب فانى لك بحيث تحب ولكنى احب ان يعلم أهل خراسان ان لى منزلة عند امير المؤمنين

﴿ كتاب ابى مسلم الى ابى جعفر وقدهم ان يخلع ويخالف ﴾

وذكروا ان أبامسلم لما رجع من عند أبى العباس وقد قيل له بالعراق ان القوم ارادوك لولا ماتوقفوا ممن معك من اهل خراسان فلما كان فى بعض الطريق كتب الى أبى جعفر : اما بعد فانى كنت اتخذت اخاك اماما ودليلا على ماافترض الله على خلقه وكان فى محله من العلم وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث كان فقمعنى بالفتنة واستجهلنى بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعاً فى قليل قد نعاه الله الى خلقه فمثل الضلالة فى صورة الهدى فكان كالذى دل بغروره حتى وترت اهل الدين والدنيا فى دينهم واستحللت بما كان من ذلك من الله النقمة وركبت المعصية فى طاعتكم وتوطئة سلطانكم حتى عرفكم من كان يجهلكم وأوطأت غيركم العشواء بالظلم والعدوان حتى بلغت فى مشيئة الله ما احب ثم ان الله بمنه وكرمه اتاح لى الحسنة وتداركنى بالرحمة واستنقذنى بالتوبة فان يغفر فقديما عرف بذلك وان يعاقب فبما قدمت يداى وماالله بظلام للعبيد . فكتب اليه ابو جعفر . اروم مارمت وازول حيث زلت ليس لى دونك مرمى ولا عنك مقصر الرأى مارأيت ان كنت انكرت من سيرته شيئاً فانت الموفق للصواب والعالم بالرشاد انا من لا يعرف غير يديك ولم يتقلب

الا فى فضلك فانا غير كافر بنعمتك ولا منكر لاحسانك لا تحمل على اصر غيرى ولا تلحق ماجناه سواى بى ان امرتنى ان اشخص اليك والحق بخراسان فعلت الامر امرك والسلطان سلطانك والسلام

﴿ موت ابى العباس واستخلاف ابى جعفر ﴾

وذكروا ان أبا جعفر لما انقضى الموسم وانصرف راجعا جاءه موت ابى العباس وكان بينه و بين ابى مسلم مرحلة . فكتب الى ابى مسلم انه قد حدث حدث ليس مثلك غائب عنه فالعجل العجل قال اسحاق بن مسلم . فقلت لابى جعفر وانا اسايره ونحن متبلون من مكة ايها الرجل لا ملك لك ولا سلطان مع هذا العبد فقال أبو جعفر ظهر غشك و بدا منك ما كنت تكتم بابى مسلم يفعل هذا قلت نعم فانى اخاف عليك منه يوم سوء فقال كذبت قال اسحاق فسكت ثم لقيته بعد ذلك من الغد ولا والله ماعرفتها فيه وعاودنى بمثل كلامه الاول فقلت له اكثر ام اقل ان لم تقتله والله يقتلك . قال فهل شاورت فى هذا أحداً قلت لا قال اسكت فسكت . فقدم الكوفة فاذا عيسى بن موسى قد سبقه الى الانبار وغلب على المدينة والخزائن و بيوت الاموال والدواوين وخلع عبدالله وتوثب على ابى جعفر ودعا اهل خراسان فالحقهم بالثمن وجعل لهم الجعائل الجليلة والعطايا الجزيلة . فلما قدم ابو جعفر سلم الامر لعيسى بن موسى وتوثب عبدالله بن على على اهل خراسان فقتلهم ودعا الى نفسه وأتاه أبو غانم عبدالحميد بن ربعى فقال ان أردت ان يصفو لك الامر فاقتل اهل خراسان وابدأ بى . فلما قدم ابو جعفر من مكة قال لابى مسلم انما هو أنا وانت والامر أمرك فامض الى عبدالله بن على او أهل الشام فلما سار اليه أبو مسلم سار معه الفواد وغيرهم فلقى عبدالله بن على وأهل الشام فهزمهم واسر عبدالله بن على و بعث به الى أبى جعفر فاستنكر أبو جعفر قعود ابى مسلم عنه فبعث اليه يقطين بن موسى ورجلا معه على القبض فقال ابو مسلم لا يوثق بهذا ونحوه فوثب وشتم وقال قولا قبيحاً قال له يقطين بن موسى جعلت فداك لا تدخل الغم على نفسك ان احببت رجعت الى أمير المؤمنين فانه ان علم ان هذا يشق عليك لم يدخل عليك مكروها . ثم قدم أبو جعفر من الانبار حتى قدم المدائن وخرج أبو مسلم فأخذ طريق

خراسان مخالفاً لابى جعفر . فكتب اليه ابو جعفر . قد اردت مذاكرتك فى اشياء لم تحملها الكتب فاقبل فان مقامك عندنا قليل . فلم يلتفت ابو مسلم الى كتابه فبعث اليه أبو جعفر جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي وكان أبو مسلم يعرفه فقال له أيها الامير ضربت الناس عن عرض اهل هذا البيت ثم تنصرف على مثل هذه الحال ان الامر عند أمير المؤمنين لم يبلغ ماتكره ولا ارى ان تنصرف على هذه الحال فيقول أبو مسلم ويحك انى دليت بغرور وأخاف عدوه

﴿ قتل أبى مسلم ﴾

وذكروا ان جريراً لم يزل بابى مسلم حتى اقبل به . وكان أبو مسلم يقول والله لا قتلن فى الروم فاقبل منصرفا فلما قدم على ابى جعفر وهو يومئذ بالرومية من المدائن امر الناس يتلقونه واذن له فدخل على دابته ورحب به وعانقه واجلسه معه على السرير وقال له كدت ان تخرج ولم اقض اليك بما تريد فقال قد اتيت ياامير المؤمنين فليأمرنى بامره قال انصرف الى منزلك وضع ثيابك وادخل الحمام ليذهب عنك كلال السفر وجعل أبو جعفر ينتظر به الفرصة فاقام اياما ياتى ابا جعفر كل يوم فيريه من الاكرام مالم يره قبل ذلك حتى اذا مضت له ايام اقبل على التجنى . فاتى ابو مسلم الى عيسى بن موسى فقال اركب معى الى أمير المؤمنين فانى قد أردت عتابه بمحضرك فقال عيسى انت فى ذمتى فقبل ابو مسلم فقيل له ادخل فلما صار الى الرقاق الداخل قيل له ان أمير المؤمنين يتوضأ فلو جلست فجلس وابطأ عيسى بن موسى عليه وقد هيأ له أبو جعفر عثمان بن نهيك وهو على حرسه فى عدة فيهم شبيب بن رياح وابو حنيفة الفقيه فتقدم أبو جعفر الى عثمان فقال له اذا عاتبته فعلا صوتى فلا تخرجوا وجعل عثمان وأصحابه فى سترخلف أبى مسلم فى قطعة من الحجرة وقد قال أبو جعفر لعثمان بن نهيك اذا صفقت بيدى فدونك ياعثمان . فقيل لابى مسلم ان قد جلس أمير المؤمنين فقام ليدخل فقيل له انزع سيفك فقال ما كان يصنع بى هذا فقيل وما عليك فنزع سيفه وعليه قباء أسود وتحته جبة خز فدخل فسلم وجلس على وسادة ليس فى المجلس غيرها وخلف ظهره القوم خلف ستر . فقال ابو مسلم صنع بى يا أمير المؤمنين مالم يصنع باحد نزع سيفى من عنقى قال ومن فعل ذلك قبحه الله ثم

اقبل يعاتبه فعلت وفعلت فقال ياأمير المؤمنين لمن يقال هذا الى بعد حسن بلائى وما كان منى ؟ فقال له أبو جعفر يا ابن الخبيثة والله لو كانت امة او امرأة مكانك بلغت ما بلغت فى دولتنا ولو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلا . الست الكاتب الى تبدأ بنفسك والكاتب الى تخطب آمنة ابنة على ابن عمى وتزعم انك أبو مسلم ابن سليط عن عبدالله بن العباس لقد ارتقيت لامر لك مرتقاً صعبا قال وابو جعفر ترعد يده فلما رأى ابو مسلم غضبه قال . يا امير المؤمنين لاتدخل على نفسك هذا الغم من اجلى فان قدرى اصغر مما بلغ منك هذا ، فصفق ابو جعفر بيده فخرج عثمان بن نهيك فضربه ضربة خفيفة فأوما ابو مسلم الى رحل ابى جعفر يقبلها ويقول : انشدك يا امير المؤمنين استبقنى لاعدائك فدفعه برجله وضربه شبيب على حبل العاتق فاسرعت فيه فقال ابو مسلم : واتعساه ألا قوة ألا مغيث اضرب لا أم لك فاعتوره القوم باسيافهم فقتلوه فامر به ابو جعفر فكفن بمسح ثم وضع فى ناحية ثم قيل ان عيسى بن موسى بالباب فقال ادخلوه فلما دخل قال يا امير المؤمنين فاين ابو مسلم قال كان هاهنا آنفاً فخرج فقال عيسى يا أمير المؤمنين قد عرفت طاعته ومناصحته ورأى ابراهيم الامام فيه قال له ابو جعفر : يا أنوك والله ما اعرف عدوا اعدى لك منه هاهو ذا فى البساط فقال عيسى انا لله وانا اليه راجعون . فاقبل اسحاق صاحب شرطه قال انما كان ابو مسلم عبد أمير المؤمنين وأمير المؤمنين اعلم بما صنع . فامر ابو جعفر برأسه فطرح الى من بالباب من قواد ابى مسلم فجالوا جولة وهموا ان يبسطوا سيوفهم على الناس ثم ردهم عن ذلك انقطاعهم من بلادهم وتغربهم واحاطة العدو بهم فبعضهم اتكأ على سيفه فمات وبعضهم ناصب واراد القتال . فلما نظر ابو جعفر الى ذلك امر بالعطاء لاصحاب ابى مسلم واجزل الصلات للقواد والرؤساء منهم ثم عهد اليهم ان من احب منكم ان يكون معنا هاهنا نأمر بالحاقه فى الديوان فى الف من العطاء ومن احب ان يلحق بخراسان كتبناه فى خمسمائة تردعليه فى كل عام وهو قاعد فى بيته . قال فكأنها نار طفئت فقالوا رضينا يا أمير المؤمنين كلما فعلت فانت الموفق فمنهم من رضى بالمقام معه ومنهم من لحق بخراسان

﴿ ثورة عيسى بن زيد بن على بن الحسين ﴾

وذكروا ان ابا جعفر لما قتل أبامسلم واستولى على ملك العراقين والشام والحجاز وخراسان ومصر واليمن ثار عليه عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب فقاتله فيما بين الكوفة وبغداد ولقيه فى جموع كثيرة نحوا من عشرين ومائة الف فاقام أياما يقاتله فى كل يوم حتى هم ابو جعفر بالهزيمة وركب فرسه ليهرب ثم جعل يشجع اصحابه ويعدهم بالعطايا الواسعة والصلات الجزيلة فقاتلوا ثم ان ابا جعفر غلبته عيناه وهو على فرسه فرأى فى نومه انه يمد يديه ورجليه على الارض . فاستيقظ ودعا عيارا كان معه فاخبره بما رأى فقال له ابشر ياأمير المؤمنين فان سلطانك ثابت وسيليه بعدك جماعة من ولدك وهذا الرجل منهزم ، فما كان باسرع من ان نظر الى عيسى بن زيد منهزما

﴿ هروب مالك بن الهيثم ﴾

وذكروا ان مالك بن الهيثم خرج هاربا حتى أتى همدان وعليها يومئذ زهير ابن التركى مولى خزاعة . فكتب اليه ابو جعفر . ان الله مهرق دمك ان فاتك مالك فجاء زهير بن التركى الى مالك بن الهيثم فقال له جعلت فداك قد اعددت لك طعاما فلو اكرمتنى بدخولك منزلى فقال له نعم وكان قد هيأ لزهير اربعين رجلا . فلما دخل مالك قال لزهير عجل طعامك وقد توثق زهير من الباب وهيأ أصحابه فخرج عليه الاربعون فشدوه وثاقا ثم وضعوا القيود فى رجله ثم قال ابا نصر جعلت فداك والله ما عرفت هذه الدعوة حتى ادخلتنى فيها ودعوتنى اليها فما الذى يخرجك منها والله ما اخليك حتى تزور ابا جعفر فبعث به اليه فعفى عنه ابو جعفر وولاه الموصل . قال الهيثم . وكان يقال ان عبد الملك بن مروان كان احزم بنى أمية وان ابا جعفر كان احزم بنى العباس واشدهم بأساً واقواهم قلباً الا ترى ان عبد الملك قتل عمرو بن سعيد فى داخل قصره وابوابه مغلقة وابو جعفر قتل ابامسلم فى داخل سرادقه وليس بينه وبين اهل خراسان الا خرقة وقال الهيثم ذكر ابن عياش . ان ابا جعفر قال لحاجبه عيسى بن روضة تقدم الى كل من دخل ان لا يذكر ابامسلم فى شىء من كلامه قال ابن عياش فاغتممت لذلك فوقفت له خلف ستر ومر راكب مع هشام بن عمر وعبد الله فلما طلع عمر ابن عبد الرحمن صاحب شرطه وبيده الحربة ركبت قال ابو الجراح مالك فقلت

اسلم على امير المؤمنين قال دونك فدنوت والنهر بيني و بينه فقلت ياامير المؤمنين هنيئا لك وقفة اقعدت كل قائم فقال بيده على فيه ولم يلتفت كالكاره لما سمع واقبل على صاحبيه قال ابن عياش وكان هذا فى سنة خمس وار بعين ومائة ثم انصرف ابو جعفر الى الحيرة ومعه عمه عبدالله بن على فى غير وثاق وعليه الاحراس وقد هيأ له ابو جعفر بيتا فحبسه فيه فلما قدم به قيل انه سمه قال الهيثم . ان اساس البيت الذى حبسه فيه من لبن والحيرة كثيرة السواقى ندية الارض فيقال انه امر من الليل بجدول فسرح حول البيت فتهدم عليه فمات . قال ابن عياش اقبل رجل من همدان الى ابى جعفر فى وفد من العرب فدخلوا عليه فلما خرجوا وفاتوا بصره قال للآذن على بالهمدانى . فلما مثل بين يديه قال له ياأخا همدان اخبرنى عن خليفة اسمه على عين قتل ثلاثة اسماؤهم على عين فقال الهمدانى نعم ياأمير المؤمنين عبدالملك بن مروان قتل عمرو بن سعيد الاشدق اسمه على عين وعبدالله بن الزبير وعبد الرحمن بن محمد الاشعث . وانت يا امير المؤمنين اسمك على عين وقتلت عبد الرحمن بن مسلم ابا مسلم اول اسمه على عين وعبد الجبار الخولانى وسقط البيت على عمك عبدالله فقال ومايدخل سقوط البيت على عمى لاأم لك . ثم استعمل ابو جعفر على خراسان اسيد بن عبدالله الخزاعى وولى ابا عون عبد الملك بن يزيد ثم ولى بعد ابى عون حميد بن قحطبة ثم ولى المسيب بن زهير حتى مات ابو جعفر المنصور

﴿ قصة سابور ملك فارس ﴾

وذكروا ان ابا جعفر دعا اسحاق بن مسلم العقيلى فقال له حدثنى عن الملك الذى كنت حدثتنى عنه بحران . فقال . نعم اكرمك الله . اخبرنى ابى عن حصين بن المنذر ان ملكا من ملوك فارس يقال له سابور الاكبر كان له وزير ناصح قد اخذ ادبا من آداب الملوك وشاب ذلك بفهم فى الدين فانتصف من اهلها فعلا وسنا فوجهه سابور داعية الى اهل خراسان وكانوا قوما يعظمون الدنيا جهالة بالدين واستكانة لحب الدنيا وذلا لجبابرتها فجمعهم على كلمة من الهدى يكيد بها مطالب الدنيا وكان يقال . لكل ذليل دولة ولكل ضعيف صولة فلما استوثقت له البلاد جعل الى سابور امرهم واحال عليه طاعتهم قوما

لا يرامونه الى ماسبق اليهم قبله فلم ينتصف سابور من طاعتهم واستمالة اهوائهم مع مالا يأمن من زوال القلوب وغدرات الوزراء فاحتال على قطع رجائه عن قلوبهم فصمم فقاتلهم ووقف بهم بين الفرقة وتحطب الاعداء ، فنادى الرجعة واليأس من صاحبهم فرأوا ان يستتموا الدعوة فى طاعة سابور و يتعوضوه من الفتنة فملكهم ثمانين عاما . فاطرق ابو جعفر مليا ثم قال متمثلا .

لذى الحلم قبل اليوم ماتترع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

﴿ خروج شريك بن عون على ابى جعفر وخلعه ﴾

وذكروا ان ابا جعفر لما استقامت له الامور واستولى على الملك خرج عليه شريك بن عون الهمدانى وقال ما على هذا بايعنا آل محمد على ان يسفك الدماء وان يعملوا بغير الحق فخالف أبا جعفر وتبعه اكثر من ثلاثين الفا فوجه اليه ابو جعفر زياد بن صالح الخزاعى فقاتله شهوراً ونهى ابو جعفر ان يسبى احد منهم او يقتل احد من رجالهم لانه كان فيهم قوم اخيار ورجال اشراف وكان خروجهم ديانة وانكاراً للدماء وللعمل بغير الحق فلذلك لم يقتلوا . وكتب اليهم . وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً وقد عفونا عنكم مرتكم هذه فالله الله على دمائكم فاحقنوها .

﴿ اجتماع شبيب بن شيبة مع ابى جعفر قبل ولايته و بعدها ﴾

وذكروا ان شبيب بن شيبة قال حججت عام هلك هشام بن عبد الملك فبينما انا مر بناحية المسجد اذ طلع على من بعض ابوابه فتى اسمر رقيق السمرة موفر اللمة ، خفيف اللحية رحب الجبهة كان عينيه لسانان ناطقان عليه ابهة الاملاك . فى زى النساك تقبله القلوب وتتبعه العيون ، يعرف الشرف فى تواضعه والعفو فى صورته واللب فى مشيته فما ملكت نفسى ان نهضت فى اثره سائلا عن خبره فتحرم بالطواف . فلما قضى طوافه قصد المقام ليركع وانا أرعاه ببصرى ثم نهض منصرفا كأن عيناً اصابته فكبا كبوة دميت منها اصبعه فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به امسح رجله من عفر التراب فلا يمتنع على ثم شققت خاشية ثوبى فعصبت على رجله فلم ينكر ذلك ثم نهض متوكئا على وانقدت له حتى اتى بناء على مكة فابتدره غلامان تكاد صدورهما

ننفرج من هيبته فتنحا له الباب فدخل واجتذبني فدخلت بدخوله فخلى يدى واقبل على القبلة فصلى ركعتين . ثم استوى فى صدر مجلسه فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال . لم يخف على مكانك منذ اليوم فمن تكون ؟ فقلت شبيب بن شيبة التميمى فقال . الاهثمى ؟ فقلت نعم فرحب وقرب ووصف قومى بأبين وصف وافصح لسان . فقلت اصلحك الله أحب المعرفة واجل عن المسالة . فتبسم وقال . لطف اهل العراق . انا عبد الله بن محمد بن على ابن عباس فقلت بأبى انت وامى ما اشبهك ينسبك وادلك على سلفك وقد سبق الى قلبى من محبتك مالا ابلغه بوصفى لك قال فاحمد الله يا أخا تميم فانا قوم يسعد بحبنا من يحبنا و يشقى ببغضنا من يبغضنا ولن يصل الايمان الى قلب احدكم حتى يحب الله ورسوله ومهما ضعفنا عن جزائه قوى الله على أدائه فقلت له انت توصف بالعلم وانا من حملته وايام الموسم ضيقة وشغل اهله كثير وفى نفسى اشياء احب ان اسأل عنها افتأذن فيها جعلت فداك قال نحن اكثر الناس مستوحشون وارجو ان تكون للسر موضعا وللامانة واعيا فان كنت على ما رجوت فهات على بركة الله . فتقدمت اليه من وثائق الايمان ماسكن اليه فتلا قول الله « قل اى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى و بينكم » ثم قال سل فقلت ماترى فى من على الموسم . وكان عليه يوسف بن محمد الثقفى خال الوليد بن يزيد فتنفس الصعداء ثم قال : عن الصلاة خلفه سال ام استنكرت ان يتامر على آل الرسول من ليس منهم ؟ قلت عن كلا الامرين أسال قال ان هذا عند الله عظيم . أما الصلاة فقرض الله على عباده فاذا فرضه عليك فى كل وقت فان الذى ندبك لحج بيته ومجاهدة عدوه وحضور جماعته واعياده لم يخبرك فى كتابه انه لا يقبل منك نسكا الا مع أكمل المؤمنين ايمانا رحمة لك ولو فعل ذلك بك ضاق الامر عليك فاسمح يسمح لك ثم كررت عليه السوال فما احتجت الى ان أسال عن امر دينى احدا بعده ثم قلت له يزعم اهل العلم بالكتاب انها ستكون لكم دولة لاشك فيها تطلع مطلع الشمس وتظهر بظهورها فاسال الله خيرها ونعوذ به من شرها قال فخذ بخط لسانك و يدك منها ان ادركتها قلت او يتخلف عنها احد من العرب وانتم سادتها قال نعم قوم يابون الاوفاء

لمن اصطنعهم وتأبى الاطلبا لحقنا فننصر كما نصر اولنا باولهم وخذل لمخالفتنا من خذل منهم . فاسترجعت قال هون عليك الامر سنة الله التى قدخلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا وليس ما يكون منهم بحاجز لنا عن صلة ارحامهم وحفظ اعقابهم فقلت كيف تسلم لهم قلوبكم وقدقاتلوكم مع عدوكم فقال نحن قوم حببت الينا الوفاء وان كان علينا و بغض الينا الغدر وان كان لناواتما يشذعنامنهم الاقل ، فاما انصار دولتناوقباء شيعتنا وأمراءجيوشنا فهم ومواليهم معنا فاذا وضعت الحرب اوزارها صفحنا للمحسن عن المسيء ووهب للرجل قومه ومن اتصل باسبابه فتذهب المثابرة وتجمد الفتنة وتطمئن القلوب فقلت و يقال انه يبتلى بكم من اخلص لكم الخبرة . فقال . قدروى ان البلاء اسرع الى محبينا من الماء الى قراره قلت لم أرد هذا قال فما الذى تريد قلت توقعون بالولى وتحفظون العدو فقال . من يسعد بنا من الاولياء اكثر ومن يسلم معنا من الاعداء اقل انما نحن بشر ولا يعلم الغيب الا الله وربما استترت عنا الامور فنوقع بمن لانريد ، وان لنا لاحسانا يجازى الله به مداوة ماتكلم ورق ماتلم فنستغفر الله بما يعلم وما انكر من الا يكون الامر على ما بلغك ومع الولى التعزز والادلال والثقة والاسترسال ومع العدو التحرز والتذلل والاحتيال ، وانك لمسؤول يا أخا بنى تميم قلت انى اخاف الاادراك بعد اليوم قال لكن ارجو ان اراك وترانى قريبا ان شاء الله قلت عجل الله ذلك ووهب لى السلامة منكم فانى محبكم . فتبسم وقال ، لا بأس عليك ما اعاذك الله من ثلاثة قلت وماهى ؟ قال . قدح فى الدين وهتك للملوك وتهمة فى حرمة واحفظ عنى ماأقول لك . اصدق وان ضرك الصدق وانصح وان باعدك النصح ولاتخالطن لناعدوا وان احظيناه ، فانه مخذول ولا تخذلن وليا وان اقصيناه وأصحبنا بترك المماكرة وتواضع اذارفعوك وصل اذا قطعوك ولا تسخف فيمقتوك ولا تنقبض فيحتشموك ولاتخطب الاعمال ولا تتعرض للاموال وانا رائح من عشيتى هذه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته ثم قلت اوقت لظهور الامر ومتى قال الله الموقت والمنذر فخرجت من عنده فاذا مولى له يتبعنى فاتانى بكسوة من كسوته وقال لى يامرك ابو جعفر ان تصلى فى هذه ثم افترقنا فوالله ما رأيته الا وحرسيان قابضان على يدفعانى الى بيعتى فى

جماعة من قومي لبايعه . فلما نظر الى ابتدني وقال للحرسيين : خليا عمن صحت مودته وتقدمت قبل اليوم حرمته وأخذت بيعته فاكبر الناس ذلك من قوله ، ثم قال لي اين كنت أيام ابي العباس اخي فذهبت اعتذر فقال : امسك فان لكل شيء وقتا لا يعدوه ولن يفوتك ان شاء الله حظ مودتك وحق مشايعتك واختر مني رزقا يسعك او خطة ترفعك او عملا ينهضك . فقلت اني لوصيتك حافظ فقال رانا لها احفظ اني انما نهيتك ان تحتسب الاعمال ولم انهك عن قبولها ان اعرضت عليك . فقلت الرزق مع قرب امير المؤمنين احب الي فقال وذلك احب اني لك وهو اجمع لقلبك واودع لك واعفى ان شاء الله فهل زدت احداً في عيالك بعد . وقد كان سألني عنهم فعجبت من حفظه فقلت زدت الفرس والخادم فقال قد الحقنا عيالك بعيالنا وخادمك بخدامنا ولولم يسعني حملت لك على بيت المال فهل تحملك مائتا دينار لكل غرة او تزيدك فقلت يا أمير المؤمنين ان شطرها ليحملني العامين قال فانها لك في كل غرة فقرضها من عاملي في اي بلد احببت وان شئت فقد ضمنك الى المهدي فانه فرع لك مني وارضاه لك ان شاء الله

﴿ حج ابي جعفر ولقائه مالك بن أنس وما قال له ﴾

ذكروا ان ابا جعفر امير المؤمنين لما استقامت له الامور واستولى على السلطان خرج حاجا الى مكة وذلك في سنة ثمان وأربعين ومائة فلما كان بمنى اتاه الناس يسلمون عليه ويهنئونه بما انعم الله عليه وجاءه رجال الحجاز من قريش وغيرهم وفقهائهم وعلمائهم ممن صاحبه والفه معه على طلب العلم ورواية الحديث فكان فيمن دخل عليهم مالك بن انس . فقال له ابو جعفر يا ابا عبد الله اني رأيت رؤيا فقال مالك يوفق الله امير المؤمنين الى الصواب من الرأي ويلهمه الى الرشاد من القول ويعينه على خير الفعل فما رأى أمير المؤمنين ؟ فقال ابو جعفر . رأيت اني ويجلسك في هذا البيت فتكون من عمار بيت الله الحرام واحمل الناس على علمك واعهد الى اهل الامصار يوفدون اليك وفدهم ويرسلون اليك رسلهم في ايام حجهم لتحملهم من امر دينهم على الصواب والحق ان شاء الله وانما العلم علم اهل المدينة وانت اعلمهم فقال مالك : امير المؤمنين اعلا عينا وارشد رأيا واعلم بما يأتي ومايذر وان اذن لي اقول قلت ، فقال ابو جعفر فنعم فحقيق انت ان يسمع منك

و يصدر عن رأيك فقال مالك يا أمير المؤمنين ان اهل العراق قد قالوا قولا تعدوا فيه طورهم ورأيت انى خاطرت بقولى لانهم اهل ناحية واما اهل مكة فليس بها احد وانما العلم علم اهل المدينة كما قال الامير وان لكل قوما سلفا وائمة . فان رأى امير المؤمنين اعز الله نصره افرارهم على حالهم فليفعل فقال ابو جعفر اما اهل العراق فلا يقبل امير المؤمنين منهم صرفا ولا عدلا وانما العلم علم اهل المدينة وقد علمنا انك انما اردت خلاص نفسك ونجاتها فقال مالك اجل يا أمير المؤمنين فاعفنى يعفو الله عنك فقال ابو جعفر قد اعفاك أمير المؤمنين وايم الله ما اجد بعد امير المؤمنين اعلم منك ولا افقه

﴿ دخول سفيان الثورى وسليمان الخواص على ابى جعفر وما قالا له ﴾

وذكروا انه لما كان ابو جعفر بمنى فى العام الذى حج فيه سفيان الثورى وسليمان الخواص قال احدهما لصاحبه ألا ندخل على هذا الطاغى الذى كان يزاحمنا بالامس فى مجالس العلم عند منصور والزهرى فنكلمه ونأمره بخير وننهاه عن بعض فعله كلامنا ان ينفع منه موقعا ينفع الله به المسلمين ويأجرنا عليه فقال سليمان الخواص انى لا اخشى ان يرانى عينا منه يوم سوء فقال الثورى : ما خاف ذلك فان شئت فادخل وان شئت دخلت . فدخل سليمان الخواص فأمره ونهاه ووعظه وذكره الله وما هو صائر اليه ومسؤول عنه . فقال له ابو جعفر انت مقتول ما تقول فى كذا وكذا لشىء ساله عنه من باب العلم فاجابه . فلما خرج قال سفيان الثورى ماذا صنعت قال امرت ونهيت ووعظت وذكرت فرضا كان فى رقابنا اديناه مع انه لا يقبل وسالنى عن مسئلة فاجبته قال سفيان ما صنعت شيئا فدخل سفيان الثورى فامره ونهاه فقال له هاهنا ابا عبدالله الى انى ادن منى فقال انى لا اطأ مالا املك ولا تملك فقال ابو جعفر يا غلام ادرج البساط وارفع الوطاء فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد ليس بينه وبين الارض شىء وهو يقول « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى » فدمعت عينا ابى جعفر ثم تكلم سفيان دون ان يستأذن فوعظ وامر ونهى وذكر واغلظ فى قوله فقال له الحاجب أيها الرجل أنت مقتول فقال سفيان وان كنت مقتول فالساعة فسأله ابو جعفر مسالة فاجابه . ثم قال سفيان . فما تقول

انت يا أمير المؤمنين فيما انفقت من مال الله ومال امة محمد بغير اذنهم وقد قال عمر في حجة حجها وقد انفق ستة عشر ديناراً هو ومن معه ما ارانا الا وقد اجحفنا بيت المال . وقد علمت ما حدثنا به منصور بن عمار وانت حاضر ذلك واول كاتب كتبه في المجلس عن ابراهيم عن الاسود عن علقمة عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : رب متخوض في مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غداً . فقال له ابو عبيد الكاتب : أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا ؟ فقال له سفيان اسكت فانما اهلك فرعون هامان وهامان فرعون . ثم خرج سفيان فقال ابو عبيد الكاتب : الا تامر بقتل هذا الرجل فوالله ما علم احداً احق بالقتل منه فقال ابو جعفر : اسكت يا ابوك فوالله ما بقي على الارض احد اليوم يستحي منه غير هذا ومالك بن انس

﴿ دخول ابن ابي ذؤيب ومالك بن انس وابن سمعان على ابي جعفر ﴾

وذكروا ان مالك بن انس قال : خلا بي ابو جعفر [illegible] ورقي اليه الملاقون المشاؤون بالنميمة اعني بكلام كان قد حفظ علي فانا [illegible] ليلا قال اجب امير المؤمنين وذلك بعد مفارقتي له وخروجي عنه فلم [illegible] فتل ففزعت من عهدي واغتسلت وتوضأت ولبست ثيابي كفني و [illegible] ثم نهضت فدخلت عليه في السرادق وهو قاعد على فراش قد نظم بالدر [illegible] والياقوت الاحمر والزمرد الاخضر ، حكي لي انه كان من فرش هشام [illegible] الملك كان قد اهداه اليه صاحب القسطنطينية لا يعلم ثمنه ولا يدري ما قيمته [illegible] شمع يحترق بين يديه وابن ابي ذؤيب وابن سمعان قاعدان بين يديه و [illegible] لم في صحيفة في يده فلما صرت بين يديه سلمت فرفع رأسه فنظر الي و [illegible] سم المغضب ثم رمى بالصحيفة وأشار لي الى موضع عن يمينه اقعد فيه [illegible] وأخذت مقعدي وسكن روعي رفعت رأسي انظر تلقائي فاذا انا بواقف [illegible] رع و بيده سيف قد شهره يلمع له ماحوله فالتفت عن يميني فاذا انا بواقف [illegible] عليه جزر من حديد ثم التفت عن يساري فاذا انا بواقف عليه درع و [illegible] سيف قد شهره وهم اجمعون قد صغوا اليه ورقوا بابصارهم خوفا منهم [illegible] احد امرا فيجده غافلا . ثم التفت الينا قال : أما بعد معشر الفقهاء [illegible] بلغ امير المؤمنين عنكم

مااخشن صدره وضاق به ذرعه ، وكنتم احق الناس بالكف من السنتكم والاخذ بما يشبهكم وأولى الناس بلزوم الطاعة والمناصحة فى السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم . فقال مالك فقلت : يا أمير المؤمنين قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » فقال ابو جعفر على ذلك أى الرجال انا عندكم امن ائمة العدل ام من ائمة الجور ؟ فقال مالك فقلت يا أمير المؤمنين انا متوسل اليك بالله تعالى واتشفع اليك بمحمد صلى الله عليه وسلم و بقرابتك منه الا ماعفيتنى من الكلام فى هذا قال قد أعفاك أمير المؤمنين . ثم التفت الى ابن سمعان فقال له ايها القاضى ناشدتك الله تعالى اى الرجال انا عندك فقال ابن سمعان انت والله خير الرجال والله ياأمير المؤمنين تحج بيت الله الحرام وتجاهد العدو وتؤمن السبل وتأمن الضعيف بك ان يأكله القوى و بك قوام الدين فانت خير الرجال وأعدل الأئمة ثم التفت الى ابن ابى ذؤيب فقال له ناشدتك الله أى الرجال انا عندك ؟ قال : انت والله عندى شر الرجال استأثرت بمال الله ورسوله وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين واهلكت الضعيف وأتعبت القوى وامسكت اموالهم فما حجتك غداً بين يدى الله . فقال له أبو جعفر ويحك ماتقول اتعقل انظر ما امامك قال . نعم قد رأيت اسيافا وانما هو الموت ولابد منه عاجله خير من آجله . ثم خرجا وجلست قال انى لاجد رائحة الحنوط عليك قلت اجل لما نمى اليك عنى ما نمى وجاءنى رسولك فى الليل ظننته القتل فاغتسلت وتطيبت ولبست ثياب كفنى فقال ابو جعفر سبحان الله ما كنت لاثلم الاسلام واسعى فى نقضه او ما ترانى أسعى فى اود الاسلام واعزاز الدين عائذاً بالله مما قلت يا أباعبدالله انصرف الى مصرك راشداً مهديا وان أحببت ماعندنا فنحن ممن لا يؤثر عليك أحدا ولا يعدل بك مخلوقا . فقلت ان يجبرنى أمير المؤمنين على ذلك فسمعاً وطاعة وان يخيرنى أمير المؤمنين اخترت العافية . فقال . ما كنت لاجبرك ولا أكرهك انقلب معافه مكلؤاً . قال فبت ليلتى فلما اصبحنا امر ابو جعفر بصرر دنانير فى كل صرة خمسة آلاف دينار ثم دعا برجل من شرطته فقال له تقبض هذا المال وتدفع لكل رجل منهم صرة أما مالك بن أنس ان أخذها فسبيله

وان ردها فلاجناح عليه فيما فعل وان أخذها بن أبي ذؤيب فاتني برأسه وان ردها عليك فبسبيله لاجناح عليه وان يكن ابن سمعان ردها فأتني برأسه وان أخذها فهي عافيته . فنهض بها الى القوم فاما ابن سمعان فاخذها فسلم و أما ابن ابي ذؤيب فردها فسلم وأما أنا فكنت والله محتاجا اليها فاخذتها . ثم رحل ابو جعفر متوجها الى العراق

﴿ كتاب عبيدالله العمري الى ابي جعفر ﴾

وذكروا ان أبا جعفر لما قفل من حجه سنة ثمان واربعين ومائة سال عن عبيدالله بن عمر بن حفص بن عبدالله بن عمر بن الخطاب وهو الفقيه المعروف بالعمري فقيل له انه لم يحج العام يا أمير المؤمنين ولو حج لكان اول داخل عليك فلا تقبل عليه احداً يا أمير المؤمنين ولا يقدح فيه عندك الاباطل او كذاب فانه من علمت . فقال ابو جعفر والله ما تخلف عن الحج في عامه هذا الا علما منه باني حاج فلذلك تخلف ولا والله مازاده ذلك عندي الا شرفا ورفعة واني من التوقير به والاجلال له بحال لا احال احداً من الناس بذلك لشرفه في قريش وعظم منزلته من هذا الامر والموضع الذي جعله الله فيه والمكان الذي انزله به . فلما قدم أبو جعفر بغداد ورد عليه كتاب عبيد الله العمري . فيه . بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله ابي جعفر أمير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلام الله عليك ورحمة الله التي اتسعت فوسعت من شاء . أما بعد فاني عهدتك وامر نفسك لك مهم وقد اصبحت وقد وليت أمر هذه الامة أحمرها وأسودها وأبيضها وشريفها ووضيعها يجلس بين يديك العدو والصديق والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق فانظر كيف أنت عند الله يا أبا جعفر ، واني أحذرك يوما تفنى فيه الوجوه والقلوب وتنقطع فيه الحجة للملك قد قهرهم بجبروته واذلهم بسلطانه والخلق ذاخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه . وانا كنا نتحدث ان أمر هذه الامة سيرجع في آخر زمانها أن يكون اخوان العلانية أعداء السريرة واني اعوذ بالله أن تنزل كتابي سوء المنزل انما كتبت به نصيحة والسلام .

﴿ فأجابه ابو جعفر المنصور ﴾

من عبد الله بن محمد أمير المؤمنين الى عبيد الله بن عمر بن حفص سلام عليك اما بعد فانك كتبت الى تذكر انك عهدتني وأمر نفسي الى مهم فاصبحت وقد وليت أمر هذه الامة بأسرها وكتبت تذكر انه بلغك ان أمر هذه الامة سيرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية اعداء السريرة وليست ان شاء الله من أولئك وليس هذا زمان ذلك انما ذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرغبة تكون رغبة بعض الناس الى بعض ، صلاح دنياهم أحب اليهم من صلاح دينهم وكتبت تحذرني ماحذرت به الامم من قبلي وقدما كان يقال اختلاف الليل والنهار يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة والنار . وكتبت تعوذ بالله ان نزل كتابك سوء المنزل وانك انما كتبت به نصيحة . فصدقت وبررت فلا تدع الكتب الي فانه لاغنى بي عن ذلك والسلام

﴿ اجتماع ابي جعفر مع عبد الله بن مرزوق ﴾

وذكروا ان ابا جعفر المنصور امير المؤمنين لما حج ودخل بالطواف بالبيت الحرام أمر الناس فتحوا عن البيت ثم طاف اسبوعه فوثب اليه عبد الله بن مرزوق . وقال . من جرأك على هذا فلببه بردائه وهزه وقال له . من جعلك أحق بهذا البيت من الناس تحول بينه وبينهم وتنحيهم عنه ، فنظر ابو جعفر في وجهه فعرفه فقال عبدالله بن مرزوق ، قال نعم . فقال من جرأك على هذا ومن اقدمك عليه فقال عبد الله بن مرزوق . وما تصنع بي بيدك ضر او نفع ، والله ما اخاف ضرك ولا ارجو نفعك حتى يكون الله عز وجل يأذن لك فيه و يلهمك الى فعله . فقال له أبو جعفر انك احملت بنفسك واهلكتها فقال عبد الله بن مرزوق . اللهم ان كان بيد أبي جعفر ضري فلا تدع من الضر شيئاً الا انزلته علي وان كان بيده منفعتي فاقطع عني كل منفعة منه ، أنت يارب بيدك كل شيء وأنت مليك كل شيء . فامر به أبو جعفر فحمل الى بغداد فسجنه بها وكان يسجنه بالنهار و يبعث اليه بالليل يبيت عنده و يسامره يلبث نهاره بالسجن اجمع ثم يسامره بالليل ليظهر للناس انه سجن

من اعترض عليه لئلا يجترىء الجاهل فيقول قد وسع عفو أمير المؤمنين فلانا فلا يسعني . فكان دأبه هذا معه زمنا طويلا حتى نسي أمره وانقطع خبره ثم خلى سبيله فلحق بمكة فلم يزل بها حتى مات ابو جعفر وولى ابنه المهدى فلما حج المهدى فعل مثل ذلك ففعل به عبد الله بن مرزوق مثل ذلك أيضاً فاراد قتله فقيل له : يا أمير المؤمنين انه قد فعل هذا بابيك فكان من صنيعه ان حمله الى بغداد فسجنه بالنهار وسامره بالليل وانت احق من أخذ بهديه واحتذى على مثاله وورث اكروماته ، فحمله المهدى معه فمات ببغداد رحمه الله

﴿ ذكر ما نال مالك بن انس من جعفر بن سليمان ﴾

وذكروا انه هاج بالمدينة هيج فى ابتداء ايام ابى جعفر فبعث اليها ابو جعفر ابن عمه جعفر بن سليمان بن العباس ليسكن هيجها وفتنها ويجدد بيعة اهلها فقدمها وهو يتوقد ناراً على اهل الخلاف لهم فاظهر الغلظة والشدة وسطا بكل من ألحد فى سلطانهم واشار الى المنازعة لهم واخذ الناس بالبيعة وكان مالك بن انس رحمه الله لم يزل صغيراً وكبيراً محسداً وكذلك كل من عظمت نعمة الله عليه فى علمه او عمله او فهمه او ورعه فكيف بمن جمع الله ذلك فيه ولم يزل منذ نشا كذلك قد منحه الله تعالى العلم والعمل والفهم واللب والنبل ووصل له ذلك بالدين والفضل عرف منه ذلك صغيراً ، وظهر فيه كبيراً واستلب الرئاسة ممن كان قد سبقه اليها بظهور نعمة الله عليه وسموها به على كل سام فاستدعى ذلك منهم الحسد له والجأهم ذلك الى البغى عليه ، فدسوا الى جعفر بن سليمان من قال له ان مالكا يفتى الناس بان ايمان البيعة لاتحل ولا تلزمهم لمخافتك واستكراهك اياهم عليها وزعموا انه يفتى بذلك أهل المدينة أجمعين لحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه . فعظم ذلك على جعفر واشتد عليه وخاف ان ينحل عليه ما أبرم من بيعة أهل المدينة وهم ان يبدر فيه بما عافاه الله منه وانعم على المسلمين ببقائه فقيل له : لا تبدر فيه ببادرة فانه من اكرم الناس على امير المؤمنين وآثرهم عنده ولا بأس عليك منه فلا

تحدث شيئاً الا بامر أمير المؤمنين أو يستحق ذلك عندنا بامر لا يخفى على أهل المدينة فدس اليه جعفر بن سليمان بعض من لم يكن مالك يخشى ان يؤتى من قبله ولا من منه يؤتى الحذر فساله عن الايمان فى البيعة فافتاه مالك بذلك طمانينة اليه وحسنه فيه . فلم يشعر مالك الا ورسول جعفر بن سليمان فيه فاتوا به اليه منتهك الحرمة مذال الهيبة فامر به فضرب سبعين سوطا فلما سكن الهيج بالمدينة وتمت له البيعة بلغ بمالك ألم الضرب حتي اضجعه .

﴿ انكار ابى جعفر المنصور لضرب مالك ﴾

وذكروا انه لما بلغ ابا جعفر ضرب مالك بن انس وما انزل به جعفر بن سليمان اعظم ذلك اعظاما شديداً واكره ولم يرضه وكتب بعزل جعفر بن سليمان عن المدينة وأمر أن يؤتى به الى بغداد على قتب . وولى على المدينة رجلا من قريش من بنى مخزوم وكان يوصف بدين وعقل وحزم وذكاء وذلك فى شهر رمضان من سنة احدى وستين ومائة . وكتب ابو جعفر الى مالك بن انس ليستقدمه الى نفسه ببغداد فانى مالك وكتب الى ابى جعفر يستعفيه من ذلك و يعتذر له ببعض العذر اليه . فكتب أبو جعفر اليه ان وافى بالموسم العام القابل ان شاء الله فانى خارج الى الموسم

﴿ دخول مالك على ابى جعفر بمنى ﴾

وذكروا ان مالكا حج سنة ثلاث وستين ومائة ثم وافى ابا جعفر بمنى ايام منى فذكروا ان مطرقا اخبرهم وكان من كبار أصحاب مالك قال : قال لى مالك لما صرت بمنى انيت السرادقات فاذنت بنفسى فاذن لى ثم خرج الى الاذن من عنده فادخلنى فقلت للاذن اذا انتهيت بى الى القبة التى يكون فيها أمير المؤمنين فاعلمنى فمر بى من سرادق الى سرادق ومن قبة الى اخرى فى كلها أصناف من الرجال بايديهم السيوف المشهورة والاجزرة المرفوعة حتى قال لى الاذن هو فى تلك القبة ثم تركنى الاذن وتاخر عنى فمشيت حتى انتهيت الى القبة التى هو فيها فاذا هو قد نزل عن مجلسه الذى يكون فيه الى البساط الذى دونه واذا هو قد لبس ثياباً قصده لاتشبه ثياب مثله تواضعا لدخولى عليه وليس معه فى القبة الا قائم على رأسه بسيف صلت . فلما دنوت منه

رحب بى وقرب ثم قال هاهنا الى فاوميت بالجلوس فقال هاهنا فلم يزل يدنينى حتى أجلسنى ليسه ولصقت ركبتى بركبتيه . ثم كان اول ما تكلم به أن قال الله الذى لا اله الا هو يا أبا عبد الله ما امرت بالذى كان ولا علمته قبل أن يكون ولا رضيته اذ بلغنى (يعنى الضرب) قال مالك فحمدت الله تعالى على كل حال وصليت على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نزهته عن الامر بذلك والرضا به . ثم قال يا أبا عبد الله لا يزال اهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم وانى أخالك أمانا لهم من عذاب الله وسطوته واتمد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمه فانهم ما علمت اسرع الناس الى فتن وأضعفهم عنها قاتلهم الله انى يؤفكون . وقد امرت ان يؤتى بعد والله من المدينة على قتب وامرت بضيق محلسه والمبالغة فى امتهانه ولا بد ان أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه . فقلت له عافى الله أمير المؤمنين واكرم مثواه قد عفوت عنه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم منك قال ابو جعفر وأنت فعفى الله عنك ووصلك . قال مالك ثم فاتحنى فيمن مضى من السلف والعلماء فوجدته اعلم الناس بالناس ثم فاتحنى فى العلم والفقه فوجدته اعلم الناس بما اجتمع عليه واعرفهم بما اختلفوا فيه حافظاً لما روى واعيا لما سمع : ثم قال لى : يا ابا عبد الله ضع هذا العلم ودونه ودون منه كتبا وتجنب شدائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواذ ابن مسعود واقصد الى اواسط الامور وما اجتمع عليه الائمة والصحابة رضى الله عنهم لتحمل الناس ان شاء الله على علمك وكتبك وبثها فى الامصار وعهد اليهم ان لا يخالفوها ولا يقضوا بسواها . فقلت له اصلح الله الامير ان أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون فى علمهم رأينا فقال أبو جعفر يحملون عليه وتضرب عليه هاماتهم بالسيف وتقطع على ظهورهم بالسياط فتعجل بذلك وضعها فسيأتيك محمد بن المهدى العام القابل ان شاء الله . الى المدينة ليسمعها منك فيجدك وقد فرغت من ذلك ان شاء الله قال مالك فبينما نحن قعود اذ طلع له بنى صغير من قبة بظهر القبة التى كنا فيها فلما نظر الى الصبى فزع ثم تقهقر فلم يتقدم فقال له أبو جعفر تقدم يا حبيبى انما هو أبو عبد الله فقيه أهل الحجاز ثم التفت الى فقال يا أبا عبد الله اتدرى

لما فزع الصبي ولم يتقدم فقلت لا فقال والله استنكر قرب مجلسك مني اذ لم ير به أحداً غيرك قط فلذلك قهقر . قال مالك ثم أمر لي بالف دينار عينا ذهبا وكسوة عظيمة وأمر لابني بالف دينار ثم استاذنته فاذن لي فقمت فودعني ودعا لي ثم مشيت مطلقا فلحقني الخصي بالكسوة فوضعها على منكبي وكذلك يفعلون بمن كسوه وان عظم قدره فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها ثم يسلمها الى غلامه ، فلما وضع الخصي الكسوة على منكبي انحنيت عنها بمنكبي كراهة احتمالها وتبرءاً من ذلك فناداه ابو جعفر بلغها رحل ابي عبدالله

﴿ ماقال ابو جعفر لعبد العزيز بن ابي رواد ﴾

وذكروا ان ابا جعفر لما دخل في الطواف بالبيت لقي عبد العزيز بن ابي رواد في الطواف فقبض على يده ثم قال له اتعرفني قال لا الان قبضتك قبضة جبار فقال له انا ابو جعفر امير المؤمنين فسلني من حوائجك ما شئت اقضها قال اسالك رب هذا البيت ان لا ترسل الي بشيء حتى آتيك طوعا فقال له ابو جعفر ذلك لك فاقبل يمشي بمشيته في طوافه وكان شيخا كبيراً ضعيفا فتاقف غير به وثقل عليه كلامه فقال اسالك بحرمة هذا البيت الا تنحيت عني فتنحى عنه ابو جعفر وخلى سبيله . وكان عبد العزيز بن ابي رواد هذا لا يرفع راسه الى السماء تخشعا لله فاقام كذلك اربعين سنة

﴿ قدوم المهدي الى المدينة ﴾

وذكروا ان مالك بن انس لما اخذ في تدوين كتبه ووضع علمه قدم عليه المهدي بن ابي جعفر فساله عمن صنع له امره ابو جعفر فاتاه بالكتاب وهي كتب الموطا فامر المهدي بنسخها وقرئت على مالك فلما تم قراءتها أمر له باربعة آلاف دينار ولابنه بالف دينار

﴿ موت ابي جعفر المنصور واستخلاف المهدي ﴾

وذكروا انه لما كانت سنة ست وستين ومئة قدم ابو جعفر مكة فلما قضى حجه احتضر ثلاثة ايام ثم توفي في اليوم الرابع وولى ابنه محمد المهدي وكان معه يومئذ بمكة اخوه جعفر ببغداد وكان قد عهد اليه ابو جعفر فلما قفل المهدي الى بغداد اتاه رجل فقال له ادرك اخاك جعفر فانه قد هم بمنازعتك وهو يريد

خلعك فاخذ فى السير ومعه الجنود والاموال وصناديد الرجال من العراق ورجال العرب ووجوه قريش . فلما قدم العراق اعتذر اليه جعفر مما رفع اليه عنه وحلف له انه مانوى ولا اراد منازعته ولا أشار الى خلافه ولا هم به فقبل منه المهدى ذلك وعفى عنه وكان كريما سخياً حليما . فلما كان سنة سبع وستين ومائة قدم حاجا فدخل المدينة زائراً لقبر النبى صلى الله عليه وسلم فدخل عليه مالك فحضه على الاحسان الى اهل المدينة وحدثه بفضلها وفضل أهلها و يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : امرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب (وهى المدينة) تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد ثم قال يا أمير المؤمنين أفليس هؤلاء اهلا ان يعانوا على الصبر عليها وعلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المهدى بلى والله يا أبا عبد الله حتى لا أجد الامثل هذا ومديده ليأخذ من الارض شيئاً فلم يجده ثم قال صدقت فيهم وبررت وحضضت على الرشد فانت أهل ان يطاع أمرك و يسمع قولك فامر له بخمسة أبيات مال والبيت عندهم خمسمائة الف وأمر مالكا ان يختار من تلامذته رجالا يثق بهم و يعتمد عليهم يقسمونها على أهل المدينة و يؤثرون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيت أبى بكر وعمر وعثمان ثم أهل بيوت المهاجرين والانصار ثم الذين اتبعوهم باحسان ففعل فاغنى أهل المدينة عامهم ذلك

﴿ ذكر استخلاف هارون الرشيد ﴾

و ذكروا انه لما كانت سنة ثلاث وسبعين ومائة توفى المهدى وذلك انه خرج يوما الى بعض المنازل ومعه اهله و بعض بنيه وكان قد ذكر ان يستخلف ابنه عبد الله بعده ثم غفل عن ذلك وتركه فحمل عبد الله الحرص والطيش الى ان دس على أبيه بعض الجوارى المتمكنات منه بسمه و بذل لها على ذلك الاموال ومناها أمانى الغرور . فلما سمته ووصل اليه السم عرف المهدى انه قد قتل فدعا كاتبه فقال له عجل واكتب عهد هارون الرشيد وخذ بيعة الجند وأمراء الاجناد واكتب بذلك الى ولاة الامصار وكان الرشيد أصغر بنيه وكان ابن أمة لا يطمع فى خلافة ولا يظن بها فادخله على نفسه وهو يجود بها والرشيد لا يعلم انه مستخلف . فقال له المهدى : أى بنى والله ما أردت

استخلافك ولا هممت به لحداثة سنك وقد كان قال لى جدك أبو جعفر وأنت يومئذ قد عرفت فى أول رؤية رآك : ان ابنى هذا الاعين سيلى هذا الامر ويسير فيه سيرة صالحة فقلت يا أبت أتظن ذلك قال ماهو بالظن ولكنه اليقين ويكون ملكا بضعا وعشرين سنة وتقتله الحمى الربع فاندفع الرشيد باكيا فقال له مايبكيك يافتى : قال : يا أبت انك والله نعيت لى نفسى وعرفتنى متى أموت ومما أموت قال هو ذاك فشمر واجتهد وجد وخذ بالحزم والكرم ودع الاحن وانظر أخاك عبد الله فلا يناله منك مكروه فقد عفوت عنه فقال الرشيد يا أبت وتعفو عنه وقد أتى ما ذكرت وصنع ماوصفت فقال يابنى وما على ان أعفو عمن اكرمنى الله على يديه وارجو ان يغفر لى بصنيعتى به ان شاء الله عليك يابنى بتقوى الله العظيم وطاعته فانخذها بضاعة يأتيك الربح من غير تجارة . اوصيك باخوتك خيرا وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل حسناتهم وتجاوز عن سيآتهم واغفر زلاتهم وأوصيك باهل الحرمين خيراً فقد علمت من هم وابناء من هم أجزل لهم العطاء وأحسن لهم الجزاء يكافئك الله فى الآخرة والاولى . . ثم توفى المهدى من يومه ذاك واستخلف الرشيد وخرج الى الناس يبايعهم بوجه طلق ولسان سلط فبايعوه ببغداد وذلك يوم الخميس من المحرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وتمت له البيعة يوم الجمعة فى المسجد الجامع فلم يختلف عليه أحد ولا كره خلافته مخلوق فاحسن السيرة واحكم أهل الرعية وكان أوحد اهل بيته ولم يشبهه أحد من الخلفاء من أهله رحمه الله

﴿ قدوم هارون الرشيد المدينة ﴾

وذكروا انه لما كانت سنة أربع وسبعين ومائة خرج هارون حاجا الى مكة فقدم المدينة زائراً قبر النبى عليه السلام فبعث الى مالك بن انس فاتاه فسمع منه كتاب الموطأ وحضر ذلك يومئذ فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن ولم يختلف منهم أحد الا وحضر الموسم مع الرشيد وسمع وسمعوا من مالك موطاه الذى وضع وكان قارئه يومئذ حبيب كاتب الرشيد . فلما تم قراءته قال هارون لفقهاء الحجاز والعراق : هل أنكرتم شيئا من هذا العلم ؟ قالوا ما أنكرنا شيئاً

الا ما ذكر من أمر الدماء والتدمية فى القتل فان هذا من أنكر ما يكون من العلم وابطله . يقول الرجل قتلنى فلان فيقبل منه و يحلف أولياؤه على القاتل خمسين يمينا ثم يقتل ولعل أولياءه لم يحضروا ولم يكونوا بمصره فيعرض بهم الحنث فى الايمان فيقبل قول رجل على غيره وهو لا يقبل فى ربع دانق يدعيه الا ببينة تقوم ان هذا لهو الضلال . وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه ابن عباس حيث قال : لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء قوم واموالهم ولكن البينة على المدعى واليمين على من انكر . قال الرشيد و يحكم ان فى كتاب الله ما يصدق ذلك ولا احال أبا عبدالله أخذه الا من كتاب الله فاستثبتوه فارسل اليه فاقبل فقال هارون يا أبا عبد الله ان أصحابنا هؤلاء لم يختلف منهم اثنان فى الانكار عليك فما وضعت فى موطئك من التدمية وتصديق قول من ادعى وأنت وهم تزعمون بطل دعوى من ادعى على رجل دانقا الا ببينة تقوم له فاخبر القوم واوضح لهم حجتك فى ذلك وانا معك عليهم فانى لا اعلم بعد أمير المؤمنين احدا اعلم منك . فقال مالك يا امير المؤمنين ان مما يصدق القسامة ما فى كتاب الله من القتل والاخذ بالدم الذى كان فى بنى اسرائيل قال الله عز وجل « ضربوه ببعضها » فذبحت البقرة ثم ضربوه بعضو من اعضائها فحيى القتيل ثم تكلم فقال فلان قتلنى فقتله موسى بن عمران عليه السلام بقوله ذلك وهو حكم التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا فالذين اسلموا محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وقد حكم بالتوراة رسول الله فى المرجوم اليهودى الذى زنا فرجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر انس بن مالك رضى الله عنه ان يهوديا لقى جارية من جوارى الانصار فى بعض اثقاب المدينة وعليها اوضاح من ذهب وورق فاخذ الاوضاح منها وشدخ راسها بين حجرين فأدركت الجارية و بها رمق فاتهم بها اليهود فاتى بهم فعرضوا عليها رجلا رجلا وهى لا تتكلم حتى اتى بصاحبها الذى قتلها فعرفته فقيل لها هذا الذى قتلك فاومات براسها ان نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدخ راسه بين حجرين فهذا يا امير المؤمنين حكم الدماء والقسامة فيها سنة قائمة من رسول الله صلى الله

عليه وسلم والخلفاء . فتنعوا منه بذلك وصاروا الى الرضاء بقوله والتصديق لروايته والتسليم لتاويل ما تاول من القرآن الكريم . ثم قال له مالك ان أباك ياأمير المؤمنين بعث الى في هذا المجلس كما بعثت الى وحدثته بما حدثتك به في شان أهل المدينة وما يصيرون عليه من البلاء وشدة الزمان وغلاء الاسعار صبراً على ذلك واختياراً لجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هارون : ذلك أبي وأنا ابنه وسوف أفعل ما فعل وأمر لاهل المدينة بعشرة آلاف مثقال تجمع ما أمر لهم المهدي . وكان ابو يوسف القاضي مع الرشيد يومئذ فسأله أن يجمع بينه وبين مالك ليكلمه في الحنه فقال الرشيد لمالك كلمه يا أبا عبد الله فأنف من ذلك مالك وتنزه عنه وقال لهارون هاهنا من فتيان قريش من تلامذتنا من يبلغ حاجة أمير المؤمنين ويخصمه فيما يتكلمه ويذهب اليه فسر ذلك الرشيد حين أضاف ذلك الى قريش فقال من هو فقال المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي فبعث اليه الرشيد فقال له كلمي يامالك احاورك فقال أبو يوسف القاضي يا أمير المؤمنين ان هؤلاء يعني مالك وأصحابه يقضون بغير ما في كتاب الله يقول الله عز وجل « وأشهدوا ذوي عدل منكم » وقال « وأشهدوا شهيدين من رجالكم » وهؤلاء يقضون باليمين مع الشاهد ولا نسمع ان الله تعالى ذكر الا شاهدين وأربعة شهداء ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى به وانما يدور هذا الحديث الذي روى فيه سهيل عن أبي صالح عن أبيه ثم نسيه سهيل فكان يحدث ويقول حدثني ربيعة عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد فلما نسيه سهيل بطل الخبر وانبت أصله فلا معنى لذكره قال المغيرة قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى به على بالكوفة ، فقال ابو يوسف : أنا أكلمك بالقرآن وأنت تكلمني بافعال الناس أتراك تعرفني بهذا وبما قضى به على وغيره فقال المغيرة فانت كافر بني قضى باليمين مع الشاهد او مؤمن به فسكت أبو يوسف فحجه المغيرة فسر بذلك الرشيد وأمر للمغيرة بالف دينار . ثم أرسل الرشيد الى مالك فقال ما تقول في هذا المنبر فاني أريد ان أنزع ما زاد فيه معاوية بن أبي سفيان وارده الى الثلاث درجات التي كانت بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك لا تفعل يا أمير المؤمنين

فانما هو من عود ضعيف قد تخرمته المسامير فان نفضته تفكك وذهب أكثره ومع هذا ياأمير المؤمنين لو أعدته الى ثلاث درجات لم آمن عليه ان ينتقل عن المدينة ياتى بعدك أحد فيقول أو يقال له ينبغى لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون معك حيث كنت فانما المنبر للخليفة فينتقل كما انتقل من المدينة كلما كان بها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعلم انه ترك له عليه الصلاة والسلام بها لا نعل ولا شعر ولا فراش ولا عصاة ولا قدح ولا شىء مما كان له هاهنا من آثاره الا وقد انتقل . فاطاعه الرشيد وانتهى عن ذلك برأى مالك بن أنس وكان ذلك رحمة من الله لاهل المدينة وتثبيتا لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم

﴿ مسير الرشيد الى فضل بن عياض ﴾

وذكروا ان الرشيد كان كثيراً ما يتلثم فيحضر مجالس العلماء بالعراق وهو لا يعرف . وكان قد قسم الايام والليالى على سبع ليالى : فليلة للوزراء يذاكرهم أمور الناس ويشاورهم فى المهم وليلة للكتاب يحمل عليهم الدواوين ويحاسبهم عما لزم من أموال المسلمين ويرتب لهم ماظهر من صلاح أمور المسلمين وليلة للقواد وأمراء الاجناد يذاكرهم أمر الامصار ويسألهم عن الاخبار ويوقفهم على ما بين له من صلاح الكور وسد الثغور وليلة للعلماء والفقهاء يذاكرهم العلم ويدارسهم الفقه وكان من أعلمهم . وليلة للقراء والعباد يتصفح وجوههم ويتعظ برؤيتهم ويستمع لمواعظهم ويرفق قلبه بكلامهم وليلة لنسائه وأهله ولذاته يتلذذ بدنياه ويانس بنسائه . وليلة يخلو فيها بنفسه لا يعلم أحد قرب أو بعد ما يصنع ولا يشك أحد انه يخلو فيها بربه يساله خلاص نفسه وفكاك رقه . فبينما هو يوما فى مجلس محمد بن السماك وقد قصد لرؤيته يسمع لموعظته ولا يعلم أحد بمكانه فسمع بعض أهل المجلس يذكر الفضل بن عياض ويصف فضله وعبادته وعلمه وورعه فاشتهى النظر اليه وناقت نفسه الى رؤيته ومحادثته فتوجه من العراق الى الحجاز قاصداً اليه ومعه عبدالله بن المبارك فقيه أهل بغداد وعالمهم وكان الفضل بن عياض يسكن العراق فلما قربا من موضعه قال عبدالله ابن المبارك يا أمير المؤمنين ان الفضل ان عرفك وعرف مكانك لم يأذن لك عليه

ويسفر عنك فقال هارون تستأذن أنت عليه وتخفى مكانى عنه حتى يأذن بالدخول . فاستأذن عليه ابن المبارك قال الفضل من بالباب قال ابن المبارك قال مرحباً بأخى وصاحبى فقال ابن المبارك ومن معى يدخل فقال الفضل ومن معك قال رجل من قريش فقال الفضل لا اذن لا حاجة لى برؤية أحد من قريش فقال له ابن المبارك انه من العلم والعناية والفقه فيه بمكان فقال له الفضل أوما علمت ان ابليس أفقه الناس فقال له ابن المبارك انه سيد قريش فى زمانه هذا وفوقهم وانما عنى انه فوقهم فى الدنيا وسيدهم فقال له الفضل فان كان كما تقول فليدخل فدخل الرشيد فسلم عليه ثم جلس بين يديه فتحدثوا ساعة فقال له ابن المبارك يا أبا الحسن أدرى من هذا قال لا ادرى فقال له هذا هارون ابن محمد الرشيد أمير المؤمنين نظر اليه الفضل بن عياض ساعة ثم قال هذا الوجه الجميل يسأل غداً عن أمة محمد وبؤاخذ بها ان كان العفو والغفران يسعك مع ما أنت فيه ان هذا لهو الفضل المبين . وكان الرشيد من أجمل الناس خلقاً واحسنهم نطقاً وأبلغهم لساناً وأغزرهم كلاماً واكثرهم علماً وفهماً . ثم جعل الفضل بن عياض يعظه ويخوفه حتى بكا هارون بكاء شديداً . قال ابن المبارك ما رأيت احداً يبكى بكاء الرشيد يومئذ ثم افاق من بكائه فجعل الفضل يذكر مثالب ومثالب اهل بيته ورداءة سيرتهم وخلافهم الحق ثم لم يدع شيئاً يعيبه به ولا امراً ينتقصه فيه الا واستقبله به فقال له الرشيد يا أبا الحسن امالك ذنوب تخاف ان نهلك بها ان لم يغفرها الله لك فقال الفضل بلى فقال الرشيد فما جعلك باحق ان ترجو المغفرة منى وأنا على دين يتقبل الله فيه الحسنات ويعفو عن السيآت ومع ذلك فانى والله ما كنت لاخير بين شىء وبين الله الا اخترت الله تعالى على ما سواه الله الشاهد على قولى والمطلع على نيتى وضميرى وكفى به شهيداً . وأنا مع هذا ألى من الاصلاح بين الناس والجهاد فى سبيل الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ما الا تليه انت فما جعلك احق ان ترجو المغفرة منى فسكت الفضل ساعة ثم قال ما ظلمك من حجك ثم قام هارون للخروج فقال الفضل يا أمير المؤمنين انى اخشى ان يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا فقال الرشيد اجل انه ما قلت فلما قدم الرشيد العراق كان اول ما ابتدأ فيه النظر ان كتب الى الامصار

كلها والى امراء الاجناد اما بعد فانظروا من الزم الاذان عندكم فاكتبوه فى الف من العطاء ومن جمع القرآن واقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ومقاعد الادب فاكتبوه فى الفى دينار من العطاء ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه فى العلم واستحبر فاكتبوه فى اربعة آلاف دينار من العطاء وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الامر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم فاسمعوا قولهم وأطيعوا أمرهم فان الله تعالى يقول « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم » وهم اهل العلم . قال ابن المبارك فما رأيت عالما ولا قارئا للقرآن ولا سابقا للخيرات ولا حافظاً للمحرمات فى ايام بعد ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وايام الخلفاء والصحابة أكثر منهم فى زمن الرشيد وايامه لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين ولقد كان الغلام يستبحر فى الفقه والعلم ويروى الحديث ويجمع الدواوين ويناظر المعلمين وهو ابن احدى عشر سنة

﴿ ذكر الحائك المتطفل ﴾

وذكروا ان الرشيد لما انصرف من الحجاز وصار بالرقة قال لوزيره عمرو ابن مسعدة مازلت تكلمنى وتستلطفنى فى الرجحى حتى وليته الاهواز فقعد فى سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا درهما فاخرج اليه من ساعتك هذه حتى تحل ساحته ثم لاتدع له حرمة الا انتهكتها ولا اكرومة الا اهنتها ثم لاتسمع له حجة يرفعها ولا تقبل منه كلمة ينهيها ، ان اعتذر فلا تقبل له عذراً ، وان قال فلا تقبل له قولا فشر قائل واكذب متظلم فقلت فى نفسى ابعد الوزارة اصير مستحثاً على عامل خراج ولكن لم اجد بداً من طاعة أمير المؤمنين اذ كانت ولايته بسببى فقلت أخرج ياامير المؤمنين قال فاحلف انك لا تلبث فى بغداد الا يوما فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد ثم خرجت فلما صرت بين دير هرقل وبين دير العاقول اذا رجل يصيح يامللاح رجل منقطع فقلت للملاح قرب الى الشط فقال ياسيدى هذا رجل شحاذ وان قعد معك آذاك فلم يلتفت اليه وامرت الغلمان فادخلوه فقعد فلما حضر الغداء دعوته فكان يأكل اكل جائع بنهامة الا انه نظيف الاكل فلما رفع الطعام اردت ان يقوم ويغسل يديه فى ناحية فلم يفعل فغمزه الغلمان فلم يفعل فتشاغلت عنه ليقوم ثم قلت له ياهذا ماصناعتك قال لى

حائك فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى ما ألوم غير نفسى اذ لم اقبل ممن نصحنى وصرت اواكل الحوكة فقلت بوضايا أخى فتوضأ ثم قال لى جعلت فداك قد سالتنى عن صناعتي فما صناعتك أنت فقلت فى نفسى هذه شر من الاولى وكرهت ان اذكر الوزارة وقلت اقتصر على الكتابة فقلت له كاتب فقال ان الكتابة على خمسة اصناف كاتب رسائل يحتاج ان يعرف الفصل من الوصل والصدور ورقيق الكلام والتهانى والتعازى والترهيب والترغيب والمقصور والممدود وجملا من العربية وكاتب جند يحتاج الى ان يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلى الناس ونعوتهم وكاتب قاضى يحتاج ان يكون عالما بالشروط والاحكام عارفا بالناسخ والمنسوخ من القرآن والحلال من الحرام والفروع والمواريث وكاتب شرعة يحتاج ان يكون عالما بالجروح والقصاص والديات فقيها فى أحكام الدماء عارفا بدعوى التعدى وكاتب خراج يحتاج ان يعرف الزرع والمساحة وضروب الحساب فايهم أنت اعزك الله ؟ قلت : فوالله ما قضى كلامه حتى صار أعظم الناس فى نفسى وأحبهم الى وصار كلامه عندى أشهى من الماء البارد العذب على الظمآن . فقلت له أصلحك الله تقدم انى وادن منى أكلمك واقعدك المقعد الذى يقعده مثلك فلولا ان من البر يكون عقوقا لاقعدتك مقعدى هذا : قال : مقعدى الذى انا به أولى بى فقلت أمتع الله بك انا كاتب رسائل قال فاخبرنى لو كان لك صديق تكتب اليه فى المحبوب والمكروه وجميع الاسباب فتزوجت أمه كيف كنت تكتب اليه تهنئه أم تعزيه ؟ قلت . والله ما أدرى كيف الوجه فى هذا وهو بالتعزية أولى منه بالتهنئة قال صدقت كيف كنت تعزيه فقلت والله ما اقف على ما تقول قال : فلست بكاتب رسائل فايهم أنت ؟ قلت كاتب خراج قال فما تقول أصلحك الله وقد ولاك السلطان عملا فبثثت عمالك فيه فجاء قوم يتظلمون من بعض عمالك فاردت أن تنظر فى أمرهم وتنصفهم اذا كنت تحب العدل وتؤثر حسن الاحدوثة وطيب الذكر وكان لاحدهم براح فاردت مساحته كيف كنت تمسحه قلت اضرب العطوف فى العمود وانظر الى مقدار ذلك قال اذاً تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدته قال اذاً تظلم السلطان قلت والله ما أدرى قال لست بكاتب خراج فايهم أنت قلت كاتب جند قال فما تقول فى

رجلين اسم كل واحد منهما أحمد احدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلى كيف كنت تنعتهما وتحليهما فقلت . كنت أكتب احمد الاعلم واحمد الاعلم قال فكيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق ذاك الف درهم فيقبض هذا عطاء ذاك وذاك عطاء هذا فتظلم صاحب الالف . قلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب جند فايهم أنت قلت كاتب قاضى قال فما تقول فى رجل خلف سرية وزوجة وكان للزوجة بنت وللسرية ابن فلما كان تلك الليلة التى مات الرجل اخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتها مكانه فتنازعتا فيه فقالت هذه ابنى وقالت هذه ابنى كيف كنت تحكم بينهما وأنت خليفة القاضى ؟ فقلت والله ما أدرى قال فلست بكاتب قاضى فايهم أنت فقلت كاتب شرطة قال فما تقول فى رجل وثب على رجل فشجه شجة موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مأمومة كيف كنت تقضى بينهما فقلت ما أعلم قال فلست بكاتب شرطة . فقلت : أصلحك الله قد سالت فقسر لى ماذكرت : فقال : اما الذى تزوجت امه فتكتب اليه : اما بعد فان احكام الله تجرى بغير محاب المخلوقين والله يختار للعباد فخار الله لك فى قبضها اليه فان القبر اكرم لها والسلام . واما البراح فتضرب واحداً وثلثاً فى مساحة العطوف ثم تم بابه . واما احمد واحمد فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا احمد الاعلم والمقطوع الشفة السفلى احمد الاشرم ، واما المرأتان فيوزن لبن هذه ولبن هذه فايهما كان اخف فهى صاحبة البنت . واما صاحب الشجة فان فى الموضحة خمساً من الابل وفى المأمومة ثلاثا وثلاثين وثلثا فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثاً . فقلت أصلحك الله فما أتى بك ها هنا قال ابن عم لى كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فالقيته معزولا فقطع بى فانا خارج اضطرب فى المعاش . قلت الست قد ذكرت انك حائك ؟ فقال : جعلت فداك انما احوك الكلام ولست بحائك اثياب . قال فدعوت المزين فاخذ من شعره وادخل الحمام وطرحت عليه من ثيابى فلما صرت الى الاهواز كلمت فيه الرجحى فاعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معى فلما صرت الى امير المؤمنين القيته قد توقد على ناراً وامتلا غيظاً وقد حلف بالمشى الى الكعبة ان ينالنى منه يوم سوء لطول مقامى واشتغالى عنه بالرجل فلما دخلت

عليه قال ما كان من خبرك فى طريقك وما الذى شغلك بعد امرى لك ان لا تلبث ببغداد الا يوما واحداً و يمينك على ذلك ؟ فاخبرته خبرى حتى حدثته بحديث الرجل وقصتى معه قال لقد جئتنى باعظم الفوائد فلاى شيء يصلح ويحك قلت هو والله يا امير المؤمنين أعلم الناس بالفقه والعلم والحلال والحرام والهندسة والفلسفة والحساب والكتابة . فولاه هارون البناء والمرمة والمهم من الامور وأولاه على عمال الخراج يتقاضاهم ويحاسبهم فكنت والله القاه فى المواكب العظيمة فينحط عن دابته ساعياً حتى يقبل على يدى يقبلها فاحلف عليه فيقول سبحان الله انا هذه نعمتك و بك نلتها : ويقول :

فلو ان للشكر شخصا يرى * اذا ما تامله الناظر
لمثلته لك حتي ترا * دفتعلم انى امرؤ شاكر

قال عمرو بن مسعدة : ثم قال لى هارون ويحك لما ابتدأت على حلفت بالمشى الى الكعبة ان ينالك منى يوم سوء ولا والله ما هذا جزاؤك لدى فما الرأى فقلت يا امير المؤمنين انت اعلى عيناً واولى من بر يمينه فقال والله ما اريد ذلك قلت فليكفر امير المؤمنين يمينه فان النبي عليه السلام قال : من حلف على يمين فرأى خيراً منها فليكفر وليأت الذى هو خير . فقال : ويحك ان العلماء لم يروا الكفارة فى هذا وانما تأولوا قوله عليه السلام فى الايمان بالله تعالى وقد اجمعت على المشى والمضى الى الكعبة راجلا فقلت انى لك بذلك وكيف تصل راجلا قال لابد من ذلك فقال عمرو يا امير المؤمنين فامهل عامك هذا وتأن حتي اسهل لك طريقاً واجدد لك مراحل واوقت لك مواقيت يسهل عليك ذلك ان شاء الله قال ذلك لك . فامر عمرو بالانهار ففرجت عن مسيلها و بالاكام والجبال فسويت و بالخنادق والاودية فردمت حتى صار ما بينه و بين مكة كالراحة الموزونة وصارت الانهار والاودية تسايره على طريقه ثم صنع له مراحل قد حدد له عند كل مرحلة حداً وابتنى فى كل مرحلة داراً وكانت المرحلة بريداً قدرها اثنا عشر ميلا ثم امر بالمراحل فرشت بانبسط الرهاوية ونصب له جداراً بالستور وسمكها باكسية الخز الرفيع الملون وقد ضرب عند كل فرسخ قبة مزوقة قد اقام فيها الفرش الممهدة

وقد احاط بها الظلال الممددة بالرواقات الكثيفة فيها انواع الطعام والشراب والوان الفواكه . فلما تم صنعه ذلك وابرم امره قال يا امير المؤمنين قد تم ما اردته وكمل ما حاولته فانهض على اسم الله العظيم . وكانت زبيدة زوجته التي قد اغرته عليه وحملته على انيمين لمعاقبته فخرج الرشيد ماشيا ومعه دابته وزبيدة فكانت المرحلة تفرش والستور تنصب والسماك ترفع فيمشي ثلاثة اميال ثم ينزل في قبة امامها رواق فينال راحته ويصيب ما اشتهى من لذة في مأكل ومشرب ثم ينهض ثلاثة أخرى فينزل على مثل ذلك فاذا استكمل مشي اربع فراسخ نزل في قصر قد شيد له ودار قد بنيت فيها حمام طيب ينال فيها راحته مع أهله ويصيب لذته مما شاء وكيف شاء ثم يكث فيه يوماً ثم يخرج في اليوم الثاني الى مثل ذلك قد شايعه في طريقه الوزراء والقواد وامراء الاجناد والعلماء والفقهاء والجنود والعساكر قد صاروا منه بمعزل يحاذونه في طريقه اذا نزل في الرواق صار الخصيان حوله بحيث يسمعون كلامه ولا يرون شخصه فلا يشتهي شيئاً من معرفة أخبار الامصار والبلدان الا وخط فيه كتابا يأمر فيه بايصاله لحيث شاء من الاماكن مسيرة الايام والليالي فيأتيه الجواب من يومه على النجائب من مسيرة ثمانية ايام ويأتيه الجواب من يومه من مسيرة شهر ونحوه على اجنحة الحمام ، يعلق الكتاب في جناحه فيرتفع في الجو ارتفاعا يغيب شخصه عن من في الارض وينقض على وطنه وموضع فراخه فاذا نزل لا يستقر نزوله حتى يؤخذ الكتاب من جناحه فيجاوب بما أحب ثم يسرح غيره فيرتفع في الجو حتى يوازي وطنه وموضعه من بعد تلك الاماكن التي عليها طرق أمير المؤمنين فيؤخذ الجواب منه وقد صار الموكلون بذلك لا يهتمون بغير ما قلدوا ولا يتشاغلون بغير ما حملوا فلم يزل كذلك ماشيا حتى وصل الى مكة في ثلاثة اشهر فقضى حجه وشهد مناسكه ومشاعره ثم انصرف قافلا الى بغداد وذلك في آخر شهر ذي الحجه من سنة ثمانين ومائة .

فلما هم بالانصراف وذكر التقول الى العراق رفع اليه اهل مكة كتابا يسالونه فيه ان يولي عليهم قاضيا عدلا فادخلهم على نفسه فقال ان شئتم فاختاروا منكم رجلا صالحا أوليه قضاءكم وان أحببتم بعثت اليكم من العراق رجلا لا ألوكم فيه

الا خيراً فخرجوا فاختاروا رجلا فاختلفوا فيه فاختارت طائفة منهم رجلا واختارت أخرى رجلا آخر فلما اختلفوا ارتفعوا الى الرشيد يذكرون اختلافهم فقال لهم هارون ادخلوا على هذين الرجلين اللذين اختلفتهم فيهما فادا رجلين أحدهما شيخ من قريش والاخر غلام حدث من الموالى فلما نظر اليهما الرشيد قال للشيخ ادن منى فدنا منه فقال له الرشيد أيها القاضى أن بينى وبين وزيرى هذا خصومة وتنازعا فاقض بيننا بالحق فقال الشيخ . قصا على قصتكما فقصا عليه فقال الشيخ تقيم البينة يا أمير المؤمنين على ما ذكرته أو يحلف وزيرك هذا فقال له هارون ان أخى لايدافعنى ما أقول ولا ينكر الا قليلا مما ادعى فلم يزالا يترددان القول بينهما و يتنازعان حتى قضى القاضى لامير المؤمنين على الوزير فقال له قم فقام عنه . ثم دعا بالغلام الحدث الذى دعته الطائفة الاخرى فدخل عليه فقال له ادن منى فدنا منه فقال له هارون ن بينى و بين وزيرى تنازعا وخصومة فاسمع منا قولنا ثم اقض بيننا بالحق. قال لهما . ان مقعدكما مختلف ومجلسكما متنائى واخشى اذا اختلف مجلسكما أن يختلف قولكما فاذا تفاضل مجلس الخصوم اختلف بينهما القول وكان صاحب المجلس الارفع الحق بحجته وادحض حجة صاحبه وكان اصغاء الحاكم الى صاحب المجلس الارفع أكثر واليه أميل ولكن تقومان من مجلسكما هذا الذى قد استعليتما فيه فتجلسا بين يدى ثم أسمع منكما قولكما واقضى لمن رأيت الحق له ثم لا أبالى على من دار منكما . فقال الرشيد صدقت و برزت فى قولك فقام الرشيد وقام عمرو بن مسعدة حتى صارا بين يديه جالسين فلما جلسا بين يديه ذهب الرشيد ليتكلم فقال له القاضى لو تركت هذا يتكلم فانه أسن منك فقال الرشيد ان الحق أسن منه فقال القاضى بلى ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحويصة ومحيصة كبر كبر . يريد ليتكلم عمكما لانه أسن منكما وأكبر فتكلم عمرو بن مسعدة ثم تكلم الرشيد وتنازعا الخصومة ورافعا الحجة بينهما حتى رأى القاضى ان الحق لعمرو فقضى له به على الرشيد فلما قضى عليه قال لهما عودا الى مجلسكما فعادا فعجب الرشيد من قضائه وعدله واحتفاظه وقلة ميله فالتفت الى عمرو فقال ان هذا

أحق بقضاء القضاة من الذى استفضيناه فقال عمرو بلى والله ولكن القوم أحق بتقاضيهم الا ان يأذنوا فيه فدعا الرشيد برجال مكة فادخلهم على نفسه وأجزل لهم العطاء وأحسن على قاضيهم الثناء ثم قال لهم هل لكم ان تأذنوا أوليه قضاء القضاة فيسير الى العراق يقضى بينهم فقالوا نعم ياأمير المؤمنين أنت أحق به نؤثرك على أنفسنا . فارسل اليه الرشيد فقال انى قد وليتك قضاء القضاة فسر الى العراق لتقضى بينهم وتولى القضاة فى البلدان والامصار من تحت يدك وتوليهم اليك وعزلهم عليك فقال القاضى ان يجبرنى أمير المؤمنين على ذلك فسمعا وطاعة وان يخيرنى فى نفسى اخترت العافية وجوار هذا البيت الحرام فقال الرشيد ما ينبغى لى ان ادع المسلمين وفيهم مثلك لا أوليه عليهم فخذ على نفسك فانى مصبح على ظهر ان شاء الله . فخرج الرشيد ومعه القاضى حتى قدم العراق فولاه القضاء وجعل اليه قضاء القضاة فلم يزل بها قاضياً حتى توفى وذلك بعد ثلاثة أعوام من توليته . فلما توفى اغتم الرشيد وشق عليه فجعل الناس يعزونه فيه علما منهم بما بلغ منه الغم اليه . فسأل عن قاضى يوليه قاضى القضاة والعراق بعد ذلك فرفعت اليه تسمية عشرة رجال من خيار الناس وعلمائهم وأشرافهم فلما رفعت اليه التسمية أمر بهم فادخلوا عليه رجلا رجلا ليتفرس فيهم من يوليه القضاء فنظر الى رجل منهم توسم فيه الخير والعلم فامر به فقدم اليه فلما صار بين يديه قال له . ما اسمك ؟ قال معشوق قال فما كنيتك قال . أبو الهوى . قال فما نقش خاتمك قال . دام الحب دام وعلى الله التمام . فقال له قم لاقمت ثم دعا بالاخر وكان قد تفرس فيه ما تفرس فى صاحبه فقال له ما نقش خاتمك فقال « مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين » فقال له اخرج . فدعا الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وكان ممن رفع اليه أسماءهم فعنفه بهم وقال رفعت الى أسماء المجانين قال له والله مافى العراقيين أعقل من الرجلين اللذين سألت ولا أفضل منهما فقال ويحك انى اختبرت منهما جنونا قال يحيى انهما والله كانا كارهين لمادعوتهما اليه وانما أرادا التخلص منك قال ويحك أعدهما على فطلبا فلم يوجدا .

﴿ ذكر الاعرابى مع هارون الرشيد ﴾

وذكروا ان اعرابيا قدم على هارون الرشيد مستجديا فاراد الدخول عليه فلم يمكنه ذلك فلما رأى انه لم يؤذن له أتى عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال له توصل كتابى هذا الى امير المؤمنين وكان الرشيد قد عهد الى حاجبه ان لا يحبس عليه كتاب أحد قرب أو بعد فاعطاه الاعرابى كتابا فيه أربعة أسطر . السطر الاول فيه . الضرورة والامل قادانى اليك . والثانى . العدم يمنع من الصبر . والثالث . الاقلاب عنك بلا فائدة شماتة الاعداء . والرابع . فاما نعم مثمرة وآمالا يائسة مريحة . فلما وصل الكتاب الى الرشيد قال . هذا رجل قد ساقته الحاجة ووصلت اليه الفاقة فليدخل فدخل فقال له الرشيد ارفع حاجتك وحو يجاتك تقض كلها فقال الاعرابى . تأمر لى يا أمير المؤمنين بكلب اصيد به فضحك الرشيد ثم قال له قد أمرنا لك بكلب تصيد به فقال تأمر لى يا أمير المؤمنين بدابة اركبها فقال الرشيد قد أمرنا لك بدابة تركبها فقال تامر لى يا أمير المؤمنين بغلام يخدم الدابة فقال له الرشيد قد امرنا لك بغلام . قال الاعرابى . تامر لى يا أمير المؤمنين بجارية تطبخ لنا الصيد وتطعمنا منه فقال الرشيد قد أمرنا لك بجاريتين جارية تؤنسك وجارية تخدمك فقال الاعرابى لابد لهؤلاء من دار يسكنونها فقال له الرشيد قد أمرنا لك بدار قال الاعرابى يا أمير المؤمنين يصيرون فيها عالة وعلى كلالة لابد لهم من ضيعة تقيمهم فقال له الرشيد قد اقتطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة فقال الاعرابى وما الغامرة يا أمير المؤمنين قال الرشيد غير معمورة تامر بعمارتها فقال الاعرابى انا اقطعتك الف الف جريب من ارض اخوالى بنى اسد بالحجاز تامر بعمارتها فضحك الرشيد وقال قد اقتطعتكها عامرة كلها ثم قال الرشيد تمت حو يجاتك كلها يا اعرابى . فقال نعم و بقيت حاجتى العظمى فقال له الرشيد ارفعها تقض فقال اقبل راسك يا امير المؤمنين فقال له الرشيد هذا لا سبيل اليه فقال الاعرابى اتمنعنى حقا هو لى وتدفعنى عما بذلت لى يا امير المؤمنين فقال الرشيد هذا الامر لا يكون ياأعرابى ولا سبيل الى مثل هذا فقال الاعرابى لا بد من انا صل الى حقى

الا ان اغصبه فقال له الرشيد يا اعرابى اشترى منك هذا الحق الذى وجب لك فقال له الاعرابى هذا الحق مما لا يشترى وهل فى الارض من المال ما يكون ثمنا لهذا او عوضا منه لا والذى نفسى بيده ما فى الدنيا صفراء ولا بيضاء يشترى بها هذا فقال الرشيد تبيعه ببعض ما تراه من الثمن فانه لا يكون ولا يتوصل اليه فقال له الاعرابى فاذا قد ابيت فاعطنى مما اعطاك الله فامر له بمائة الف دينار فاتى بها اليه فقال الاعرابى ماهذه فقيل له هذه مائة الف دينار تاخذها فقال الاعرابى هى للغرماء على وهم اولى بها منى. فضحك الرشيد ثم امر له بمائة الف اخرى فقال ما هذه فقيل له مائة الف ثانية والاولى للغرماء وهذه لك فقال الاعرابى هذه لضعفاء اهلى يصلهم بها امير المؤمنين فما اوسع على نفسى فامر له الرشيد بمائة الف ثالثة فقيل له هذه مائة الف ثالثة توسع بها على نفسك فى معيشتك ارضيت يا اعرابى فقال نعم رضيت فرضى الله عنك يا أمير المؤمنين وابنى فضالة يقرأ السلام عليك و يسألك مائة الف يستعين بها فى نكاحه ويتزين بها فى دنياه وانه قد جمع القرآن وعرف شرائعه واحكامه وعلم ناسخه ومنسوخه وتفنن فى ضروب من العلم وأحكم أنواع الادب وقد جمع الدواوين والكتب وتبحر فى فهم الحديث والاثر، قد أخذ من كل علم اهذبه ومن كل ضرب أمحضه الى اب لبيب وعقل رصين وعلم ثابت ونظر عجيب وفضل ودين يصوم النهار كله و يقوم الليل أكثره وقد صار فى كثير من الاهل والعيال وعدد من البنين والصبيان فقال الرشيد أولست تذكر يا اعرابى انه يريد الاستعانة على النكاح والتوسع فى المعاش ثم اراك تصفه بكثرة العيال وعدد البنين والصبيان فقال الاعرابى يا أمير المؤمنين انه ذو ثلاث نسوة من حرائر النساء وتسعة من سرائر الاماء وهو ذو خمسة من الولد من كل حرة وذو سبع بنات من كل أمة و يبتغى نكاح الرابعة الحرة استتماما لما أمر الله به فى التنزيل المحكم وأباح فى كتابه الناطق بكلامه الصادق فقال الرشيد يا اعرابى لقد سألت كثيراً فهلا سألت مائة الف درهم فيعطاها قال الاعرابى فاعطه يا أمير المؤمنين تسعين الف دينار وأحطط عنك عشرة آلاف دينار فقال الرشيد والله لقد سألت كثيراً وحططت

قليلا قال الاعرابى انما سألتك يا أمير المؤمنين على قدرك وحططت على قدرى فاختر ما شئت فقال الرشيد يا اعرابى انما تربد مغالبتى لاغلبتنى اليوم فامر له بمائة الف دينار ذهباً فقال له أمير المؤمنين ارضيت يا اعرابى فقال ما بقى لى شىء يا أمير المؤمنين الا الحملان والكسوة وطرائف الكوفة وتحف البصرة وجوائز الضيافة وحتها فقال الرشيد وما يصلح لك من الحملان يا اعرابى . فقال . اقصد ما يكون دابة للجمال وأخرى للحملان وثلاثة للاسترسال ولابنى مثل ذلك ومن الكسوة مالابد منه من ثياب المهنة والاستشعار ومالا غنى عنه من الوطاء والدثار مع زائغ الثياب التى تكون للجمال والجماعات والاعياد ولابنى وبنى ابنى مثل ذلك . فدعا الرشيد بجعفر بن يحيى وقال ارحنى من هذا وأمر له بما سال من الحملان وما أراد من ثياب المهنة واجعل واغدق عليه من التحف والطرائف ما ترضيه بها واخرجه عنى فخرج جعفر فامر له بما سال واعطاه ما اراد . ثم انصرف الاعرابى راجعا الى الحجاز باموال عظيمة لايوصف اكثرها ولا يعرف أقلها وكل هذا يقل عند ما عرف من جود الرشيد وسخائه وجزيل عطائه

﴿ قتل جعفر بن يحيى بن برمك ﴾

قال عمرو بن بحر الجاحظ حدثنى سهل بن هارون . قال . والله كان سجاعو الخطب ومحبرو الفريض امثالا على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر ابن يحيى . ولو كان كلام يتصور درأ و يحيله المنطق السرى جوهراً لكان كلامها والمنتقى من لفظهما ، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد فى بديهته وتوقيعاته فى أسافل كتبه عيين ، وجاهلين أميين ولقد عبرت معهم وادركت طبقة المتكلمين فى أيامهم وهم يرون ان البلاغة لم تستكمل الا فيهم ولم تكن متصورة الا عليهم ولا انقادت الا لهم وانهم محض الانام ، ولباب الكرام وملح الايام عتق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطق وسهولة لفظ ونزاهة نفس واكتمال خصال حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهم والمأثور من خصالهم كثير أيام من سواهم من لدن آدم أنيهم الى نفخ الصور وانبعاث أهل القبور حاشا أنبياء الله المكرمين وأهل وحيه المرسلين لما باهت الا بهم ، ولا عولت

فى الفخر الا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم وكريم أعراقهم رسعة آفاقهم ورفق ميثاقهم ومعسول مذاقهم وسنا أشراقهم ونقاوة اعراضهم وطيب أغراضهم واكتمال خلال الخير فيهم الى ملء الارض مثلهم فى جنب خاسن المامون كالنفثة فى البحر ، وكالخردلة فى المهمه القفر . قال سهل ان متصل أرزاق العامة بين يدى يحيى بن خالد فى داخل سرادقه وهو مع الرشيد بالرقة وهو يعقد بها جملا بكفه اذ غشيته سامة واخذته سنة فغلبته عيناه فقال ويحك ياسهل طرق النوم شفرى عينى وأطلت السنة خواطرى فما ذاك ؟ قلت . طيف كريم ان اقصيته ادركك وان غالبته غلبك وان قربته روحك وان منعته عنتك وان طردته طلبك . فنام أقل من فواق بكية أو نزح ركية ثم انتبه مذعوراً فقال ياسهل لامر كان ذهب والله ملكنا وذل عزنا واسخطت أيام دولتنا فقلت وما ذاك أصلح الله الوزير . قال كأن منشداً انشدنى .

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فاجبته عن غير رويه ولا اجالة فكر .

بلى نحن كنا أهلها فابادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

فو الله ما زلت أعرفها فيه واراها ظاهرة منه الى الثالث من يومه وانى لفى مقعدى ذلك بين يديه اكتب توقيعات فى أسفل كتبه لطلاب الحوائج اليه قد كلفنى اكمال معانيها باقامة الوزن فيها اذ وجدت رجلا سانياً اليه حتى أو ما مكبا عليه فرفع رأسه وقال مهلا ويحك ما أكتتم خبراً ولا أسفر شراً قال له قتل أمير المؤمنين الساعة جعفراً قال أو فعل قال نعم فما زاد ان رمى بالقلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة . قال سهل : فلو انكفأت السماء على الارض ما تبرأ منهم الحميم واستبعد عن نسبهم القريب وجحد ولاءهم المولى واستعبرت لتقدهم الدنيا فلا لسان يخطر بذكرهم ولا طرف ناظر يشير اليهم . وضم يحيى و بقية ولده والفضل ومحمداً وخالداً بنيه وعبدالملك و يحيى وخالداً بنى جعفر بن يحيى . والعاصى و يزيداً ومعمراً بنى الفضل بن يحيى . و يحيى وجعفرا وزيداً بنى محمد بن يحيى . وابراهيم ومالكا وجعفراً وعمرو بنى خالد بن يحيى ومن لف لفيهم أو هجس بنفسه أمل فيهم . قال سهل

و بعث الى الرشيد فو الله لقد أعجلت عن النظر فدخلت ولبست ثياب احزاني وعلم رغبتي الى الله الا راحة بالسيف والا نعيت كما نعى جعفر ، فلما دخلت عليه ومثلت بين يديه عرف الذعر في تعرض ريقي والتماد في طريقي فاوصى الى السيف المشهور ببصري فقال لي هارون : أيها ياسهل من شمائل ودي واعتدى وصيتي وجانب موافقتي أعجلته عقوبتي . فو الله ما وجبت عقوبتها حتى قال ليفرخ روعك وليسكن جأشك ولتطب نفسك ولتطمئن . فان الحاجة اليك قربت منك وابتت عليك بما يبسط منقبضك ويطلق معقولك ، فاقتصر على الاشارة قبل اللسان فانه الحاكم الفاصل والحسام الناصل وأشار الى مصرع جعفر : وهو يقول

من لم يؤدبه الجميل * ففي عقوبته صلاحه

قال سهل فوالله ما أعلمني اني عيبت بجواب احدفط غير جواب الرشيد يومئذ . في شكره والثناء عليه الاعلى تقبيل يديه و باطن رجليه . ثم قال لي . قد احللتك محل يحيى بن خالد ووهبتك ماضمته ابنيته وحوى سرادقاه من الدواوين واحص جباءه وجباء جعفر لتأمرك بقبضه ان شاء الله . قال سهل فكنت كمن نشر عن كفن واخرج من حبس فاحصيت جباءهما فوجد . عشرين الف الف دينار . ثم قفل الى بغداد راجعا وفرق البرد الى الامصار بعض اموالهم وغلاتهم وامر بحيفة جعفر فنصبت مفصلة على ثلاثة جذوع وسه في جذع على رأس الجسر مستقبل الصراط و بعض جسده في جذع في آخر الجسر الاول واول الجسر الثاني وباقيه في جذع على آخر الجسر الثاني بنا بلى بغداد . قال سهل فلما دنونا من بغداد طلع الجسر الذى فيه وجه جعفر اولا واستقبلنا وجهه واستقبلته الشمس . فوالله لخلتها تطلع من بين حاجبيه ياعن يمينه وعبدالملك بن الفضل عن يساره فلما نظر اليه الرشيد كأنه قفي شعره وطلى بنور بشره اربد وجهه واغضى بصره قال عبد الملك بن الفضل لقد عظم ذنب لم يسعه عفو امير المؤمنين فقال الرشيد . واغرورقت عيناه حتى لعرفنا الخشية في صدره من يرد غير ما ئه يصدر بمثل دائه ، ومن اراد فهم ذنبه يوشك ان يقوم على مثل راحلته . على بالنضاحات قال سهل فنضح عليها

حتي احترقت عن آخرها وهو يقول . اما والله لئن ذهب اثرك لقد بقي خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك . قال سهل وامر بضم اموالهم فوجد من العشرين الف الف التي كانت مبلغ جبائهم اثني عشر الف الف مكتوب على بدورها صكوك مختومة تفسيرها رقيما جوابها فما كان منها جباء على غريبة او استطراف ملحة تصدق يحيي بها وأثبت ذلك في ديوانها على تواريخ ايامها وساعات اعطياتها فكان ديوان انفاق واكتساب فائدة وقبض من سائر اموالهم ثلاثين الف الف وستمائة الف وستين القاً الى سائر ضياعهم وغلاتهم ودرورهم ورباعهم ورياشهم والدقيق والجليل من مواهبهم فانه لا يصف اقله ولا يعرف أكثره الا من احصى الاعمال وعرف منتهى الآجال . وابرزت حرمه الى دار البانوقة ابنة المهدي فوالله ما علمته عاش ولا عشن الا من صدقات من لم يزل متصدقا عليه وصار من موجدة الرشيد فيما لم يعلم من ملك قبله على آخر ملكه . وكانت ام جعفر بن يحيي فاطمة بنت محمد بن الحسن بن قحطبة بن شبيب قد ارضعت الرشيد مع جعفر وكان ربي في حجرها وغذي برسلها لان امه ماتت عن مهده فكان الرشيد يشاورها مظهراً لاكرامها والتبرك برأيها وكان قد آلى على نفسه وهو في كفالتها ان لا يحجبها وان لا تستشفعه لاحد الا شفعها وآلت عليه أم جعفر ان لا دخلت عليه الا مأذوناً لها ولا تشفعت لاحد لغرض دنيا ، قال سهل فكم أسير فككت ومهم عنده فتحت ومنغلق منه فرجت . قال واحتجب الرشيد بعد قدومه فطلبت الاذن عليه من دار البانوقة ومنت بوسائلها اليه فلم يأذن لها ولا امر بشيء فيها فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضعة لثامها محتفية في مشيتها حتى صارت بباب قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب . فقال . ظئر امير المؤمنين بالباب في حالة تقلب شمائة الحاسد الى حنين الوالد وشفقة أم الواحد فقال له الرشيد ويحك يابن الفضل اوساعية فقال نعم أصلح الله امير المؤمنين حافية فقال . ادخلها ياعبد الملك فرب كبد كريم عذتها وكربة كشفتها وفرجة فرجتها وعورة سترتها . قال سهل فوالله ما شككت في شيء قط ما شككت يومئذ في طلابها واسعافها بحاجتها . فلما دخلت ونظر اليها داخلة محتفية قام محتفيا حتى تلقاها بين عمد المجلس فاكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم

اجلسها معه فقالت يا أمير المؤمنين أيعدوا علينا الزمان ويحفون خوفا لك الاعوان ، يخردك بنا البهتان ويوسوس لك بأذانا الشيطان وقدر بيتك واخذت برضاعي لك الامان من دهري ، فقال لها وماذلك يا أم الرشيد ، قال سهل ، فما يسني من رأفته بتركه كنيتها آخراً ما كان اطمعني منه في بره بها اولا . قالت له ظئرك يحيى وابوك بعدا بيك ولا ارشحه باكثر مما عرفه به امير المؤمنين من نصيحته له واشفاقه عليه وتعرضه للتحف في شأن موسى اخيه فقال يا أم الرشيد قدر سبق وقضاء حم وغضب من الله نزل قالت يا أمير المؤمنين يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . فقال الرشيد صدقت فهذا مما لا يمحوه الله فقالت الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا امير المؤمنين . قال سهل فاطرق الرشيد يسيراً ثم قال .

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

فقالت بغير رويه ما انا ليحيى تميمة يا امير المؤمنين وقد قيل .

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخراً يكون كصالح الاعمال

هذا بعد قول الله « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » فاطرق هارون قليلا ثم قال

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت يا أمير المؤمنين وهو يقول

ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني * يمينك فانظر أي كف تبدل

قال الرشيد رضيت فقالت يا أمير المؤمنين فهبه لله تعالى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك شيئاً لله لم يوجده الله . فاكب الرشيد مليا ثم رفع رأسه وهو يقول لله الامر من قبل ومن بعد قالت يا أمير المؤمنين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ثم قالت اذكرك يا أمير المؤمنين باليتك ان لا استشفعتك الا شفعتني فقال وانا أذكرك يا أم الرشيد باليتك ان لا شفعت لاحد تعرض لدنيا ، قال سهل فلما رأته صرح بمنعها ولاذ عن مطلبها اخرجت له حقا من زمردة خضراء فوضعته بين يديه فقال الرشيد ما هذا ففتحت عنه قفلا من ذهب فاخرجت منه حذاءه وحنضه وذؤابته وثناياه وقد غمس ذلك بمسك شير في الحق فقالت يا أمير المؤمنين استشفع اليك واستعين بالله

وبما صار معى من كريم جسدك وطيب جوارحك ليحيي عبدك وظئرك فاخذ الرشيد جميع ذلك فاشمه ثم استعبر وبكى بكاء شديدا وبكى أهل المجلس ومضى البشير الى يحيي فلم يظن الا ان البكاء رحمة عليه ورجوع الرشيد عنه فلما أفاق من بكاءه رد جميع ذلك فى الحق وقال لها لحسناً ما حفظت الوديعة فقالت فأهل للمكافأة أنت يا امير المؤمنين فسكت وضم الحق ودفعه اليها وقال « ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها » قالت وقال عز وجل « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » وقال تعالى « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » فقال لها وما ذاك يا أم الرشيد قالت ما أقسمت لى به يا أمير المؤمنين ان لا يحجبك عنى حاجب فقال لها يا أم الرشيد أحب ان تشتريه محكمة فيه فقالت سمعت يا أمير المؤمنين وقد فعلت غير مستقيلة لك ولا راجعة عنك قال لكم قالت برضاك عن من لم يسخطك قال : يا أم الرشيد أما لى عليك من الحق مثل الذى لهم ؟ قالت : بلى يا أمير المؤمنين انك لا عز على وهم أحب الى . قال لها فتحكمى فى ثمنه لغيرهم قالت بلى قد وهبتك وجعلتك فى حل منه وقامت عنه فبقى الرشيد مبهوتا ما يحير لفظة قال سهل وخرجت عنه فلم تعد اليه ولا والله ان رأت عينى لعينها عبرة ولا سمعت اذنى لنعيها آنة . قال سهل وكان الامين رضيع يحيي بن جعفر فمت اليه بحق بن خالد بذلك فوعده استيهاب أمه اياهم ثم شغله اللهو عنهم . فكتب اليه يحيى وقيل انه لسليمان الاعمى أخى مسلم بن الوليد

يالاذى وعصمتى وعمادى * ومجيرى من الخطوب الشداد
بك قام الرجاء فى كل قلب * زاد فيه البلاء كل مزاد
انما أنت نعمة أعقبتها * أنعم تقعها لكل العباد
وعد مولاك أتممنه فابهى الد * ر مازين حسنه بانعقاد
ما أظلت سحائب اليأس الا * خلت فى كشفها عليك اعتمادى
ان تراخت يداك عنى فواقا * أكلتنى الايام أكل الجراد

وبعث بها اليه فبعثها الامين الى أمه زبيدة فاعطتها الرشيد وهو فى موضع لذاته وفى اقبال من أريحيته وتهيأت للاستشفاع وهيات جوار يها ومغنياتها

وأمرتهن بالقيام اليه معها فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم ينقض حبوته حتى وقع فى أسفلها : عظيم ذنبك أمات خواطر العفو عنك . ورمى بها الى زبيدة فلما رأت توقيعه علمت انه لا يرجع عنه . قال واعتل يحى فلما أشفى دعا برقعة فكتب فى عنوانها ينفذ أمير المؤمنين الرشيد ابقاه الله عهد مولاه يحى ابن خالد وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الخصم لموضع الفصل وأنت على الاثر والله الحكم العدل . فلما ثقل قال للسجان هذا عهدى توصله الى أمير المؤمنين فانه ولى نعمتى واحق من نفذ وصيتي . فلما مات اوصل السجان عهد يحى الى الرشيد فلما قرأه استمد فكتب ولا أدرى لمن الرقعة . فقلت يا أمير المؤمنين ألا أكفيك قال كلانى أخاف عادة الراحة ان يقوى سلطان العجز فيحكم فى الغفلة و يمضى بالبلادة . قال سهل فوقع فيها : الحكم الذى رضيت به فى الآخرة هو أعدى الخصوم عليك فى الدنيا وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاؤه ثم رمى بالكتاب الى فلما رأيته علمت انه ليحى وان الرشيد أراد أن يؤثر الجواب عنه . قال سهل قلت لبعض من اثق بوفائه واعتقد صدق أخائه من خصيان القصر المتقدمين عند أمير المؤمنين والمتمكنين من كل ما يكون لديه . ما الذى يعنى جعفر بن يحى وذويه عند أمير المؤمنين وما كان من ذنبه الذى لم يسعه عفوه ولم يأت عليه رضاه . فقال : لم يكن له جرم ولا لديه ذنب كان والله جعفر على ما عرفته عليه وفهمنه عنه من اكتمال خصال الخير ونزاهة النفس من كل مكروه ومحذور الا ان القضاء السابق والقدر النافذ لا بد منه كان من أكرم الخلق على أمير المؤمنين وأقربهم منه وكان أعظمهم قدراً وأوجبهم حقاً فلما علم ذلك من حسن رأى أمير المؤمنين فيه وشديد محبته له استاذنته أخته فاخته بنت المهدى شقيقته فى اتحاف جعفر ومهاداته فاذن لها وكانت قداستعدت له بالجوارى الرائعات والقينات الفاتنات فتهدى له كل جمعة بكراً يفتضها الى ما يصنع له من الوان الطعام والشراب والفاكهة وأنواع الكسوة والطيب كل ذلك بمعرفة أمير المؤمنين ورأيه فاستمرت بذلك زمانا ومضت به أغواما فلما كانت جمعة من الجمع دخل جعفر القصر الذى استعدت له ولم يرع جعفر الا بفاختة ابنة المهدى فى القصر كانها جارية

من الجوارى اللاتى كن يهدين له فاصاب منها لذته وقضى منها حاجته ولا علم له بذلك . فلما كان المساء وهم بالانصراف أعلمته بنفسها وعرفته بامرها واطلعته على شديد هواها وافراط محبتها له فازداد بها كلفاً و بها حبا ثم استعفاها من المعاودة الى ذالك وانقبض مما كان يناله منها من جوار يها واعتذر بالعلة والمرض فاعلم جعفر أباه يحيى فقال له يابنى اعلم أمير المؤمنين ما كان معجلا والا فائذن لى فاعلمه فانى أخاف علينا منه يوم سوء ان تاخر هذا و بلغه من غيرنا واعلامك له فى هذا الوقت يسقط عنا ذلك الذنب فهى أحق بالعقوبة منك قال جعفر لا والله لا أعلمته به ابداً فالموت على أيسر منه وارجو ان لا يطلعه الله عليه فقال له يحيى لا تظن هذا يخفى عليه فاطعنى اليوم واعلمه فقال جعفر والله لا أفعل هذا أبداً ولا أتكلم به و بالله استعين فلم يرع الرشيد ان رفعت اليه جارية من جواريها رقعة واعلمت ذلك فيها فاستحق ذلك عند الرشيد باستعفاء جعفر لما كان من اتحافها واعتذاره بالعلة من غير مرض ينهكه فغفل عنه الرشيد ولم ير لذلك جفوة ولا زاد له الا كرامة ولا لديه الا حرمة ورفعة حتى قرب وقت الهلاك ودنى منقلب الحتف والله اعلم

ثم بعون الله تعالى ما به ابتدأنا وكمل وصف ما قصصنا من أيام خلفائنا وخير أئمتنا وفتن زمانهم وحروب ايامهم وانتهينا الى ايام الرشيد ووقفنا عند انقضاء دولته اذ لم يكن فى اقتصاص اخبار من بعده ونقل حديث مادار على ايديهم وكان فى زمانهم كبير منفعة ولا عظيم فائدة وذلك لما انقضى أمرهم وصار ملكهم الى صبية اغمار غلب عليهم زنادقة العراق فصرفوهم الى كل جنون وادخلوهم الى الكفر فلم يكن لهم بالعلماء والسنن حاجة واشتغلوا بلهوهم واستغنوا برأيهم . وكان الرشيد مع عظم ملكه وقدر شأنه معظما للخير واهله محبا لله تعالى ورسوله ولما دخلت عليه سنة تسعين ومائة اخذته الحمى التى اخبر بها جده أبو جعفر المنصور وهو فى المهد صغيراً فعرف انه قد دنى اجله وحان هلاكه فاجتمع اليه أطباء العراق يعالجونه ثم استعان باطباء الروم والهند واستجلبهم من الآفاق فلم يزالوا يداوونه حتى مضت له ثلاثة أعوام ولا اقلعت عنه ولا يزيده العلاج الا شدة . فلما دخلت سنة اربع وتسعين ومائة اثرت به وانهكت بدنه واشتد ألمه وتمادى

بهوجعه فذكر البيعة لابنه المأمون فلما سمعت بذلك زبيدة وكان ابنها منه محمد الامين هجرته وتغاضت عنه واكربها ذلك وأغمها حتى ظهر ذلك عليها واثر الغم فى وجهها فدخلت عليه تعاتبه فى ذلك اشد المعاتبة وتؤاخذه اعنف المؤاخذة . فقال لها الرشيد : ويحك انما هى امة محمد ورعاية من استرعانى الله تعالى مطوقا بعنقى وقد عرفت ما بين ابنى وابنك ليس ابنك يا زبيدة اهل للخلافة ولا يصلح للرعاية . قالت ابنى والله خير من ابنك واصلح لما تريد ليس بكبير سفيه ، ولا صغير فهيه ، أسخى من ابنك نفساً واشجع قلبا : فقال هارون : ويحك ان ابنك قد زينه فى عينيك ما يرين الولد فى عين الابوين فاتق الله فوالله ان ابنك لاحب الى الا انها الخلافة لا تصلح الا لمن كان لها اهلا وبها مستحقا ونحن مسئولون عن هذا الخلق وماخوذون بهذا الانام فما اغنانا ان نلقى الله بوزرهم وننقلب اليه باثمهم فاقعدى حتى اعرض عليك ما بين ابنى وابنك . فقعدت معه على الفراش فدعا ابنه عبدالله المأمون فلما صار بباب المجلس سلم على ابيه بالخلافة ووقف طويلا وقد طاطا برأسه وأغضى ببصره ينتظر الاذن حتى كادت قدماه ان ترما ثم اذن له بالجلوس فجلس فاستاذن بالكلام فامر له . فتكلم فحمد الله على مامن به عليه من رؤية ابيه ويرغب اليه فى تعجيل الفرج ممابه ثم استاذن فى الدنو من ابيه فدنا منه وجعل يلثم اسافل قدميه ويقبل باطن راحتيه ثم انثنى ساعياً الى زبيدة فاقبل على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم انحنى الى قدميها ثم رجع الى مجلسه فحمد الله اليها فيما من به عليها من رضى ابيه عنها وحسن رأيه فيها ويساله تعالى العون لها على بره وأداء المفروض عليها من حقه ويرغب ان يوزعها شكره وحمده : فقال الرشيد : يابنى انى أريد ان أعهد اليك عهد الامامة وأقعدك مقعد الخلافة فانى قد رأيتك لها أهلا وبها حقيقاً فاستعبر عبدالله المامون باكياً وصاح منتحباً يسال الله العافية من ذلك ويرغب اليه ان لا يريه فقد أبيه فقال . له يابنى انى أرانى لسانى وأنت أحق وسلم الامر لله وارض به واساله العون عليه فلابد من عهدى يكون فى يومى هذا . فقال عبدالله المامون . يا أبتاه أخى أحق منى وابن سيدتى ولا اخال الا انه أقوى على هذا الامر منى وأشد استطلاعا عرض الله لك ما فيه الرشاد والخلاص وللعباد الخير والصلاح ثم اذن

له فقام خارجا ثم دعا هارون بابنه محمد فاقبل يجر ذيله ويتبختر فى مشيته فمشى داخلا بنعليه قدأنسى السلام وذهل عن الكلام نخوة وتجبراً وتعظما واعجابا فمشى حتي صارمستويا مع ابيه على الفراش فقال هارون ماتقول أيبنى فانى أريدان اعهد اليك ؟ فقال يا أمير المؤمنين ومن احق بذلك منى وأنا أسن ولدك وابن قرة عينك فقال هارون اخرج يا بنى ثم قال لزبيدة كيف رأيت ما بين ابنى وابنك ؟ فقالت يا أمير المؤمنين ابنك احق بما تريد وأولى بما لديك فقال هارون فاذا اقررت بالحق وانصفت مما رأيت فانا اعهد الى ابنى ثم الى ابنك بعده . فكتب عهد عبدالله المامون ثم محمد الامين بعده فلما كان سنة خمس وتسعين ومائة توفى الرشيد رحمه الله وعبدالله المامون خارج عن العراق وكان وجهه ابوه بالجيوش الى بعض الفرس لشيء بلغه عنهم فلظ بمحمد الامين قوم من شرار أهل العراق فقيل له معك الاموال والرجال والقصور فادفع فى نحر اخيك المامون فانك احق بهذا الامر منه واعانته على ذلك امه زبيدة فقدم اخوه عبدالله بغداد ومعه الجيوش قداخذ بيعتهم فنهض اليه الامين قاصداً ومعه الجيوش فلم يرجع ولم يمانع ولم يختلف عليه احد ثم انه غدر باخيه الامين لما بلغه عنه فنهض المامون الى القصر فدخله فاخذ اخاه وشد وثاقه وحبسه واشار الى امه لما اعانته عليه فهرب محمد من الحبس فبعث المامون فى طلبه فاخذ وقتل والله تعالى اعلم

﴿ تمت ﴾

فهرست

الجزء الاول من كتاب الامامة والسياسة

للامام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري

صحيفه	
٢	مقدمة الناشر . وترجمة المؤلف
٣	كلمة [illegible] للمؤلف
	فصل [illegible] بكر وعمر
٤	[illegible] رسول الله ابا بكر
٦	ذكر [illegible] ومنعها من العمل
٩	[illegible] ونقضه لعهدهم
١٠	[illegible] رضي الله عنه
١١	[illegible] عباد عن البيعة لابي بكر رضي الله عنه
١٢	[illegible] ابي بكر
١٣	كيف [illegible] بيعة على لابي بكر
١٧	خطبة ابي بكر الصديق
١٨	مرض ابي بكر واستخلافه عمر
٢٠	ولاية عمر بن الخطاب
	قتل عمر بن الخطاب
٢٢	تولية عمر بن الخطاب الستة

صحيفه	
	الشورى وعهده اليهم
٢٤	ذكر الشورى و بيعة عثمان بن عفان
٢٦	ذكر الانكار على عثمان
٢٧	ذكر [illegible] لعثمان ومعاوية
٣٠	ما انكر الناس على عثمان رحمه الله
٣٢	حصار عثمان رضي الله عنه
٣٤	توليه عثمان بن ابي بكر على مصر
٣٥	خبر اهل مصر مع ابي بكر وعثمان
	خطبة عثمان من اعلى المنبر طلحة واهل الكوفة وغيرهم
٤٠	قتل عثمان وكيف كان
٤٢	دفن عثمان رضي الله عنه
	بيعة على وكيف كانت
٤٧	خطبة على بن ابي طالب
	اختلاف الزبير وطلحة على على

صحيفه
٤٨ خلاف عائشة على على
٤٩ اعتزال عبد الله بن عمر وسعد ابن ابى وقاص ومحمد بن مسلمة عن مشاهدة على وحروبه هروب مروان بن الحكم من المدينة
٥٠ خروج على من المدينة
٥٢ كتاب ام مسلمة الى عائشة استنفار عدى بن حاتم قومه لنصرة على كرم الله وجهه
٥٣ استنفار زفر بن زيد قومه لنصر على كرم الله وجهه
٥٤ توجه عائشة وطلحة والزبير الى البصرة وكتبهم الى القوم
٥٨ نزول طلحة والزبير وعائشة البصرة
٥٩ نزول على بن ابى طالب الكوفة
٦١ دخول طلحة والزبير وعائشة البصرة
٦٢ قتل اصحاب عثمان بن حنيف عامل على على البصرة
٦٣ تعبئة الفئتين للقتال
٦٥ رجوع الزبير عن الحرب
٦٦ قتل الزبير
٦٧ مخاطبة على لطلحة بين الصفين

صحيفه
٦٨ التحام الحرب
٧١ مبايعة اهل الشام بالخلافة معاوية
٧٢ قدوم عقيل بن ابى طالب على معاوية
٧٣ نعى عثمان بن عفان الى معاوية
٧٥ قدوم ابن عم عدى الشام
٧٦ استعمال على عبد الله بن عباس على البصرة
٧٦ ما اشار به الاحنف بن قيس على على
٧٧ كتاب الاحنف الى قومه يدعوهم به لنصرة على
كتاب اهل العراق الى مصقلة
٧٨ جواب مصقلة الى قومه
٧٩ لحوق عبد الله بن عامر بالشام
ما اشار به عمار بن ياسر على على
ما اشار به الاشتر على على
كتاب على الى جرير بن عبد الله
٨٠ خطبة زفر بن قيس
خطبة جرير بن عبد الله البجلى
٨١ كتاب على الى الاشعث بن قيس
خطبة زياد بن كعب
خطبة الاشعث ـ مشورة الاشعث ثقاته فى اللحوق بمعاوية

صحيفة	
٨٢	كتاب جرير الى الاشعث
	ارسال على جريراً الى معاوية
	كتاب على الى معاويه مرة ثانية
٨٣	قدوم جرير الى معاوية
	اشارة الناس على على بالمقام بالكوفة
	مشورة معاوية اهل ثقته
٨٤	كتاب معاوية الى عمرو بن العاص
	ما سال معاوية من على من الاقرار بالشام ومصر
	كتاب على الى جرير
	استشارة عمرو بن العاص ابنيه ومواليه
٨٥	قدوم عمرو الى معاوية
٨٦	مشورة معاوية عمراً
	كتاب معاوية الى اهل مكة والمدينة وجوابهما
٨٧	كتاب معاوية الى ابن عمر
	« « « سعد بن ابى وقاص . وجوابه
٨٨	كتاب معاوية الى محمد بن مسلمة الانصارى . وجوابه
	كتاب معاوية الى على
٨٩	جواب على الى معاوية

صحيفة	
٨٩	قدوم عبيدالله بن عمر على معاوية
٩٠	تعبئة معاوية اهل الشام لقتال على
	» على اهل العراق لقتال
٩١	منع معاوية الماء من اصحاب على
٩١	غلبة اصحاب على على الماء
٩٢	دعاء على معاوية الى البراز
٩٢	براز عمرو بن العاص لعلى
٩٣	قطع الميرة من اهل الشام
	قدوم ابى هريرة وابى الدرداء على معاوية وعلى
٩٤	وقوع عمرو بن العاص فى على
٩٥	كتاب معاوية الى ابى ايوب الانصارى . وجوابه
	ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد
٩٦	كتاب عمرو الى ابن عباس وجوابه
٩٧	امر معاوية مروان بحرب الاشتر
	كتاب معاوية الى ابن عباس وجوابه
٩٨	خطبة على كرم الله وجهه
٩٩	قدوم ابن ابى محجن على معاوية رفع اهل الشام المصاحف
١٠٠	ماتكلم به عبدالله بن عمرو واهل العراق

صحيفة

١٠٠ ماخاطب به عتبة الاشعث
١٠١ كتاب معاوية الى على
١٠٢ اختلاف اهل العراق فى المواعدة
ماردكردوس على على
ماراله سفيان بن نور
١٠٣ ماقال حريث بن جابر
ماقال خالد بن معمر
» الحصين بن المنذر
» عثمان بن حنيف
١٠٤ » عدى بن حاتم
» عبد الله بن حجل
١٠٥ » صعصعة بن صوحان
ماقال المنذر بن الجارود
» الاحنف بن قيس
» عمير بن عطارد
١٠٦ » على رضى الله عنه
نداء اهل الشام واستغاثتهم عليا
ما اشار به عدى بن حاتم
ماقال الاشتر واشار به
ماقال عمرو بن العاق
١٠٧ » الاشعث بن قيس
» عبد الرحمن بن حارث
مارآه على كرم الله وجهه
ماقال عمار بن ياسر

صحيفة

١٠٧ قتل عمار بن ياسر
١٠٨ هزيمة اهل الشام
١٠٩ ماقال الاشعث
» عثمان بن حنيف
» الاشتر وقيس بن سعد
١١٠ ذكر الاتفاق على الصلح وارسال الحكمين
اختلاف اهل العراق فى الحكمين
١١١ ماقال اهل الشام لاهل العراق
١١٢ ماقال الاحنف بن قيس لعلى
» على كرم الله وجهه
الاختلاف فى كتاب صفينة الصلح
١١٣ ماوصى به شريح بن هانىء ابا موسى الاشعرى
ماوصى به الاحنف بن قيس ابا موسى
١١٤ ماقال معاوية لعمرو
» شرجيل لعمرو
اجتماع ابى موسى وعمرو
١١٥ ماقال سعيد بن قيس للحكمين
» عدى بن حاتم لعمرو
» عمرو لابى موسى
١١٧ كتاب ابن عمر الى ابى موسى وجوابه

صحيفة	
١١٨	كتاب معاوية الى ابى موسى وجوابه
	كتاب على الى ابى موسى وجوابه
١١٩	ذكر قيام الخوارج على على
١٢٠	خطبة على كرم الله وجهه
١٢١	كتاب على للخوارج وجوابه
	كتاب على الى ابن عباس
	ماقال بن عباس الى أهل البصرة
١٢٢	» على لاهل الكوفة
١٢٣	» » فى الخثعمى
١٢٣	اجتماع على للذهاب الى صفين
١٢٤	مسير على الى الخوارج وما قال لهم
١٢٥	قتل الخوارج
١٢٦	خطبة على كرم الله وجهه
١٢٩	ما كتب على لاهل العراق
١٣٣	مقتل على عليه السلام
١٣٦	بيعة الحسن لمعاوية
١٣٧	انكار سليمان بن صرد للبيعة
١٣٨	كراهية الحسين للبيعة
	ما أشار به المغيرة من البيعة ليزيد
	ماحاول معاوية فى بيعة يزيد
١٣٩	ما تكلم به الضحاك بن قيس
»	» عبد الرحمن الثقفى

صحيفة	
١٤٠	» » ثور بن معن السلمى
»	» عبد الرحمن بن عصام
١٤١	مارد الضحاك بن قيس عليه
١٤٢	قدوم معاوية المدينة ومافاوض
٤٤	موت الحسن بن على رضى الله عنه
١٤٥	بيعة معاوية ليزيد بالشام
	عزل مروان عن المدينة
١٤٧	كراهية اهل المدينة البيعة وردهم لها
	ما كتب معاوية الى العمال
١٤٨	ما اجابه به القوم رضى الله عنهم
١٥٠	قدوم معاوية المدينة
١٥٦	ماقال عبد الله بن الزبير لمعاوية
١٥٨	ماقال سعيد بن عثمان لمعاوية
١٥٨	قدوم أبى الطفيل على معاوية
١٥٩	ماحاول معاوية من تزويج يزيد
١٦٧	وفاة معاوية رحمه الله
١٦٨	كتاب يزيد بالبيعة الى أهل المدينة
	اباية القوم المتمنعين عن البيعة
١٦٩	خلع اهل المدينة يزيد
١٧١	كتاب يزيد الى اهل المدينة
	ما اجمع عليه أهل المدينة ورأوه
١٧٢	ارسال يزيد الجيوش اليهم

صحيفه
١٧٤ قدوم الجيوش الى المدينة غلبة اهل الشام على أهل المدينة
١٧٨ عدة من قتل من الصحابة وغيرهم
١٧٩ كتاب مسلم بن عقبة الى يزيد
١٨٠ موت مسلم بن عقبة ونبشه فضائل قتلى أهل الحرة

فهرست

الجزء الثاني من كتاب الامامة والسياسة

صحيفه
٢ ذكر اختلاف الرواة في وقعة الحرة وخبر يزيد
٣ ولاية الوليد المدينة وخروج الحسين بن على
٤ قتال عمرو بن سعيد الحسين وقتله
٦ قدوم من أسر من آل على على يزيد
اخراج بنى أمية عن المدينة وذكر قتال اهل الحرة
٩ حرب بن الزبير خلافة معاوية بن يزيد
١٠ غلبة بن الزبير وظهوره
١١ حريق الكعبة
١٢ اختلاف أهل الشام على ابن الزبير
١٢ بيعة أهل الشام مروان بن الحكم
١٣ موت مروان بن الحكم بيعة عبد الملك بن مروان وولايته
١٤ غلبة ابن الزبير على العراقيين وبيعتهم
١٥ بيعة أهل الكوفه لابن الزبير وخروج بن زياد عنها
١٨ قتل المختار عمرو بن سعد
١٩ قتل مصعب بن الزبير المختار
٢٠ خلع ابن الزبير
قتل عبدالملك عمرو بن سعيد
٢٢ مسير عبد الملك الى العراق
٢٣ قتل مصعب بن الزبير

صحيفه	
٢٣	حرب بن الزبير وقتله
٢٥	ولاية الحجاج على العراقين
٢٦	خروج عبدالرحمن بن الاشعث على الحجاج
٢٩	حرب الحجاج مع ابن الاشعث وقتله
٤١	قتل سعيد بن جبير
٤٤	ذكر بيعة الوليد وسليمان ابنى عبد الملك
٤٦	موت عبد الملك وبيعة الوليد
٤٨	تولية موسى بن نصير البصرة
٤٩	دخول موسى على عبد الملك توليه موسى على افريقيه
٥٠	خطبة موسى بن نصير دخول موسى بن نصير افريقية
٥١	خطبة موسى بن نصير بافريقية فتح زعوان
٥٢	قدوم كتاب الفتح على عبد العزيز بن مروان انكار عبد الملك تولية موسى
٥٣	كتاب عبد العزيز بالفتح وجوابه فتح هوارة وزناتة وكتامة
٥٤	فتح صنهاجه . فتح سجوما .
٥٥	قدوم الفتح على عبد الملك
٥٦	غزوة موسى بن نصير فى البحر
٥٨	غزوة السوس الاقصى
٥٨	قدوم الفتوحات على الوليد فتح قلعة ارساف
٥٩	فتح الاندلس
٦١	اتهام الوليد موسى بالخلع دخول وفد موسى على الوليد
٦٢	ماوجد موسى فى البيت الذى وجد فيه المائدة مع صور العرب ذكر ما افاء الله عليهم
٦٣	غزوة موسى البشكنس والافرنج
٦٥	خروج موسى من الاندلس
٦٦	قدوم موسى افريقية
٦٧	» » الى مصر
	» » على الوليد
٦٨	خلافة سليمان وماصنع بموسى
٦٩	عدد موالى موسى بن نصير مارآه موسى المغرب من العجائب
٧١	تولية سليمان بن عبد الملك اخاه مسلمة وما اشار به عليه
٧٢	سؤال سليمان موسى عن المغرب قدوم موسى على الوليد
٧٣	اختلاف الناقلين فى صنع سليمان ابن عبد الملك بموسى بن نصير
٧٥	نسخة القضية

صحيفة	
٧٦	ذكر يد موسى الى المهلب
٧٧	قتل عبد العزيز بن موسى بالاندلس
٧٨	قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان
٨١	سؤال سليمان موسى عن اخباره وافعاله
٨٤	ولاة الاندلس بعد موسى
٨٥	ماقال طاووس اليمانى لسليمان بمكة
	ماقال أبو حازم لسليمان
٩٠	وفاة سليمان واستخلافه عمر ابن عبد العزيز
٩٤	أيام عمر بن عبد العزيز
٩٥	ذكر قدوم جرير على عمر بن عبد العزيز
٩٦	دخول الخوارج على عمر
٩٨	وفاة عمر بن عبد العزيز
٩٩	ذكر رؤيا » » »
١٠٠	ماعلم به موت عمر فى الامصار
١٠١	ولاية يزيد بن عبد الملك
١٠٢	» هشام » »
١٠٣	قدوم خالد بن صفوان على هشام
١٠٧	بدء الفتن والدولة العباسيه
١٠٨	دخول محمد بن على على هشام ولاية الوليد بن يزيد وفتن الدولة

صحيفة	
١٠٩	قتل خالد بن عبد الله القسرى
١١٠	وثوب اهل دمشق على الوليد ابن يزيد وقتله
١١١	ولاية مروان بن محمد
١١٢	خروج ابى مسلم الخراسانى
١١٤	ما أمال اصحاب الكرمانى الى أبى مسلم الخراسانى
١١٦	تولية أبى مسلم قحطبة بن شبيب قتال مروان
	ذكر البيعة لابى العباس بالكوفة
١١٧	حرب مروان بن محمد وقتله
١١٩	قتل أبى مسلم الخلال
١٢٠	قتل رجل بنى أمية بالشام وهروب عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس
١٢١	قتل سليمان بن هشام
١٢٢	خروج السفاح على أبى العباس وخلعه
١٢٣	اختلاف أبى مسلم على أبى العباس
١٢٤	قتال ابن هبيرة واخذه
١٢٥	كتاب الامان لابن هبيرة
١٢٧	قدوم ابن هبيرة على أبى العباس
١٢٨	قتل أبن هبيرة
١٣٠	اختلاف أبى مسلم على أبى

صحيفه
العباس
١٣١ كتاب أبي مسلم الى أبي جعفر وقدهم ان يخلع ويخالف
١٣٢ موت أبي العباس السفاح واستخلاف ابي جعفر المنصور
١٣٣ قتل أبي مسلم الخراساني
١٣٤ ثورة عيسى بن زيد بن الحسين
١٣٥ هروب مالك بن الهيثم
١٣٦ قصة سابور ملك فارس
١٣٧ خروج شريك بن عون على أبي جعفر وخلعه
اجتماع شبيب بن شيبة مع ابي جعفر قبل ولايته و بعدها
١٤٠ حج ابي جعفر ولقائه مالك بن انس وما قال له
١٤١ دخول سفيان الثوري وسليمان الخواص على ابي جعفر
١٤٢ دخول ابن ابي ذؤيب ومالك وابن سمعان على أبي جعفر
١٤٤ كتاب عبيد الله العمري الى ابي جعفر . وجوابه
١٤٥ اجتماع ابي جعفر مع عبدالله
صحيفة
ابن مرزوق
١٤٦ ذكر ما نال مالك بن انس من جعفر بن سليمان
١٤٧ انكار ابي جعفر لضرب مالك
دخول مالك على ابي جعفر
١٤٩ ما قال ابو جعفر لعبد العزيز ابن ابي رواد
قدوم المهدى الى المدينة
موت ابي جعفر المنصور واستخلاف المهدى
١٥٠ استخلاف هارون الرشيد
١٥١ قدوم الرشيد المدينة
١٥٤ مسير الرشيد الى الفضل بن عياض
١٥٦ ذكر الحائك المتطفل
١٦٣ ذكر الاعرابي مع الرشيد
١٦٥ قتل جعفر بن يحيى بن برمك
١٦٩ دخول ام جعفر على الرشيد
١٧٣ اختبار الرشيد ابنيه المأمون والامين . واستخلافه المأمون